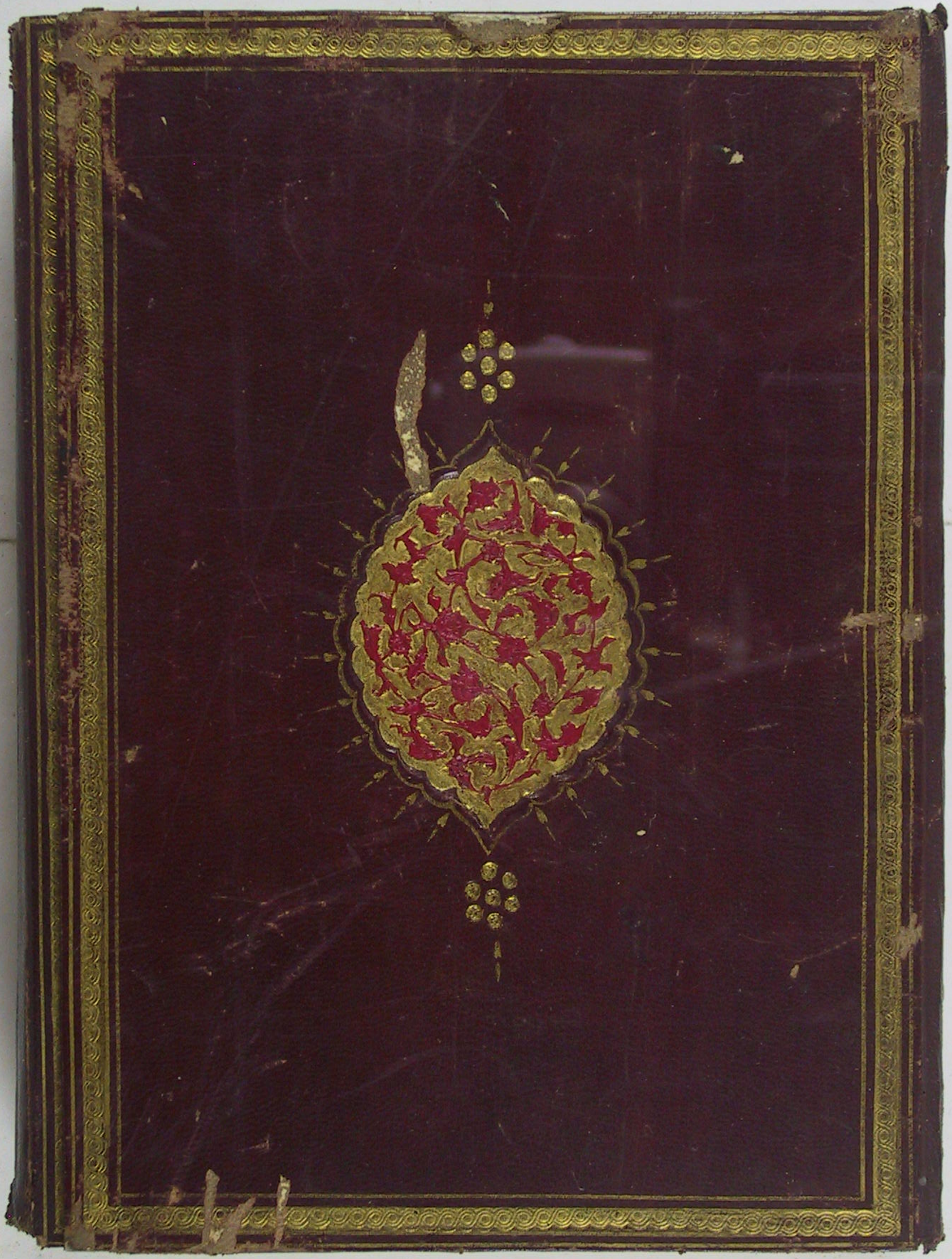

T. C.
MİLLİ E[illegible] KANLIĞI
RAGIP P[illegible] TAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 69/3

٩٣

٩٣

سورة الكهف ١	سورة مريم ٢٧	سورة طه ٤٣
سورة الانبياء ٦١	سورة الحج ٧٦	سورة المؤمنون ٩٢
سورة الشعراء ١٣٢	سورة النمل ١٥٢	سورة القصص ١٦٧
سورة العنكبوت ١٧٦	سورة الروم ٢٠٠	سورة لقمان ٢١٢
سورة السجدة ٢١٥	سورة الاحزاب ٢٢٦	سورة سبأ ٢٤٤
	سورة فاطر ٢٦٣	

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكهف مكية روى في فضلها من حديث انس من قراها اعطي نورا بين السما والارض وقي بها فتنة القبر وفي رواية من قراها يوم الجمعة غفر له الى الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام واعطي نورا يبلغ السما وقي فتنة الدجال وعن ابي سعيد الخدري من قرا سورة الكهف ليلة الجمعة اضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وهو الوصف بالجميل الاختياري ثابت لله وهل المراد الاعلام بذلك للايمان به او التشابه اوهما احتمالات افيدها الثالث الذي انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب يعني القران رتب الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم امر المعاش والمعاد ونزلت لما سالت قريش اليهود عن النبي صلى الله عليه وسلم ووصفت لهم امره وقالوا انكم اهل التورات فاخبرونا عن صاحبنا هذا فقالت لهم اليهود سلوه عن ثلاث فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان امرهم وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها وسلوه عن الروح ما هي فاذا اخبركم بذلك فاتبعوه فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبركم بما سالتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا ياتيه جبريل حتى ارجف اهل مكة وحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاه جبريل بسورة اصحاب الكهف وخبر ما سالوا عنه ولم يجعل له اي فيه عوجا اي شيا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى والجملة حال من الكتاب وحقص

يسكت

يسكت سكتة لطيفة من غير قطع نفس على الالف من عوجا وغرضه من ذلك ايضاح المعنى لئلا يتوهم ان قيما نعت عوجا قيما اي مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد او قيما على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وان المعنى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا والعوج بكسر العين في المعاني وبفتحها في الاجسام لينذر باسا شديدا اي لينذر محمدا والقران الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه وهذا العذاب قد يكون في الدنيا وقد يكون في الاخرة من لدنه اي صادرا من عند الله ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اي بان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه اي دائمين في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا هم اليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله وقريش قالوا الملائكة بنات الله فالانذار في اول السورة عام وهذا خاص فيمن قال لله تعالى ولد وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم من صلة اي ما لهم بذلك القول علم او بالولد وذلك لانهم يقولونه عن جهل مفرط او توهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي اراد وابه فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر وبالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لابائهم من قبلهم الذين تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة اي عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه وتخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب

على التمييز مفسر للضمير المبهم والمخصوص بالذم محذوف اي مقالتهم المذكورة تخرج
من افواههم في موضع الصفة وهي تفيد استعظام اجترآئهم على اخراجها من افواههم
والخارج بالذات هو الهوآء الحامل لها اى يقولون اي ما يقولون الا مقولا كذبا
فلعلك باخع نفسك اي قاتلها ومهلكها على اثارهم بعدهم اذا ولوا عن الايمان
شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته وهو يتحسر على اثارهم
ويبخع نفسه وجدا عليهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اي بهذا القرآن اسفا
متاسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وانتصب على المفعول له وقيل على
التفسير انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن والانهار
وغير ذلك زينة لها ولاهلها لانه دال على باريه ابن عباس اراد بالزينة الرجال
وعنه ان الزينة الخلفآء والامرآء وقيل العلما وقيل اراد النعم والملابس والثمار والخضر
والمياه ونحو هذا مما فيه زينة ولم يدخل فيه الجبال الصم وكل ما لا زينة فيه كالحيات
والعقارب والقول بالعموم اولى لان كل ما على الارض فيه زينة من جهة خلقه
وصنعه واحكامه لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم
يغتر به وقنع منه بما يرجى به ايمانه وصرفه على ما ينبغي والاية تسلية اي
لا تهتم يا محمد للدنيا واهلها فانا انما جعلنا ذلك امتحانا واختبارا لاهلها فمنهم
من يتدبر ويومن ومنهم من يكفر فلا يعظم عليك كفرهم فانا مجازيهم ابن عطيه
كان ابي يقول في احسن عملا احسن العمل اخذ بحق وانفاق في حق مع الايمان
واداء الفرآئض واجتناب المحارم والاكثار من المندوب اليه وقال ابن اسحاق
ايهم اتبع لامري واعمل بطاعتي وقال سفيان الثوري ازهدهم في الدنيا وانا
لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع
نباتها من الجرز وهو القطع قال ابن هشام والصعيد وجه الارض والصعيد

ايضا الطريق والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا من الارض
ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه وقيل صعيدا فتاتا جرزا يابسا ام حسبت
اي بل احسبت فام عند سيبويه اذا جات دون ان يتقدمها الف استفهام انها
بمعنى بل والف الاستفهام وهي المنقطعه والمعنى اظننت ان اصحاب الكهف
والرقيم في ابقآء حياتهم مدة مديدة كانوا من اياتنا عجبا خبر كان وما
قبله حال قال الطبري هو تقرير للنبي صلى الله عليه وسلم على حسابه اي اضحا
الكهف كانوا عجبا بمعنى انكار ذلك عليه اي لا يعظم ذلك عليك بحسب ما عظمه
عليك السآئلون من الكفرة فان سآئر ايات الله اعظم من قصتهم هذا قول ابن عباس
وغيره الكلبي خلق السموات والارض اعجب من خبرهم وقال الضحاك ما اطلعناك
عليه من الغيب اعجب وقال الماوردي معنى الكلام النفي اي ما حسبت لولا انبيائنا
والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل والوادي الذي فيه كهفهم وقيل
اسم قريتهم التي خرجوا منها السدي اسم الصخرة التي كانت على الكهف ابن زيد
كتاب عمى الله علينا امره وقيل كتاب في لوح من نحاس او رصاص كتب فيه اسماؤهم
ووقت فقدهم وجعل في تابوت من نحاس وعن ابن عباس الرقيم كتاب مرقوم
كان عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى وقيل دراهمهم وقيل
اسم كلبهم وقيل اصحاب الغار الثلاثة الذين انطبق عليهم فذكر كل واحد
منهم اصلح عمله واليه نحا البخاري اذكر اذ اوى الفتية جمع فتى وهو
الشاب الكامل الى الكهف روي انهم قوم من اشراف الروم بمدينة دقيانوس
وكانوا مطوقين مسورين بالذهب واتبعوا دين عيسى وقيل كانوا قبله
وان ملكا يقال له دقيانوس ظهر على مدينة يقال لها افسوس وقيل
طرسوس وكان يامر بعبادة الاصنام فدعا اهلها الى عبادة الاصنام وكان

بها سبعة اصنام يعبدون الله تعالى سرا فرفع خبرهم الى الملك فخافوه وهربوا ليلا
ومروا براع معه كلب فتبعهم فاووا الى الكهف فتبعهم الملك الى فم الغار فوجد اثر
دخولهم ولم يجد اثر خروجهم فدخل واعمى الله بصره فلم يرشيا فقال الملك سدوا عليهم
باب الغار حتى يموتوا فيه جوعا وعطشا وقيل ان الفتية وقع لهم علم من بعض
الحواريين او من بومنى الامم قبلهم فامنوا بالله وراوا بصائرهم قبيح فعل الناس فاخذوا
نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله فرفع امرهم الى الملك فاستحضرهم فامرهم باتباع
دينه وتوعدهم بالقتل فقالوا ربنا رب السموات والارض ويقال ان الملك قال
لهم انتم شبان لا عقول لكم وانا الا عجل عليكم فاذهبوا فدبروا رايكم وضرب لهم
فى ذلك اجلا فتشاوروا فى الهروب فقال احدهم انى اعرف كهفا فى جبل كذا فلنذهب
فلنختف فيه فخرجوا فيما روى يلعبون بالكرة يدحرجونها الى نحو طريقهم ليلا يشعر
الناس بهم واما الكلب فقيل كان كلب صيدهم وقيل وجدوا فى طريقهم راعيا له كلب
فاتبعهم الراعى على رايهم وذهب الكلب معهم قاله ابن عباس **فقالوا ربنا آتنا من**
لدنك اى من قبلك **رحمة** توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو **وهيى**
اصلح لنا من امرنا اى من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار **رشدا** اى
توفيقا نصير به راشدين مهتدين واجعل امرنا كله رشدا واصل التهيئة لاحداث
هيبة الشى وقال ابن عباس رشدا مخرجا من الغار فى سلامة وقيل صوابا **فضربنا**
على اذانهم اى ضربنا عليهم حجابا يمنع السماع وهو عبارة عن القاء الله تعالى عليهم
النوم وهذه من فصيحات القران ابن عباس سددنا اذانهم عن نفوذ الاصوات
اليها **فى الكهف سنين عددا** اى ذات عدد او معدودة ووصف السنين به
يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عندهم **ثم بعثناهم** اى ايقظناهم
لنعلم اى ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه ازلا وهو عبارة عن خروج

ذلك الشى الى الوجود والمشاهدة والا فقد كان الله علم اى الحزبين احصى **اى**
الحزبين الفريقين والظاهر من الاية ان الحزب الواحد هم الفتية اذ ظنوا لبثهم
قليلا والاخر اهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ
بامر الفتية وهو قول الجمهور وقيل هما حزبان من المومنين اختلفوا فى مدة لبثهم
وقيل من الكافرين **احصى لما لبثوا امدا** اى ضبط امد الزمان للبثهم وما فى اى
من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدا وخبره احصى وهو فعل ماض وامدا
منصوب على المفعول به وقال الفراء على التمييز وقال الزجاج على الظرف اى اى الحزبين
احصى للبثهم فى الامد والامد الغاية وقال مجاهد امدا عددا **نحن نقص عليك**
نباهم خبرهم **بالحق** اى بالصدق **انهم فتية** اى شبان جمع فتى وحكمهم بالفتوة حين
امنوا بلا واسطة قال الجنيد الفتوة بذل الندا وكف الاذى وترك الشكوى وقيل
هى اجتناب المحارم واستعمال المكارم **امنوا بربهم وزدناهم هدى** اى يسرناهم
للعمل الصالح من الانقطاع الى الله تعالى ومباعدة الناس والزهد فى الدنيا وهذه زيادة
على الايمان وقال السدى زادهم الله هدى بكلب الراعى حين طردوه ورجموه
مخافة ان ينبح عليهم فرفع الكلب يديه وقال يا قوم لم تطردونى لقد عرفت الله
قبل ان تعرفوه **وربطنا على قلوبهم** اى قويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل
والمال والجراة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار ولما كان الفزع وخور
النفس يشبه الانحلال حسن فى شدة النفس وقوة التصميم ان يشبه بالربط ومنه
الربط على قلب ام موسى وقوله تعالى وليربط على قلوبكم **اذ قاموا** يحتمل ان يكون
هذا وصف مقامهم بين يدى الملك الكافر وقد امرهم بالسجود للاصنام وهذا مقام
يحتاج الى ربط على القلب حيث خالفوا دينه ورفضوا فى ذات الله هيبته ويحتمل
فيما قيل انهم كانوا اولاد عظماء تلك المدينة فاجتمعوا من غير ميعاد فقال اسنهم اني

اجد فى نفسى ان ربى رب السموات والارض فقالوا وحن كذلك فقاموا جميعا فقا
ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه اي غيره الها لقد قلنا اذا
شططا اي ان دعونا الها غيره فرضا فقد قلنا اذا جورا ومحالا وشططا مفعول به
ويجوز ان يكون التقدير قولا ذا شطط اي بعد عن الحق مفرط فى الكفر هولا مبتدا
قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار فى معنى انكار اى قال
بعضهم لبعض هولا اهل بلدنا وعصرنا عبدوا الاصنام تقليدا من غير حجة لولا اي
هلا يأتون عليهم اي على عبادتهم بسلطان بين اي ببرهان ظاهر فان الدين
لا يوجد الا به فقولهم لولا تخضيض بمعنى التعجب وقيل عليهم راجع الى الالهة اي هلا
اقاموا بينة على الاصنام فى كونها الهة واذ لم يمكنهم ذلك لم يلتفت لدعواهم وفيه
دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم
اي لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه قيل هو خطاب بعض
الفتية لبعض وقيل هو من قول الله واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله
عطف على الضمير المنصوب اي واذ اعتزلتم القوم ومعبودهم الا الله فانهم كانوا
يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون ما مصدرية
على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا الله وان تكون نافية اخبارا من الله
عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه ليتحقق اعتزالهم فاووا الى الكهف
ينشر لكم من رحمته فى الدارين ويهيى لكم من امركم مرفقا قرى بكسر الميم
وفتح الفا وبالعكس اي ما ترتفقون به اي تنتفعون به من غذا وعشا وجزم
بذلك لنصوح يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وترى الشمس اى ترى ايها المخاطب
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اذا طلعت اي عند طلوعها
تزاور عن كهفهم ذات اليمين فلا يقع شعاعها عليهم والمعنى انك لو رايتهم

لرايتهم كذلك لان المخاطب راهم على التحقيق وتزاور تتنحى وتميل واصله تتزاور
فادغمت التا فى الزاي وقرى تزور لتحمر وكلها من الزور وهو الميل واذا غربت
تقرضهم اي تقطعهم وتتركهم ذات الشمال يعنى يمين الكهف وشماله والمعنى
انهم كانوا لانتصيبهم شمس البتة كرامة لهم ابن عباس لانتصيبهم لا فى اول النهار ولا
فى اخره وكان كهفهم مستقبل بنات نعش فى ارض الروم فكانت الشمس تميل عنهم
طالعة وغاربة لئلا تؤذيهم بحرها وتغير الوانهم وتبلى ثيابهم ويمكن ان يكون صرف
الشمس عنهم باظلال غمام او سبب اخر وهم فى فجوة منه اي وهم فى متسع من الكهف
يعنى فى وسطه بحيث ينالهم نسيم الهوا وبرده ذلك من ايات الله اي شانهم وابوابهم
الى كهف او اخبارك قصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من دلائل
قدرتنا من يهد الله بالتوفيق فهو المهتدى الذي اصاب الفلاح والمراد به
اما الثنا عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الايات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه
الله تعالى للتامل فيها والاستبصار بها ومن يضلل اي ومن يخذله فلن تجد له
وليا مرشدا اي من يليه ويرشده وتحسبهم اذا رايتهم ايقاظا اي منتبهين لافتتاح
عيونهم اولكثرة تقلبهم كالمتيقظ من مضجعه وايقاظا جمع يقظ بكسر القاف بقه
ويقظان وهو المنتبه وهم رقود نيام جمع راقد كركوع وسجود وفى الاية المطا
بين ايقاظ ورقود ونقلبهم فى رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال لكي لا تاكل
الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان قال ابو هريرة كان لهم فى كل عام تقليبتان
وظاهر كلام المفسرين ان التقليب كان من فعل الله ويجوز ان يكون من ملك بامر
الله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه يديه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم
الفاعل بالوصيد اي بفنا الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة وكانوا
اذا انقلبوا انقلب معهم وهو متلثم فى النوم واليقظة لو اطلعت عليهم فنظرت

اليهم لوليت منهم فرارا اي لهربت منهم ولملئت منهم رعبا بسكون العين وضمها
اي خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله من الهيبه اولعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم
وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا
عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله من هو خير
منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت
ريح فاحرقتهم وكذلك اي وكما انمناهم اية على كمال قدرتنا بعثناهم ايقظناهم
ليتساءلوا بينهم اي ليسال بعضهم بعضا فيتعرفوا احالهم ومدة لبثهم وما صنع الله تعالى
بهم فيزدادوا يقينا ويستبصروا به امر البعث ويشكروا انعم الله عليهم قال قائل
منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بنا على غالب ظنهم لان النائم لا يحس
مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك
قول بعضهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا آخر النهار فظنوا انهم في يومهم
او اليوم الذي بعده فقال رئيسهم الله اعلم بالمدة ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق
لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم بسكون الراء وكسرها
هذه الى المدينة الورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة قال ابن عباس كانت
دراهم كاخفاف الربع وعليها صورة الملك الذي كان في زمانهم ويروى انهم انتبهوا
جياعا وان المبعوث هو تمليخا والمدينة افسوس وقيل طرسوس بفتح الراء وحملهم
للدراهم دليل على ان التزود راي المتوكلين فلينظر ايها ايّ اي اهلها ازكى طعاما
اواي اطعمة المدينة احل او اطيب او اكثر وارخص ابن عباس انهم احلوا ذبيحة
وكان عامتهم مجوسا ويروى انهم قالوا له انظر ما يظن انه يكفي اثنين او ثلاثة
لعلا يطلع عليهم ثم اذا لهج كفى جماعة ولهذا قيل كان هذا الطعام الارز وقيل كان
زبيبا وقيل كان تمرا فليأتكم برزق منه اي بقوت وليتلطف اي وليتكلف

اللطف في دخول المدينة او شراء الطعام حتى لا يعرف او لا يغبن وعطف الجمل الاولى
بالفا والاخيرة بالواو لما انقطع نظام الترتيب لان التلطف غير مترتب على الاتيان بالطعام
كما ان الاتيان به مترتب على النظر فيه والنظر فيه مترتب على التوجه في طلبه وهو مترتب
على ما قبله ولا يشعرن بكم احدا اي ولا يفعلن ما يودي الى الشعور وقيل ان
ظهر عليه فلا يوقعن اخوانه فيما وقع فيه انهم ان يظهروا عليكم اي ان يطلعوا
عليكم او يظفروا بكم والضمير لاهل المدينة المقدر في ايها يرجموكم الرجاج بالحجارة
وهو اخبث القتل وقيل يرموكم بالسب والشتم او يعيدوكم في ملتهم اي
يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فامنوا
ولن تفلحوا اذن ابدا اي ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم اي وكما
انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم قومهم والمومنين ليعلموا اي
ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود الذي هو البعث
حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها اي
وان القيامة لا شك في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنة حافظا
ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قادر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا
اياها الى ان تحشر ابدانها فيردها اليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرنا
عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم اي امر دينهم وذلك ان دقيانوس مات
ومضت قرون وملك اهل تلك المدينة رجل صالح فاختلف اهل بلده في الحشر والبعث
الاجساد من القبور وشك في ذلك بعض الناس وقالوا انما تحشر الارواح والاجساد
تاكلها الارض وقال بعضهم تبعث الروح والجسد جميعا فكبر ذلك على الملك وبقي
لا يدري كيف يبين الامر في ذلك فاعثر الله على اهل الكهف فيقال انهم لما بعثوا
احدهم بورقهم الى المدينة واستنكر شخصه ودراهمه لبعد العهد فحمل الى الملك فقال

فقال لعلك من الفتية الذين خرجوا على عهد دقيانوس قد كنت ادعو الله ان
يريني بنيهم ثم سار مع اهل المدينة اليهم فلما دنوا من الكهف قال تمليخا انا ادخل
اليهم فدخل اليهم واعلمهم وان الامة امة الاسلام فيقال انهم خرجوا الى الملك
ثم رجعوا الى كهفهم واكثر الروايات انهم ماتوا حين حدثهم تمليخا ميتة الحق ورجح
من كان شك في بعث الاجساد الى اليقين وانما استدلوا بذلك الواحد على غيرهم
وهابوا الدخول عليهم فقال الملك ابنوا عليهم حولهم بنيانا يسكنه الناس وقيل
المعنى اذ يتنازعون المومنون والكفار بينهم امرهم امر الفتية في البناء حولهم فقالوا
اي الكفار ابنوا عليهم بنيانا يسترهم ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله رد
على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد الرسو
او من المتنازعين للرد الى الله بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم
واحوالهم قال الذين غلبوا على امرهم اي الذين هم على دين الفتية لنتخذن
عليهم مسجدا يصلى فيه وفعل ذلك على باب الكهف وقيل ان الملك اراد ان يبدل فيهم
في صند وقمن ذهب فاتاه منهم آت في المنام وقال لا تفعل فانا من التراب خلقنا
واليه نعود وقيل ان الله اعمى على الناس اثرهم فلذلك دعا الى البنيان ليكون
معلما لهم سيقولون اي الخائضون في قصتهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من
اهل الكتاب والمومنين ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم
بانضمامه اليهم قيل وهو قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى نجران وكان
يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم
وكان نسطوريا رجما بالغيب اي يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم
عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وهو راجع الى القولين معا
ونصبه على المفعول له اي لظنهم ذلك وانما لم يذكر السين اكتفا بعطفه على ما هو

ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول صلى الله عليه وسلم
لهم وايما الله اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم واتبع الاولين قوله رجما
بالغيب لبتعين الثالث على انه مرضي وصحيح وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة
صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف
والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مايعلمهم الا قليل قال ابن عباس انا من القليل
وذكرهم سبعة وعن علي رضي الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماوهم تمليخا
ومكسلمينا ومسلينيا هولا اصحاب يمين الملك ومرنوس ودبرنوس وساذنوس
اصحاب يساره والسابع الراعي الذي وافقهم وكلبهم قطمير وقيل حمران وقيل
في اسمائهم غير ذلك والواو من قوله وثامنهم كلبهم هي واو العطف دخلت لتفصل امرهم
وتدل على ان هذا نهاية ما قيل ولو سقطت لصح الكلام وقيل هي واو الثمانية وحكى
الثعلبي عن ابي بكر بن عياش ان قريشا كانت تقول في عدها ستة سبعة وثمانيه
فتدخل الواو في الثمانيه وقال قوم ذكر الواو ليتنبه على ان هذا العدد هو الحق وانه
مباين للاعداد الاخر فكانه قال لتنبيه هم سبعة وثامنهم كلبهم وقال ابن جريج ومحمد
ابن اسحاق هم ثمانيه وجعلا قوله تعالى وثامنهم كلبهم اي صاحب كلبهم وقيل الاقوال
الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا اي لا تجادل
في شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من
غير تجهيل لهم والرد عليهم قيل وفي هذا دليل على ان الله تعالى لم يبين عددهم ولم يبح
له في هذه الآية ان يماري وانما هو استعارة من حيث انه يماري اهل الكتاب سميت
مراجعته لهم تماريا وقيده بالظاهر ففارق المرا الحقيقي المذموم ولا تستفت فيهم
منهم احدا الضمير في فيهم لاصحاب الكهف وفي منهم لاهل الكتاب اي لا تسال احدا منهم
عن قصتهم سوال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم

بها ولا سوال متعنت تريد تفضيح المسول عنه وتزييف ما عنده فانه تخل بمكارم
الاخلاق **ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا** اي فيما يستقبل **الا ان يشآء الله**
هذه الاية عتاب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم على قوله للكفار حين سالوه
عن الروح والفتية وذي القرنين غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي حتى
شق عليه وكذبته قريش والنهي للتاديب والاستثنآء من النهي اي لا تقولن لشئ تعزم
عليه اني فاعله فيما يستقبل الا بان يشآء الله اي الا متلبسا بمشيته قائلا الا ان
يشآء الله او الا وقت ان يشآء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه واللام في
قوله لشئ بمنزلة في او كانه قال لاجل شئ وقيل المعنى الا ان تذكر مشيته فليس الا
ان يشآء الله من القول الذي نهي عنه قاله الاخفش والكسآئي والفرآء **واذكر ربك**
اذا نسيت اي اذكر مشيته ربك معلقا بها اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته
وقل ان شآء الله كما روي انه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام ان شآء الله وعن ابن عباس
يصح الاستثنآء ولو بعد سنة ما لم تحنث وعامة الفقهآء على خلافه لانه لو صح ذلك لم
يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتق ولم يعلم صدق ولا كذب وقال الحسن وغيره ما دام
في المجلس ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثنآء
مبالغة في الحث عليه او اذكره اذا اعتراك النسيان لتذكر المنسي وقيل المعنى اذكره
اذا نسيت غيره او نسيت نفسك فذلك حقيقة الذكر **وقل عسى ان يهدين**
ربي لاقرب من هذا رشدا اي لاظهر دلالة على انني نبي من نبا اصحاب الكهف
وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبيآء المتباعدة عنه ايامهم والاخبار بالغيوب
والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا
وادنى خيرا من المنسي **ولبثوا في كهفهم ثلثمائة** بالتنوين **سنين** عطف بيان لثلثمائة
وقرئ بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ان علامة الجمع هاهنا فيه

جبر

جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع **وازدادوا تسعا**
بعني لبثهم فيه احيآء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية
كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثما
وقال بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين **قل الله اعلم بما لبثوا** ممن اختلفوا فيه **له غيب**
السموات والارض اي ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما قال الطبري ان بني اسرائيل
اختلفوا فيما مضى لهم من المدة بعد الاعثار عليهم الى مدة النبي صلى الله عليه وسلم فقال
بعضهم انهم لبثوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين فاخبر الله بنبيه ان هذه المدة في كونهم
نياما وان ما بعد ذلك مجهول للبشر وامر الله ان يرد علم ذلك اليه وقال ابو علي وازدادوا
تسعا اي ليث تسع وحكى الفراش ما معناه انهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية بحساب
الايام فلما كان الاخبار هنا للنبي العربي ذكرت التسع اذ المفهوم عنده من السنين
القمرية فهذه الزيادة هي ما بين الحسابين لانه يتفاوت في كل ثلاث وثلاثين سنة وثلث
سنة سنة فيكون في الثلاثمائة تسع سنين فالثلثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع
قمرية **ابصر به واسمع** ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج
عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا تجب به شئ ولا يتفاوت دونه لطيف
وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والها تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية
والبآء مزيدة عند سيبويه والمعنى ما اسمعه وابصره ويحتمل ان يكون المعنى ابصر
بوحيه وارشاده هداك والحق من الامور واسمع به العالم فيكونا امرين لا على
وجه التعجب وقيل غير ذلك **ما لهم** الضمير لاهل السموات والارض **من دونه من**
ولي اي من يتولى امرهم والضمير لاهل الكهف **ولا يشرك في حكمه** اي في قضائه
احدا لانه غني عن الشريك ولا يجعل له فيه مدخلا فهو بالبا على الخبر وقرئ بالتآ
من فوق واسكان الكاف على النهي واختلف في اصحاب الكهف هل ماتوا وفنوا او

هم بنيام واجسادهم محفوظة قروي عن ابن عباس انهم فتوا وعدموا وروت فرقة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليحجن عيسى بن مريم ومعه اصحاب الكهف فانهم لم
يحجوا القرطبي وفي التوراة والانجيل ان عيسى بن مريم عبد الله ورسوله يمر بالروحا
حاجا او معتمرا او يجمع الله له ذلك فيجعل الله حواريه اصحاب الكهف والرقيم فانهم
لم يحجوا ولم يموتوا فعلى هذا هم نيام وسيموتون قبيل الساعة **واتل ما اوحي اليك**
من كتاب ربك قيل هو من تمام قصة اصحاب الكهف اي اتبع القرآن ولا تسمع
لقولهم **لا مبدل لكلماته** اي لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره وقال الطبري
لا مغير لما اوعد بكلماته اهل معاصيه والمخالفين لكتابه **ولن تجد من دونه**
ملتحدا اي ملتجا تعدل اليه ان هممت **واصبر نفسك** اي احبسها وثبتها **مع**
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار
يريدون بعبادتهم **وجهه** اي رضى الله وطاعته **ولا تعد عيناك عنهم** اي
ولا تجاوزهم نظرا الى غيرهم من ابنا الدنيا طلبا لزينتها وتعديته بعن لتضمنه معنى
تتناى وقيل المعنى ولا تنصرف وعبر بهما عن صاحبهما قال سلمان جاءت الموالفة
قلوبهم الى النبي صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس فقالا
يا رسول الله انك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هولاء وارواح جبابهم
يعنون سلمان وابا ذر وفقراء المسلمين وكانت عليهم جباب الصوف فجلسنا اليك
وحادثناك واخذنا عنك فانزل الله واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك حتى بلغ
انا اعتدنا للظالمين نارا يتهددهم بالنار فقام النبي صلى الله عليه وسلم يلتمسهم
حتى اصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله قال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان
اصبر نفسي مع رجال من امتي معكم المحيا ومعكم الممات والمراد نهي النبي صلى الله
عليه ان يزدري بفقراء المومنين ويعلو عينه عن رثاثة زيهم الى طراوة زي

الاغنيا

الاغنيا **تريد زينة الحياة الدنيا** حال من الكاف اي لا تعد عيناك مريدا ومن
المستكن في الفعل ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم ان يفعل ذلك ولكن الله نهاه ان يفعله
ولا تطع من اغفلنا قلبه اي جعلنا قلبه غافلا **عن ذكرنا** اي القرآن هو عيينة بن
حصن واصحابه وعن ابن عباس نزلت في امية بن خلف وذلك انه دعا النبي صلى الله عليه
وسلم الى امر كرهه من تجرد الفقراء عنه وتقريب صناديد اهل مكة وفيه تنبيه على
ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات
حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في
الغباوة **واتبع هواه** في الشرك **وكان امره فرطا** اي اسرافا او متقدما على الحق
ونبذ اله وراظهره فهو من التفريط الذي هو التقصير وتقديم العجز بترك الايمان او
من الافراط ومجاوزة الحد وكان القوم قالوا نحن اشراف مضر ان اسلمنا اسلم الناس
فكان هذا من التكبر والافراط في القول **وقل** له ولاصحابه **هذا القرآن الحق من ربكم**
او المعنى ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى والحق رفع على خبر ابتدا مضمر
ويجوز ان يكون على الابتدا والخبر في قوله من ربكم **فمن شا فليومن ومن شا**
فليكفر اي قل يا محمد هو لا الذين اغفلنا قلوبهم الحق من ربكم واليه التوفيق والخذلان
وبيده الهدى والضلال يهدي من يشا فيومن ويضل من يشا فيكفر وليس الي
من ذلك شي فانه يوتي الحق من يشا وان كان فقيرا ضعيفا ويحرمه من يشا وان كان
غنيا قويا ولا ابالي بايمان من امن وكفر من كفر فان شتم فامنوا وان شتم فاكفروا
وليس هذا بتخيير وتخيير بين الايمان والكفر وانما هو وعيد وتهديد وهو لا يقتضي
استقلال العبد بفعل فانه وان كان بمشية فمشيته ليست بمشية وما تشاون
الا ان يشا الله **انا اعتدنا** اي هيانا **للظالمين** اي الكافرون **نارا احاط بهم**
سرادقها اي فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي

تكون حول الفسطاط وقيل دخانها وقيل حائط من نار الكلبي عنق من نار يحيط بهم كالحظير وفي حديث ابي سعيد الخدري لسرادق النار اربع جدر كثف كل جدار مسيرة اربعين سنة **وان يستغيثوا** من العطش **يغاثوا بماء كالمهل** ابن عباس ما غليظ مثل دردي الزيت مجاهد القيح والدم الضحاك ما اسود وقال ابو عبيدة هو كل ما اذيب من جواهر الارض من حديد ورصاص ونحاس فيموج بالغليان سعيد ابن جبير هو الذي انتهى حره **يشوي الوجوه** اذا قدم ليشرب وفي الحديث اذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه **بئس الشراب** المهل **وساءت مرتفقا** اي متكا ابن عباس منزلا عطا مقرا وقيل مهادا واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فاي ارتفاق لاهل النار فيها وهو تمييز منقول من الفاعل اي قبح مرتفقها **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا** خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم ومستغنى عنه لعموم من احسن عملا وفيها اقامة الظاهر مقام المضمر والمعنى اجرهم اي يثيبهم بما تضمنه **اولئك لهم جنات عدن** هي سرة الجنة وذكر بلفظ الجمع لسعتها ومعنى العدن الاقامة **تجري من تحتهم الانهار** من تحت تصورهم واشجارهم **يحلون فيها من اساور من ذهب** من الاولى ابتدائية والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة به وقيل الاولى زائدة قاله الاخفش بدليل وحلوا اساور من فضة وهو جمع اسوره قال ابن جبير على كل واحد منهم ثلاثة اسورة واحد من ذهب وواحد من ورق وواحد من لولو وفي الحديث تبلغ الحلية من المومن حيث يبلغ الوضوء خرجه مسلم قال القشيري لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الاساور والتيجان جعل الله ذلك لاهل الجنة **ويلبسون ثيابا خضرا** لان الخضرة احسن الالوان والكرها

طراوة ولانه الموافق للبصر وجمع الشعاع **من سندس واستبرق** ما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وفي سورة الرحمن بطائنها من استبرق وفي الحديث انه يكون على كل واحد منهما الحلة لها وجهان لكل وجه لون يتكلمان بصوت يستحسنه سامعه يقول احد الوجهين للاخر انا الكرم على ولي الله منك انا ألبي جسده وانت لا تلبى ويقول الاخر انا الكرم انا ابصر وجهه وانت لا تبصر **متكئين فيها على الارائك** جمع اريكة وهي السرير في الحجلة كعادة المتنعمين وهو بيت يزين بالثياب والستور للعراس ابن عباس هي اسرة من ذهب مكللة بالدر والياقوت عليها الحجال الاريكة ما بين صنعا الى ايلة وما بين عدن الى الجابية **نعم الثواب** اي الاجر الجنة ونعيمها **وحسنت** الارائك **مرتفقا** متكا **واضرب** اجعل لهم **مثلا** للكافر والمومن **رجلين** بدل اي حال رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قرطوس ومومن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بماله ضياعا وعقارا وصرفه المومن في وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله وقيل الممثل بهما رجلان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومومن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم وضربا مثلا لمن يتعزز بالدنيا ويستنكف عن مجالسة المومنين **جعلنا لاحدهما** الكافر **جنتين** بستانين **من اعناب** من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين **وحففناهما بنخل** اي جعلنا النخيل محيطة بهما موزرا بها كروم بما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيد الباء **وجعلنا بينهما** اي بين وسطهما **زرعا** ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل

الحسن والترتيب الانيق **كلتا الجنتين اتت اكلها** اي ثمرها وافراد الضمير لافراد
كلتا وهي تدل على التثنية والمعنى ان كل واحدة من الجنتين اتت اكلها تاما
ولذلك لم يقل اتتا والاكل بضم الهمزة كل ما يوكل **ولم تظلم منه** اي ولم تنقص
من اكلها **شيا** يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام
غالبا **وفجرنا خلالهما** اي واجرينا وشققنا وسط الجنتين **نهرا** ليدوم شربهما
فانه الاصل ويدوم بهما وكان له **ثمر** بفتح الثاء والميم وبضمهما وبضم الاول
وسكون الثاني وهو جمع ثمرة كشجره وشجر وخشبه وخشب وبدنه وبدن اي
انواع من المال سوى الجنتين من ثمر المال اذا كثر **فقال لصاحبه المومن وهو**
يحاوره اي يراجعه في الكلام من حاره اذا رجع يقال كلمته فما احار جوابا والمعنى
يفاخره **انا اكثر منك مالا واعز نفرا** اي حشما واعوانا اوعشيرة وقيل
اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه والرهط النفر ما دون العشرة **ودخل**
جنته بصاحبه يطوف به فيها ويريه اثارها ويفاخره بها وافراد الجنة لان
المراد ما هو جنته وهو ما متّع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها
ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون اولاتصال كل واحد من جنتيه بالاخرى
اولان الدخول يكون في واحدة واحدة **وهو ظالم لنفسه** اي ضارها بعجبه
وكفره وهو جملة في موضع الحال **قال ما اظن ان تبيد** اي تفنى **هذه الجنة**
ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته **وما اظن الساعة قائمة**
اي كائنة **ولئن رددت الى ربي** بالبعث كما زعمت اي وان كان بعث فكما
اعطاني هذه النعم في الدنيا فسيعطيني افضل منه وهو معنى قوله **لاجدن**
خيرا منها منقلبا اي مرجعا وعاقبة وقرئ منهما باثبات الميم اي من الجنتين
وقرئ باسقاطها ردا على قوله ودخل جنته وهي ساقطة في الرسم من مصاحف

العراق وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستحقاقه
لذلك وانما قال ذلك لما دعاه اخوه الى الايمان **فقال له صاحبه وهو يحاوره**
اي يجاوبه **اكفرت بالذي خلقك من تراب** لانه اصل مادتك او مادة اصلك
ثم من نطفة منى فانها مادتك القريبة **ثم سواك رجلا** اي عدلك وكملك انسانا
ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشاه الشك في كمال
قدرة الله ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر بدء خلقه
منه قدر ان يعيده منه **لكنا هو الله ربي** اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة
اود ونه وتلاقت النونان فكان الادغام وقرئ بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة
اولاجراء الوصل مجرى الوقف وهو ضمير الشان يفسره الجملة بعده والاستدراك من
اكفرت فكانه قال انت كافر بالله لكني مومن به **ولا اشرك بربي احدا** اي لا ارى العنى
والفقر لامنه **ولولا اذ دخلت جنتك قلت** اي هلا قلت عند دخولها واعجابك بها
ما شاء الله اي الامر ما شاء الله او ما شاء الله كان على ان ما موصولة او اى شئ او ما شاء الله
على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشية الله ان شاء ابقاها
وان شاء ابادها **لا قوة الا بالله** اي وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك
والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدابير امرها فبمعونته واقداره فانه
قال مالك ينبغي لمن دخل منزله ان يقول هذا وفي الحديث من راى شيا فاعجبه فقال
ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره وفي لفظ احرز من اعطي خيرا من اهل او مال فيقول عند
ذلك ما شاء الله لا قوة الا بالله لم ير فيه مكروها وفي مسلم الا ادلك على كنز من كنوز
الجنة لا حول ولا قوة الا بالله اذا قالها العبد قال الله عز وجل اسلم عبدي واستسلم
ان ترني انا اقل منك مالا وولدا ان شرط ترني مجزوم به والجواب فعسى وانا
فاصلة بين المفعولين لا موضع لها من الاعراب ويجوز ان تكون في موضع نصب توكيدا

يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او برد المهلك او الاتيان بمثله **من دون الله**
عند هلاكها فانه القادر على ذلك وحده **وما كان منتصرا** اي ممتنعا بقوته
عن انتقام الله منه **هنالك** اي في ذلك المقام وتلك الحال **الولاية لله الحق**
اي النصرة له وحده ولا يقدر عليها غيره وهنالك ظرف والعامل فيه ولم تكن
له فئة ولا كان منتصرا اي بنصر ولا انتصر هنالك اي لما اصابه العذاب وقيل
تم الكلام عند قوله منتصرا والعامل في هنالك الولاية وتقديره على التقديم والتاخير
اي الولاية لله الحق هنالك اي في القيامة وقرئ الحق بالرفع نعتا للولايه وبالخفض
نعتا لله وهو مصدر فالوصف به على تقدير لله ذي الحق وقرئ الولاية بفتح الواو
وبكسرها نعتان وقيل بالفتح من الموالاة والنصرة وبالكسر السلطان والقدرة
والامارة والملك في كل وقت لله ولكن تزول الدعاوي والتوهمات يوم القيامة
هو خير ثوابا من ثواب غيره لو كان يثيب **وخير عقبا** بضم القاف وسكونها اي
هو خير عاقبة لاولنائه والنصب على التمييز **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا** اي
اذكر لهم لا المتكبرين الذين سالوك طرد فقراء المومنين ما يشبه حياة الدنيا في زهرتها
وسرعة زوالها او صفتها الغريبة **كماء** اي هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا للاضرب
على انه بمعنى صير **انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض** اي تكاثف بسبب
نزول الماء وخالط بعضه بعضا من كثرته او المعنى بخع النبات حتى استوى او امتزج
الماء بالنبات فروى وحسن وتقدم في يونس قال الحكماء انما شبه الله الدنيا بالماء لان
الماء لا يستقر في موضع كذلك الدنيا لا تبقى على واحد ولان الماء لا يستقيم على حالة
واحدة كذلك الدنيا ولان الماء لا يقدر احد ان يدخله ولا يبتل كذلك الدنيا لا يسلم
احد دخلها من فتنتها وآفتها ولان الماء اذا كان بقدر كان نافعا واذا جاوز المقدار كان
ضارا مهلكا وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم

لليآ والبنون فعسى ربي ان يوتين خيرا من جنتك في الدنيا والاخرة لايماني
ويرسل عليها اي على جنتك لكفرك **حسبانا من السماء** جمع حسبانة وهي
الصاعقة وقيل نارا وقيل حسبانا مرامي والحسبان ايضا العذاب والحسبان
الحساب كما قال الشمس والقمر بحسبان الزجاج المعنى يرسل عليها عذاب الحساب اي
حساب ما اكتسبت يداك فهو من باب حذف المضاف **فتصبح صعيدا زلقا** اي ارضا
ملسا لا ينبت فيها نبات ولا يثبت عليها قدم وهي امراض بعد ان كانت انفع ارض
او يصبح ماؤها غورا اي غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق وقيل المعنى
او يصبح ماؤها ذا غور وهو عطف على يرسل دون فتصبح لان غور الماء لا يتسبب عن
الصواعق **فلن تستطيع له** اي لما الغائر **طلبا** اي تردادا ولا تقدر عليه بحيلة وقيل
فلن تستطيع طلب غيره بدلا منه والى هنا انتهت مناظرة اخيه وانذاره **واحيط**
بثمره مع جنته اهلك ماله كله حسب ما توقعه صاحبه وانذره منه وهو ماخوذ
من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واغلبه اهلكه **فاصبح يقلب كفيه**
اي اصبح الكافر يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا وقيل يضرب احدى يديه
على الاخرى لان هذا يصدر من النادم قيل وقوله فاصبح يدل على ان هذا الاهلاك جرى
بالليل **على ما انفق فيها** اي في عمارتها **وهي خاوية على عروشها** بان سقطت
عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها وقيل ساقطة على سقوفها فجمع عليه
بين هلاك الثمر والاصل وهذا من اعظم الجوائح **ويقول** عطف على يقلب او حال
من ضميره **يا** للتنبيه **ليتني لم اشرك بربي احدا** كانه تذكر موعظة اخيه
اي يا ليتني عرفت نعم الله علي وعرفت انها كانت بقدرة الله ولم اكفر به وهذا
ندم حيث لا ينفعه الندم وتحمل انه يكون ذلك توبة من الشرك وندما على ما سبق
منه **ولم تكن له فئة** اي جماعة قرئ بالتذكير والتانيث **ينصرونه** اي

يارسول الله اني اريد ان اكون الفا نزين فقال ذر الدنيا وخذ منها كالماء فان
القليل منها يكفي والكثير منها يطغي ولان الماء اذا قبض عليه في الكف لم يبق كذلك
الدنيا فاصبح اي فصار النبات هشيما اي متكسرا من اليبس متفتتا يعني
بانقطاع الماء عنه فحذف ذلك ايجازا لدلالة الكلام عليه تذروه الرياح
وقرى الريح اي تفرقه ابن قتيبة تنسفه والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل
الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارقا
ثم هشيما فتطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء
والافناء مقتدرا اي قادرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا يتزين بهما
الانسان في دنياه وينتفي عنه عما قريب وانما كان كذلك لان في المال جمالا ونفعا
وفي البنين قوة ورفعا فصارا زينة لكن معه قرينة الضعة وهي زينة هذه الحياة
المحتقرة والباقيات الصالحات اي اعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد الاباد
ويندرج فيها ما فسرت به الاية من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان
وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله كما قاله
الجمهور وخرجه مالك في موطئه والكلام الطيب والنيات والهمات لان بها تقبل
الاعمال وترفع قاله الحسن وقال عبيد بن عمير هن البنات يعني البنات الصالحات
لمن احسن اليهن وفي الحديث رايت رجلا من امتي امر به الى النار فتعلق به بناته
وجعلن يقلن يا رب انه كان يحسن الينا في الدنيا فرحمه الله بهن خير عند ربك
من المال والبنين ثوابا عائدا وخير املا اي ما يومله الانسان ويرجوه
عند الله تعالى لان صاحبها ينال في الاخرة ما كان يامل في الدنيا وليس في زينة
الدنيا خير لكنه خرج مخرج قوله اصحاب الجنة يومئذ خير وقيل خير مما يظنه
الجهال خيرا ويوم نسير الجبال بالنون اي واذكر يوم نقلعها ونسيرها في

الجو

الجو وتذهب بها فنجعلها هباء منبثا وقرى بالتاء والبنا للمفعول وترى الارض
بارزة اي باديه برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها من شجر ولا بنيان
وقرى وترى على بنا المفعول وحشرناهم اي وجمعنا المومنين والكافرين الى
الموقف وبجثه ماضيا بعد تسيير وترى للتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم كان
قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعدهم وعلى هذا تكون الواو للحال وقد
مضمرة فلم نغادر بالنون اي نترك منهم احدا بل هم وفاجرهم انسهم وجنهم
والمغادرة الترك ومنه الغدر لانه ترك الوفا والغدير من الماء ذهب عنه وتركه
وغدائر المراة لانها تجعلها خلفها او قرى بالياء وعرضوا على ربك شبه حالهم بحال
الجند المعروضين على السلطان لا يعزب عنهم بل لبارزين فيهم صفا حال اي مصطفين
لا يحجب احد احدا مقاتل يعرضون صفا بعد صف كالصفوف في الصلاة كل امة صف
وقيل صفا جميعا وقيل قياما لقد جئتمونا على اضمار القول كما خلقناكم اول مرة
عراة لا شيء معكم من المال والولد وقيل فرادى حفاة غرلا وقال الزجاج اي بعثناكم
كما خلقناكم ويقال للمنكرى البعث بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا اي وقتا لانجاز
الوعد بالبعث والنشور وان الانبيا كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى وان
مخففة من الثقيلة اي انه ووضع الكتاب اي صحائف الاعمال في الايمان والشمائل
قاله مقاتل وقيل في الميزان الكلبي وضع الحساب فعبر عنه بالكتاب لانهم يحاسبون
على اعمالهم المكتوبة فترى المجرمين مشفقين اي خائفين مما فيه من الذنوب وقال
كعب اذا كان يوم القيامة وضع اللوح المحفوظ فلم يبق احد من الخلائق الا وهو ينظر
الى عمله ثم يوتى بالصحف التي فيها الاعمال فتنشر حول العرش فترى المجرمين الكافرين
مشفقين مما فيه ويقولون عند معاينتهم ما فيه من السيات يا ويلتنا يا ادون
هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مال هذا الكتاب الاستفهام للتعجب لا يغادر

صغيرة ولا كبيرة من ذنوبنا الا احصاها اي الا عدها واحاط بها قال السدي
الصغيرة ما دون الشرك والكبيرة الشرك ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة
الضحك يعني ما كان من ذلك في معصية قال قتادة اشتكى القوم الاحصاء وما اشتكى
احد ظلما فايا كم ومحقرات الذنوب فانها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه واضيف الاحصاء
الى الكتاب توسعا ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف وقيل وجدوا جزاء
ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملايم لعمله واذكر
اذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم سجود انحنا لا وضع جبهة تحية له فسجدوا الا ابليس
كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال وها هنا لما شنع على
المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس ولما بين حال المغرور
بالدنيا والمعرض عنها وكان سببا لاغترارها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم
اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها
واعلاها نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب
كل تكرير في القرآن كان من الجن حال باضمار قد او استيناف للتعليل كانه قيل ما باله
لم يسجد فقيل كان من الجن قيل وهم نوع من الملائكة لا ستنا متصل وقيل هو منقطع وابليس
ابو الجن فلذلك ذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم ففسق عن امر ربه اي فخرج
عن امره بترك السجود والفاء للتسبيب وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما
عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله افتتخذونه الخطاب لادم وذريته اي فعقيب
ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجيب وذريته اي اولاده او اتباعه
وسماهم ذريته مجازا اولياء من دوني تستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي
وهم لكم عدو اي اعدا حال بئس للظالمين بدلا من ابليس وذريته في
اطاعتهم بدل طاعة الله واختلف هل لابليس ذرية من صلبه فقال الشعبي

سالني رجل هل لابليس زوجة فقلت ان ذاك عرس لم اشهده ثم ذكرت قوله افتتخذونه
وذريته فعلمت انه لا تكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقال مجاهد ان ابليس
ادخل فرجه في فرج نفسه فباض خمس بيضات فهذا اصل ذريته وقيل ان الله تعالى
خلق له في فخذه اليمنى ذكرا وفي اليسرى فرجا فهو ينكح هذا بهذا فيخرج له كل يوم عشر
بيضات يخرج من كل بيضة سبعون شيطانا او شيطانة واعظمهم عنده منزلة
اعظمهم في بني ادم فتنة وقال قوم ليس له اولاد ولا ذرية وذريته اعوانه من الشياطين
قال القشيري وبالجملة فان الله تعالى اخبر ان له اتباعا وذرية وانهم يوسوسون الى
بني ادم وهم اعداؤهم ولا ثبت عندنا كيفية التوالد منهم وحدوث الذرية عن ابليس
فيتوقف الامر فيه على نقل صحيح القرطبي الذي ثبت في هذا الباب من الصحيح ما ذكره الحميدي
في الجمع بين الصحيحين عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن اول من
يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرخ وهذا يدل على ان للشيطان
ذرية من صلبه وذكر الطبري وغيره ان مجاهدا قال ذرية ابليس الشياطين وكان
يعدهم زلنبور صاحب الاسواق يضع رايته في كل سوق يجعل تلك الراية على حانوت
اول من يفتح واخر من يغلق وثبر صاحب المصائب يامر بضرب الوجوه وشق الجيوب
والدعا بالويل والاعور صاحب ابواب السلاطين ومنشط صاحب الاخبار فيأتي
بها فيلقيها في افواه الناس ولا يجدون لها اصلا ودأسم اذا دخل الرجل بيته فلم يسلم
ولم يذكر الله تعالى بصره من المتاع ما لم يرفع وما لم يحسن بوضعه واذا اكل ولم يذكر
اسم الله اكل معه زاد الثعلبي عن مجاهد والابيض هو الذي يوسوس للانبيا
ومخروه هو الذي اختلس خاتم سليمان والولهان وهو صاحب الطهارة والاقيس
صاحب الصلاة يوسوس فيها ومبره صاحب المزامير وبه يكنى وفي كتاب مسلم
ان للصلاة شيطانا يسمى خنزب وعن ابي محمد عبد المعطي قال ان شيطانا يقال له

البيضاوي يتمثل للفقراء المواصلين في الصيام فاذا استحكم منهم الجوع واضر بامعتهم
يكشف لهم عن ضياء نور حتى يملأ عليهم البيوت فيظنون انهم قد وصلوا واوان ذلك من
الله وليس كما ظنوا ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم قيل
الضمير عائد على ابليس وذريته اي لم احضرهم خلق السموات والارض ولم احضر بعضهم
خلق بعض وقيل ما اشهدت ابليس وذريته خلق السموات والارض ولا خلق انفس
المشركين فكيف اتخذوهم اولياء من دوني وقيل الضمير يرجع الى المشركين والى الناس بالجملة
قال الثعلبي قال بعض اهل العلم ما اشهدتهم خلق السموات رد على المنجمين اذ قالوا الافلاك
تحدث في الارض وبعضها في بعض وقوله والارض رد على اصحاب الهندسة حيث قالوا
الارض كريه والافلاك تجري تحتها والناس يلصقون عليها وتحتها وقوله ولا خلق
انفسهم رد على الطبايعيين حيث قالوا الطبايع هي الفاعلة في النفوس وما كنت
متخذ المضلين قيل هم الشياطين عضدا اي اعوانا اي ما استعنت بهم ولا شاورتهم
والله تعالى لا يحتاج الى عون احد فكيف يطيعونهم وخص المضلين بالذكر لزيادة الذم
والقبح ويوم يقول بالياء نادوا اي واذكر يوم يقول الله تعالى للكافرين ادعوا وفي
بالنون شركائي الذين زعمتم انهم شركائي وشفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضاف
الشركاء اليه على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دون الله وقيل ابليس وذريته فدعوهم
اي نادوهم للاعانة فلم يستجيبوا لهم اي لم يجيبوهم الى نصرهم ولم يغنوا عنهم شيئا
وجعلنا بينهم اي بين الكفار وبين ما يعبدون موبقا مهلكا يشتركون فيه قال
انس بن مالك هو واد في جهنم من قيح ودم وقال عكرمة هو نهر في جهنم يسيل نارا
على حافتيه عقارب مثل البغال الدهم فاذا ثارت اليهم ليأخذوا استغاثوا منها
بالاقتحام في النار وهو من وبق بالفتح هلك وقيل عداوة هي في شدتها هلاك
وقيل المعنى جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة وقال ابن عباس وجعلنا بين

المومنين

المومنين والكفار حاجزا ورأى المجرمون النار فظنوا اي ايقنوا انهم مواقعوها
اي واقعون فيها والمواقعة الملابسة بشدة ولم يجدوا عنها مصرفا اي انصرافا
او مكانا ينصرفون اليه لاحاطتها بهم من كل جانب ولقد صرفنا بينا في هذا القرآن
للناس من كل مثل اي من كل جنس يحتاجون اليه ليتعظوا وكان الانسان اكثر
شيء جدلا يتأتى منه الجدل اي جدالا ومجادلة وهي المخاصمة بالباطل وانتصابه على
التمييز قيل والمراد به النضر بن الحارث وجداله في القرآن وقيل ابي بن خلف الزجاج اي
الكافر وما منع الناس كفار مكة اي يومنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو
الرسول الداعي او القرآن المبين وقيل الاسلام ويستغفروا ربهم اي ومن الاستغفار
من الذنوب الا ان تاتيهم سنة الاولين اي طلب او انتظار سنة الاولين فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والمعنى ما منعهم عن الايمان الا حكم الله عليهم بذلك
ولو حكم عليهم بالايمان لامنوا وسنة الاولين عادتهم في عذاب الاستيصال او يأتيهم
العذاب اي عذاب الاخرة قبلا اي عيانا قاله ابن عباس الكلبي هو السيف يوم بدر
مقابلة عيانا فجاءة وهو نصب على الحال من الضمير او العذاب وقرئ بضمتين وهو لغة
فيه او جمع قبيل بمعنى انواع العذاب اي متفرقا يتلو بعضه بعضا وما نرسل المرسلين
الا مبشرين ومنذرين مخوفين للمومنين بالجنة وللكافرين بالنار ويجادل الذين
كفروا بالباطل اي باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات والسوال عن قصة اصحاب
الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به اي ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه
من ادحاض القدم وهو زلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا لو شاء الله
لانزل ملائكة وقيل نزلت في المقتسمين كانوا يجادلون في الرسول يقولون ساحر ومجنون
وشاعر وكاهن واتخذوا اياتي يعني القرآن وما انذروا اي وانذارهم او الذي
انذروا به من العذاب هزوا اي استهزاء وسخرية وقرئ هزوا بالسكون وهو ما يستهزأ به

ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه اي بالقرآن فاعرض عنها اي لا احد اظلم ممن وعظ بايات ربه فتهاون بها واعرض عن قبولها ولم يتدبرها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة اغطية تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه اي كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي اذانهم وقرا ثقلا يمنعهم ان يسمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى اي الى الايمان فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا لانتفاء الانهم لا يفقهون ولا يسمعون وهذا في قوم معينين واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله مالي لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليهم وربك الغفور اي البليغ المغفرة وهذا يختص باهل الايمان ذو الرحمة اي الموصوف بالرحمة وقيل ذو النعمة لو يواخذهم بما كسبوا من الكفر والمعاصي في الدنيا لعجل لهم العذاب فيها ولكنه يمهل وهو استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد اي اجل مقدر يوخرون اليه اما في الدنيا واما في الاخرة لن يجدوا من دونه موئلا اي ملجا قاله ابن عباس ومجاهد ومحرزا قتادة وليا وتلك القرى اي اهل قرى عاد وثمود واضرابهما وتلك مبتدا خبره اهلكناهم لما ظلموا اي كفروا وجعلنا لمهلكهم موعدا اي لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتاخير العذاب عنهم وقرئ بفتح الميم اي هلاكهم واذ قال موسى لفتاه مقدر باذكر والجمهور انه موسى بن عمران ليس في القران غيره وقيل هو موسى بن منشا بن يوسف وكان نبيا قبل موسى بن عمران ورد هذا القول ابن عباس في صحيح البخاري وفتاه يوشع بن نون بن افراثيم بن يوسف فانه كان يخدمه ويتبعه وياخذ عنه العلم ولذلك سماه فتاه لا ابرح اي لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر حتى ابلغ مجمع البحرين اي

ملتقى

ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق اي المكان الجامع لذلك ابن عطية وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال الى جنوب في ارض فارس من ورآء اذربيجان وقيل البحران موسى والخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن او امضي حقبا اي او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر الطويل وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون وسبب هذه القصة ما خرجه الصحيحان عن ابي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى قام خطيبا في بني اسرايل فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى اليه ان عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تاخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدته فهو ثم الى اخره وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردي قال فان كان في عبادك اعلم مني فدلني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان قال العلما قوله في الحديث هو اعلم اي باحكام وفاتح مفضله وحكم نوازل معينة لا مطلقا بدليل قول الخضر لموسى انك على علم علمكه الله لا اعلمه انا وانا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت يصدق على كل واحد منهما انه اعلم من الاخر بالنسبة الى ما يعلمه كل واحد منهما ولا يعلمه الاخر فلما سمع موسى تشوقت نفسه الفاضله وهمته العاليه لتحصيل علم ما لم يعلم وللقاء من قيل انه اعلم فسال سوال الدليل

بكيف السبيل فامر بالارتحال على كل حال وقيل له احمل معك حوتا مالحا وزنبيل
فحيث يحيى ويفقد فثم السبيل فانطلق مع فتاه لما واتاه مجتهدا طلبا فاملا
لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين
وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما اي نسي موسى
ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راى من حياته ووقوعه في البحر وروي
ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل
توضا يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في البحر وقيل نسيا
تفقد امره وهما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا
اي فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا اي جعله بجعل الله قال قتادة جمد الماء
فصار كالسرب وهو الشق الطويل لا تقاد له والجمهور على ان الحوت بقي موضع
سلوكه فارغا وان موسى مشى عليه متبعا للحوت حتى افضى به الطريق الى جزيرة
في البحر وفيها وجد الخضر وفي البخاري قال موسى لفتاه لا اكلفك الا ان تخبرني
بحيث يفارقك الحوت قال ما كلفت كثيرا قال فبينما هو في ظل صخرة اذ اضطرب
الحوت وموسى نائم فقال فتاه لا اوقظه حتى اذا استيقظ نسي صاحبه ان
يخبره فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال لفتاه آتنا غداءنا اي
ما نتغدى وهو ما يوكل اول النهار لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا تعبا
قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه القي عليه الجوع والنصب وقيل
لم يحس موسى في سفره غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال له فتاه
ارايت اي تنبه ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد
عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت

اي فقدته او نسيت ذكره بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره
اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير بدل اشتمال
وهذا انما ذكره يوشع في معرض الاعتذار لقول موسى لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث
يفارقك الحوت فقال ما كلفت كثيرا فاعتذر بذلك القول والحال وان كانت
عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما جرى بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه
بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب سره الى جانب
القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما
لنفسه اولان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الاخر يعد
من النقصان واتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب
والمفعول الثاني هو الظرف وقوله واتخذ الى اخره يحتمل ان يكون من قول يوشع
لموسى اي اتخذ الحوت سبيله عجبا للناس ويحتمل ان يكون واتخذ سبيله في البحر
تمام الكلام ثم استانف التعجب فقال من قبل نفسه عجبا لهذا الامر ويحتمل ان
يكون قوله واتخذ سبيله اخبارا من الله تعالى وذلك على وجهين اما ان يخبر عن
موسى انه اتخذ سبيل الحوت من البحر عجبا اي تعجب منه واما ان يخبر عن الحوت انه
اتخذ سبيله عجبا للناس قال موسى ذلك اي فقد الحوت ما اي الذي كنا نبغي
اي نطلبه لانه امارة المطلوب فارتدا على اثارهما اي فرجعا في الطريق الذي جاءا
فيه قصصا اي يقصان قصصا اي يتبعان اثارهما اتباعا حتى اتيا الصخرة فوجدا
عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه يليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل
الياس وفي البخاري فوجدا خضرا على طنفسة خضراء على كبد البحر متسجيا بثوبه
قد جعل طرفه تحت رجله وطرفه تحت راسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه
وقال هل بارضي بن سلام من انت قال موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم

قال فما شانك قال جئت لتعلمني مما علمت رشدا الى اخره قال مجاهد وسمي الخضر لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وفي الترمذي انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضرا والفروة هنا وجه الارض قاله الخطابي وغيره **اتيناه رحمة من عندنا** هو الوحي والنبوة في قول وولاية في آخر وعليه الاكثر القرطبي هو نبي عند الجمهور وقيل صالح غير نبي والاية تشهد بنبوته لان بواطن افعاله هل كانت الا بوحي وايضا فان الانسان لا يتعلم ولا يتبع الا من هو فوقه وليس يجوز ان يكون فوق النبي من ليس بنبي وقيل كان ملكا وقيل المعنى اتيناه نعمة **وعلمناه من لدنا علما** ما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب وعلما مفعول به اي معلوما ولو كان مصدرا لقال تعليما قال ابن عطية كان علم الخضر معرفة بواطن قد اوحيت اليه لا تعطي ظواهر الاحكام افعاله بحسبها وكان علم موسى علم الاحكام والفتيا بظاهر اقوال الناس وافعالهم قال بعضهم كل علم من عند الله ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى علما لدنيا بل العلم اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج قال ابو يزيد ليس العالم الذي يحفظ من كتاب الله فاذا نسي ما حفظ صار جاهلا انما العالم من يأخذ علمه من ربه اي وقت شاء بلا تحفظ ولا درس **قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن** اي على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف **مما علمت رشدا** اي علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرئ بفتحتين وبضم الراء وسكون الشين وهما لغتان كالبخل والبخل وساله ذلك لان الزيادة في العلم مطلوبة ولا ريب في نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب واستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده ويمن عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه ولا

يظن ان تعلم موسى من الخضر دليل على ان الخضر كان افضل من موسى فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول على ما مر **قال له الخضر انك لن تستطيع معي صبرا** اي لا تطيق ان تصبر على ما تراه مني لان الظواهر التي هي علمك لا تعطيه فكيف تصبر على ما تراه خطا ولم تخبر بوجه الحكمة فيه ولا طريق الصواب وهو معنى قوله **وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا** والانبياء لا يقرون على منكر فلا يسعك السكوت وانتصب خبرا على التمييز او على المصدر لان معنى لم تحط لم تخبر والخبير بالامور هو العالم بخفاياها وفي الحديث يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه **قال موسى للخضر ستجدني ان شاء الله صابرا** معك غير منكر عليك **ولا اعصي لك امرا** تامرني به وهو عطف على صابرا اي ستجدني صابرا غير عاص وعلى ستجدني والمعنى قد الزمت نفسي طاعتك وقيد بالمشيئة لانه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم وهذه عادة الانبياء والاولياء ان لا يثقوا الى انفسهم طرفة عين **قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء** اي فلا تفاتحني بالسوال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته **حتى احدث لك منه ذكرا** اي حتى اكون انا الذي افسره لك فقبل موسى شرطه رعاية لادب المتعلم من العالم وهو من الخضر تاديب وارشاد لما يقتضي دوام الصحبة فلو صبر وواب لرأى العجب لكنه الم من الاعراض فتعين الفراق والاعراض وقرئ بفتح اللام وتشديد النون **فانطلقا** على الساحل يطلبان سفينة **حتى اذا ركبا في السفينة خرقها** في الصحيحين فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركب في السفينة اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة وقلع منها لوحا فلما قدروا لما بلغة اللجة فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها **لقد جئت شيئا امرا**

اي اتيت امرا عظيما القتيبي عجبا مجاهد منكرا روى ان العالم يدخلها قال الم اقل لك
لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره له قال لا تواخذني بما نسيت اي بالذي
نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو
اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المواخذة مع قيام المانع لها وقيل
اراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل هو
من معاريض الكلام والمراد شيء اخر نسيته ولا ترهقني من امري عسرا اي ولا
تغشني اولا تكلفني عسرا بالمضايقة والمواخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي
متابعتك والمعنى عاملني في صحبتك بالعفو واليسر وعسرا مفعول ثان
لترهق يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وفي الحديث وكان الاولى من
موسى نسيانا قال وجا عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال
له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر
والعلم هنا بمعنى المعلوم وهذا من الخضر تمثيل اي معلوماتي ومعلوماتك في علم
الله لا اثر لها واطلاق لفظ النقص هنا تجوز قصد به التمثيل وعن ابي العالية لم
ير الخضر حين خرق السفينة غير موسى وكان عبدا لا تراه الاعين ولو راه القوم
لمنعوه وقرئ ليغرق باليا التحتية على اسناد الفعل الى الاهل فاللام لام كي ولم
يقل لتغرقنا لان الذي غلب عليه في الحال فرط الشفقة عليهم ومراعاة حقهم
فانطلقا اي بعد ما خرجا من السفينة يمشيان حتى اذا لقيا غلاما لم يبلغ الحنث
فقتله قال سعيد وجد الخضر غلمانا يلعبون فاخذ غلاما فاضجعه ثم ذبحه
بالسكين وفي الصحيحين ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل
اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر راسه بيده فاقتلعه
فقتله وفي رواية فاخذ بيد غلام ليس فيهم اصغر منه فاخذ حجرا فضرب به

راسه حتى دمغه قال ابو العالية لم يره الا موسى القرطبي ولا اختلاف بين هذه
الاحوال الثلاثة فانه يحتمل انه دمغه اولا بالحجر ثم اضجعه فذبحه ثم اقتلع
راسه وحسبك بما في الصحيح وكان الخضر قتله لما علم من امره وانه طبع كافرا كما
في الصحيح وقتل الصغير غير مستحيل اذا اذن الله في ذلك والعطف بالفا الدالة
على انه لما لقيه قتله من غير تروّ واستكشاف حال ولذلك قال له موسى اقتلت
نفسا زاكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرئ زكية وهما لا ولى ابلغ وقال
ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار
الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم وانه لم يرها قد اذنبت ذنبا
يقتضي قتلها ولا قتلت نفسا فتقاد بها وبنى به على ان القتل يباح حدا او قصاصا
وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستانفا
وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه
ادخل وكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا
نكرا واختلف ايما ابلغ نكرا او امرا فقيل نكرا ابلغ لان فيه قتلا بينا وفي امرا
قتلا مترقبا وقيل امرا ابلغ لان فيه قتل جماعة وفي نكرا قتل واحد ابن عطية
وعندي انها لمعنيين وقوله امرا اقطع واهول من حيث هو متوقع عظيم و
بين في الفساد لان مكروهه قد وقع قال الم اقل لك انك لن تستطيع
معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات
والصبر لما تكرر منه الاستمرار والاستكبار ولم يرعووا بالتذكير اول مرة حتى
زاد في الاستكبار ثانية مرة قال ان سالتك عن شيء بعدها اي بعد هذه المرة
فلا تصاحبني اي فلا تتركني اتبعك وان سالت صحبتك قد بلغت من لدني
عذرا اي قد وجدت عذرا من قبلي في مفارقتك لي لما خالفتك ثلاث مرات

نطلقا

وفي البخاري يرحم الله موسى لوددنا انه صبر حتى يقص علينا من امرهما قا
حتى اذا اتيا اهل قرية في صحيح مسلم لئام فطافا في المجالس قيل اسم القرية
ايلة قاله قتادة وهي نخل قريبة وقيل انطاكية وقيل برقة الثعلبي هي
قرية من قرى الروم يقال انها ناصرة واليها تنسب النصاري وقيل غير ذلك
استطعما اهلها طلبا منهم الطعام ضيافة فابوا ان يضيفوهما وقرئ
يضيفوهما من ضافه اذا نزل به وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال
ضاف السهم عن الغرض اذا مال عنه وقال استطعما اهلها واتى بالظاهر بدل
المضمر لنكتة وهي انه لو قال استطعماهم لم يصح لانهم لم يستطعما القريه او
استطعماهم فكذلك لان جملة استطعما صفة لقرية النكرة لا اهلها فلا بد ان
يكون فيها ضمير يعود عليها ولا يمكن الا بالتصريح بالظاهر فوجدا فيها
جدارا يريد ان ينقض تدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمراناه فهو
مجاز وتوسع فان الافعال التي حقها ان تكون للحي الناطق متى اسندت الى الجماد
او بهيمة فانما هي استعارة وفيه دليل على وجود المجاز في القران وهو مذهب
الجمهور وانقض افعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب
لهويه او افعل من النقض فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده
فقام وهذا القول اشبه بحال الانبيا بل والاولياء وقيل نقضه وبناه قال
موسى للخضر لو شئت لتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتفعا به
او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي فانه لما راى الحرمان ومساس الحاجه
واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه وفي بعض الاخبار ان سمك ذلك
الحائط كان ثلاثين ذراعا وطوله على وجه الارض خمسمائه ذراع وعرضه
خمسون ذراعا وقيل ارتفاعه مائة ذراع واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من

تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ لاتخذت قال له الخضر هذا فراق
بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض
الثالث او الوقت هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة
الفراق الى البين من اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع واضافه الى بين غير
متعدد سوغها تكريره العطف بالواو سانبئك قبل فراقي لك تاويل بما لم
تستطع عليه صبرا اي ساخبرك بخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه
منكرا من حيث الظاهر وتاويل الشي مآله وقيل في تفسير هذه الايات التي وقعت
لموسى مع الخضر انها حجة على موسى وذلك انه لما انكر خرق السفينة نودي يا موسى
اين كان تدبيرك هذا وانت في التابوت مطروحا في اليم فلما انكر امر الغلام قيل
له اين انكارك هذا من وكزك القبطي وقضائك عليه فلما انكر اقامة الجدار نودي
اين هذا من رفعك حجر البير لبنات شعيب دون اجر اما السفينة فكانت
لمساكين اي ملاحين يعملون في البحر بالسفينة فيه دليل على ان المسكين يطلق
على من يملك شيا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك فانها كانت
لعشرة اخوة خمسة زمنا وخمسة يعملون في البحر باجرة لها فاردت ان اعيبها
اي اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك اي قدامهم الان او خلفهم اذا رجعوا
ملك كافر ووراء اصله بمعنى خلف وقال بعض المفسرين انه كان خلفهم وكان
رجوعهم عليه وقرا ابن مسعود وكان امامهم ملك ابن عطية ووراهم عندي على
بابه وذلك ان هذه الالفاظ انما تجيء مراعى بها الزمان وذلك ان الحادث المتقدم
الوجود هو الامام والذي ياتي بعده هو الورا وذلك بخلاف ما يظهر بادي الراي
وتامل هذه الالفاظ في مواقعها حيث وردت تجدها تطرد فهذه الاية معناها
ان هولا وعلم وسعيهم ياتي بعده في الزمان غصب هذا الملك ومن قرا امامهم

اراد في المكان لانهم يسيرون الى بلده وقول النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة
امامك يريد في المكان والا فكونهم في ذلك الوقت كان امام الصلاة في الزمان
وقال الماوردي اختلف اهل العربية في استعمال وراء موضع امام على ثلاثة اقوال
احدها يجوز استعمالها بكل حال وفي كل مكان وهو من الاضداد قال تعالى من وراءهم
جهنم وهي قدامه والثاني وراءك يستعمل موضع امام في المواقيت والازمان
لان الانسان قد يجوزها فتصير وراءه ولا يجوز في غيره والثالث انه يجوز في
الاجسام التي لا وجه لها كجزئين متقابلين كل واحد وراء الاخر ولا يجوز في غيرهما
واسم الملك هدد بن بدد كلاهما بوزن ضرد وقيل في اسمه غير ذلك **ياخذ**
كل سفينة غصبا من اصحابها وهو نصب على المصدر المبين لنوع الاخذ
وكان مقتضى الظاهر ان يتاخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم
ملك لان ارادة التعييب مسببة عن خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبة
على اقوى الجزئين واد عاها وعقبه الاخر على سبيل التقييد والتتميم وفري سفينة
صالحة والمعنى عليها **واما الغلام فكان ابواه مومنين** جاء في الحديث
انه طبع يوم طبع كافرا **فخشينا** قيل هو من كلام الخضر وهو الذي يشهد له سياق
الكلام وهو قول اكثر المفسرين اي خفنا **ان يرهقهما** اي ان يغشيهما او
يحشيهما ويكلفهما **طغيانا وكفرا** اليهما بعقوقه فيلحقهما شرا والمعنى يقرن
بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مومنان وطاغ كافر او بعدهما
فيرتد اباضلاله او يتما لان على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله
اعلمه وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه
عالم موسى فلك ان تقتل ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل

فار

قال الطبري ومعناه فعلمنا وكذا قال ابن عباس وهذا كما كني عن العلم بالخوف
في قوله الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله وقيل الخشية بمعنى الكراهة ابن عطية
والاظهر عندي في توجيه هذا التاويل وان كان اللفظ يدافعه انها استعارة
اي على ظن المخلوقين والمخاطبين لو علموا حاله لوقعت منهم خشية الرهق للابوين
فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه اي يرزقهما بدله ولدا خيرا منه **زكاة**
اي طهارة من الذنوب والاخلاق الردية **واقرب منه رحما** اي رحمة وعطفا
على والديه قيل ولدلها جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من
الامم قتادة ولدت اثني عشر نبيا واسم المقتول حيسور بالحا المهملة وقيل
بالجيم بعدها ياتحتيه وقيل نون احره راء وقيل نون **واما الجدار فكان لغلامين**
يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم واصيرم وكانا صغيرين بدليل وصفهما
باليتم **وكان تحته كنز لهما** قيل من ذهب وفضه وكان مالا جسيما قاله عكرمة
وقتادة وهو الظاهر من اسم الكنز والدم على كنز الذهب والفضه في قوله
والذين يكنزون الذهب والفضه لمن لا يودي زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق
وقال ابن عباس كان علما في صحيفة مدفونة وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه
بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يومن بالقدر كيف يحزن عجبت لمن يومن بالرزق
كيف يتعب عجبت لمن يومن بالموت كيف يفرح عجبت لمن يومن بالحساب كيف
يغفل عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمن اليها لا اله الا الله
محمد رسول الله **وكان ابوهما صالحا** فيه تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلا
قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان سيلحا واسمه
كاسح وروي ان الله تعالى يحفظ الصالح في سبعة من ذريته فاراد ربك ان
يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الراي **ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك**

اي مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة
ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب ورعاية للادب كما
تادب ابراهيم في قوله واذا مرضت فهو يشفين وفي التنزيل بيدك الخير وان
كان بيده الخير والشر وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام
وايجاد بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين اولان الاول
في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات
الى الوسائط **وما فعلته** اي وما فعلت ما رايته من خرق السفينة وقتل الغلام
واقامة الجدار **عن امري** اي عن رايي وانما فعلته بامر الله عز وجل وهذا يقتضي
ان الخضر نبي او امر الهام من الله تعالى ومبنى ذلك على انه اذا تعارض ضرران يجب
تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل يمهد غير ان الشرايع في تفاصيله تختلفه
ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا
ويقال استطاع واسطاع بمعنى اطاق ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين وهنا
تنبيهات ان قيل لم لم يسم لفتى موسى ذكر في الاول الاية ولا في اخرها فعن
ابن عباس ان الفتى شرب من ماء الحياة فخلد واخذ العالم فطبق عليه سفينة
ثم ارسله في البحر والهذا التموج به فيه الى يوم القيامة قال القشيري وهذا ان
ثبت فليس الفتى يوشع بن نون فان يوشع قد عمر بعد موسى وكان خليفته
والاظهر ان موسى صرفه لما لقي الخضر ويحتمل ان يكون اكتفى بذكر المتبوع عن
التابع الثاني ذهب الجمهور الى ان الخضر عليه السلام قد مات وقالت فرقة انه
حي لانه شرب من عين الحياة وانه باق في الارض وانه حج البيت الفرطبي الصحيح
القول الثاني وانه حي واختلف في اسمه فعن ابن منبه انه ايليا بن ملكان
ابن فالغ بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وقيل هو ابن عاميل بن ارميا

ابن

ابن علقما بن عيصو بن اسحاق بن ابراهيم الثالث من فوائد هذه القصة ان لا يعجب
المرء بعمله ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على
التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو
عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه وروي ان موسى قال للخضر عليهما السلام
بم اطلعك الله على الغيب قال بترك المعاصي لله **ويسلونك عن ذي القرنين**
يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي
ذا القرنين اولانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها اولانه انقرض في ايامه قرنان
من الناس او كان له قرنان اي ضفيرتان او كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب
بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع
الاتفاق على ايمانه وصلاحه قال ابن اسحاق ان ذا القرنين اوتي ما لم يوت غيره
مدت له الاسباب حتى انتهى من البلاد الى مشارق الارض ومغاربها لا يطا ارضا
الا سلط على اهلها حتى انتهى من المشرق والمغرب الى ما ليس وراءه شيء من الخلق
وروي انه كان رجلا من اهل مصر اسمه مرزبا بن مرزبة اليوناني من ولد يونان
ابن يافث بن نوح وقال ابن هشام اسمه الاسكندر وهو الذي بنى الاسكندرية
فنسبت اليه وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك ابن سعد وقيل هو المنذر بن ما السما
والسائلون هم اليهود وسالوه امتحانا او مشركو امكة **قل ساتلو** ساقص
عليكم منه ذكرا خبر اخطاب للسائلين والها الذي القرنين اي من حاله وقيل
لله تعالى **انا مكنا له في الارض** اي مكناه امره من التصرف فيها كيف
شاء فحذف المفعول قال علي رضي الله عنه سخر الله له السحاب ومدت له الاسباب
وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وفي حديث عقبة بن عامر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجال من اهل الكتاب سالوه عن ذي القرنين

فقال ان اول امره انه كان غلاما من الروم فاعطى ملكا فسار حتى اتى بصر فابتنى
بها مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ اتاه ملك فعرج به فقال انظر ما تحتك
قال ارى مدينتي وحدها فقال الملك تلك الارض كلها وهذا السواد الذي تراه
محيطا بها هو البحر وانما اراد الله ان يريك الارض وقد جعل لك سلطانا فيها
فسر في الارض فعلم الجاهل وثبت العالم الى اخره واتيناه من كل شئ اراده وتو
اليه سببا اي وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والالة ابن عباس من كل شئ
علما يتسبب به الى ما يريد الحسن بلاغا الى حيث اراد وقيل من كل شئ يحتاج اليه الخلق
ومن كل شئ تستعين به الملوك من فتح المدائن وقهر الاعداء فاتبع سببا اي قاد
بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى اذا بلغ مغرب الشمس موضع غروبها
وجدها تغرب في عين حمئة اي كثيرة الحمأة وهي الطينة السوداء وقرئ حامية
اي حارة وقد تجمع بين القراءتين فيقال كانت حارة وذات حمأة وقيل ان ابن عباس
سمع معاوية سمع ابن عباس يقرأ حامية فقال لحميه فبعث معاوية الى كعب
الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في تأ وطين كذلك يجدها في التوراة قال
الفقال قال بعض العلماء ليس المراد انه انتهى الى الشمس شرقا ومغربا حتى وصل
الى جرمها ومسها لانها تدور مع السماء حول الارض من غير ان تلتصق بالارض
وهي اعظم من ان تدخل في عين من عيون الارض بل هي اكبر من الارض اضعافا
مضاعفة بل المراد انه انتهى الى اخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق
فوجدها في راي العين تغرب في عين حمئة كما انا نشاهدها في الارض الملسا
كانها تدخل في الارض ولهذا قال وجدها تطلع على قوم ولم يرد انها تماسهم
ولا لصقتهم بل المراد انهم اول من تطلع عليه الشمس انتهى ولعله بلغ ساحل المحيط
فراها كذلك اذ لم يكن في مسطح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم

يقل كانت تغرب ووجد عندها اي عند تلك العين قوما هم اهل جابرس
ويقال لها بالسريانية جرجيسا يسكنها قوم من نسل ثمود بقيه الذين امنوا
بصالح وقيل هم قوم لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا
فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين
اما ان تعذب اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم
الشرايع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويويد الاول
قوله اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا بسكون
الكاف وضمها اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على
كفره واستمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم
يعذبه الله في الاخرة عذابا منكرا شديدا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل
صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى اي فعلته الحسنى
وقيل الجنة والاضافة للبيان وقرئ جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة
الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى بها جزاء وقيل على
التمييز وقرئ جزاء منونا مرفوعا على انه المبتدا والحسنى بدله ويجوز ان يكون
اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان
فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه وندا الله ذا القرنين ان كان نبيا
فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي وسنقول له من امرنا اي مما
نامره به يسرا اي سهلا ميسرا غير شاق عليه وتقديره ذا يسر ثم اتبع سببا
اي ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس بالكسر يعني
الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ مطلع بفتح
اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس اي مكان طلوعها وجدها

تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها اي الشمس سترا من اللباس او البناء فان
ارضهم لا تمسك الابنية او لانهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية قيل هم الزنج وقال
وهب انهم امة يقال لها منسك وقال الكلبي هم فارس وهاويل ومنسك عراة
حفاة عماة عن الحق يتسافدون مثل الكلاب ويتهارجون تهارج الحمر وقيل هم
اهل جابلق وهم من نسل يومئ عاد ويقال لها بالسريانية مرقيسا وهم مجاورون
ياجوج وماجوج وقال قتادة يكونون في اسراب لهم حتى اذا زالت الشمس عليهم رجعوا
الى معايشهم وقال الحسن ارضهم لا جبل فيها ولا شجر ولا تحمل البناء فاذا طلعت
الشمس دخلوا في الماء فاذا ارتفعت خرجوا يتراعون كما تتراعى البهائم القرطبي
وهذه الاقوال تدل على ان لا مدينة هناك فالله اعلم وربما يكون منهم من يدخل
في الماء ومنهم من يدخل في السرب فلا تناقض بين قول الحسن وقتادة كذلك اي
امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره
في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف لوجدا و
نجعل صفة قوم راى على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر
والحكم وقد احطنا بما لديه خبرا اي بما عنده من الجنود والالات والعدد
والاسباب خبرا اي علما والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم
اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعني طريقا ثالثا قاصدا معترضا بين المشرق والمغرب
آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين اي بين الجبلين المبني
بينهما سد وهما جبلا ارمينية وادربيجان وقيل جبلان في اخر الشمال في
منقطع ارض الترك مبنيان وراءها ياجوج وماجوج وقرى بين السدين
بفتح السين وضمها وهما لغتان وقيل المضموم لما كان خلقة والمفتوح لما عمله
الناس وبين هنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما اي

من ورائهما وقيل امامهما قوما لا يكادون يفقهون بالفتح قولا لغرابة لغتهم
وقلة فطنتهم او لجهلهم بلغة من يخاطبهم او لا يفهمونه لابعد بطئ وقرئ
لا يفقهون بالضم من افقه اذا ابان اي لا يفقهون السامع لعجمة السنتهم
وتعلثمهم في الكلام قالوا يا ذا القرنين اي قال مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود
قال الذين من دونهم وقيل ان الذي قال لغة من الامم صالحة ان ياجوج وماجوج
هما قبيلتان من ولد يافث بن نوح وفي الحديث ولد لنوح سام وحام ويافث
فولد سام العرب وفارس والروم والخير فيهم وولد حام القبط والبربر والسودان وفي
يافث
الحديث لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه الف رجل يعني ياجوج وماجوج
وقال ابو سعيد هم خمسة وعشرون قبيلة من ورائهم ياجوج وماجوج وعن
ابن مسعود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن ياجوج وماجوج قال امتان
كل امة لا يعلم عددها الا الله وفيه قيل يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة
اصناف صنف منهم مثل الارز شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع
وصنفه طوله وعرضه سواء لا من الذراع وصنف يفترش اذنه ويلتحف
بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا اكلوه ويا كلون من مات منهم
مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبريه
ويمنعهم الله من بكة والمدينة وبيت المقدس وقال علي رضي الله عنه وصنف
منهم في طول شبر لهم مخالب وانياب مثل السباع وتداعى الحمام وتساقد البهائم
وعواء الذئب وشعور تقيهم الحر واذان عظام الى احرز وفي الحديث ان
ياجوج وماجوج يحفرون كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال
الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله اشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم

واراد الله ان يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال
ارجعوا فستحفرونه ان شاء الله فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه
الى اخره وقال السدى والضحاك الترك شرذمة من ياجوج وماجوج خرجت تغير
فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت في هذا الجانب ويأجوج ومأجوج اسمان اعجميان
بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلها الهمز كما قرئ به
ومنعا الصرف للتعريف والتانيث **مفسدون في الارض** اي في ارضنا بالقتل
والتخريب وافساد الزروع عند خروجهم الينا قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا
يتركون اخضرا الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس **فهل**
نجعل لك خرجا اي جعلا تخرجه من ابو النا وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول
والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر **على ان تجعل بيننا وبينهم**
سدا انحجز دون خروجهم علينا **قال ما مكني** وفي قراءة بنونين من غير ادغام **فيه**
ربي خير اي ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج
فلا حاجة بي اليه واجعل لكم السد تبرعا **فاعينوني بقوة** اي فعلة او بما
اتقوى به من الالات وهذا من تاييد الله لذي القرنين في هذه المحاورة فان
القوم لو جمعوا له خراجا لم يعنه احد ولو كلوه الى البنيان **اجعل بينكم**
وبينهم ردما اي حاجزا حصينا وهو اكبر من السد فان السد كل
ما يسد به والردم وضع الشيء على الشيء من حجارة او تراب او نحوه حتى
يقوم مقام ذلك حجاب منيع **اتوني زبر الحديد** اي قطعه والزبرة
القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاختصار على المعونة لان
الايتاء بمعنى المناولة لا بمعنى العطية لانه ربط معهم ان لا ياخذ
منهم الخراج فلم يبق الا استدعاء المناوله واعمال الابدان **حتى اذا ساوى**

اي البنا فحذف لدلالة الكلام عليه **بين الصدفين** يعني بين جانبي الجبلين
وسميا بذلك لتصادفهما اي تلاقيهما وقال ابو عبيد الصدف والهدف
كل بنا عظيم مرتفع **قال انفخوا** اي قال للعملة انفخوا اي الاكوار والحديد
حتى اذا جعله نارا اي كالنار بالاحماء **قال اتوني افرغ عليه قطرا** اي
اتوني قطرا وهو النحاس المذاب افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو مر
واحدا ولي اذ لو كان قطرا مفعول اتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالتباس وذلك
انه كان يامر بوضع طاقة من الزبر والحجارة ثم يوقد عليها الحطب والفحم بالمنافخ
حتى تحمى وتصير مثل النار ثم يوتى بالنحاس المذاب فيفرغه على تلك الطاقة
فاذا التام واشتد ولصق البعض بالبعض استانف رصف طاقة اخرى الى
ان استوى العمل وصار جبلا صلدا قال قتادة هو كالجبل المخطط طريقة سودا
وطريقة حمرا **فما اسطاعوا** فحذف التا للابتلاقي متقاربان اي ياجوج وماجوج
ان يظهروه اي يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه **وما استطاعوا له**
نقبا خرقا لثخنه وصلابته ويقال انه حفر للاساس حتى بلغ الماء وقيل بناه
من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها
ويقال ان ارتفاعه مائتا ذراع وخمسون ذراعا وقيل في طوله ما بين الجبلين
مائة فرسخ وفي عرضه خمسون فرسخا قاله وهب بن منبه **قال** ذو القرنين **هذا**
اي السد اي الاقدار على تسويته **رحمة** نعمة **من ربي** على عباده لانه مانع
من خروجهم **فاذا جاء وعد ربي** اي وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج
القريب من البعث او قيام الساعة بان شارف يوم القيامة **جعله**
دكا اي مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض وهو مصدر بمعنى مفعول

ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرى دكا بالمد اي ارضا مستوية وفي الكلام
حذف تقديره جعله مثل دكا وكان وعد ربي حقا بخروجهم وغيره اي كائنا
لا محالة وهو اخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج في
بعض الضمير في تركنا لله تعالى اي وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون
من وراء السد يموجون في بعض من دحمين في البلاد او يموج بعض الخلائق في
بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى فاستعارة الموج لهم
عبارة عن الحيرة وتردد بعضهم في بعض كالموجين من هم وخوف وشبههم بموج
البحر الذي يضطرب بعضه في بعض ويؤيد القول الثاني قوله ونفخ في الصور
اي القرن لقيام الساعة فجمعناهم يعني الانس والجن في عرصات القيامة
جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم اي ابرزناها وقيل قربناها يومئذ
للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم بدل من الكافرين في غطاء عن ذكري
اي عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم اي هم بمنزلة من
عينه مغطاة فلا تنظر الى دلائل الله وكانوا لا يستطيعون سمعا اي استماعا
لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا
صيح به وهؤلاء كانهم اصميت مسامعهم بالكلية او لا يقدرون ان يسمعوا
من النبي ما يتلو عليهم بغضا له افحسب الذين كفروا اي افظنوا
والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي يعني عيسى والملائكة وعزيرا
من دوني اولياء معبودين نافعيهم او ولا اعذبهم به فحذف المفعول
الثاني فالحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه والمعنى
اظن هو لا بان الاتخاذ المذكور لا يغضبني ولا اعاقبهم عليه كلا انا اعتدنا
جهنم للكافرين هؤلاء وغيرهم نزلا هو ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه

على انها ورآها من العذاب ما يستحقرونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا
هو نصب على التمييز وجمع لانه من اسم الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل
سعيهم في الحياة الدنيا اي ضاع وبطل كالرهبان فانهم حسروا دنياهم
واخراهم وقال علي هم الخوارج اهل حروراء ابن عباس يريد كفار مكة ومحله
الرفع على الخبر المحذوف مبتدؤه فانه جواب السوال او الجر على البدل او النصب
على الذم وهم يحسبون يظنون انهم يحسنون صنعا عملا يجازون عليه بعجبهم
واعتقادهم انهم على الحق وفيه دلالة على ان من الناس من يعمل العمل وهو يظن
انه يحسن وقد حبط سعيه والذي يوجب احباط السعي اما فساد الاعتقاد
او المرآة اولئك الذين كفروا بايات ربهم اي القرآن او بدلائله المنصوبة
على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه او للقاء عذابه فحبطت
اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا اي فنزدري
بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا توزن به اعمالهم لانحباطها
فاعمالهم مقابلة بالعذاب وقيل هو من باب حذف الصفة اي وزنا فحاقال
عبيد بن عمير يوتى يوم القيامة بالرجل الطويل العظيم الاكول الشروب فلا
يزن جناح بعوضة وفي صحيح البخاري انه لياتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة
لا يزن عند الله جناح بعوضة اقرءوا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا
وقال صلى الله عليه وسلم جيء بخمسة اصحكوا من خمس ساق ابن مسعود وهو يصعد النخلة
اتضحكون من ساق تزن بعمل اهل الارض فدل هذا على ان الاشخاص توزن وتقدم
ذكر الميزان وان له كفتين توزن فيهما صحائف الاعمال ذلك اي الامر ذلك وقوله
جزاؤهم جهنم مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدا والجملة خبره والعائد محذوف
او جزاؤهم بدل او جهنم خبره وقيل الاشارة الى ترك الوزن وجهنم بدل من المبتدا

الذي هو ذلك وقيل غير ذلك بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا
اي بسبب ذلك وما مصدريه والهزء الاستخفاف والسخريه ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا اي فيما سبق
من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة والاضافة فيه للبيان واصله
البستان الذي يجمع الكرم والنخل وقال قتاده هي ربوة الجنة واوسطها وافضلها
وارفعها وقال ابو امامة الفردوس سرة الجنة وفي الحديث اذا سالتم فاسيلوا
الله الفردوس فانها اوسط الجنة واعلى الجنه وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر
انهار الجنة خالدين فيها اي دائمين باقين وهي حال مقدرة لا يبغون
يطلبون عنها حولا اي تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعه انفسهم
ويجوز ان يكون تاكيد الخلود قل لو كان البحر اي ماوه مدادا اي ما يكتب
به وهو اسم ما يمد به الشي كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي اي
لكلمات علمه وحكمته وعجائبه بان يكتب به لنفد البحر اي لنفد جنس البحر
باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد تفرغ كلمات ربي فانها غير متناهيه
لا تنفد كعلمه ولو جئنا بمثله اي البحر الموجود مددا اي زيادة ومعونة
لنفد لان جمع المتناهيين متناه بل بمجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام
لا يكون الا متناهيا لدلالة القطعيه على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد وقال
ابن عباس كلمات ربي مواعظ ربي وقيل عني بالكلمات الكلام القديم الذي لا غاية
له ولا منتهى وهو وان كان واحدا فيجوز ان يعبر عنه بلفظ الجمع لما فيه من فوائد
الكلمات ولانه ينوب مناب ما فجازت العبارة عنها بصيغة الجمع تفخيما وسبب
نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤن
وما اوتيتم من العلم الا قليلا فكيف وقد اوتينا التوراة وروي انهم قالوا اوتيت

الحكمة ثم زعمت ان لا علم لك بالروح وقال السدي المعنى لو كان البحر مدادا
لنفد قبل ان تنفد صفات الجنة التي هي دار الثواب وقال عكرمه لنفد البحر
قبل ان ينفد ثواب لا اله الا الله قل انما انا بشر اد مي مثلكم اي لا ادعى
الاحاطة على كلماته ولا اعلم الا ما يعلمني الله وعلم الله لا تحصى يوحى الي انما
الهكم اله واحد اي وانما تميزت عنكم بذلك وان المكفوفة بما باقية على
مصدريتها والمعنى يوحى الي وحدانية الالة فمن كان يرجو لقاء ربه اي
يامل رويته وثوابه ويخشى عقابه فليعمل عملا صالحا برتضيه الله
ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب اجرا روي ان جندب
ابن زهير قال يا رسول الله اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل ما شورك به فنزلت تصديقا له وفي الحديث
اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والاية جامعة لخلاصتي
العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة سورة مريم مكيه
الا اية السجده بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص الله اعلم بمراده
بذلك وقال ابن عباس الكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين
من عليم والصاد من صادق ومعناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق
ايديهم عليم بهم صادق في وعده وعن ابن عباس ايضا هو اسم من اسماء الله تعالى
وكان علي رضي الله عنه يقول يا كهيعص اغفر لي السدي هو اسم الله الاعظم
الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب قتادة هو اسم من اسمائ القران وقيل
اسم السورة ذكر رحمة ربك خبر ما قبله ان اول بالسوره او بالقران
فانه مشتمل عليه او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدا حذف
خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة

فاعلة على الاتساع **زكريا** بدل منه او عطف بيان له **اذ** متعلق برحمة
نادى ربه نداء خفيا النداء الدعاء والرغبة اي نادى ربه بذلك في
محرابه خفية والجهر والاخفاء عند اهل سيان والاخفاء اشد اخباتا والكثر
اخلاصا وقيل اخفاه من قومه لئلا يلاموا على مسئلة الولد عند كبر السن
ولانه امر دنيوي فان اجيب فيه نال بغيته وان لم يجب لم يعرف
احد بذلك وقيل في جوف الليل لانه اسرع للاجابة وفي الحديث ان خير
الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي وقيل لان ضعف الهرم اخفى صوته
قال رب اني وهن العظم مني اي ضعف وهو تفسير للنداء وخص العظم
لانه عمود البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه
اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس **واشتعل الراس مني شيبا** هذا
من احسن الاستعارة وهو استعارة محسوس لمحسوس بوجه محسوس شبه
الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر
باشتعالها واسند الاشتعال الى الراس الذي هو مكان ومحل الشيب مبالغة
وجعله تمييزا ايضاحا للمقصود وهو محول من الفاعل والكثير بالام عن
الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعيين المراد يغني عن التقييد **ولم اكن**
بدعائك اي بدعائي اياك **رب شقيا** خائبا بل كلما دعوتك استجبت
لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان
لم يكن معتادا فان اجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها
ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه ويستحب للمرء ان يذكر في دعائه
نعم الله عليه وما يليق بالخضوع لان في قوله وهن العظم مني اظهار الخضوع
وفي قوله ولم اكن بدعائك رب شقيا اظهار العادات تفضله ويقال شقي بكذا

تعب فيه ولم يحصل مقصوده وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال انا
الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته
واني خفت الموالي الذين يلوني في النسب من بني عمه وكانوا اشرار بني
اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم **من ورائي**
يعني بعد موتي وهو متعلق بمحذوف وفيه حذف مضاف اي عدم الموالي
او جور الموالي وفعل الموالي من ورائي او الذين يلون الامر من ورائي **وكانت**
امرأتي عاقرا لا تلد وامرأته هي اشياع بنت فاقود بن قبيل وهي اخت حنة
ام مريم **فهب لي من لدنك وليا** ابنا سوال ودعاء وقوله من لدنك تاكيد
لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده او ايراد اختراعا
منك بلا سبب فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامرأتي
لا نصلح للولادة فتادة جرى له هذا الامر وهو ابن بضع وسبعين سنة بقاتل
خمس وتسعين **يرثني ويرث** بالرفع صفتان له وقرئا بالجزم على انهما جواب
الدعاء ومذهب سيبويه انهما ليسا جواب هب وانما تقديره ان تهب يرثني
ويرث **من آل يعقوب** جدي والمراد وراثة العلم والنبوة فان الانبياء لا يورثون
المال وقيل يرثني الجمهور فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام وقيل يعقوب كان اخا زكريا او
عمران بن ماثان من نسل سليمان بن داود وبنو ماثان رؤساء بني اسرائيل ومن
للتبعيض لان آل يعقوب ليسوا كلهم انبياء ولا علما **واجعله رب رضيا**
اي مرضيا في اخلاقه وافعاله وقيل راضيا بقضائك وقدرك وقيل صالحا ترضى
عنه وقال ابو صالح نبيا كما جعلت اباه نبيا **يا زكريا** في الكلام حذف اي فاستجاب
الله تعالى دعاءه فقال يا زكريا **انا نبشرك بغلام** يرث كما سالت **اسمه يحيى**

وانما تولى تسميته تشريفا له **لم نجعل له من قبل سميا** اي لم نسم احدا يحيى قبله وقال مجاهد وغيره سميا معناه مثلا ونظيرا وهذا كائن من المسامات وفيه بعد لانه لا يفضل على ابراهيم وموسى اللهم الا ان يفضل في خاص كالسودد والحصر ابن عباس لم تلد العواقر مثله **قال رب انى** اي كيف **يكون لي غلام** ليس هذا على معنى الانكار بل على سبيل التعجب من قدرة الله **وقد بلغت من الكبر عتيا** اي جسارة ويبسا في المفاصل والمعنى قد بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة وبلغت امرأته ثمانى وتسعين سنة والاصل عتو الكعد وانما استثقلوا توالى الضمتين والواو فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية ياء وادغمت وانما استعجب المولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعتبارا بان الموثر فيه كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك **قال** الله تعالى او الملك المبلغ للبشارة **كذلك** اي الامر كذلك من خلق غلام منكما **قال ربك هو علي هين** قال الفراء اي خلقه على هين اي بان ارد عليك قوة الجماع وافتق رحم امراتك للعلوق **وقد خلقتك من قبل** اي من قبل يحيى **ولم تك شيا** بل كنت معدوما وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء وقرئ خلقناك ولما تاقت نفسه الى سرعة المبشر به **قال رب اجعل لي اية** اي علامة طلب اية بعد بشارة الملائكة زيادة طمانينة اي تمم النعمة بان تجعل لي اية اعلم بها وقوع ما بشرتني به **قال اية** عليه **ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا** حال من تكلم اي سوي الخلق صابك خرس ولا بكم اي علامتك ان تمتنع من الكلام وانت سليم وذلك الليالي هنا والايام في آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة ايام ولياليهن **فخرج على قومه من المحراب**

اي اشرف عليهم من المصلى او من الغرفة والمحراب ارفع المواضع واشرف المجالس وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بامره على العاده **فاوحى اليهم** اي اومى اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض وقيل في كتاب **ان سبحوا** اي صلوا او نزهوا ربكم **بكرة وعشيا** طرفي النهار وان تحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة **يا يحيى** على تقدير القول اي قال الله له بعد ولادته بسنتين **يا يحيى خذ الكتاب** اي التوراة **بقوة** اي بجد واجتهاد وقيل العلم به والحفظ له والعمل به **واتيناه الحكم صبيا** يعني الحكمة وفهم التوراة وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنباه قال قتاده كان ابن سنتين او ثلاث وفي الحديث كل ابن ادم ياتي يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى بن زكريا وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان للدمع في خديه مجاريان ثابتة وروي معمر ان الصبيان قالوا ليحيى اذهب بنا نلعب فقال ما للعب خلقنا **وحنانا** اي واتينا حنانا **من لدنا** يعني من عندنا وتعطفا في قلبه وشفقة ومحبة واصله من حنين الناقة على ولدها الزمخشري وحنانا رحمة لابويه وغيرهما وقال ابن الاعرابي الحنان من صفة الله مشدد الرحيم والحنان مخفف العطف والرحمة والحنان الرزق والبركة **وزكاة** اي وطهارة من الذنوب او صدقة اي تصدق الله به على ابويه والزكاة ايضا البركة والتنمية في وجوه الخير والبر اي جعلناه مباركا للناس يهديهم **وكان تقيا** اي مطيعا لله منحيا عن المعاصي روي انه لم يعمل خطيئة ولا هم بها **وبرا بوالديه** اي محسنا اليهما والبر بمعنى البار وهو الكثير البر **ولم يكن جبارا** اي متكبرا عصيا عاصيا لربه وهو وصف ليحيى بلين الجانب وخفض الجناح **وسلام عليه** من الله **يوم ولد** من ان يناله الشيطان بما نال به بني ادم **ويوم يموت** من عذاب القبر **ويوم يبعث حيا** من عذاب النار وهول القيامة ابن عطية والاظهر عندي ان السلام هنا التحية المتعارفة

فى اشرف وأنبه من الامان لان الامان متحصل له بنفى العصيان وهى اقل درجاته
وانما الشرف فى ان سلم الله عليه وحياه فى هذه المواطن لان الانسان فيها على
غاية الضعف والحاجة والفقر الى الله لان الانسان يوم يولد يخرج مما كان فيه
ويوم موته يرى قوما لم يكن رآهم ولا عاينهم ويوم يحشر يرى نفسه فى محشر لم
ير مثله وقال هنا سلام منكرا وفى قصة عيسى معرفا لان الاول من ابيه والقليل
منه تعالى كثير والثانى من عيسى وال للاستغراق او العهد اى ذلك الموجه الى
يحيى موجه الى **واذكر فى الكتاب** اى فى القرآن **مريم** يعنى قصتها **اذ انتبذت**
اى تنحت وتباعدت واذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها
والانتباذ الاعتزال والانفراد **من اهلها** قال السدى انتبذت لتطهر من الحيض وقال
عزم لتعبد الله **مكانا شرقيا** اى شرقى بيت المقدس او شرقى دارها ولذلك اتخذ النصارى
المشرق قبلة وذلك ان مريم كانت وقفا على سدانة المتعبد وخدمته فتحيت من الناس
ودخلت فى المسجد الى جانب المحراب فى شرقيه لتخلو للعبادة وانما خص المكان بالشرقية لانهم
كانوا يعظمون المشرق ومن حيث تطلع وقالوا لو كان شئ من الارض خيرا من الشرق
لوضعت مريم عيسى فيه وهو بسكون الراء المكان الذى تشرق فيه الشمس ومكانا
ظرف او مفعول لان انتبذت متضمن معنى اتت **فاتخذت من دونهم حجابا** ارسلت
سترا تستتر به لتغلى راسها وثيابها او لتغتسل من الحيض **فارسلنا اليها روحنا**
قيل هو روح عيسى لان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد فركب الروح فى جسد
عيسى الذى خلقه فى بطنها وقيل هو جبريل واضيف الروح الى الله تخصيصا وكرامة
والظاهر انه جبريل لقوله **فتمثل لها** بعد لبسها ثيابها **بشرا سويا** تام الخلق
قيل قعدت فى مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بشئ يسترها وكانت تتحول
من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينما هى فى مغتسلها

اذ

اتاها جبريل متمثلا بصورة شاب امرد سوى الخلق لتستانس بكلامه لانها
لم تكن لتطيق ان تنظر الى جبريل فى صورته فلما رات رجلا حسن الصورة فى
صورة البشر قد خرق عليها الحجاب ظنت انه يريدها بسوء **قالت انى اعوذ**
بالرحمن منك ان كنت تقيا اى تتقى الله وتخاف بالاستعاذة وجواب الشرط
محذوف دل عليه ما قبله اى فانى عائذة منك او فتتعظ بتعويذى او فلا تتعرض
لى وروى ان جبريل تكص من ذكر الرحمن فزعا وقال الثعلبى كان صالحا فى زمنها
فتعوذت منه تعجبا وقيل تقيا اسم فاجر معروف فى ذلك الوقت قاله وهب بن
منبه وضعفه ابن عطية **قال** لها جبريل **انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما**
جعل الهبة من قبل نفسه لما كان الاعلام بها من قبله اى لاكون سببا فى هبته
بالنفخ فى الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول الله سبحانه ويؤيده قراءة ليهب لك بالياء
زكيا بالنبوة او طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير والصلاح والبركة والمعارف
فلما سمعت مريم ذلك من قوله استفهمت عن طريقه **وقالت انى يكون لى غلام**
ولم يمسسنى بشر اى ولم يباشرنى رجل بنكاح لانه كناية عنه كقوله من قبل
ان تمسوهن والزنا ليس كذلك انما يقال فيه فجرها وليس بقمن ان تراعى فيه
الكنايات والآداب ويعضد ذلك قوله **ولم اك بغيا** اى زانية ولم يقل بغية
قال ابن الانبارى بغيا غالب فى النساء وقل ما تقول العرب رجل بغى فتركوا التاء فيه
اجراله مجرى حائض وطالق وفعيل بمعنى فاعله فتركوا التاء فيه كما فى قوله ان رحمة
الله قريب اولموافقة الفواصل او للنسب ولم تستبعد من قدرة الله تعالى شيئا
وانما اردت كيف يكون هذا الغلام امن قبل زوج فى المستقبل ام خلقه الله ابتداء
قال الامر **كذلك** من خلق غلام منك من غير اب **قال ربك هو على هين** بان
ينفخ بامرى جبريل فيك فتحملى به **ولنجعله** اى ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به

قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على ليهب على طريقة الالتفات **اية للناس** اي
لئلا علامة لهم وبرهانا لكمال قدرتنا **ورحمة منا** على العباد بهتدون بارشاده
وكان خلقه امرا مقضيا به تعلقت قضآء الله في الازل اوقدر وسطر في اللوح
المحفوظ اوكان امرا حقيقا بان يقضي ويفعل لكونه اية ورحمة **فحملته** روي ان
جبريل جيب قال لها هذه المقالة نفخ في جيب درعها وكمها ابن عباس اخذ جبريل
ردن قميصها باصبعه ففخ فيه فحملت من ساعتها بعيسى قال الطبري وزعمت
النصارى ان مريم حملت بعيسى ولها ثلاث عشر سنة وان عيسى عاش الى ان رفع
اثنين وثلاثين سنة واياما وان مريم بقيت بعده ست سنين فكان عمرها يومئذ
وخمسين سنة **فانتبذت به** اي فاعتزلت وهو في بطنها **مكانا قصيا** اي بعيدا
من اهلها ابن عباس الى اقصى الوادي وهو وادي بيت لحم بينه وبين ايليا اربعة
اميال وقيل الى اقصى الدار وانما بعدت فرارا من تعيير قومها اياها بالولادة من
غير زوج قال ابن عباس ما هو الا ان حملت فوضعت في الحال وهذا هو الظاهر لان
الله تعالى ذكر الانتباذ عقب الحمل **فاجاءها المخاض** اي اضطرها والجاءها قال
حسان ، اذ شددنا شدة صادقة ، فأجأناكم الى سفح الجبل ، وهو تعدية
جاء بالهمز والمخاض بالفتح وقرئ بالكسر مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في
بطنها للخروج والمراد به الطلق وشدة الولادة واوجاءها **الى جذع النخلة** كانها
طلبت شيا تستند اليه وتتعلق به كما تتعلق الحامل لشدة وجع الطلق والجذع
ساق النخلة اليابسة التي لا سعف عليها ولا عضص وكانت يابسة لا راس لها
وكان الوقت شتآء والتعريف اما للجنس واما للعهد ان لم يكن ثم غيرها وكانت
كالمتعالم بين الناس **قالت يا** للتنبيه **ليتني مت قبل هذا** الامر استحيآء
من الناس ومخافة لومهم تمنت مريم الموت من جهة الدين لوجهين احدهما انها

خافت

خافت ان يظن بها الشر في دينها وتعير فيفتنها ذلك الثاني لئلا يقع قومها
في البهتان والنسبة الى الزنا وذلك مهلك وعلى هذا يكون تمني الموت جائزا
القرطبي وسمعت ان مريم سمعت نداآء من يقول اخرج يا من يعبد من دون الله
فحزنت لذلك وقالت يا ليتني مت قبل هذا **وكنت نسيا منسيا** النسي بالفتح
والكسر الشي الحقير الذي شانه ان ينسى ولا يتاسف لفقده كالوتد والحبل للمسافر
ونحوه وقال الفرآء النسي ما تلقيه المراة من خرق اعتلالها ومعنى نسيا لا يخطر
ببال وذكر الطبري في قصتها انها لما حملت بعيسى حملت ايضا خالتها يحيى
فجآءتها آيرم فقالت يا مريم اشعرت اني حملت فقالت لها اشعرت انت اني حملت
قالت لها واني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك وذكر ايضا انها خرجت مع رجل
من بني اسرآءيل يقال له يوسف النجار وانهم هم بقتلها فاتاه جبريل فقال انه من
روح القدس واستمرت حاملة على عرف فتظاهرت الروايات انها الثمانية اشهر
ولذلك قيل لا يعيش ابن ثمانيه حفظا لخاصة عيسى وقيل ولدته لسبعة اشهر
وقيل لستة وما ذكر عن ابن عباس اصح واظهر **فناداها من تحتها** عيسى وقيل
جبريل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرئ من تحتها
بالكسر والجر على ان في نادى ضمير احدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة **ان لا تحزني**
تفسير النداء والمعنى فلا تحزني بولادتك **قد جعل ربك تحتك سريا** اي
جدولا هكذا روي مرفوعا قال ابن عباس كان ذلك نهرا قد انقطع ماؤه فاجراه
الله لمريم والنهر يسمى سريا لان الماء يسري فيه قال الشاعر

• سهل الخليقة ماجد ذو نائل • مثل السري تمد الانهار •

وقيل هو عيسى
والسري من الرجال العظيم الخصال السيد **وهزي اليك بجذع النخلة** اي
اميليه اليك والباء مزيدة للتاكيد كما يقال اخذ بالزمام وقال تعالى ولا تلقوا

يؤيدكم الى التهلكه وقيل هي محمولة على المعنى والتقدير هزي الثمرة بالجذع اي
انفضي او افعلي الهز امرها بهز الجذع اليابس لترى اية اخرى في احيا بموات الجذع
تساقط اصله تتساقط ادغمت التا الثانية في السين وقرئ بحذفها عليك
رطبا جنيا تمييز او مفعول بالهزي اذا هززت الجذع هززت نهزه رطبا جنيا
وجنيا معناه قد طاب وصلح للاجتنا قال مجاهد كان معجوة قال ابن عباس كان جذعا
نخرا فلما هزته نظرت الى اعلى الجذع فاذا السعف قد طلع ثم نظرت الى الطلع قد
خرج من بين السعف ثم اخضر فصار زهوا ثم رطبا كل ذلك في
طرفة عين فجعل الرطب يقع بين يديها لا ينشدخ منه شي وقد كانت مريم قبل
ولادة عيسى يأتيها رزقها من غير تكسب فلما ولدت عيسى وتعلق قلبها بحبه
واشتغل سرها بجديته وامره وكلها الى كسبها ورد ها الى العادة بالتعلق بالاسبا
وروي ان الوقت كان شتا فجعل الله تلك المعجزه تسكينا لها وتنبيها لمن رآها على
ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتا قدر ان يجعلها تلد من غير فحل ولما
في ذلك من الدلالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يكون لمن يرتكب الفواحش
فائدة قال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندي خير من الرطب لهذه الاية ولو
علم الله شيا هو افضل من الرطب للنفسا لاطعمه مريم وقيل اذا عسر ولادها
لم يكن لها خير من الرطب والاهليلج خير من العسل ذكره الزمخشري فكلي
واشربي اي من الرطب ومن السري او من الرطب وعصيره وقرئ بالفتح
عينا اي وطيبي نفسك برؤية الولد وارفضي عنك ما اجد بك وقرئ بالكسر
وهو لغة واشتقاقه من القرار فان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت
اليه من النظر الى غيره او من القر وهو البرد فان دمعة السرور باردة
ودمعة الحزن حارة وقيل المعنى نامي حضها على الاكل والشرب والنوم قال

ابو

ابو عمرو اقر الله عينه اي نام عينه واذهب سهره وعينا نصب على التمييز
حول عن الفاعل اي لتقر عينك فاما ترين من البشر احدا اي فان ترى
+ ادميا واصل ترين ترأيين حذفت الهمزة كما حذفت من ترى ونقلت
فتحتها الى الياء فصارت ترأيين ثم قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
فاجتمع ساكنان فحذفت الالف لالتقا الساكنين ثم حذفت النون للجزم لان ان
حرف شرط وما صله فبقي ترئ ثم دخله نون التوكيد وهي مثقلة فكسرت يا
التاييث لالتقا الساكنين فقولي جواب الشرط وفيه اضمار اي فسالك عن
ولدك فقولي اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا وقيل هو الصوم المعروف
وكان يلزمهم الصمت بوم الصوم الا بالاشاره فلن اكلم اليوم انسيا بعد ذلك
اي اكلم الملائكة دون الانس ومعنى الاية ان الله تعالى امرها على لسان جبريل او
ابنها بان تمسك عن مخاطبة البشر وتحيل على ابنها وذلك ليرتفع عنها تهمتها
وتتبين الاية فيقوم عذرها وظاهر الاية انها ايحي لها ان تقول هذه الالفاظ التي
في الاية وهو قول الجمهور وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة لا بالكلام وامرها
بذلك لكراهة المجادلة والاكتفا بكلام عيسى فانه قاطع في قطع الطاعن قال
الزمخشري امرها الله ان تنذر الصوم لمعنيين احدهما ان عيسى يكفيها الكلام عما
يجري به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفها وفيه ان السكوت عن السفيه
واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها فاتت به قومها راجعة اليهم
بعد ما طهرت من النفاس تحمله حال اي حاملة اياه فلما راوه قالوا يا مريم لقد
جئت شيا فريا اي بامر عظيم وقيل فريا مفتعلا وقال ابو عبيد الفري
العجب النادر وقيل منكرا قال السدي لما اتت به قومها تسامح بذلك بنو اسرائيل
فاجتمع نساؤهم ورجالهم فمدت امراة يدها اليها لتضربها فاجف الله شطرها

وقال اخرما اراها الا زنت فاخرسه الله فتحاماها الناس وقالوا يا اخت هارون
يعنون هارون النبي والمعنى من كنا نظنها مثله في العبادة وقيل كانت من
نسله فنسبت اليه بالاخوة لانها من ولده كما يقال للتميمي يا اخا تميم وكان بينهما
الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح وكان في زمانهم شبهوها به في العفة او
تهكما ما كان ابوك امرء سوء وما كانت امك بغيا زانية وهو تقرير لان
ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش والمعنى ما كان
ابوك ولا امك اهلا لهذه الفعلة فكيف جئت انت بها فاشارت لهم اليه اي الى
عيسى ان كلموه ليجيبكم روي انهم لما اشارت اليه قالوا استخفافا بنا اتشد علينا
من زنا هاتم قالوا لها على جهة التقرير كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم
نعهد صبيا كلمه في المهد عاقل وكان زائدة والظرف صلة مر وصبيا حال من المستكن
فيه وقيل كان بمعنى هو وقيل بمعنى الوجود والحدوث ابن الانباري الصحيح ان من
في معنى الجزا وكان بمعنى يكون والتقدير من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه كما
تقول كيف من لا يقبل عطية والمهد هنا سرير وقيل حجر الام فلما سمع عيسى كلامهم
وكان يرضع ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكا على سريره واشار اليهم بسبابته
اليمنى وقال اني عبد الله انطقه الله به اولا لانه اول المقامات وللرد على من
يزعم ربوبيته اتاني الكتاب اي الانجيل قيل اتاه الله في تلك الحال الكتاب
وفهمه وعلمه كما علم ادم الاسما وقيل خرج من بطن امه وهو يحفظ التوراة
وقيل المعنى حكم لي بايتا الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اي ذا بركات
ومنافع في الدين والدعا اليه ومعلما له وقيل آمرا بالمعروف وأنهى عن
المنكر وابصر الضال وأنصر المظلوم وأغيث الملهوف اينما كنت اي
حيث كنت والتعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل

المحقق

المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا واوصاني اي
امرني بالصلاة والزكاة اي زكاة المال عند وجود شرطه والمعنى امرني
ان اودّيهما اذا ادركني التكليف وقيل اراد بالزكاة تطهير النفس والاول اولى
لم يزل لا بسا كسا ولا مال له حتى رفع الى السما ما دمت حيا اي دوام حياتي
وبرا بوالدتي اي بارا بها وهو عطف على مباركا قال ابو حنيفة جعل ذاته برا
لفرط برّه وقال ابن عباس لما قال وبرا بوالدتي علم انه شي من جهة الله ولم يجعلني
جبارا اي متكبرا يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذي لا يرى لاحد عليه
حقا شقيا اي خائبا من الخير ابن عباس عاقا وقيل عاصيا وقيل الشقي الذي يدخل
ولا يتوب وروي ان عيسى انما تكلم في طفوليته بهذه الاية ثم عاد الى حالة الاطفال
حتى مشى على عادة البشر فكان نطقه اظهار براءة لانه كان ممن يعقل في تلك
الحالة وهو كما ينطق الله الجوارح يوم القيامة والسلام علي يوم ولدت ويوم
اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى والمعنى وذلك السلام الموجه الى
يحيى في المواطن الثلاث موجه الي فالتعريف للعهد والاظهر انه للجنس وفي هذا
السلام تعريض باللعن على اعدايه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان
ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب
على من كذب وتولى قال الله تعالى ذلك عيسى بن مريم اي الذي تقدم نعته
هو عيسى بن مريم لا ما تصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على
الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله الموصوف باضداد ما يصفونه
قول الحق خبر محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان
وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرى بالنصب على
انه مصدر مؤكد وقيل مدح وقيل اغرا الذي من نعت عيسى فيه يمترون

اي يشكون في امره وقيل يختلفون وقيل يتنازعون فقالت اليهود ساحر لغير رشده
ابن يوسف النجار وقالت النصارى ابن الله وقرى بالتا على الخطاب **ما كان لله**
اي ما ينبغي له **ان يتخذ من ولد** من صلة اي ما كان من صفته اتخاذ الولد ثم
تره نفسه عن مقالهم فقال **سبحانه** ان يكون له ولد **اذا قضى امرا فانما يقول**
له كن فيكون تبكيت لهم بان من اراد شيا اوجده بكن فكان منزها من شبه الخلق
والحاجة الى اتخاذ الولد وقرى فيكون بالنصب على الجواب وبالرفع بتقدير هو
ومن ذلك خلق عيسى من غير اب **وان الله ربي وربكم** قرى بكسر ان على الاستيناف
او عطفا على قال اني عبد الله وقرى بالنصب عطفا على الصلاة فهو في موضع خفض
ومذهب الخليل وسيبويه ان المعنى ولان الله ربي وربكم واجاز الكسائي ان يكون
في موضع رفع بمعنى والامر ان الله ربي وربكم وقيل بالفتح بتقدير لاذكروا بالكسر
بتقدير قل بدليل قوله ما قلت لهم الاية **فاعبدوه هذا** المذكور **صراط مستقيم**
اي دين قويم لا اعوجاج فيه مؤد الى الجنة **فاختلف الاحزاب من بينهم** من
زائدة يعني اليهود والنصارى فقالت اليهود ساحر وقد حوا فيه وقالت النصارى
ابن الله او فرق النصارى نسطورية قالت انه ابن الله ويعقوبية قالت هو الله
هبط الى الارض ثم صعد الى السما وملكية قالت هو ثالث ثلاثة فافرطت
النصارى وغلت وفرطت اليهود وقصرت وقال ابن عباس المراد بالاحزاب
الذين تحزبوا على النبي صلى الله عليه وسلم وكذبوه من المشركين **فويل** شدة
عذاب **للذين كفروا من مشهد يوم عظيم** اي شهود يوم وهوله وهو
وحسابه وهو يوم القيامة او المعنى من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو
ان تشهد عليهم الملائكة فيه والانبيا والشرايع بالكفر والفسوق ومن
وقت الشهادة او مكانها وقيل هو ما شهد وابه في عيسى وامه اي فويل

للذين

للذين كفروا من حضورهم المشهد العظيم الذي اجتمعوا فيه للتشاور فاجمعوا
على الكفر بالله وقولهم ان الله ثالث ثلاثة **اسمع بهم** الباء زائدة للتوكيد **وابصر**
بهم هذا تعجيب والمعنى ان استماعهم وابصارهم **يوم ياتوننا** يعني يوم القيامة
جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا قال ابو العباس المعرب
تقول هذا في موضع التعجيب اي لا احد اسمع منهم ولا ابصر يوم القيامة حين
الله تعالى لعيسى انت قلت للناس اتخذوني والاية وقيل غير ذلك والجار والمجرور
في موضع الرفع **لكن الظالمون اليوم** اي في الدنيا **في ضلال مبين** اوقع الظالمين
موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم
وسجل عليهم اغفالهم بانه ضلال مبين واي ضلال ابين من ان يعتقد المرئي شخص
مثله حملته الارحام وياكل ويشرب ويحدث ويحتاج انه اله ومن هذا وصفه
فهو اصم واعمى ولكن سيبصر ويسمع يوم القيامة حيث لا ينفعه ذلك **وانذرهم**
اي خوف يا محمد كفار مكة **يوم الحسرة** يوم القيامة تحسر فيه المسي على ترك
الاحسان في الدنيا وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال ما من احد يدخل النار الا
وله بيت في الجنة فيتحسر عليه وقيل تقع الحسرة اذا اعطي كتابه بشماله **اذ قضى**
الامر اي قضي لهم فيه بالعذاب او فرغ من الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار وفي الحديث حين يذبح الكبش والفريقان ينظران واذ بدل من
اليوم او ظرف للحسرة **وهم** في الدنيا **في غفلة** عنه **وهم لا يومنون** به حال
متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او باتذرهم اي غافلين
غير يومنين فتكون حالا متضمنة للتعليل **انا نحن** تاكيد **نرث الارض**
ومن عليها من العقلا وغيرهم باهلاكهم فلا يبقى احد غيرنا **والينا يرجعون**
اي يردون الى الجزا **واذكر** لهم **في الكتاب ابراهيم** اي الذي انزل عليك

وهو القران قصة ابراهيم انه كان صديقا اي ملازما للصدق كثير التصديق
لكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله نبيا استنبأه الله
اذ قال بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلقا بكان لابيه ازر يا ابت
التا معوضة من يا الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتى ويقال يا ابتا وانما لم
يسم للاستعطاف ولذلك كررها وكان يعبد الاصنام لم تعبد ما لا يسمع ولا
يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك وهو يريد الاصنام ولا
يغنى عنك شيا فى جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج
عليه ابلغ احتجاج وارشقه برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب
العلة التى تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويابى الركون اليه
فضلا من عبادته التى هى غاية التسفل ولا يحق الالمن له الاستغنا التام
والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيى المميت المعاقب المثيب ونبه على ان
العاقل ينبغى له ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشى لو كان حيا سميعا بصيرا
مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لا يستنكف العقل القويم عن عبادته وان
كان اشرف الخلق كالملائكة والانبيا لما يراه مثله فى الحاجة والانقياد للقدرة
فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم
والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهى مستقلا بالنظر السوى فقال
يا ابت انى قد جانى من العلم ما لم يات ك فاتبعنى اهدك صراطا طريقا
سويا مستقيما اى جانى من اليقين والمعرفة بالله وما يكون بعد الموت وان
من عبد غير الله عذب ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل
جعل نفسه كرفيق له فى مسير يكون اعرف بالطريق يا ابت لا تعبد الشيطان
اى لا تطعه فى عبادة الاصنام استجن ذلك وبين وجه الضرفيه بان الشيطان

مستعص

مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا كثير
العصيان وكان صلة وقيل بمعنى صار ومعلوم ان المطاوع للعاصى عاص وكل عاص
حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره
اليه فقال يا ابت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن ان لم تتب فتكون
للشيطان وليا اى قرينا فى اللعن او فى العذاب تليه ويليك قال اراغب انت عن
الهتى يا ابراهيم فتعيبها ابدل استعطافه ولطفه بالارشاد بالقطاظة والعناد
فناداه باسمه ولم يقل بدل يا ابت يا بنى واخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره
بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم
هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها والرغبة عنها لارجمنك باللسان يعنى
الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد منى واهجرنى عطف على ما دل عليه
لارجمنك اى فاحذرنى واهجرنى مليا اى زمانا طويلا او مليا بالذهاب عنى قال
سلام عليك ليس هذا سلام تحية عند الجمهور وانما هو توديع ومتاركة ومقابلة
للسيئة بالحسنة اى لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يوذيك ولكن سا ستغفر
لك ربى لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعا
التوفيق لما يوجب مغفرته انه كان بى حفيا اى بليغا فى البر والالطاف قيل
وقد وفى بوعده المذكور فى سورة الشعرا بقوله واغفر لابى وهذا قبل ان يبين له
انه عدو لله كما ذكر فى براة واعتزلكم وما تدعون من دون الله
بالمهاجرة بدينى وادعو ربى اى اعبده وحده عسى ان لا اكون بدعا ربى
شقيا اى خائبا ضائع السعى متلكم فى دعا الهتكم وفى تصدير الكلام بعسى
معنى التواضع وهضم النفس وتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب
وان ملاك الامر خاتمته وهو عيب وقيل اراد بهذا الدعا ان يهب الله له اهلا

وولد احتى لا يستوحش بالاعتزال من قومه ولهذا قال فلما اعتزلهم وما يعبدون
من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحاق ويعقوب بدل من فارقهم من
الكفرة وقيل انه لما قصد الشام اتى اولا حوران وتزوج بسارة وولدت له اسحاق
وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبيا اولانه اراد ان
يذكر اسماعيل بفضله على الانفراد وكلا جعلنا نبيا اي وكلا منهما او منهم وو
لهم من رحمتنا النبوة والاموال والاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا بفتحتين
بهم الناس ويثنون عليهم احسن الثنا استجابة لقوله واجعل لي لسان صدق في
الاخرين والمراد باللسان ما يوجد به واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة
على انهم احقا بما يثنون وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل
الملل واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا بالكسر اي موحدا الخلص عبادته
عن الشرك والرياء او اسلم وجهه واخلص نفسه عما سواه وقرى بالفتح على ان الله
اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانبأ عنه ولذلك قدم رسولا مع
انه اخص واعلى وناديناه اي كلمناه بقول يا موسى اني انا الله من جانب الطور
اسم جبل الايمن اي من ناحية اليمن من اليمين وهي التي تلي يمين موسى حين اقبل
من مدين او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة وكان
ذلك ليلة الجمعة وقربناه نجيا تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته
نجيا اي مناجيا بان اسمعه الله تعالى كلامه وهو حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا
من النجو وهو الارتفاع ابن عباس ادنى حتى سمع صريف القلم ووهبنا له من
رحمتنا اي من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه اي معاضدة لاخيه وموازرته
اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول
اوبدل هارون عطف بيان نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسماعيل انه

كان

كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشيا في هذا
الكتاب لم يعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني ان
شا الله من الصابرين فوفى وقيل انه وعد رجلا ليلقاه فانتظره سنة وكان رسولا
الى جرهم نبيا هذا يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد
ابراهيم كانوا على شريعته وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة اشتغالا بالاهم
وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال تعالى وانذر
عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلاة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته
فان الانبيا آبا الامم وكان عند ربه مرضيا لاستقامة احواله وافعاله واصله
مرضوو واقلبت الواو ان يا آبن والضمة كسرة واذكر في الكتاب ادريس
قال ابن اسحاق وهو اول بني ادم اعطي النبوة وهو اخنوخ بن يرد بن مهلاييل بن
قينان بن انوشن بن شيث بن ادم وهو اسم سرياني وقيل عربي مشتق من الدراسة
لكثرة دراسة الصحف ويقال انه جد ابي نوح وروى انه الله تعالى انزل عليه ثلاثين
صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب وخاط الثياب ولبسها
وكانوا قبل يلبسون الجلود وكان ابيض طويلا اضخم البطن عريض الصدر وكانت احدى
عينيه اعظم من الاخرى انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف
النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة قاله الحسن ادخلها بعد ان اذيق الموت واحيي ولم
يخرج منها وقيل السما السادسة او الرابعة قاله انس وذلك انه لما راى جور اهل الارض
واعتداهم في امر الله رفعه الله قال ابن قتيبة رفع وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة اولئك
اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع
النعم الدينية والدنياوية من النبيين من ذرية ادم بيان للموصول بدل
منه باعادة الجار ويجوز ان تكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبيا والخص

من الذرية وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا
ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم الباقون
واسرائيل عطف على ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وكان منهم موسى
وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية ومن
هدينا اي ومن جملة من هديناه الى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم
ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر اولئك ان جعلت الموصول صفته واستيناف
ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واجابتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف
النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز وجل اي فكونوا مثلهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك واصل بكي بكوي قلبت الواو ياء
والضمة كسرة فخلف من بعدهم خلف منهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال لخلف صدق
بالفتح ولخلف سوء بالفتح قيل هم النصارى بعد اليهود وقيل هم قوم من هذه الامة في
آخر الزمان اضاعوا الصلاة المفروضة اي تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا
الشهوات ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود اضاعوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمور ولعلوا نكاح
الاخت من الاب وقيل هو الانهماك في المعاصي وعن علي رضي الله عنه واتبعوا الشهوات
من بنا المشيد وركوب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا اي شرا او ضلالا
او خيبة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه اودية يقعون فيه الا لكن من تاب
وامن وعمل صالحا يدل على ان الاية في الكفرة فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون
شيئا اي ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه
تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة
بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وعدن علم لانه المضاف اليه في
العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة التي وعد الرحمن عباده بالغيب حال اي وعدها

ايام

اياهم وهي غائبة عنهم اوهم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب انه اي
الموعود الذي هو الجنة
الله كان وعده مأتيا يأتيها اهلها الموعود لهم لامحالة وقيل هو مفعول من
الاتيان وكلما وصل اليك فقد وصلت اليه وقيل المعنى آتيا مفعول بمعنى فاعل
لا يسمعون فيها لغوا اي فضول الكلام الا سلاما بتسليم الملائكة عليهم او
تسليم بعضهم على بعض وهو استثنا منقطع او على معنى ان التسليم ان كان
لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب او على ان المعنى الدعا بالسلامة واهلها
اغنيا عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها
بكرة وعشيا اي في قدر هذين الوقتين ولا بكرة ولا عشيا اذ ليس في الجنة
نهار ولا ليل بل ضوء ونور ابدا قال يحيى بن كثير كانت العرب في زمانها من وجد
غدا وعشيا فذلك هو الناعم وقيل المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي
نورث نعطي من عبادنا من كان تقيا بطاعته وقرئ نورث بالتشديد استعارة
اي يبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل
في التملك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال رد
واسقاط وقيل نورث المتقين من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار زيادة
لاكرامهم وما نتنزل الا بامر ربك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لجبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت اي قال الله قل يا جبريل وما
نتنزل الا بامر ربك وهذا يحتمل وجهين احدهما انا اذا امرنا نزلنا عليك الثاني
اذا امرك ربك نزلنا عليك وقيل هو حكاية جبريل حين استبطاه النبي صلى الله
عليه وسلم لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح وابطأ
عليه خمسة عشر يوما او اربعين له ما بين ايدينا اما منا من امر الاخرة

وما خلفنا من امور الدنيا وما بين ذلك اي وما نحن فيه من الاماكن والاحايين
لا ينتقل من مكان الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيته
وقيل المعنى له ما بين ايدينا اي ما مضى امامنا من امر الدنيا وما خلفنا اي ما يكون
بعدها من امر الدنيا وامر الاخرة وما بين ذلك البرزخ وقيل ما بين ايدينا اي ما بين ذلك
ما كان قبل ان نخلق وما خلفنا ما يكون بعد ان نموت وما يكون بعد خلقنا الى
ان نموت والمعنى له علم ذلك جميعه ولم يقل ما بين ذينك لان المراد ما بين ما ذكرنا
وما كان ربك نسيا اي تاركا لك اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر ولم يكن
ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه
وقيل اول الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما تنزل الجنة الا
بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة وقوله وما كان
ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم
من الثواب عليها وقوله رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع
النسيان عليه وهو خبر مبتدا محذوف او بدل من ربك وصيغة المبالغة وغيرها
في صفة الله تعالى سواء في الاثبات فجرى في النفي على ذلك ولما في نسيا من مناسبة
رؤس الاى فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم مرتب
عليه اى لما عرفت ان ربك لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته
واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات
للعباده فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كما تقول للمحارب اصطبر لقرنك
هل تعلم له سميا اي مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى الله فان المشركين وان
سموا الصنم الهالم يسموه الله وذلك لظهور احديته وتعالت ذاته عن المماثله
وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد الا

التسليم

التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها وقال ابن عباس
هل تعلم له سميا اي ولدا قال الشاعر اما السمي فانت فيه مكثر والمال فيه تعتدى وترزح
ويقول الانسان المنكر للبعث والمراد به الجنس فان المقول مقول فيما بينهم
وان لم يقل كلهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية
ففتتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت وقيل نزلت في الوليد بن المغيره اذا
بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وادخال الف بينهما بوجهيها وبين الاخرى ما مت
لسوف اخرج حيا من الارض ومن حال الموت كما يقول محمد والاستفهام بمعنى النفي
اي لا اجيء بعد الموت وما زائدة واللام للتاكيد كانه قيل له اذا مت لسوف تبعث حيا
فقال اذا ما مت لسوف اخرج حيا قال ذلك منكرا فجات اللام في الجواب كما كانت في القول
الاول ولو كان مبتدا لم تدخل اللام لانها للتاكيد والايجاب وهو منكر للبعث فتركت
الاية على ذلك حكاية لقوله وقيل اللام زائدة اولا يذكر الانسان اي هذا القائل واصله
يتذكر ابدلت التاء الا واد غمت في الذال وقرى بتركه وسكون الذال وضم الكاف انا
خلقناه من قبل اي من قبل سواله وتوله هذا القول ولم يك شيا بل كان عدما
صرفا فيستدل بالابتداء على الاعادة فوربك لنحشرنهم اي المنكرين للبعث اقسم باسمه
مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول صلى الله عليه وسلم والشياطين
عطف او مفعول معه لما روى ان الكفرة تحشر ون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم
كل كافر مع شيطانه في سلسلة ثم لنحضرنهم حول جهنم يجوز ان يكونوا داخلها كما
تقول جلس القوم حول البيت اي داخله محدقين به ويجوز ان يكونوا قبل ان يدخلوها
جمع جاث اصله جثوو او جثوي من جثا يجثو ويجثي لغتان وهو اى على ركبهم لما
روي من هول المطلع واهل الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثيه على المعتاد
في مواقف التقاول وان كان المراد الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطي

جهنم اهانة لهم ولعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة ابن عباس جثيا جماعات
مقاتل جمعا جمعا فاهل الخمر على حدة واهل الزنا على حدة وهكذا ثم لننزعن اي
لنستخرجن من كل شيعة اي من كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا
جراة اي من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى
يعفو عن كثير من اهل العصيان وايهم مبني على الضم عند سيبويه لانحقه ان يبنى
كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على بعض وكل للزوم الاضافة قال الخليل وحكاه عنه
سيبويه انه مرفوع على الحكاية والمعنى ثم لننزعن من كل شيعة الذي يقال من اجل عتو
ايهم اشد على الرحمن عتيا النحاس ورايت ابا اسحاق يختار هذا القول ويستحسنه قال
لانه بمعنى قول اهل التفسير وزعم ان معنى من كل شيعة اي من كل فرقة الاعتى فالاعتى
كانه يبدا بالتعذيب باشدهم عتيا ثم الذي يليه وقيل غير ذلك ثم لنحن اعلم بالذين
هم اولى بها صليا احقا قا اي لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي وصليهم اولى بالنار
وهم المنزوعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا روسا الشيخ فان عذابهم مضاعف
لضلالهم واضلالهم واصله صلوى من صلي بكسر اللام وفتحها وان منكم الا واردها
اي وما منكم احد وهو التفات الى الانسان ويويده انه قرى وان منهم الا واردها وهو
قسم والواو يتضمنه ويفسره حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين
ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم واختلف في الورود فقيل الدخول وقالت
فرقة الورود المر على الصراط فانه ممدود عليها وقالت فرقة هو ورود اشراف واطلاع
وقرب بجاهد ورود المومنين هو الحمى التي تصيب المومن في دار الدنيا وهي حظ المومن
من النار فلا يردها وقيل هو النظر اليها في القبر وعن ابن عباس ان هذا خطاب للكفار قال
الاكثر المخاطب العالم كله ولابد من ورود الجميع وعن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المومن بردا وسلاما كما كانت

على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردهم وعن جابر ايضا انه صلى الله عليه وسلم
سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض البس قد وعدنا ربنا
ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله اولئك عنها مبعدون
فالمراد من عذابها كان على ربك حتما مقضيا اي ورودهم واجبا اوجبه الله على
نفسه وقضى به لا يتركه ابن مسعود قسما واجبا ثم ننجي الذين اتقوا الشرك
والكفر منها ونذر الظالمين بالشرك والكفر فيها جثيا منهارة بهم كما كانوا وهو
دليل على ان المراد بالورود الجثو حوليها وان المومنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد
نجاتهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم واذا تتلى عليهم اي المومنين والكافرين
اياتنا القران بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بانفسها او ببيان الرسول
او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين امنوا اي لاجلهم او معهم اي الفريقين
اي المومنين والكافرين او المعنى نحن وانتم خير مقاما بالفتح موضع قيام او مكانا وقرى
بالضم اي موضع اقامة واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والنادي يجتمع القوم يتحدثون
فيه والمعنى انهم لما سمعوا الايات الواضحات وعجزوا عن معارضتها اخذوا في الافتخار بما
لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بها على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم وعلمهم
بظاهر من الحياة الدنيا فقالوا اما بالنا ان كنا على باطل الكثر اموالا واعز نفرا وغرضهم
ادخال الشبه على المستضعفين وايهامهم ان من كثر ماله دل ذلك على انه المحق في دينه
وكانهم لم يروا في الكفار فقيرا ولا في المسلمين غنيا والذين كفروا مشركو قريش النضر بن الحارث
واضرابه والذين امنوا فقراء اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي
عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنونها ويلبسون
حيار ثيابهم فرد الله عليهم مع التهديد بقوله وكم اي كثيرا اهلكنا قبلهم من قرن
هم احسن اثاثا ورئيا كم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا

لانه يتقدم من بعدهم والمراد بالقرن الامة والجماعة والاثاث المتاع الكثير
والاثاث متاع البيت وقيل ما جد منه والرى المنظر الحسن وهو بالهمز من الروية
وقرى بالتشديد من غير همز من الرى الذى هو ضد العطش لانه يوجب حسن
البشرة فكما اهلكناهم بكفرهم نهلك هؤلاء بين ان تمتعهم استدراج وليس بالكرام
بقوله قل من كان فى الضلالة شرط وجوابه فليمدد له الرحمن مدا اى يمده
ويمهله بطول العمر والتمتع ويديعه فى طغيان جهله وكفره فلفظه لفظ الامر
ومعناه الخبر وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغى دفعا لمعاذيره
كقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ولان الامر بمعنى الخبر ابلغ من الخبر لتضمنه
اللزوم حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود
فانه اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم قتلا واسرا واما يوم
القيامة وما ينالهم فيه من الخزى والنكال وقال راوا الان لفظ من يصلح للواحد
والجمع واذا مع الماضى بمعنى المستقبل فسيعلمون اذا راوا ذلك من هو شر
مكانا اى منزلا واضعف جندا اى ناصرا وذلك اذا عاينوا الامر على عكس ما قدروه
وعادوا متحوابه خذلانا ووبالا عليهم وقابل بقوله واضعف جندا الحسن بذيا
من حيث ان حسن النادى باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم
واستظهارهم وجند الكفار الشياطين وجند المومنين الملائكه ويزيد الله الذين
اهتدوا بالايمان هدى اى ويثبت الله المومنين على الهدى ويزيدهم فى البصيرة
بما ينزل عليهم من الايات وهو عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين
ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ
المومن منها ليس لنقصه بل لان الله تعالى اراد به ما هو خير وعوضه منه وقيل
عطف على فليمدد لانه فى معنى الخبر كانه قيل من كان فى الضلالة يمدد له ويزيد

المقابل له هداية والباقيات الصالحات التى يبقى عائدها ابد الآباد ويدخل
فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
خير عند ربك ثوابا اى عائدة مما متع به الكفرة من النعم الفانية التى يفتخرون
بها سيما وما لها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه
بقوله وخير مردا اى ما يرد اليه ويرجع خلاف اعمال الكفار والخيرية هنا
اما لمجرد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتا اى ابلغ فى حره منه فى
برده او هو فى مقابلة قولهم اى الفريقين خير مقاما افرايت الذى كفر بايتنا
وقال لاوتين مالا وولدا نزلت فى العاص بن وائل كان لخباب عليه مال
فتقاضاه منه فقال له لا اقضيك حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا
ولا ميتا ولا حين تبعث قال وانى لمبعوث من بعد الموت فسوف اقضيك اذا بعثت
وجئتنى فيكون لى مال وولد فاعطيك والمعنى لاوتين فى الجنة على زعمكم ولما كان
الرويه اقوى مستند الاخبار استعمل الرايت بمعنى الاخبار والفا على اصلها والمعنى
اخبر بقصة هذا الكافر عقب حديث اولئك اطلع الغيب اى قد بلغ من عظمه
متانة الى ان ارتقى الى ان علم الغيب الذى توحد به الواحد القهار حتى ادعى
انه يوتى فى الاخرة مالا وولدا ابن عباس انظر فى اللوح المحفوظ واستغنى بهمزة
الاستفهام عن همزة الوصل فحذفت ام اتخذ عند الرحمن عهدا اى او اتخذ من
عالم الغيب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين فبايهما
توصل الى ذلك وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب
عليهما كالعهد عليه كلا لا يوتى ذلك وهى كلمة ردع وتنبيه على انه محظى بما
يصوره لنفسه سنكتب ما يقول اى سيظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قول
الشاعر، اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة، اى تبين انى لم تلدنى لئيمة او المعنى

ناس من يكتب اوسنتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه لان
نفس الكتابة لاتتاخر عن القول لقوله مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
ونمد له من العذاب مدا اي ونطول له من العذاب مايزيد في عذابه ويضاعف
له لكفره واقتراحه واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط
غضبه عليه ونرثه بموته مايقول يعني المال والولد ابن عطية مايقول
اي هذه الاشيا التي سمى ان يوتاها النحاس بمعناه نحفظه عليه لنعاقبه ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم العلما ورثة الانبيا اي حفظة ماقالوا ويانينا يوم القيامة
فردا لايصحبه مال ولاولد كان له في الدنيا فضلا اذ يوتى ثم زائدا وقيل فردا
رافضا هذا القول منفردا عنه وقيل نحرمه ماتمناه في الاخرة من مال وولد ونجعله
لغيره من المسلمين واتخذوا اي كفار مكة من دون الله الهة يعبدونهم ليكونوا
لهم عزا اي اعوانا ومنعة وقيل شفعا في الاخرة وظاهر الكلام ان عزا راجع الى
الالهة وهي الاصنام ووحد لانه بمعنى المصدر اي لينالوا بها العز ويمتنعوا بها
من عذاب الله فقال الله تعالى كلا ردع وانكار لتعززهم بها اي ليس الامر كما
زعموا بل سيكفرون بعبادتهم اي ستجحد الالهة عبادتهم وتقول ماعبدتمونا
لقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وذلك لان الاصنام جمادات لاتعلم
العبادة وقيل ان المشركين ينكرون عبادة الاصنام لسوا العاقبة لقوله ثم لم
تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ماكنا مشركين ويكونون اي الاصنام عليهم
ضدا اي اعوانا في خصومتهم وتكذبهم الضحاك يكونون لهم اعدا وقيل انها
تكون معونة في عذابهم بان توقد بها نيران وضدا واحد في معنى الجمع لان
جميعهم في حكم واحد متفقون على الاضلال وهو في مقابلة عزا والمعنى يجيبهم منهم
خلاف ماكانوا املوا فيؤول بهم ذلك الى الذلة الم تر انا ارسلنا الشياطين على

الكافرين

الكافرين اي سلطناهم عليهم بالاغوا او قيضناهم لهم قرنا وقيل خليناهم بينهم وبينهم
وتعديته بعلى يدل للاول تؤزهم ازا ابن عباس تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى
المعصية وعنه تغريهم اغرا بالشر امض امضا حتى توقعهم في النار وقيل تقلقهم
وقال ابن زيد تشليهم اشلا واصله الحركة والغليان ومنه الخبر المروي انه
صلى الله عليه وسلم كان اذا قام الى الصلاة قام لجوفه ازيز كازيز المرجل من البكا
والمراد تعجيب النبي صلى الله عليه وسلم من اقاويل الكفرة وتماديهم في الغي
وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على مانطقت به الايات المتقدمة فلا
تعجل عليهم اي لاتطلب اهلاكهم حتى تستريح انت والمومنون من شرورهم
وتطهر الارض من فسادهم انما نعد لهم ايام آجالهم عدا وقال الضحاك الانفاس
وقيل الخطرات او اللحظات وعن ابي العباس انه كان عند المامون وقرأها
فقال ان كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ماتنفد والمعنى لاتعجل
بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة اذكر يوم نحشر
المتقين بايمانهم اي يجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار
هذا الاسم في هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام فيها التعداد بنعمه
الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وفي الكلام حذف اي الى جنة
الرحمن ودار كرامته وفدا اي وافدين كما تفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم
وانعامهم وفي التفسير وفدا ركبانا على نجائب ظاعاتهم ووحده لانه مصدر ونسوق
المجرمين بكفرهم كما تساق البهائم الى جهنم وردا اي عطاشا والسوق الحث
على المسير وفي التفسير مشاة عطاشا تقطع اعناقهم من العطش لايملكون
الشفاعة الضمير للعباد المدلول عليه بذكر القسمين قيل وهو الناصب ليوم
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا اي الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل ان

يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الامن اتخذ من الله اذنا
فيها لقوله ولا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى بكذا
اذا امره به قيل والعهد شهادة ان لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله ومحله الرفع
على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اي الا شفاعة من اتخذ او على الاستثنا
وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا تكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ترجى
يستعد به ان يشفع له بالاسلام **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا** القائل اليهود والنصا
ومن زعم ان الملائكة بنات الله قال تعالى **لقد جئتم شيئا إدّا** على الالتفات للمبا
في الذم والتسجيل عليهم بالجراة على الله تعالى والادّ بالفتح والكسر العظيم المنكر
والادّ ايضا اعظم الدواهي **تكاد السموات يتفطرن منه** اي يتشققن مرة
بعد اخرى **وتنشق الارض** اي تنخسف بهم **وتخر الجبال هدا** اي تهدّا او
مهدودة او تنطبق عليهم وقيل هدها تسقط بصوت شديد وهو تقرير لكونه
ادّا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة
لم تتحملها هذه الاجرام العظام من شدتها **ان دعوا للرحمن ولدا** يحتمل النصب
على العلة لتكاد وهذا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او
بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره الموجب لذلك
ان دعوا ودعوا بمعنى سموا وهو يتعدى الى مفعولين وانما اقتصر على المفعو
الثاني ليعمم كل ما يدعى له او من يدعى **وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا** اي
لا يليق به اتخاذ الولد لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكمة بصفة الرحمانية
للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدا النعم
كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله **ان**
كل من السموات والارض اي ما منهم **الا آتي الرحمن عبدا** اي الا وهو

مملوك له منقاد ومنهم عزير وعيسى ومن نكره موصوفة وفي السموات صفتها
وات الرحمن خبر كل ووحدانٍ حملا على لفظ كل وقد جمع في موضع اخر على معناها
لقد احصاهم اي حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته
وعدهم عدا اي عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شي عنده بمقدار **وكلهم**
آتيه يوم القيامة فردا اي منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شي من
ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشركه به **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات**
سيجعل لهم الرحمن وُدّا اي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها
وفي الحديث اذا احب الله عبدا يقول لجبريل اني احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل
ثم ينادي في اهل السما ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السما ثم توضع له
المحبة في الارض ووُدا فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله تعالى ودخلت السين
لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعد واذلك اذا جا الاسلام
اولان الموعود في القيامة تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فيتزع ما في صدورهم
من الغل **فانما يسرناه** اي القران **بلسانك** بان انزلناه بلغتك والبا بمعنى على
او على اصله لتضمن يسرنا معنى انزلنا **لتبشر به المتقين** اي الصائرين الى التقوى **لتنذر**
به قوما لدا جمع الدّ وهو الشديد الخصومة وقيل هو الذي لا يقبل
الحق **الحسن اللد الصم** بجاهد الفجار والمعنى بشر به وانذر **وكم** اي كثيرا **اهلكنا قبلهم**
من قرن اي امة من الامم الماضية بتكذيبهم الرسل وهو تخويف للكفرة وتصبير
للرسول على انذارهم **هل تحس منهم من احد** اي هل تشعر باحد منهم وتراه
او تسمع لهم ركزا اي صوتا خفيا لا فكما اهلكنا اولئك نهلك هؤلا واصل
التركيب الخفا ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون

سورة طه مكية بسم الله الرحمن الرحيم

طه الله اعلم بمراده بذلك وقال الصديق رضي الله عنه هو من الاسرار ابن عباس
معناه يا رجل وقيل يا حبيبي وقيل هو اسم من اسمآء الله تعالى وقسم اقسم به وقيل
اسم للنبي صلى الله عليه وسلم سماه الله تعالى به كما سماه محمدا وقيل اسم للسورة وقيل
حروف مقطعه يدل كل حرف منها على معنى فقيل الطا شجرة طوبى والهآ النار
الهاوية كانه اقسم بالجنة والنار وقيل افتتاح اسمه طاهر وطيب والهآ هادي
وقيل من الطهارة والهداية كانه يقول لنبيه يا طاهر من الذنوب يا هادي الخلق
الى علام الغيوب وقيل المعنى طوبى لمن اهتدي وقيل المعنى طاء الارض وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحمل من مشقة الصلاة حتى كادت قدماه تتورم
وتحتاج الى الترويح بين قدميه وقيل اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فقيل له
طاء الارض فالها كناية عن الارض ما انزلنا عليك القران يا محمد لتشقى خبر طه
ان جعلته مبتدا على انه موول بالسورة او القران والقران فيه واقع موقع العائد
وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء واستينافا فان كانت
جملة فعليه او اسمية باضمار مبتدا والمعنى ما انزلنا عليك القران لتتعب بقرط
تاسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او تتعب بكثرة الرياضة وكثرة
التهجد والقيام على ساق والشقا شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض
المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشارة بانه انزل اليه ليسعد
وقيل هو رد وتكذيب للكفرة فانهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك
ديننا وان القران انزل عليك لتشقى به الا تذكرة اي لكن انزلناه تذكيرا
وانتصابها على الاستثنا المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من لتشقى لاختلاف
الجنس لمن يخشى اي لمن في قلبه خشيه ورقه يتاثر بالانذار او لمن علم الله منه
انه يخشى بالتخويف فانه المنتفع به وهو يتضمن الايمان والعمل الصالح اذ الخشية

باعثة

باعثة على ذلك تنزيلا نصب باضمار فعله او على المدح او بدلا من تذكرة ان جعل
حالا او ان جعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لان الشي لا يعلل بنفسه ولا بنوعه
ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده الى قوله له الاسمآء الحسنى تفخيما
لشان المنزل والعلى جمع العليا وبدا بالارض لانه اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات
ثم اشار الى وجه احداث الكاينات وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام
والمقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلقت
به مشيته فقال الرحمن على العرش استوى هو في اللغة سرير الملك استوى
استولى ليليق به له ما في السموات وما في الارض وما بينهما من المخلوقات وما
تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته والثرى الطبقة الترابية من الارض
وهي اخر طبقاتها واصله التراب الندي وهو هنا اسفل القرار ولما كانت القدرة
تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور
وخفاياتها على سواء فقال وان تجهر بالقول في ذكر او دعآء فانه غني عن الجهر به
فانه يعلم السر واخفى يجوز ان يكون واخفى فعلا ومفعوله محذوف اي
واخفى السر عن الخلق وان يكون اسما اي واخفى منه ابن عباس السر ما حدث
الانسان به غيره في خفآء واخفى منه ما اضمر في نفسه وقيل السر ما اضمره الانسا
في نفسه واخفى منه ما لم يكن ولا اضمره احد وقيل غير ذلك فلا تجهد نفسك
الله لا اله الا هو له الاسمآء الحسنى التسعة والتسعون الوارد بها الحديث
وهل اتاك حديث موسى قفى ما تقدم قصة موسى ليتم به في تحمل اعبآء
النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على الشدائد قال اهل المعاني هو استفهام تنبيه
واجاب معناه ليس قد اتاك وقيل معناه وقد اتاك ابن عطية هذا
استفهام توقيف مضمنه تنبيه النفوس الى استماع ما يرد عليها كما تنبه

الرجل اذا اردت اخباره بامر غريب فتقول اعلمت كذا **اذ رأى نارا** ظرف للحديث
او مفعول لاذكر قيل انه استاذن شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه وخرج بأهله
فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتيه مظلمه وكانت ليلة
الجمعة وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا **فقال لاهله**
امرأته **امكثوا** اي اقيموا بمكانكم **انى انست نارا** اي ابصرت وقيل الايناس ابصار
ما يونس **لعلى اتيكم منها بقبس** اي شعلة من النار في رأس عود او فتيلة او جمرة
او اجد على النار هدى اي هاديا يدلني على الطريق او تهديني ابواب الدين فان
افكار الابرار مآئلة اليها في كل ما يعن لهم واتى بلعل لعدم جزمه بالوفاء بالعهد ونبي
الامر في الحصول على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم بان
ليوطنوا انفسهم عليه وعلى بمعنى عند وقيل بمعنى الاستعلاء لان اهل النار مستعلون
عليها **فلما اتاها** اي النار وجد نارا بيضاء تقد في شجرة خضراء وقيل اتاها
الشجرة وهل هي العناب او العليق او العوسج اشهرها الثالث وكانت في شدة
خضرتها والنار مطيفة بها وهي بيضاء لانها كانت نورا وانما توهمه موسى نارا
قاله الاكثر فلما جاءها نودي منها فسمع التسبيح من الملائكة فتحير ثم
نودي يا موسى انى انا ربك قرئ بكسر الالف على اضمار القول او لجرى النداء
مجراه وقرئ بفتحه اي بانى وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما
نودي قال من المتكلم قال انى انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام
شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله لانى سمعته من جميع الجهات وبجميع الاعضاء
وهو اشارة الى انه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل
ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك من غير اختصاص بعضو وجهة
فاخلع نعليك امره بذلك لان الخفوة تواضع وادب ولذلك طاف حافين السلف

دمير

وقيل لنجاسة نعله فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك
من الاهل والمال **انك بالواد المقدس** تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس
المطهر او المبارك **طوى** بدل او عطف بيان قرئ بالتنوين مصروفا على تاويل
المكان وبلا تنوين على تاويل البقعة مع العلمية وهو مستدرك عميق طوى مرتين
قال الحسن ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين وقيل لان موسى طواه بالليل
اذ مر به فهو مصدر عمل فيه ما ليس من لفظه فكانه قال فانك بالواد المقدس
الذي طويته طوى اي تجاوزته فطويته بسيرك وقيل هو كثنى من الطي بمعنى
لتودي او المقدس اي تودى بذا بين او قدس مرتين **وانا اخترتك** اي اصطفيتك
من قومك للنبوة وقرئ اخترناك على الجمع ففيه التفات من افراد الى الجمع **فاستمع**
لما يوحى اي الذي يوحى اليك مني او للوحي **انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني**
بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر
بالعبادة التي هي كمال العمل وذكر ان موسى لما قيل له استمع لما يوحى وقف
على حجر واستند على حجر ووضع يمينه على شماله والقى ذقنه على صدره **واقم**
الصلاة لذكري فيها خصها وافردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها وهو
تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في
الكتب وامرت بها اولان اذكرك بالثنا اولذكري خاصة لا تراءى بها ولا تشوبها
بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري اي مواقيت الصلاة وقيل المعنى اذا نسيت
فتذكرت فصل كما في الخبر من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها ان الله
يقول واقم الصلاة لذكري **ان الساعة آتية** اي كائنة لا محالة **اكاد**
اخفيها اي اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول لها آتية ولولا
ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت بها او اكاد اظهرها

وهي

من اخفاه اذا سلب خفاه ويويده القراءة بالفتح من اخفاه اذا اظهره ابن الانباري
ان الساعة آتية اكاد انقطع الكلام على اكاد وبعده مضمر اي اكاد آتي بها والابتدا
اخفيها لتجزى كل نفس قال الشاعر هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على
عثمان تبكي حلائله اراد وكدت افعل وقيل ان كاد زائدة مؤكدة ومثله اذا اخرج
يده لم يكد يراها وقيل غير ذلك لتجزى فيها كل نفس بما تسعى اي تعمل من خير او
غيره واللام متعلقة بآتية او باخفيها على معنى اظهرها فلا يصدنك عنها اي
لا يصرفنك عن الايمان بالساعة والتصديق بها وقيل المعنى عن الصلاة من لا يومن
بها نهى الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهي موسى ان ينصد عنها كقوله لا ارينك
ها هنا وفيه تنبيه على ان فطرته السليمة لو خليت تحالها لاختارها ولم يعرض عنها
وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب صفة فيه واتبع
هواه اي ميل نفسه الى اللذات المحسوسة ومراده الفاسد فتخالف امر الله فتردى
اي فتهلك ان انصددت عنها وما تلك كائنة بيمينك وقال الفراء والزجاج
هي اسم ناقص وصلت بيمينك اي بما التي بيمينك وقيل تلك بمعنى هذه وهو استفهام
يتضمن استيقاظا للمابريه فيها من العجائب وقال بعضهم الاستفهام للايناس يا موسى
تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه ومقصود السوال تقرير الامر حتى يقول
موسى هي عصاي لتثبت الحجة عليه بعد ما اعترف والا فقد علم الله ما هي في الان
وذلك كقولك لمن يعرف شخصا اتعرفه فيقول نعم فيجمع بين الاقرار باللسان
والاعتراف بالقلب والمراد هنا تامل موسى كونها عصا ثم صيرورتها حية ليعلم
قدر المعجزة قال هي عصاي عن بعضهم ان الله تعالى عتب على موسى اضافة
العصا الى نفسه في ذلك الموطن فقيل له القها لترى منها العجب فتعلم انه
لا ملك لك عليها ولا تنضاف اليك اتوكا عليها اي اعتمد عليها عند

الوبور

الوثوب والمشي اذا عييت ووقفت على راس القطيع واهش بها على غنمي اي
اخبط الورق بها على رؤس غنمي واضرب اغصان الشجر ليسقط ورقه فيسهل على
غنمي تناوله وقرى واهس بالمهملة قيل هما لغتان بمعنى وقيل بالمهملة زجر الغنم
ولي فيها مآرب اخرى اي حاجات اخر مثل اذا سار القاها على عاتقه وعلق
بها اداوته وعرض الزبدين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل بها واذا
قصر الرشاء وصله بها واذا اعترضت السباع لغنمه قاتل بها وكانه عليه الصلاة
والسلام فهم ان المقصود من السوال ان يتذكر حقيقتها حتى اذا رآها بعد ذلك
على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان تشتعل
شعبتاها بالليل كالشمع ويصير ان دلوا عند الاستقاء وتطول الطول البري وتحارب
عنه اذا ظهر عدو وتماشيه وتحادثه وينبع المآبر كزها وينضب بنزعها وينور
وتثمر اذا اشتهى ثمرة علم ان ذلك ايات باهره ومعجزات قاهرة احدثها الله تعالى
فيها وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها
من جنس العصي والمارب جمع ماربه مثلث الراء وقال اخرى ولم يقل اخر لمناسبة
رؤس الاي وزاد في الجواب استلذاذا بخطاب الله تعالى وقيل انما عدد حوائجه
اليها لئلا يوهم بالقائها كالنعليين ويقال انها من آس الجنة قال القها يا موسى
فالقاها فاذا هي حية تسعى قيل لما القاها انقلبت حية صفراء تغلظ العصا
ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدا وثعبانا تارة باعتبار
المنتهى وحية اخرى اعتبارا بالاسم الذي يعم الحالين ومعنى تسعى تنتقل وتمشي
على بطنها بسرعة ويقال انها كانت تلتقم الحجارة في تلك المحاربة قال خذها ولا
تخف منها فانه لما راها حية تسرع وتبلع الحجر والشجر خاف وهرب منها
ولحقه ما يلحق البشر وانما اظهر له هذه الاية لئلا يفزع منها اذا القاها عند

فرعون سنعيدها سيرتها الاولى اي هيئتها وحالتها المتقدمه وهي فعله
من السير تجوز بها للظرفيه والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على الظرف اي
سنعيدها في طريقتها وقيل المعنى سنعيدها بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى
فتنتفع بها ما كنت تنتفعه قبل ولما قال له ربه ذلك اطمانت نفسه حتى ادخل
يده في فمها واخذت تلحسها ثم عادت عصا واضمم يدك اليمنى الى جناحك
اي الى جنبك الايسر تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر
استعارة من جناحي الطائر واخرجها تخرج خلاف ما كانت عليه من الادمة بيضاء
لها نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس تغشى البصر من غير سوء اي من
غير عاهة وقبح وكني به عن البرص كما كني بالسوءة عن العورة لان الطباع تعافه
وتنفر عنه اية اخرى اي معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج او مفعول باضمار
خذ او دونك لنريك من اياتنا الكبرى متعلق بمقدر اي فعلنا ذلك لنريك
والكبرى صفة اياتنا وقال الكبرى لرؤس الاي وفيه اضمار معناه لنريك من اياتنا
الاية الكبرى اي العظمى على رسالتك واذا اراد عودها الى حالتها الاولى ضمها
الى جناحه واخرجها اذهب رسولا الى فرعون ومن بعثه بهاتين الايتين وادعه
الى العبادة انه طغى عصى وتكبر وجاوز الحد في كفره وفرعون هو مصعب بن
الريان ملك مصر قال رب اشرح لي صدري اي وسعه ونوره بالايمان
والنبوة ويسر لي امري اي سهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة لما امره
الله تعالى بامر عظيم وخطب جسيم سأله ان يشرح صدره ويفسح قلبه ليتحمل
اعبائه والصبر على مشاقه وتسهيل الامر عليه باحداث الاسباب ورفع الموانع
واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي اي يفهموه فانما تحسن التبليغ من البليغ
وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ

لحيته

لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت اسيه انه صبي لا يفرق بين الجمر
واليا قوت فاحضر اين يديه فاخذ الجمرة ووضعها على فيه ولعل بيضاء يده
كان لذلك قال ابن الجوهري كف الله النار عن يده لئلا تقول النار طبعي واحترق
لسانه لئلا يقول موسى معجزتي وقيل احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها
فلم تبرا فلما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرا يدي وقد عجزت عنه
واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سولك
ومن لم يقل احتج بقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسال حل عقدة
لسانه مطلقا بل عقدة لمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر
ومن لساني تحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا
اي معينا من اهلي هارون اخي يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير اما
من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر وهو الملجا لان الامير يعتصم
برايه وقيل اصله من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس
ومفعولا اجعل وزيرا وهارون وقدم ثانيهما للعناية به وعلى صلة او حال او
لي وزيرا وهارون عطف بيان لوزيرا واخي بدل من هارون او مبتدا خبره
اشدد به ازري واشركه في امري اي الرسالة قرئ على لفظ الامر وقرئ بلفظ
الخبر على جواب الامر اي اشدد الي او اشدد انا على القراءتين والازر الظهر او
القوة والعون والمعنى قوني بالتاييد ظهري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا
اي تسبيحا وذكرا فان التعاون يهيج الرغبات ويودي الى تكاثر الخير وتزايده انك
كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا فاتممت بالرسالة وان التعاون مما يصلحنا وان
هارون نعم المعين لي فيما امرتني به قال قد اوتيت سولك يا موسى اي مسولك
فعل بمعنى مفعول كالخبر بمعنى المخبور منا عليك ولقد منا عليك مرة اخرى

اي انعمنا عليك فى وقت اخر قبل هذا وهو حفظه له سبحانه من شر الاعداء فى الا
وذلك حين الذبح **اذ اوحينا الى امك** اي الهمناها لما ولدتك وخافت ان يقتلك
فرعون فى جملة من يولد وقيل اوحى اليها فى المنام او على لسان نبى فى وقتها
او ملك لا على وجه النبوه كما اوحى الى مريم **ما يوحى** اي ما لا يعلم الا بالوحي او مما
ينبغى ان يوحى لعظم شانه **ان اقذفيه فى التابوت** اي بان اقذفيه او اي اقذفيه
لان الوحي بمعنى القول **فاقذفيه** بالتابوت **فى اليم** بحر النيل والقذف يقال للالقاء
وللوضع كقوله وقذف فى قلوبهم الرعب **فليلقه اليم بالساحل** لما كان القاء
البحر اياه امرا واجب الحصول لتعلق الارادة جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امره
بذلك واخرج الجواب مخرج الامر فاللفظ لفظ امر والمراد الخبر والاولى ان تجعل
الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم **ياخذه عدو لى وعدو له** فرعون وياخذه جواب
فليلقه وتكرير عدو للمبالغه ولان الاول باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع
قيل انها اتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا مندوفا ثم وضعت موسى فيه ورفعت
راسه وشقوقه والقته فى النيل فاحتمله الى محل يدخل الى دار فرعون فى بستان
فيه بركة وكان فرعون جالسا على راسها مع امراته اسية بنت مزاحم فامر به فاخرج
فراى موسى واذا هو صبى اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا فذلك قوله **والقيت**
بعد ان اخذك **عليك محبة منى** اى كائنة منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لا يكاد
يصبر عنك من راك وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطئه فالتقطه منه
ولتصنع على عينى اي ولتربى وتحسن اليك وانا اراعيك والعطف على علة مضمره
مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقه باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك و
والاعين للبارى تعالى النظر لانه تعالى جل عن مضاهاة البشر قال ابن اللبان بنسبة
العين اليه تعالى اسم لاياته المبصره التى بها يبصر المومنين وينظرون اليه بها

اذ

اذ للتعليل **تمشى اختك** اوظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان
المراد بها وقت متسع **فتقول هل ادلكم على من يكفله** وذلك انه كان لا يقبل
ثدى المراضع فجاءت اخته مريم متنكرة فبصرت فهم يطلبون له مرضعا يقبل
ثديها فقالت هل ادلكم فاجيبت فجاءت بامه فقبل ثديها فذلك قوله **فرجعناك**
الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك **كى تقر عينها** بلقائك **ولا تحزن** هى بفراقك
اي يذهب عنها الحزن او انت على فراقها وفقد اشفاقها **وقتلت نفسا** نفس القبطى
الذي استغاثه عليه الاسرائيلى **فنجيناك من الغم** غم قتله خوفا من عقاب الله
تعالى واقتصاص فرعون بالمعفرة والامن منه بالهجرة الى مدين **وفتناك فتونا**
اي اختبرناك اختبارا اعنى صلحت للرسالة وقيل بلوناك بلاء وهو احتمال ما ناله فى
سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشى على حذر وفقد الزاد الى غير ذلك
فلبثت سنين فى اهل مدين يريد عشر سنين اتم الاجلين وقيل ثمانية عشر بعد
مجيئك اليها من مصر عند شعيب النبي وتزوجك بابنته ومدين على ثمان مراحل
من مصر **ثم جئت على قدر** قدرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم عن وقته
المعين ولا مستاخرا وعلى مقدار من السنين يوحى فيه الى الانبياء وهو اربعون سنة
من عمرك **يا موسى** كرره تعقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك **واصطنعتك**
لنفسى اي واصطفيتك لوحيى ورسالتى وقيل المعنى خلقتك ماخوذ من الصنعه
وقيل قويتك وعلمتك لتبلغ عبادى امرى ونهيى وقيل جعلتك موضع
الصنيعه ومقر الاجمال والاحسان وقوله لنفسى اضافة تشريف **اذهب انت**
واخوك بايا تى اي بمعجزاتى ابن عباس يريد التسع ايات التى انزلت عليه
ولا تنيا اي ولا تفترا ولا تقصرا ابن عباس ولا تضعفا فى امر الرسالة وعنه ايضا
ولا تبطئا كقوله انى وجدك باوبيت ولم ازل ابغى الفكاك له بكل سبيل

في ذكري اي ولا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعا الي
اذهبا الى فرعون انه طغى بادعائه الربوبية امر به او لموسي وحده وهاهنا
اياه واخوه ولا تكرير قيل اوحي الى هارون ان يتلقى موسي وقيل سمع بمقبله
فاستقبله فقولا له قولا لينا قيل المعنى كنياه فقيل كنيته ابو العباس
وقيل ابو الوليد وقيل القول اللين قول موسى تومن بما جئت به على ان لك شبابا
لا يهرم الى الموت وملكا لا ينزع منك الى اللوت وينسا في عمرك اربعمائة سنه واذا
مت دخلت الجنة وقيل القول اللين هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى
فانه دعوة في صورة عرض ومشوره حذرا ان تحمله الحماقة على ان يبسطو عليكما
او اخبر اماله من حق التربية عليك لعله يتذكر يتعظ او يخشى اي باشر الامر
على رجائكما وطمعكما فالتوقع فيها انما هو راجع الى جهة البشر لعلمه تعالى بانه
لا يرجع وايضا فان الراجي مجتهد والايس متكلف والفائدة في اساليها والمبالغة
عليهما في الاجتهاد مع علمه تعالى بانه لا يومن الزام الحجة وقطع المعذرة والتذكير
للمتحقق والخشية المتوهم ولذلك قدم الاول اي وان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر
فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى وقيل لعل هنا بمعنى الاستفهام فانظرا هل يتذكر
وقيل بمعنى كي قال يحيى بن معاذ لما سمع هذه الايه الهي هذا برك بمن يقول
انا الاله فكيف بمن يقول انت الاله قالا ربنا انا نخاف ان يفرط علينا اي
يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى تمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم
ومنه الفارط وقرى يفرط من افرط اذا حمله على العجله اي يخاف ان يحمله حامل
من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسي او جني على المعاجلة بالعقاب
او ان يطغى اي يزداد طغيانا فيتخطى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته
وقساوته قال لا تخافا اني معكما بالنصر والمعونة والحفظ والقدرة على

فرعون اسمع دعاكما واري ما يراد بكما فامنع كل شيء عنكما او اسمع واري
ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فاتياه فقولا انا رسولا ربك اليك
اي اعلماه انكما رسولا اي فارسل معنا بني اسرائيل الى الشام اي اطلقهم وخل
عنهم ولا تعذبهم بالسخرة والتعب في العمل وقتل الولدان فانهم كانوا في ايدي
القبط يستخدمونهم ويتعبونهم بالتكاليف الصعبة ويقتلون ذكور اولادهم
في عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل ان تخليص المومنين من الكفرة
اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك
باية من ربك على صدقنا بالرسالة يريد العصا واليد وانما وحد الاية لان
المراد اثبات الدعوي ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها ولذلك قد
يستكم ببينة والسلام على من اتبع الهدي اي وسلام الملائكة وخزنة الجنة
على المهتدين او السلامة في الدارين لهم الزجاج اي من اتبع الهدي سلم من سخط
الله جل وعز وعذابه قال وليس بتحية انا قد اوحي الينا ان العذاب على من
كذب ما جئنا به وتولى اعرض عنه قال فمن ربكما يا موسي اي بعد ما اتياه
وقالا له ما امرا به وحذف لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشيء فعله لا محالة
وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهارون وزيره وتابعه
اولا دلالة عليه بالتربية او عرف ان له رتبة ولاخيه فصاحة فاراده ان يفحمه
ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا
الذي اعطى كل شيء خلقه اي صورته وشكله الذي يطابق كماله او المعنى اعطى
خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثاني لانه المقصود
ببيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا ثم هدي اي ثم
عرفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو

جواب فى غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها
ودلالته على ان الغنى القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى فان
جميع ما عداه مفتقر اليه منعم عليه ولذلك بهت الذي كفر وانعم ولم يدر الاضراف
الكلام عنه قال فرعون فما بال القرون الامم الاولى اي فما حالهم بعد
موتهم من السعادة والشقاوة وقيل المعنى ما بال القرون الاولى كقوم نوح وهود
ولوط وصالح وعبادتهم الاوثان قال موسى علمها اي علم حالها عند ربي اي انه
غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به في كتاب
اي مثبت في اللوح المحفوظ يجازيهم عليها يوم القيامة لا يضل ربي ولا ينسى
الضلال ان تخطى الشى في مكانه فلم يتنبه اليه والنسيان ان يذهب عنه بحيث
لا تخطر بباله وهما محالان على العالم الخبير وقيل هو ابتداء كلام تنزيها لله تعالى
عن هاتين الصفتين وقيل المعنى لا تخطى في التدبير فمن انظره فلحكمة انظره ومن
عاجله فلحكمة عاجله وقيل لا يضل ولا ينسى في موضع الصفة لكتاب اى الكتاب
غير ضال عن الله عز وجل اى غير ذاهب ولا ناس له وقال النقاش انما قال فرعون
فما بال القرون الاولى لما سمع مومن آله يقول يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم
الاحزاب فرد موسى العلم الى الله لانه لم تاته التوراة بعد الذي جعل لكم الارض
مهادا مجرور صفة لربي او خبر لمحذوف او منصوب على المدح وقرئ مهدا اي
كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمي به وقرئ مهادا وهو ما يمهد كالفراش
وسلك لكم فيها سبلا اي وادخل لكم او سهل فيها طرقا بين الجبال والاودية
والبرارى تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء اي
مطرا فاخرجنا به عدل من لفظ الغيبة الى صيغة المتكلم على الحكاية لكلام الله عز
وجل تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد

الاشيا

الاشيا المختلفة لمشيته وهذا نظائر كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا
به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا
به حدائق وقيل وانزل من السماء ماء اخر كلام موسى ثم قال الله تعميما لما وصفه به موسى
وخطابا لاهل مكة فاخرجنا به ازواجا اي اصنافا وضروبا واشباها سميت بذلك
لازدواجها واقتران بعضها ببعض وقيل كله من كلام موسى والمعنى فاخرجنا
بالحرث والمعالجة لان الماء المنزل سبب خروج النبات من نبات بيان وصفة
لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من حيث انه مصدر
في الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اي متفرقات في
الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال كلوا
منها وارعوا انعامكم اي سيموا او اتركوا انعامكم ترعى وهي الابل والبقر والغنم يقال
رعت الانعام ورعيتها وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي فاخرجنا
اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا آذنين فيه فالامر للاباحة ان في ذلك المذكور
لايات اي عبر لاولى النهى اي لذوى العقول الناهية سمي به العقل لانه ينهى صاحبه
عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها اي الارض خلقناكم اي ادم او
البشر وفيها نعيدكم بالموت والدفن وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم عند
البعث بتاليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح
اليها تارة مرة اخرى كما اخرجناكم عند ابتداء خلقكم وتارة منصوب على المصدر
ولقد اريناه اياتنا كلها اي ابصرنا فرعون اياها وعرفناه صحتها والمراد ايات
معهوده هي الايات التسع المختصة بموسى او انه عليه السلام اراه اياته وعدد
عليه ما اوتي غيره من المعجزات فكذب بها وادعى انها سحر من فرط عناده وابى
الايمان والطاعة لعتوه انظر الى هذه الاشيا التي ذكرها موسى وزى بما تقتضى

بداية العقول ان فرعون وكل بشر يعيد منها لانه لو قال هو القادر الرازق
المدبر العالم ونحو هذا لامكن فرعون ان يغالط فيقول انا افعل هذا فلما اتاه
موسى بصفات لا يمكنه ان يقول ان ذلك له **قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا**
اي ارض مصر ويكون لك الملك فيها **بسحرك يا موسى** هذا تعلل وتحير ودليل على
انه علم كونه محقا وقيل ان هذه المقالة من فرعون تدل على ان موسى كان قوي
وكثر متبعه من بني اسرائيل ووقع امره في نفوس الناس **فلنا تينك بسحر مثله** اي
مثل سحرك يعارضه **فاجعل بيننا وبينك موعدا** اي وعدا لذلك لقوله **لا نخلفه**
نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلايم الزمان والمكان وانتصاب **مكانا سوى**
بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان
مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث
المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان متعين باجتماع الناس فيه وفي ذلك اليوم والموعد
اسم لمكان الوعد كما قال وان جهنم لموعدهم وقيل اسم لزمان الوعد كقوله ان موعدهم
الصبح فالمعنى اجعل لنا مكانا معروفا او يوما معلوما فان جعلت موعدا زمانا
كان الثاني وهو موعدكم يوم الزينة هو الاول وان جعلت موعدا مصدرا كان
التقدير وقت موعدكم او موعدكم واقع يوم الزينة ومعنى سوى منصفا وقيل
نصفا وقيل عدلا بيننا وبينك او عدلا بين المكانين فيه النصفة وقيل مكانا
سوى هذا المكان **قال موعدكم يوم الزينة** قيل يوم عيد كان لهم يتزينون
فيه ويجتمعون وقيل يوم عاشوراء وقيل يوم النيروز وهو يوم يكسر فيه
الخليج وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك
في الاقطار **وان يحشر الناس ضحى** اي وان يجمع اهل مصر وقت الضحى وخص
الضحى لانه اول النهار فلو امتد الامر فيما بينهم كان في اول النهار يتسع وليكون

ابعد

ابعد عن الريبة **فتولى فرعون** ادبر **فجمع كيده** اي حيله وسحره والمراد ذوي
كيده من السحرة **ثم اتى** بهم ذلك الموعود وكانت عصابة لم تخلق الله اسحر منها
وجا موسى ببني اسرائيل ويقال ان السحرة كانوا اربعمائة وقيل اثني عشر الفا
وقيل ثلاثين الفا وقيل سبعين الفا وكان مع كل واحد منهم حبل وعصى قد
استعمل فيها السحر وفي القصة ان فرعون جلس في علية طولها ثمانون ذراعا
والناس تحته في بسيط وجا السحرة بحبالهم وعصيهم وقد تلثمائة بعير فهال الامر
ثم ان موسى القى عصاه فاستحالت ثعبانا وجعلت تلتقم الحبال والعصى حتى لم
يبق منها شي ثم نغرت نحو فرعون فاها ففزع عند ذلك واستجار بموسى فمر
موسى يده عليها فرجعت عصا كما كانت فنظر السحرة وعلموا الحق فامنوا على ما ياتي
قال لهم موسى ويلكم اي قال لفرعون والسحرة ويلكم اي دعا عليهم بالويل
الزجاج هو منصوب بمعنى الزمهم الله ويلا **لا تفتروا على الله** اي لا تختلقوا
كذبا بان تدعوا ايانه سحرا **فيسحتكم بعذاب** من عنده اي فيهلككم ويستاصلكم
به وقرئ بالضم من اسحت وبالفتح من سحت وانتصب على جواب النهي **وقد**
خاب اي خسر **من افترى** على الله كما خاب فرعون فانه افترى ولحتال ليبقى الملك
عليه فلم ينفعه فلما سمع السحرة هذه المقالة بداهم هذا المفزع ووقع لهم من
مهابته رعب شديد **فتنازعوا امرهم بينهم** اي تنازعت السحرة في امر
موسى واخيه حين سمعوا كلامهما **واسروا النجوى** بان موسى ان غلبنا اتبعناه
قتادة قالوا ان كان ما جا به سحرا فسنغلبه وان كان من عند الله فسيكون
له امر والنجوى المناجاة او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا
في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقيل اسروا **قالوا** لانفسهم **ان هذان**
لساحران هذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب وخثعم وكنانة يجعلون

رفع الاثنين ونصبه وخفضه بالالف قال شاعرهم تزود منا بين اذناه
وقيل جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان
المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدا
وخبر قال الشاعر قالوا غدرت فقلت ان ورب ما نال العلى وشفى الغليل الغادر
وانشد ثعلب ليت شعري هل للمحب شفاء من جوى حبهن ان اللقاء
وقيل غير ذلك وقرى ان هذين لساحران وهذه القراءة موافقة للاعراب مخالفة
للمصحف والاولى موافقة للمصحف مخالفة للاعراب وقرى ان هذان بتخفيف
ان على انها هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا وهذه
القراءة سلمت من مخالفة المصحف وفساد الاعراب يريدان يخرجاكم من
ارضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى اى بمذهبكم
الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاه لقوله انى اخاف ان يبدل
دينكم وقيل اراد باهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما
بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل فالمعنى ويذهبا ببني اسرائيل وهم
الاماثل وان كانوا اخولكم لما يرجعون اليه من العلم والشرف وقيل الطريقة
اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فالمعنى ويذهبا
بسيادتكم ورؤسائكم ابن عطية والاظهر في الطريقة الملكة والسيرة والحال
التي هم عليها والبا في بطريقتكم معدية كالهمزة والمثلى تانيث الامثل اي
الفاضلة الحسنة فاجمعوا كيدكم بفتح الهمزة وكسر الميم اي فالزموه واجعلوه
مجمعا عليه لا تختلف عليه واحد منكم والاجماع الاحكام والعزم على الشي يقال
اجمعت الخروج وعلى الخروج اي عزمت عليه وقرى فاجمعوا بوصل الالف وفتح
الميم وهو من الجمع الذي هو ضد التفريق بمعنى اللم ويدل له قوله فجمع كيده

ائتوا صفا حال اي مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين وقيل جميعا والضمير
في قالوا ان كان للسحرة فهو من قول بعضهم لبعض وقد افلح اليوم من استعلى
اي فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض ابن عطية افلح معناه ظفر ببغيته
واستعلى معناه طلب العلو في امره وسعى سعيه قالوا يا موسى اما ان
تلقي عصاك اولا واما ان نكون اول من القى عصاه تادبوا مع موسى فكان
ذلك سببا يمانهم قال بل القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم
واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاولى في سعيهم ولان يبرزوا
ما معهم ويسعوا اقصى سعيهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم في الكلام حذف اي فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم
اصله عصوهم قلبت الواو ان يا اين وكسرت العين والصاد واذ للمفاجاة
يخيل اليه بالياء على انه مسند للسعي اي يتخيل اليه من سحرهم سعيها ويجوز
ان يكون مسندا الى ضمير الحبال وذكر لان التانيث غير حقيقي وقرى تخيل بالتا
على اسناد الفعل للحبال والعصي انها حيات تسعى على بطونها بدل اشتمال
وذلك انهم لطخوا العصي بالزيبق فلما اصابها حر الشمس ارتهشت واهتزت
واضطربت فخيل اليه انها تتحرك فاوجس في نفسه خيفة موسى اي
اضمر فيها وقيل وجد وقيل احس وذلك على ما يعرض من طباع البشر وقيل
خاف ان يخالج الناس شك من جهة ان سحرهم جنس من معجزته فلا يتبعونه
وقيل خاف ان يفتتن الناس قبل ان يلقى عصاه وقيل خاف من ابطا الوحي
بالقا العصا ان يفترق الناس وقال اهل الحقائق انما كان السبب ان موسى
عليه السلام لما القى بالسحرة قال لهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا الاية فاذا
جبريل عن يمينه قال له يا موسى ترفق يا ولي الله تعالى فقال موسى يا جبريل

هولا سحرة جاءوا بسحر عظيم ليبطلوا المعجزة وينصروا دين فرعون فقال جبريل
هم من الساعة عندك الى العصر وبعد العصر في الجنة فلما قال ذلك اوجس في
نفس موسى وخطر له وقال وما يدريني ما علم الله في فلعلي اكون الان في حالة
علم الله في خلافها كما كان هولا فلما علم الله ما في قلبه اوحى اليه بقوله قلنا
لا تخف انك انت الاعلى اي الغالب لهم في الدنيا وفي الجنة بالدرجات العلى
للنبوة والقوما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اي لا تبال بكثرة
حبالهم وعصيهم والق العود الذي في يدك او تعظيما لها اي لا تحتفل بكثرة هذه
الاجرام وعظمها فان ما في يمينك اعظم منها اثرا فالقه تلقف ما صنعوا اي
تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذف احدى التاآين قرى بالجزم على
الجواب والفاعل ضمير ما وانث لانه اراد العصا ويجوز ان يكون ضمير موسى ونسب
ذلك اليه لانه يكون بتسببه وقرى بالرفع على الحال من العصا او من موسى
وهي حال مقدرة او على الاستيناف واللقف الاخذ بسرعة انما صنعوا كيد
ساحر اي ان الذي زوروه او فعلوه كيد ساحر وقرى كيد سحر بمعنى ذي سحر
او بتسميته الساحر على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم
فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر
اي هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف حيث اتى اي حيث كان وابن اقبل
وفي الخبر اذا وجدتم الساحر فاقتلوه فالقي السحرة سجدا في الكلام حذف تقديره
فالقى موسى عصاه فالتقمت كلما جاوا به فسجد السحرة لتحققهم انه ليس سحرا
وانما هو من ايات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا
لله تعالى توبة عما صنعوا وتعظيما لما راوا وقالوا امنا برب وموسى وهارون
قدم هارون لكبر سنه او لروس الآي اولان فرعون زعم ان موسى في صغره

فلو

فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هارون على
الاستتباع وروى انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال فرعون امنتم
بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا له اي لموسى واللام لتضمين الفعل معنى
الاتباع واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله قبل ان اذن انا لكم في الايمان
له فيه مقاربة من فرعون وبعض اذعان انه لكبيركم اي لعظيمكم في فنكم
واعلمكم به او لاستاذكم الذي علمكم السحر وانتم تواطاتم على ما فعلتم فلاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف حال بمعنى مختلف اليد اليمنى والرجل اليسرى
ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب بالجذوع بتمكن المظروف بالظرف
وقيل في بمعنى على قاله الكوفيون وابن مالك ويقال ان فرعون اول من صلب
ولتعلمن ايينا يريد نفسه وموسى لقوله امنتم له واراد به توضيع موسى
والهزء به فانه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل اراد رب موسى الذي امنوا به
اينا اشد عذابا وابقى اي ادوم عقابا هل هو انا على ايمانكم او رب موسى على
ترك ايمانكم به قالوا لن نوثرك اي نختارك ونفضل السلامة منك على ما جانا
من البينات اي المعجزات الواضحات الدالة على صدق موسى والذي
فطرنا عطف على ما جانا اي لن نوثرك على ما جانا من البينات ولا على الذي فطرنا
اي خلقنا وقيل هو قسم اي والله لن نوثرك فاقض هو امر تفويض وهو رد الامر
الى غيرك ويسمى التحكيم والتسليم فاقض ما انت قاض اي قاضيه او صانعه
او حاكم به انما تقضي هذه الحياة الدنيا اي انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه
في هذه الحياة وللاخرة خير وابقى وتقضي هذه الحياة الدنيا كقولك تصوم يوم
الجمعة فهذه منصوبة على الظرف على الاتساع انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا
من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزة روي

انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نآتما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ماهذا بسحر
فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى ان يعارضوه وما في موضع نصب معطوف على
الخطايا وقيل نافيه وفي الكلام تقديم وتاخير اي يغفر لنا خطايانا من السحر وما
اكرهتنا عليه النحاس والاول اولى المهدوى وفيه بعد لقولهم ان لنا لاجرا ان كنا
نحن الغالبين وليس هذا بقول مكره ولان الاكراه ليس بذنب وان كان تجوز ان
يكونوا اكرهوا على تعلمه صغارا والله خير وابقى اى خير منك ثوابا اذا اطيع
وابقى عقابا اذا عصي وهو جواب قوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى انه من يات
ربه مجرما بان يموت على كفره وعصيانه كفرعون والكنايه ترجع الى الامر والشان
وسماه مجرما باعتبار ما كان عليه في الدنيا فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح
ولا يحيى حياة مهنأة ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات الفرايض والنوافل في
الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى اى المنازل الرفيعه جنات عدن اقامة
بدل من الدرجات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى
الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى اي تطهر من اوناس الكفر والمعاصي
والايات الثلاث تحتمل ان تكون من كلام السحره وان تكون ابتداء كلام الله ولقد
اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي ليلا من ارض مصر فاضرب لهم طريقا
اى فاجعل لهم من قولهم ضرب له من ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اي اتخذ
لهم بالضرب بعصاك موضع طريق في البحر يبسا بفتح الباء اي ذات يبس لا تخاف
دركا بالرفع من المامور اى امنا من ان يدركهم العدو او صفة ثانية والعائد
محذوف اي لا تخاف فيه وقيل مستانف وقرئ بالجزم على انه جواب الامر ولا
تخشى استينافا اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف للاطلاق كقوله
وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى ولا تخش الغرق ونسبه الى موسى

مع

مع ان فاعل ذلك هو الله لانه حصل معجزة له فكانه فعل فامتثل ما امر به وابيس
الله الارض فمر وا فيها فاتبعهم فرعون بجنوده وهو معهم وذلك ان موسى خرج
بهم في اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم فاتبعهم والباء للتعدية وقيل
مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده فغشيهم من اليم البحر ما غشيهم الضمير لجنوده
اوله ولهم وفيه مبالغة ووجازة اي غشيهم ما سمعت ولا يعرف كنهه الا الله
وقرئ فغشاهم ما غشاهم اي عظاهم ما غطاهم والفاعل هو الله او ما غشيهم او
فرعون لانه هو الذي ورطهم للهلاك ومن للبيان او للتبعيض اى بعض ما
اليم واضل فرعون قومه وما هدى اي اضلهم في الدين بدعائهم الى عبادته
وما هداهم وهو تكذيب له في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر
وما نجاهم يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا
او للذين منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل باباءهم قد انجيناكم من
عدوكم فرعون وقومه باغراقهم ووعدناكم جانب الطور الايمن لمناجاة
موسى وانزال التوراة عليه وانما نسب المواعدة اليهم وهي لموسى اوله وللسبعين
المختارين للملابسه قرئ بالالف من المفاعله التي من الواحد النحاس امرنا موسى
ان يامركم بالخروج معه لنكلمه بحضرتكم فالوعد كان لموسى ولكن خوطبوا به لان
الوعد كان لاجلهم وقرئ بغير الف واختاره ابو عبيد لان الوعد انما هو من الله
لموسى خاصة والمواعدة لا تكون الا من اثنين وليس للجبل يمين ولا شمال فاذا
قيل خذ عن يمين الجبل فمعناه خذ عن يمينك من الجبل وكان الجبل عن يمين موسى
ونزلنا عليكم المن والسلوى يعني في التيه وهما الترنجبين والسماني بالتخفيف
والقصر كلوا من طيبات ما رزقناكم اي لذائذه او حلاله ولا تطغوا
فيه اي فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله تعالى كالسرف

والبطر والمنع عن المستحق وقيل لا يحملنكم السعة والعافية ان تعصوا وقيل
لا تستبدلوا بها شيأ آخر كما قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير
وقيل لا تدخروا الا كثر من يوم وليلة ابن عباس ادخروا فقد ود عليهم ما ادخروه
ولولا ذلك ما تدود طعام ابدا فيحل بكسر الحاء عليكم غضبي اي فيلزمكم عذابي
ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداوه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي
فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرئ يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا
نزل وانى لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا
من الفرض والنفل ثم اهتدى اي ثم استقام على الهدي المذكور حتى مات وقيل
اقام على السنة والجماعة وقيل تعلم العلم واصاب العمل وما اعجلك عن قومك
لمجيء ميعاد اخذ التوراة يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث
انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظيم عليهم فلذلك
اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثري
اي ما تقدمتهم الا خطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة
قريبة يتقدمها الرفقة بعضهم بعضا وقيل ليس يريد انهم يسيرون خلفه
متوجهين اليه بل اراد انهم بالقرب مني ينتظرون عودي وعجلت اليك
رب لترضى عني فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك يوجب
رضاتك وقيل المعنى عجلت شوقا اليك قال ابن عباس كان الله عالما ولكن
قال ما اعجلك رحمة لموسى واكراما له بهذا القول وتسكينا لقلبه وقيل لترضى
لتزداد رضى قال الله تعالى فانا قد فتنا قومك من بعدك اي ابتليناهم
بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هارون وكانوا
ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنى عشر الفا واضلهم بفتح اللام

السامري

السامري باتخاذ العجل والدعا الى عبادته فعبدوه وقرئ واضلهم بالضم اي
اشدهم ضلالة فانه كان ضالا مضلا والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل
يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا
فرجع موسى الى قومه بعد ما استوفى الاربعين واخذ التوراة غضبان
عليهم اسفا اي حزينا بما فعلوا والاسف شدة الحزن قال يا قوم الم يعدكم
ربكم وعدا حسنا صدقا بان يعطيكم التوراة فيها هدى ونور وقيل وعدهم
الجنة اذا اقاموا على الطاعة افطال عليكم العهد اي الزمان مدة مفارقتي اياكم
فنسيتم امر ربكم او اردتم ان يحل اي يجب عليكم غضب من ربكم بعبادتكم العجل والمعنى
امر اردتم ان تفعلوا فعلا يكون سببا لحلول الغضب لان احدا لا يطلب غضب
الرب فاخلفتم موعدي وتركتم المجيء بعدي او وعدكم اياي بالثبات على الايمان
بالله والقيام على امر ربكم قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بفتح الميم ومعناه
بطاقتنا وقيل لم نملك انفسنا اي كنا مضطرين وقرئ بكسر الميم وهو مصدر
مضاف الى الفاعل والمفعول محذوف كانه قال بملكنا الصواب بل اخطانا فهو
اعتراف منهم بالخطا وقرئ بضم الميم اي بسلطاننا ولكنا حملنا قرئ بفتح
الحاء وضمها وكسر الميم مشددا اوزارا من زينة القوم اي احمالا من حلى
القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس
وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم الخروج مخافة ان يعلموا بهم وقيل هي ما القاه
البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموه اوزارا لانها آثام فان
الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستامنين وليس للمستامن ان ياخذ مال
الحربي فقذفناها اي طرحناها في النار فكذلك القى السامري اي ما كان
معه منها وروي انهم لما حسبوا العدة قد كملت قال لهم السامري انما اخلف

موسي ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالراى ان تحفروا حفيرة
وتسجروا فيها نارا وتقذفوا كل ما معنا فيها فالقى عليها قبضة من تراب حافر فرس
جبريل وقال كن عجلا فصار عجلا فذلك قوله فاخرج لهم عجلا جسدا الجماد وما
من ذلك الحلي المذاب له خوار صوت يسمع اي انقلب كذلك بسبب التراب
الذي اثر الحياة فيما يوضع فيه ووضعه بعد صوغه في فمه والخوار صوت العجل
فقالوا يعني السامري ومن افتتن اولما رآه هذا اشارة الى العجل الهكم واله
موسى فنسي اى فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري
اي ترك ما كان عليه من الايمان وقيل فنسي موسى ان يذكركم انه الهه فقال الله
افلا يرون ان مخففه من الثقيله واسمها محذوف اي افلا يعلمون ويتفكرون
في ان هذا العجل جماد وفي انه لا يرجع اليهم قولا اي لا يكلمهم وقيل لا يعود الى
الخوار والصوت ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا اي لا يقدر على اضرارهم ونفعهم فكيف
يكون الها ولقد قال لهم هارون من قبل اي من قبل رجوع موسى وقبل قول
السامري فانه اول ما وقع بصره عليه حين اطلع من الحفرة توهم ذلك وبادر
الى تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به اي بالعجل وان ربكم الرحمن الذي يعلم بالعجل
لكم العقوبة لا غيره فاتبعوني على ديني في عبادة الله واطيعوا امري في
ترك عبادة العجل قالوا لن نبرح اي لن نزال عليه عاكفين اي مقيمين على
عبادته حتى يرجع الينا موسى فاعتزلهم هارون في اثني عشر الفا فلما رجع
موسى وسمع الصياح والاصوات وكانوا يرقصون حول العجل كما حدثه الكذابون
على الله في ملة الاسلام المدعون للولاية بالرقص حول الطار والمزمار مع ارتكاب
الجرائم الكبيره فلما سمع موسى قال يا هارون ما منعك اذ رايتهم ضلوا
بعبادة العجل ان لا تتبعني لا زائده اي تتبع امري ووصيتي وقيل ما منعك

من اتباعي في الانكار عليهم والغضب لله ومعناه هلا قاتلتهم وقيل ما منعك من اللحوق
بي لما فتنوا افعصيت امري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه وقيل ان تفارقني
بينهم وقد عبدوا غير الله عصيان منك لي قال هارون يا ابن ام بكسر الميم وفتحها
ارادامي وخص الام استعطافا وترقيقا وقيل كان اخاه من الام والجمهور على انهما
كانا من اب وام لا تاخذ بلحيتي وكان اخذها بشماله ولا برأسي اي بشعر راسي
وكان اخذه بيمينه وذلك انه قبض عليهما بحره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه
لله وكان عليه السلام حديد الخشا صلبا فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل
اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل اي خشيت ان اخرج واتركهم فيتبعني
قوم ويتخلف قوم وربما ادى الامر الى سفك الدما واخاف ان زجرتهم ان يقع
قتال فتلومني على ذلك ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في قومي واصلح فان
الاصلاح كان في حفظ الدما والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برايك
قال فما خطبك يا سامري اي ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك اي ما الذي
شانك وما الذي حملك على ما صنعت قال بصرت بما لم يبصروا به بالتا
التحتيه وقرئ بالتا على الخطاب اي علمت ما لم تعلموا او فطنت بما لم تفطنوا له
او المعنى رايت ما لم تروه ورايت جبريل على فرس الحياه فالقى في نفسي ان اقبض
من اثره قبضه فما القيته على شي الا صار له روح ولحم ودم وذلك قوله فقبضت
قبضة من اثر الرسول في الكلام حذف والتقدير من تراب اثر حافر الرسول
وهو جبريل قيل وانما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان
جبريل يتردد اليه حتى استقل وقيل المعنى ان الذي جاء روحاني محض لا يمس
اثره شيا الا احياه فنبذتها فالقيتها في الحلي المذاب او في جوف العجل حتى
جيي وكذلك سولت لي نفسي اي زينته وحسنته الي قال قتادة كان

كان السامري عظيما في بني اسرآئيل وكان عدو الله نافق بعد ما قطع البحر مع موسى
فلما مرت بنو اسرآئيل بالعمالقه وهم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا
الها كما لهم الهة فاغتنمها السامري وعلم انهم يميلون الى عبادة العجل فاتخذ العجل قال
له موسى فاذهب من بيننا فان لك في الحياة مدة حياتك عقوبة على ما فعلت
ان تقول لمن رايته لا مساس خوفا من ان يمسك احد فتاخذك وتاخذه الحمى
فتتحامى الناس ويتحامونك وتكون طريدا وحيدا كالوحش النافر ويقال انه ابتلى
بالوسواس واصل الوسواس من ذلك الوقت فتادة بقاياهم الى اليوم يقولون
لا مساس ويقال ان موسى هم بقتل السامري فقال الله تعالى لا تقتله فانه سخي وزر
ان موسى نفاه عن قومه وقرى لا مساس بكسر الميم وفتح السين اي لا أمس ولا
أمس وقرى لا مساس بفتح الميم وكسر السين اسم للفعل وان لك موعدا في الاخرة
اى وعد العذاب لن تخلفه قرى بكسر اللام وله معنيان احدهما ستاتيه ولن تجده
تخلفا والثاني على التهديد اي لابد لك ان تصير اليه وقرى بفتح اللام ومعناه
ان الله لن يخلفك اياه وانظر الى الهك الذي ظلت دمت عليه عاكفا اي
مقيما على عبادته واصله ظللت فحذف اللام الاولى تخفيفا ونحله موسى بقوله
ذلك اي انظر صنيعك وتغييره لنحرقنه اي بالنار او لنبردنه بالمبرد ثم لننسفنه
اي لنذرينه رمادا او مبرودا في اليم نسفا والنسف تفريق الريح الغبار
واليم عمر المآ من بحر او نهر ونسفا تاكيد بالمصدر قال السدى ذبح العجل فسال
منه كما يسيل من العجل اذا ذبح ثم برد عظامه بالمبرد وحرقه واللحم والدم اذا
احرقا صار رمادا فيمكن تذريته في اليم فاما الذهب فلا يصير رمادا وقيل عرف
موسى ما يصير به الذهب رمادا انما الهكم المستحق للعبادة الله الذي لا اله الا
هو اذ لا احد يماثله وهذه مخاطبة من موسى لجميع بني اسرآئيل مبينا لهم وسع

كل شي علما تمييز محول من الفاعل اي وسع علمه كل شي لا العجل الذي يصاغ
وتحرق كذلك اي مثل ذلك الاقتصاص نعني قصة موسى نقص عليك من انبا
ما قد سبق اي من اخبار الامم الماضيه والامور الدارجه تبصرة لك وزيادة في
علمك وتكثير المعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد اتيناك
اعطيناك من لدنا من عندنا ذكرا اي كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا
بالتفكر والاعتبار والتنكير للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من
اعرض عنه اي عن الذكر الذي هو القران الجامع لوجوه السعادة والنجاة فلم يؤمن
به ولم يعمل بما فيه وقيل عن الله فانه يحمل يوم القيامة وزرا اى اثما عظيما وحملا
ثقيلا خالدين فيه اي في الوزر او في حمله وقيل في جزآئه وجزاوه جهنم والجمع فيه
والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ وسآء لهم يوم القيامة حملا تمييز مفسر
للضمير في سآء والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم واللام للبيان ويبدل من
يوم القيامة يوم ينفخ في الصور النفخة الثانيه وتقدم وحشر المجرمين اي المشركين
يومئذ زرقا اي زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوا الوان العين
وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدا اعدآئهم وهم زرق ولذلك قالوا في صفة
العدو اسود الكبد اهيب السبال ازرق العين والمعنى تشوه خلقتهم بزرقة
عيونهم وسواد وجوههم وقيل زرقا عميا وقيل عطاشا قد ازرقت اعينهم من
شدة العطش وقيل المراد شخوص البصر من شدة الخوف يتخافتون بينهم اي يخفون
اصواتهم ويتسارون لما علاصدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت
واخفاوه ان ما لبثتم الا عشرا اي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها
او لاستطالتهم مدة الاخرة او لتاسفهم عليها لما عاينوا الشدآئد وعلموا انهم
استحقوها على اضاعتها في قضآ الاوطار واتباع الشهوات او في القبر او لهول

المطلع وشدة ذهاب اذهانهم قد عزبت عليهم قدر المدة التي لبثوها وقيل
مابين النفختين وهو اربعون سنة يرفع العذاب في تلك المدة عن الكفار في
قول ابن عباس وقوله الا عشرا اي عشر ليال باياميها نحن اعلم بما يقولون فيه
اي ليس كما قالوا اذ يقول امثلهم طريقة اي اعدلهم رايا وعملا ان لبثتم الا
يوما يستقلون لبثهم في الدنيا جدا لما يعاينون في الاخرة من اهوالها ويسالونك
عن الجبال اي عن مآل امرها والسائل رجل من ثقيف والمراد عن حالها يوم القيامة
فقل يجا مثل هذا في القرآن بعد كل سوال قل بغير فا الا هذا لان المعنى ان سالوك
عن الجبال فقل لهم ينسفها ربي نسفا اي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح
فتفرقها فيذرها اي فيذر مقارها ومواضعها من الارض قاعا اي خاليا صفصفا
مستويا كان اجزاها على صف واحد وقيل القاع الارض الملساء لا نبات ولا نبات لا ترى
فيها عوجا اي اعوجاجا ولا امتا الامت التلال الصغار والروابي اي ارض لا انخفاض
فيها ولا ارتفاع فائدة هذه الاية تدخل في باب الرقى يرقى بها التآليل التي تطلع
في الجسد وخاصة في اليد تاخذ ثلاثة اعواد من تبن الشعير يكون في طرف كل عود
عقده ثم كل عقدة على التالول وتقرا الاية مرة ثم تدفن الاعواد في مكان ندي فتعفن
وتعفن التآليل فلا يبقى لها اثر القرطبي جربت ذلك في نفسي وفي غيري فوجدته
نافعا يومئذ اي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف يتبعون
الداعي اي داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس
بعد القيام من قبورهم يقول هلموا الى عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوته
لا عوج له اي لاتباع اي لا معدل لهم عنه لا يزيغون بل يسرعون اليه ولا
يحيدون عنه وقيل المعنى لا عوج لدعائه والمعنى يتبعون صوت الداعي و
خشعت الاصوات للرحمن اي ذلت وسكنت من اجله وقيل لهيبته فلا تسمع الا همسا

اي

اي صوتا خفيا ومنه الهمس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم
ونقلها الى المحشر وقيل هو تحريك الشفاه من غير نطق يومئذ لا تنفع الشفاعة
احد الا من اذن له الرحمن الاستثناء من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن او
من اعم المفاعيل اي الا من اذن في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول
مرفوع على البدل وعلى الثاني منصوب على المفعولية ورضي له قولا اي رضي لكلامه
عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع في شانه وقيل المعنى رضي
قوله وهو لا اله الا الله فدل على ان الشفاعة تكون للمومنين يعلم ما بين ايديهم
من امر الساعة وما خلفهم من امور الدنيا وقيل ما يصيرون اليه من ثواب وعقاب
وما خلفوه وراءهم في الدنيا ولا يحيطون به علما اي ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل
بذاته اذ الاحاطة مشعرة بالحد ويتعالى الله عن ذلك او الضمير لاحد الموصولين او
لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي
القيوم اي ذلت وخضعت له تعالى خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك
القهار ومعنى الحي الدائم الذي لا تنقطع حياته والقيوم القائم على كل نفس بما كسبت
وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة
وبيوده وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستيناف والمعنى قد خسر
من حمل شركا ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مومن اذ الايمان شرط
في صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما اي نقصا لثواب طاعاته ولا زيادة
عليه في سيآته ولا هضما بالانتقاص من حقه والهضم النقص والكسر الماوردي
والفرق بين الظلم والهضم ان الظلم المنع من الحق كله والهضم المنع من بعضه والهضم
ظلم وان افترقا من وجه وقرئ فلا يخاف على الخبر ولا يخف على النهي وكذلك معطوف
على كذلك نقص اي ومثل انزالنا هذه الايات المتضمنة للوعيد انزلناه القرآن قرانا

عربيا كله اي بلغة العرب وصرفنا فيه من الوعيد اي مكررين فيه ايات الوعيد
والمعنى بينا ما فيه من التخويف والتهديد والثواب والعقاب لعلهم يتقون
المعاصي فتضير التقوى لهم ملكه او يحدث لهم ذكرا اي عظة واعتبارا بهلاك
من تقدمهم من الامم حين يسمعونها فتثبطهم عن المعاصي ولهذه النكتة اسند
التقوى اليهم والاحداث الى القران وقيل تحدث لهم شرفا فتعالى الله في ذاته
وصفاته عن مماثلة المخلوقين فلا يماثل كلامه كلامهم ولا تماثل ذاته ذواتهم الملك
اي النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته
يستحقه لذاته او معناه الثابت في صفاته ولا تعجل بالقران اي بقرآته من قبل
ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومسابقته في القرآن
حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان
مجملا قبل ان ياتي بيانه ابن عباس كان عليه الصلاة والسلام يبادر جبريل فيقرا
قبل ان يفرغ من الوحي حرصا على الحفظ وشفقة على القران مخافة النسيان فنهي عن
ذلك وقيل المعنى لا تسال انزاله قبل ان ياتيك وحيه وقل رب زدني علما اي سل
الله تعالى زيادة العلم بالقران بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك تناله لا محالة
ولقد عهدنا الى آدم اي ولقد امرناه ووصيناه يقال عهد الملك اليه وعزم عليه
اذ امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة ادم على قوله وصرفنا فيه
من الوعيد للدلالة على ان اساس بني ادم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان
من قبل اي من قبل هذا وقيل من قبل ان ياكل الشجرة لانه نهي عنها فنسي العهد
ولم يعز به حتى غفل عنه او المعنى ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة وقيل
نسي من النسيان والسهو عن الشيء ابن عطية ونسيان الذهول لا يمكن هنا لانه
لا يتعلق به عقاب ولم نجد له عزما اي تصميم راي وثبات على الامر ولعل ذلك

كان

كان في بدء امره قبل ان تجرب الامور ويذوق سرها وقيل المعنى لم نجد له صبرا
عن اكل الشجرة اولم نجد له اصرارا ولا اضمارا للعود الى الذنب وفي الحديث لو وزنت
احلام بني ادم بحلم ادم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لادم مقدرا باذكروا انما ذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك
انه نسي ولم يكن من اولي العزيمة فسجدوا الا ابليس تقدم القول فيه ابى جملة
مستانفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار ولهذا لا يقدر له مفعول مثل
عن السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا والمعنى اظهر الاباء عن المطاوعة وقيل المعنى
ابى عن السجود وقال الناخير منه فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك حوا فلا
يخرجنكما اي فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان
الى اخراجهما من الجنة فتشقى بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك وافرده
باسناد الشقا اليه بعد اشتراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقاه شقاها من حيث
انه قيم عليها ولمراعاة الفواصل ولان المراد بالشقا التعب وطلب المعاش وذلك وظيفة
وروي ان ادم لما اهبط اهبط معه ثور احمر فكان يحرث ويمسح العرق فقيل هذا الشقا
الذي خوف منه وقيل انما خصه بالذكر ليعلمنا ان نفقة المراة على الزوج ان لك ان لا تجوع
فيها ولا تعرى وانك لا تظما اي تعطش فيها ولا تضحى اي تبرز للشمس فتحمى حرها
لانتفاء الشمس في الجنة وهو بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية من الشبع
والري والكسوة وكونه مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل ما عسى ينقطع ويزول
منها ليطرق سمعه اصناف الشقوة المحذر منها وفي الاية ترصيع وهو اقتران الشيء بما
يجمع معه في قدر مشترك فانه جا بالجوع مع العري لكن الجوع والعري اشتركا في
الخلو فالجوع خلو الباطن من الطعام والعري خلو الظاهر من اللباس والظما والضحى اشتركا
في الاحتراق فالظما احتراق الباطن من العطش والضحى احتراق الظاهر من حر الشمس

وقيله ان يكون مع الجوع
وبالضحى مع الظما وبانه ان يكون مع العري

فوسوس اليه الشيطان قيل كانت القا في النفس دون مشافهة وقيل كانت بالمشافهة والمخاطبة وعداه بالى لانه بمعنى اسر او انهى اليه وسوسة قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد التى من اكل منها لم يمت اصلا واضافها الى الخلد اي الخلود لانها سببه بزعمه وملك لا يبلى اي لا يزول ولا يضعف فاكلا ادم وحوا منها اي من جنسها عمدا الى غير تلك الشجره التى نهيا عنها فاكلا منها بنا ويل ان النهى كان فى تلك المعينة وقيل كان بنا ويل ان النهى على الندب فبدت لهما سوآتهما اي ظهر لكل منهما قبله وقبل الاخر ودبره وسمى كل منهما سوءة لان انكشافه يسوء صاحبه وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اي اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة على سوآتهما ليستترا به قيل كان ورق التين وعصى ادم ربه باكل الشجرة فغوى اى فضل عن المطلوب وقيل فسد عيشه بنزوله الى الدنيا وقيل جهل موضع رشده حيث اغتر بقول العدو وقيل ضل طريق الخلود لانه اراده من قبل المعصية وفى ذكره بالمعصية والغوايه مع صغرها تعظيم لمنزلته وزجر بليغ لاولاده منها ثم اجتباه ربه اى اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق له فتاب عليه اي فقبل توبته لما تاب وهدي اي هداه الى الثبات على التوبة والتسبب باسباب العصمة قال اهبطا منها من الجنة جميعا الخطاب لادم وحوا اوله ولابليس ولما كان اصل الذرية حاضرا خاطبهم مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو وقيل فى امر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتجارب وهو حال استغنى عن الواو فيها بالضمير والمعنى متعادين يبغى بعضكم على بعض بتضليله فاما ياتينكم منى هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي القران فلا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الاخرة ابن عباس ضمن الله لمن قرا القران وعمل بما فيه ان لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الاخرة وتلا الاية وعنه من قرا القران واتبع ما فيه هداه الله

من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب ومن اعرض عن ذكري اي عن الهدى الذاكرلي والداعي الى عبادتي او القران فلم يومن به ويحتمل ان يحمل الذكر على الرسول لانه كان منه الذكر فان له معيشة ضنكا اي عيشا ضيقا وهو مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمونث وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على الازدياد منها خائفا على انتقاصها بخلاف المومن الطالب للاخرة لان الله عز وجل جعل مع الدين التسليم والقناعة والتوكل عليه وعلى قسمته فصاحبه بيفق مارزقه الله بسماح وسهولة فيعيش عيشا هنيا كما قال فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة قال بعضهم لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه وكان عيشه فى ضنك وقيل الضنك الكسب الحرام وقيل طعام الضريع والزقوم فى النار وقيل عذاب القبر وهو الصحيح ونحشره اي المعرض عن الذكر يوم القيامة اعمى قيل اعمى البصر وقيل اعمى القلب عن الحجه وقيل عن الحيلة فى رفع العذاب عنه ويويد الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي باى ذنب عاقبتني بالعمى وقد كنت بصيرا فى الدنيا وعند البعث قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال اتتك اياتنا اي دلالاتنا على وحدانيتنا واضحة منيرة فنسيتها اي فعميت عنها وتركتها ولم تنظر فيها ولم تومن وكذلك اي ومثل تركك اياها اليوم تنسى اي تترك فى العمى والعذاب وكذلك اي مثل جزائنا من اعرض عن الذكر نجزى من اسرف اي جاوز الحد فى المعصية والانهماك فى اللذات والاعراض عن الايات ولم يومن بايات ربه ولعذاب الاخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اشد اي افظع من ضنك العيش او منه ومن العمى او من عذاب القبر وابقى اي ادوم لانه لا ينقطع افلم يهد لهم يريد كفار مكة

اهلكنا

اي افلم يتبين لهم **كم** خبرية مفعول باهلكنا **قبلهم من القرون** الخالية والاسم الماضية بتكذيبهم الرسل وقال الكوفيون كم الفاعل للخبر وهو خطا لان كم استفهام ولا يعمل فيها ما قبلها الزجاج المعنى اولم يهد لهم الامر باهلاكنا من اهلكناه وقيل المعنى افلم يهد للهدي **يمشون** حال من ضمير لهم **في مساكنهم** اذا سافروا ويشاهدون اثار هلاكهم افلا يخافون ان يحل بهم مثل ما احل بالكفار قبلهم **ان في ذلك لايات** لعبر **لاولي النهى** ذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي **ولولا كلمة سبقت من ربك** وهي العدة بتاخير العذاب هذه الامة الى الاخرة وقيل بتاخير العذاب عن الكفار الى وقته الى يوم القيامة او الى يوم بدر وهل الكلمة هي قوله سبقت رحمتي غضبي او وما كان ليعذبهم وانت فيهم او وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اقوال متقاربة **لكان** الاهلاك **لزاما واجل مسمى** قيل فيه تقديم وتاخير اي ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمي بتاخير العذاب لكان لزاما اي لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلا الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم له سمي به الملازم لفرط لزومه كقولهم خصم وقيل واجل معطوف على الضمير المستتر في كان وقام الفصل بخبرها مقام التاكيد **فاصبر على ما يقولون** امره سبحانه وتعالى بالصبر على ما يقولونه من انه ساحر انه كاهن انه كذاب الى غير ذلك وهذا منسوخ باية القتال **وسبح بحمد ربك** حال اي وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او تزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له معترفا بانه المولى للنعم كلها **قبل طلوع الشمس** يعني الفجر **وقبل غروبها** يعني الظهر والعصر لانهما من اخر النهار او العصر وحده **ومن انا الليل** اي ومن ساعاته جمع اني بالكسر والقصر **فسبح** يعني المغرب والعشا وقيل قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر ومن انا الليل العتمة

واطراف

٦٠

واطراف النهار المغرب والظهر لان الظهر في اخر طرف النهار الاول واول طرف النهار الاخر فهي في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس وهو وقت المغرب واطراف معطوف على محل انا المنصوب **لعلك ترضى** بفتح التا اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما ترضى به نفسك وقرئ بضم التا اي لعلك تعطى ما يرضيك من الثواب **ولا تمدن عينيك** اي نظر عينيك **الى ما متعنا به** استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله **ازواجا منهم** اي اصنافا من الكفرة **زهرة الحياة الدنيا** منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمنه معنى اعطينا او بدل من موضع به وقيل بدل من ازواج على تقدير ذوي زهرة او بالذم هي الزينة والبهجة **لنفتنهم فيه** اي لنجعل ذلك فتنة لهم اذ بزيادة النعمة يزداد طغيانهم وشبه نعم الكفار بالزهرة وهو ما اصفر من النور لانه منظر ثم يضمحل والنهي للتحقير والتقليل **ورزق ربك** وهو ما ادخر لك في الاخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة وقيل القناعة وقال ابو امامة القرآن **خير** مما منحهم في الدنيا **وابقى** ادوم فانه لا ينقطع قيل وسبب نزولها ان ضيفا نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فارسل يقترض من يهودي فابى الا برهن فقال صلى الله عليه وسلم والله لئن اسلفني لاقضينه واني لامين في السما وامين في الارض الى اخره ابن عطية وهذا معترض ان يكون سببا لان السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في اخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم فانه مات ودرعه مرهونة وانما الظاهر ان الاية متناسقة على ما قبلها وذلك ان الله عز وجل وبخهم على ترك الاعتبار بالامم السالفة وتوعدهم بالعذاب الموجل ثم امر نبيه بالاحتقار لشانهم والصبر على اقوالهم والاعراض عن اموالهم وما في ايديهم من الدنيا وقوله ولا تمدن ابلغ من ولا تنظرن لان الذي يمد بصره الى الشي انما يحمله على ذلك حرص **وامر اهلك بالصلاة** امره ان يامر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلاة

بعد ما امره بها يتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة
ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة **واصطبر عليها** اي داوم عليها **لا نسالك**
رزقا اي لا نسالك ان ترزق نفسك ولا اهلك **نحن نرزقك** واياهم
فتفرغ لذلك لامر الاخرة **والعاقبة** المحمودة او الجنة **للتقوى** اي لذوي التقوى
وقد يكون لغير التقوى عاقبة ولكنها مذمومة فهي كالمعدومة وروي انه
عليه الصلاة والسلام اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا هذه الاية
وقالوا اي كفار مكة **لولا ياتينا بآية من ربه** اي هلا ياتينا محمد بآية توجب
العلم الضروري او بآية ظاهرة كالناقة والعصا او هلا ياتينا بالآيات التي نقترحها
انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن
الذي هو ام المعجزات واعظمها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من
العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا
وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل وبينهم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه
المختصة بهذا الباب فقال **اولم تاتهم** بالياء والتاء **بينة** بيان **ما في الصحف الاولى**
من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتمالها على ما فيها من العقائد
والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه
اشعار بانه كما تدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز
وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقيل المعنى اولم ياتهم اهلاكنا
الامم الذين كفروا واقترحوا الآيات فما يومنهم ان اتتهم الآيات ان يكون حالهم
كحال اولئك **ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله** اي من قبل محمد او البينة والتذكير
لانها في معنى البرهان او المراد بها القرآن **لقالوا** يوم القيامة **ربنا لولا** اي هلا
ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك للرسل بها **من قبل ان نذل** بالقتل

والسبي

والسبي في الدنيا **ونخزى** بدخول النار يوم القيامة وقرئ نذل ونخزى بالبنا
للمفعول **قل كل** اي كل واحد منا ومنكم **متربص** اي منتظر لما يوول اليه امرنا
وامركم **فتربصوا فستعلمون** في القيامة **من اصحاب الصراط السوي** اي الدين
المستقيم **ومن اهتدى** من الضلالة انحن ام انتم ومن في الموضعين للاستفهام
ومحلها الرفع بالابتدا ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد
وقيل المعنى فستعلمون يوم القيامة من اهتدى الى طريق الجنة **سورة الانبيا**
مكية **بسم الله الرحمن الرحيم** **اقترب للناس حسابهم**
بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا او لان
كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تاكيد الاضافة
واصله اقترب حساب الناس اي الوقت الذي يحاسبون فيه على اعمالهم ابن عباس
الناس هنا المشركون بدليل قوله الا استمعوه وهم يلعبون الاية وقيل الناس عموم
وان كان المشار اليه في ذلك الوقت كفار قريش منكري البعث **وهم في غفلة معرضون**
اي في غفلة عن الحساب معرضون عن التفكر فيه والتاهب له بالايمان **ما ياتيهم**
من ذكر ينبههم من سنة الغفلة والجهالة وهو القرآن **من ربهم** صفة لذكر
او صلة لياتيهم **محدث** تنزيله وتلاوة جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم او
المعنى شيا فشيا لانه مخلوق وقيل الذكر الرسول نفسه بدليل هل هذا الا بشر
مثلكم ولو اراد بالذكر القرآن لقال هل هذا الا اساطير الاولين ودليل هذا التاويل
ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **الا استمعوه**
يعني النبي او القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم **وهم يلعبون** اي يلهون او
يستهزؤن ويسخرون به لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر
في العواقب وهو جملة في موضع الحال من الواو وكذا **لاهية قلوبهم** اي استمعوه

جامعين بين الاستهزاء به والتلهى والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو
يلعبون واسروا النجوى الكلام اى بالغوا فى اخفائها الذين ظلموا بدل من واو
اسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او فاعل له والواو علامة الجمع او مبتدأ والجملة
المتقدمة خبره او منصوب على الذم او النجوى هل هذا الا بشر مثلكم اى تناجوا بينهم
وقالوا هل هذا الذكر الذى هو الرسول والذى يدعوكم الا بشر مثلكم ياكل الطعام
ويمشى فى الاسواق افتاتون السحر اى الذى جاء به محمد سحر فكيف تجيبون اليه
وتتبعونه وانتم تبصرون انه انسان مثلكم فاطلع الله تعالى نبيه على ما تناجوا به
والسحر فى اللغة كل ما موه لا حقيقة له ولا صحة وقيل افتقبلون السحر وانتم تعلمون انه
سحر وقيل افتعدلون الى الباطل وانتم تعرفون الحق ومعنى الكلام التوبيخ قل ربى
يعلم القول كائنا فى السما والارض جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به وقرى قال
بالاخبار عن الرسول وفى السما حال من القول والمعنى لا يخفى عليه شى وهو السميع
لاقوال الخلق العليم بها وباعمالهم فيجازيهم كلا بما سمعه وعلمه فهو تهديد بل قالوا
اضغاث احلام اضراب لهم عن قولهم سحر الزجاج قالوا الذى يأتى به اضغاث احلام
وقال غيره هى اخلاط كالاحلام المختلطة اى اهاويل يراها فى المنام والاضغاث ما لم
يكن لها تاويل فلما راوا ان الامر ليس كما قالوا انتقلوا عن ذلك فقالوا بل افتراه اى
اختلقه من تلقا نفسه ثم انتقلوا عن ذلك فقالوا بل هو شاعر فما اتى به شعر
اى هم متحيرون لا يستقرون على شى مرة قالوا سحر ومرة اضغاث احلام ومرة افتراه
ومرة شاعر وقيل قال فريق انه سحر وفريق انه اضغاث احلام وفريق انه افتراه
وفريق انه شاعر فليأتنا بآية كما ارسل به الاولون اى كما ارسل موسى بالعصا
وصالح بالناقة وعيسى بابرا الاكمه واحيا الموتى وصح التشبيه من حيث ان
الارسال يتضمن الاتيان بالاية قال الله تعالى ما امنت قبلهم اى كفار مكة من

قرية

قرية اى من اهل قرية اهلكناها اى كان فى علمنا اهلاكها باقتراح الايات لما جاءتهم
افهم يومنون اى فما امنوا بالايات واستوصلوا بالعذاب فلو راى هؤلاء ما اقترحوا
لما امنوا لما سبق من القضا بانهم لا يومنون وانما تاخر عذابهم لعلمنا بان فى اصلابهم
من يومن وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم لا ملائكة هذا رد عليهم فى قولهم
هل هذا الا بشر مثلكم فاسالوا اهل الذكر هل الرسل قبل محمد من البشر او من الملائكة
ان كنتم لا تعلمون ذلك فانهم يعلمونه وانتم الى تصديقهم اقرب من تصديق المومنين
بمحمد واهل الذكر اهل الكتاب فامرهم ان يسالوهم عن حال الرسل المتقدمة لتزول عنهم
الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان المكيين كانوا يشاورونهم فى امر النبى صلى الله عليه
وسلم ويثقون بقولهم اولان اظهار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقيل اهل
الذكر من امن من اهل الكتاب وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام الضمير
للانبيا اى لم نجعل الرسل قبلك خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون الى الطعام وشراب
وما كانوا خالدين اى لا يموتون وهو تاكيد وتقرير فان التعيش بالطعام من توابع
التحليل المودى الى الفنا وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر فى الاصل او على
حذف المضاف وقيل المعنى وما جعلنا كل واحد منهم جسدا وهو جسم ذو لون ولذلك
لا يطلق على الما والهوى وقيل جسم ذو تركيب لان اصله تجمع الشى واشتداده وقال
الكلبى هو المتجسد الذى فيه الروح ياكل ويشرب فعلى هذا يكون مالا ياكل ولا يشرب
جسما وقال مجاهد هو مالا ياكل ولا يشرب فعلى هذا يكون ما ياكل ويشرب نفسا
ونفى الذات الموصوفة قد يكون نفيا للصفة دون الذات اى بل هم جسد ياكلون الطعام
ثم صدقناهم الوعد اى فى الوعد بانجائهم فانجيناهم يعنى الانبيا ومن نشا
يعنى المومنين بهم ومن فى ابقائه حكمه كمن سيومن هو او احد من ذريته ولذلك
جيء العرب من عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين فى الكفر والمعاصى

المكذبين لهم لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا يعني القران فيه ذكركم اي
صيتكم وشرفكم وقيل بلغتكم وقيل فيه ذكر دينكم واحكام شرعكم بجاهد فيه حدثكم
ومكارم اخلاقكم ومحاسن اعمالكم وقال سهل بن عبد الله العمل بما فيه حياتكم وبجوز ان
يكون ذكر مضافا الى الفاعل اي ما ذكرتم من الشرك وتكذيب النبي فيكون المفعول محذو
افلا تعقلون فتومنون به وكم قصمنا من قرية مدائن كانت باليمن وقال اهل
التفسير اراد اهل حضور اكانت ظالمة كافرة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت
مقامه والقصم الكسر والمعنى هاهنا الاهلاك وانشانا بعدها اي بعد اهلاك اهلها
قوما اخرين مكانهم فلما احسوا باسنا اي ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس
والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون اي يهربون ويفرون فرعين ركض الخيل
دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم استهزا
لا تركضوا اما بلسان الحال والمقال والقائل الملائكة او من ثم من المومنين وارجعوا
الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم
لعلكم تسالون غدا عن اعمالكم وتعذبون فان السوال من مقدمات العذاب او
تقصدون للسوال في المهمات والنوازل او تسالون شيا من دنياكم استهزا بهم وقيل
تسالون عما نزل بكم من العقوبة فتخبرون به قالوا يا ويلنا يا للتنبيه او المعنى
يا ويلنا اي هلاكنا احضر فهذا اوانك انا كنا ظالمين بالكفر لما راوا العذاب ولم
يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل انا اهل حضور امن اهل اليمن بعث الله اليهم
نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم ونادى منادٍ من
السما يا لثارات الانبيا فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك الكلمات دعواهم
اي فما زالوا يرددون ذلك حتى جعلناهم حصيدا اي مثل الحصيد بالسيوف
كما يحصد الزرع بالمنجل وقيل بالعذاب خامدين اي ميتين كالنار لما تطفا

وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين اي عبثا وباطلا بل للتنبيه على ان
لها خالقا قادرا يجب امتثال امره وانه يجازي المحسن والمسي وانه خلقها مشحونة
بضروب البدايع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسببا لما ينتظم به امور
العباد في المعاش والمعاد لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من
لدنا اي من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة
والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها
وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة وقيل المعنى لو اردنا ان نتخذ ما يلهى به من
زوجة وولد لاتخذناه من عندنا من الحور العين والملائكة والمراد الرد على النصارى
ان كنا فاعلين اي ما كنا فاعلين وقيل انه على معنى الشرط اي ان كنا فاعلين ذلك ولكن
لسنا بفاعلين ذلك لاستحالة ان يكون لنا ولد بل نقذف بالحق على الباطل اضراب
من اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اي بل شاننا ان يغلب الحق الذي هو من
جملة الجد على الباطل الذي هو من عداد اللهو فيدمغه اي فيمحقه وانما استعار لذلك
القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذي هو كسر الدماغ
بحيث يشق غشاه المودي الى زهوق الروح تصوير الابطاله ومبالغة فيه والحق
هنا القران والباطل الشيطان في قول مجاهد وقيل الباطل كذبهم ووصفهم الله عز
وجل بغير صفاته من الولد وغيره وقيل الايمان والكفر فاذا هو زاهق اي هالك
تالف ولكم يا كفار مكة الويل اي العذاب الشديد مما تصفون الرب بما لا يجوز
وصفه به وما مصدرية او موصولة وله تعالى من في السموات والارض خلقا
وملكا ومن عنده يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند
الملوك وهو معطوف على من في السموات وافرده للتعظيم او مبتدا خبره لا يستكبرون
عن عبادته اي لا يانفون ولا يتعظمون عنها ولا يستحسرون اي لا يعيون ولا

يملون وقيل لايكلون منها وانما جئ بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان
عبادتهم بثقلها وود وانها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون يسبحون الليل
والنهار اي ينزهون الله ويعظمونه دائما لايفترون حال من الواو في يسبحون او هو
استيناف والمعنى لايسامون ولا يضعفون قال كعب تسبيحهم كالنفس لبني ادم
لايشغلهم عنه شاغل وقال قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس
مع اصحابه اذ قال الا تسمعون ما اسمع قالوا ما نسمع من شئ يا رسول الله قال اني اسمع
اطيط السماء وحقوقها ان تئط ما فيها موضع راحة الا وفيها ملك ساجد او قائم ام اتخذوا
آلهة كائنة من الارض كجر وذهب هم اي الالهة ينشرون اي يحيون الموتى والمقصود
الاستفهام الانكاري لاتخاذهم اي لم يتخذوا الهة تقدر على الاحياء وقيل ام بمعنى هل
اي هل اتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الارض يحيون الموتى ولا تكون ام هنا بمعنى بل
لان ذلك يوجب لهم انشاء الموتى الا ان تقدر ام مع الاستفهام فتكون ام المنقطعة
فيصح المعنى قاله المبرد وهم وان لم يصرحوا به لكن يلزم من دعاوهم لها الالهية فان من لوازمها
الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم به وللمبالغة في ذلك زيد الضمير
الموهم للاختصاص الاشعار بهم لو كان فيهما اي السموات والارض آلهة الا الله قال
الكسائي وسيبويه الا بمعنى غير اي لو كان فيهما الهة غير الله معبودون لفسدتا
اي خرجتا عن نظامهما المشاهد لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم
وقال الفراء الا هنا في موضع سوى والمعنى لو كان فيهما الهة سوى الله لفسد اهلها
ولا يجوز ان تكون الا في هذه الاية للاستثناء لان الهة جمع منكر في الاثبات فلا عموم له
فلا يصح الاستثناء منه ولانه يصير المعنى حينئذ لو كان فيهما الهة ليس الله لفسدتا وفيهم
وهو باطل باعتبار مفهومه وذكر ابن الصائغ ان الا هنا بمعنى بدل اي لو كان
فيهما الهة بدل الله او عوضه لفسدتا وبه يخرج عن الاشكال المذكور في الاستثنا

وفي

وفي الوصف بالا من جهة المفهوم وقيل المعنى لو كان فيهما الهان لفسد التدبير فيلزم
امتناع تعدد الآلهة بالعلم بانتفاء الفساد واقتضى القول في هذا ان الالهين لو فرضا
لم يعرف بينهما الاختلاف في تحريك جرم وتسكينه فمحال ان تتم الارادتان ومحال ان
لا تتم واذا تمت واحدة كان صالحا للاخرى عاجزا وهذا ليس بالله وجواز الاختلاف
عليهما بمنزلة وقوعه منهما فسبحان تنزيه الله رب خالق العرش المحيط بجميع
الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ المقادير عما يصفون اي الكفار الله به
من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه
وتفرده بالالوهية ابن جرير المعنى لا يسأله الخلق عن قضائه في خلقه وهم يسألون
عن افعالهم لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للالهة او للعباد ابن عطية
يحتمل معنيين اما ان يريد لحق ملكه وسلطانه لا يعارض ولا يسأل عن شئ يفعله
اذ له ان يفعل في ملكه ما يشاء واما ان يريد انه المحكم الافعال واضع كل شئ
موضعه فليس في افعاله موضع سؤال ولا اعتراض وهؤلاء البشر يسألون
لهاتين العلتين لانهم ليسوا ملكيين ولانهم في افعالهم خلل كثير ام اتخذوا من دونه
تعالى اي سواه آلهة اعاد التعجب في اتخاذ الالهة من دونه مبالغة في التوبيخ
واستعظاما لكفرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم وقيل الاول احتجاج من حيث المعقول
لانه قال هم ينشرون الموتى هيهات والثاني احتجاج بالمنقول والمعنى اوجدوا
الهة ينشرون الموتى فاتخذوهم الهة لما وجد وا فيهم من خواص الالهية او
وجد وا في الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد
ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده
نقلا فقال قل هاتوا برهانكم اي حجتكم على ذلك في اي كتاب نزل ولا
سبيل اليه هذا ذكر من معي هو القرآن وذكر من قبلي من الكتب السماوية

فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك ومن بعي ابتى ومن
قبلي الامم المتقدمة **بل اكثرهم لا يعلمون الحق** ولا يميزون بينه وبين الباطل
فهم معرضون عن التوحيد واتباع الرسل من اجل ذلك او عن النظر الموصل **وما**
ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحي وفي بالنون وكسر الحا **اليه انه لا اله الا**
انا فاعبدون اي وحدى وهو تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي بين حيث
انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة **وقالوا**
اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله وكانوا يعبدونهم
طمعا في شفاعتهم **سبحانه** تنزيه له عن ذلك **بل عباد** اي بل هم عباد من حيث
انهم مخلوقون وليسوا باولاد **مكرمون** اي مقربون عنده والعبد لا يكون بعبود
للثاني **لا يسبقونه بالقول** اي لا يقولون شيا حتى يقوله كما هو شان العبيد
واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليهم وجعل القول محله واداة تنبيها
على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله **وهم بامره يعملون**
بعده لا يعملون قط ما لم يامرهم به **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم** لا تخفى عليه
خافية مما قدموا واخروا **ولا يشفعون الا لمن ارتضى** ان يشفع له مهابة منه
ابن عباس هم اهل لا اله الا الله **وهم من خشيته** اي عظمته ومهابته **مشفقون**
مرتعدون وقيل ثابتون على الخوف لا يامنون المكر واصل الخشية خوف
تعظيم ولذلك خص بها العلما والاشفاق خوف مع اعتنا فان عدي بمن
ضمن معنى الحذر فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس **ومن يقل منهم** اي من
الملائكة وقيل من الخلائق **اني اله من دونه** اي غير الله قيل وهو ابليس دعا
الى عبادة نفسه وامر باطاعتها **فذلك نجزيه جهنم كذلك** اي مثل جزائه **نجزي**
الظالمين اي من ظلم بالاشراك وادعى الربيه وصفوا بالظلم لوضعهم الالهية

والعباده

والعبادة في غير موضعها **اولم ير الذين كفروا** اي اولم يعلموا وقرئ بغير
واو **ان السموات والارض كانتا رتقا** اي ذوات رتق اومرتوقتين وهو
الضم والالتحام اي كانتا شيا واحدا وحقيقة متحدة **ففتقناهما** بالتنويع والتمييز
فتادة كانتا شيا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما وقيل كانت السموات طبقة
واحدة ففتقها وجعلها سبع سموات وكذلك الارض فجعلها سبعا وقيل كانتا رتقا
لا تمطر ولا تنبت ففتقهما بالمطر والنبات ويكون المراد بالسموات سما الدنيا
وجمعها باعتبار الافاق او السموات باسرها على ان اظهاد خلافي الامطار والكفرة
وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى موثر
واجب ابتدا او بتوسط من العلما او مطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن
لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض الاخفش لانهما صنفان **وجعلنا من الما**
كل شي حي اي وخلقنا من الما النازل من السما والنابع من الارض كل حيوان
لقوله والله خلق كل دابة من ما وذلك لانه من اعظم مواده ولفرط احتياجه اليه
وانتفاعه بعينه وقيل المعنى صيرناه سببا لحياة كل شي نبات وغيره **افلا**
يومنون اي يصدقون بتوحيدي مع ظهور الايات **وجعلنا في الارض**
رواسي اي جبالا ثوابت من رسا اذا ثبت وهي جمع راسية ولا يقال الا في
الاجرام الكبار كالجبال والسفينة **ان تميد بهم** اي لئلا تميد او كراهة ان
تميد بهم والميد التحريك **وجعلنا فيها** اي في الارض او في الرواسي **فجاجا**
سبلا اي مسالك واسعة وسبلا تفسير الفجاج لان الفج قد يكون ولا يكون
طريقا مسلوكا وقيل قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين
خلقها كذلك **لعلهم يهتدون** الى مصالحهم ومقاصدهم في الاسفار **وجعلنا**
السما سقفا محفوظا للارض كالسقف للبيت محفوظا عن الوقوع او عن الفساد

والاضلال الى الوقت المعلوم وقيل محفوظا بالنجوم من الشياطين وقيل من الشرك
والمعاصى **وهم عن اياتها** اى اخوالها من ليلها ونهارها ورياحها وسحابها وشمسها
وقمرها وغير ذلك الدال على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهى حكمته التى
تحس بعضها وتبحث عن بعضها فى علمى الطبيعة والهيئة واضاف الايات الى السما
لانها مجعولة فيها **معرضون** غير متفكرين فيها فيعلمون ان خالقها لاشريك له
وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الايات **كل فى فلك**
اى كل واحد منها والتنوين بدل المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولك كسا هم
الامير حلة **يسبحون** اى يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الما ويسبحون
خبر كل على المعنى وجمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلا لان السباحة فعلهم
قال ابن زيد الافلاك كمجارى النجوم والشمس والقمر قال وهى بين السما والارض فتادة
الفلك استدارة تدور بالنجوم كالطاحونة مع ثبوت السما مجاهد الفلك كهيئة
حديدة الرحا وهو قطبها وقيل الفلك موج مكفوف ومجرى الشمس والقمر فيه
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اى دوام البقا فى الدنيا **افان مت فهم**
الخالدون فيها الا. نزلت حين طعن الكفار على النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا
انه بشر ياكل الطعام ويموت وقيل حين قالوا نتربص به ريب المنون وفى هذا
المعنى قول بعضهم. فقل للشامتين بنا افيقوا. سيلقى الشامتون كما لقينا.
والف الاستفهام داخلة فى المعنى على جواب الشرط وقدمت فى اول الجملة لان الاستفهام
له صدر الكلام والتقدير افهم الخالدون ان مت والفا لتعلق الشرط بما قبله وللهمزة
لانكاره **كل نفس ذائقة الموت** اى ذائقة مرارة مفارقتها جسدها فى الدنيا
وهو برهان على ما انكروه **ونبلوكم** اى نعاملكم معاملة المختبر **بالشر والخير**
اى بالبلايا والنعم كفقر وغنى وسقم وصحة وقيل بالحرام والحلال **فتنة**

اى

اى امتحانا وتكشفا وهو مفعول له وقدم الشر لان الاختبار والابتلا فيه اكثر
والمراد ظهور احوالهم وان كانت معلومة عنده سبحانه **والينا ترجعون** فنجازيكم
حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر **واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك**
الا هزوا اى ما يتخذونك الا مهزوا به يقولون **اهذا الذي** جواب اذا وقوله ان
يتخذونك الا هزوا كلام معترض بين اذا وجوابه **يذكر الهتكم** اى يسوء وانما اطلقه
لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء **وهم بذكر الرحمن** بالتوحيد او بارشاد
الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن **هم كافرون** اى منكرون
اذ قالوا ما نعرفه فهم احق ان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتاكيد وللتخصيص والجملة
الصلة بينه وبين الخبر **خلق الانسان من عجل** كانه خلق منه لفرط استعجاله
وقلة تأنيه كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع وهو
منه مبالغة فى لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر
واستعجال الوعد روى انها نزلت فى النضر بن الحارث حين استعجل العذاب وقيل
الانسان ادم خلقه الله فى اخر ساعة من يوم الجمعة قبل مغيب الشمس وروى انه
قال يا رب اكمل خلقى فان الشمس على الغروب او قد غربت وقيل العجل الطين يبلغه
حميرسا **اريكم اياتى** اى نقماتى فى الدنيا كوقعة بدر وفى الاخرة عذاب النار وقيل
المراد ما دل على صدق النبى صلى الله عليه وسلم من المعجزات وما جعله الله له من العاقبة
المحمودة وقيل معنى خلق الانسان من عجل اى قيل له كن فكان فمعنى **فلا تستعجلون**
على هذا القول انه من يقول للشى كن فيكون لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الايات
ويقولون متى هذا الوعد اى الموعود كما يقال انت رجاونا اى مرجونا والمعنى به العذاب
او القيامة **ان كنتم صادقين** فيه يعنون النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه لانهم
كانوا يتوعدونهم قال الله تعالى **لو يعلم الذين كفروا** العلم هنا بمعنى المعرفة فلا

تقتضي مفعولا ثانيا وجواب لو محذوف اي لو عرفوا حين لا يكفون يدفعون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون يمنعون لما استعجلوا
الوعيد الزجاج لعلموا صدق الوعد وقيل المعنى لما اقاموا على الكفر ولا منوا اولما
قالوا ذلك وانهم قدر العذاب لانه ابلغ واهيب من النص عليه وذكرها الوجوه لشرفها
ولانها مواضع حواس الانسان وهو احوص على الدفع عنها ثم ذكر الظهور ليبين عموم النار
واحاطتها بهم من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها
ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك وقال الكسائي في الاية
تنبيه على وقوع الساعة اي لو علموا علم يقين لعلموا ان الساعة آتية ودل عليه بل تاتيهم
القيامة بغتة اي فجاة من غير مقدمة وقيل العدة وقيل النار فتبهتهم اي
فتغلبهم او تحيرهم وقرى الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين فلا يستطيعون
ردها اي صرفها ولا هم ينظرون اي يمهلون ويوخرون لتوبة او معذرة ولقد
استهزي برسل من قبلك انس بنبيه وسلاه بما جرى على سائر الانبيا من استهزا
قومهم بهم وحلول العذاب بالمستهزين فحاق اي احاط ودار وهي مستعملة في العذاب
والمكان بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون اي جزا استهزايهم فوضع
ما يفعلون به يحيق بهم كما حاق بالمستهزين بالانبيا قل يا محمد للمستهزين من يكلوكم
اي يحرسكم ويحفظكم بالليل والنهار من الرحمن اي من باسه ان اراده بكم وفي لفظ
الرحمن تنبيه على انه لا كالئ غير رحمته العامة وان اذ فاعه بمهلته ثم قيل ان
اللفظ خرج مخرج الاستفهام والمراد به النفي والتقدير لا حافظ لكم من الرحمن والخطاب
لمن اعترف منهم بالصانع اي اذا اقررتم بانه الخالق فهو قادر على احلال العذاب او
ان المخاطبين لا يخافون عذاب الله لانكارهم له لقوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون
اي لا تخطر ببالهم فضلا ان يخافوا باسه وقيل الذكر القران ام لهم الهة اي بل الهم الهة

تمنعهم من دوننا اي تمنعهم العذاب منعا يتجاوز منعنا او من عذاب يكون
من عندنا لا يستطيعون اي الالهة نصر انفسهم ولا هم اي الكفار منا يصحبون
استيناف بابطال ما اعتقدوه فان من لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله
كيف ينصر غيره ابن عباس يصحبون يمنعون وعنه يجارون يقال صحبك الله اي
اجارك وحفظك قتادة لا يصحبهم الله بخير ولا يجعل رحمة صاحبا لهم بل متعنا هو لا
وابآهم حتى طال عليهم العمر اي امتد عليهم الزمان في النعمة حتى ظنوا انها لا تزول
عنهم فاغتروا واعرضوا عن تدبير حجج الله افلا يرون انا ناتي الارض اي ارض الكفرة
ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على
ايدي المسلمين افهم الغالبون رسول الله والمومنين ابن عطية اما ان يريد فيما
يخرب من العمور فذلك نقص للارض واما ان يريد موت البشر فهو بنقص القرون
ويكون المراد جنسنا تاتي اهل الارض وقال قوم النقص من الارض موت العلما ثم وقفهم
على جهة التوبيخ فقال افهم الغالبون اي يغلبون من غلب جميع الارض وقهر الكل بسلطانه
وعظمته اي ان ذلك محال بل هم يغلبون والغالب النبي واصحابه قل لهم انما انذركم
بالوحي اي بما اوحى الي لا من قبل نفسي ولا يسمع الصم الدعا اي من اصم الله قلبه
وختم على سمعه وقرى ولا تسمع على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وقرى بالياء على ان
فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على عدم انتفاعهم بما
يسمعون اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعا والتقييد به لان الكلام
في الانذار او للمبالغة في تصامهم ولئن مستهم نفحة اي ادنى شي ابن عباس طرف
ابن كيسان قليل ابن جريج نصيب وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى
القلة فان اصل النفح هبوب رايحة الشي والبنا الدال على المرة من عذاب ربك من
الذي ينذرون به ليقولن يا للتنبيه ويلنا انا كنا ظالمين بالشرك اي لدعوا

على انفسهم بالويل وهو الهلاك واعترفوا بالظلم فيعترفون حين لا ينفعهم
الاعتراف ونضع الموازين القسط اي العدل توزن بها صحائف الاعمال
والقسط صفة الموازين ووحده لانه مصدر وان نشت كان التقدير ذوات
القسط ليوم القيامة اي لجزاء يوم القيامة اولاهله اوفيه فلا تظلم نفس
شيا بنقص حسنة اوزيادة سيية وان كان مثقال حبة من خردل اي وان
كان العمل او الظلم مقدار حبة وقرى مثقال بالرفع على ان كان تامة اتينا بها
اي احضرناها والضمير للمثقال وتانيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين
اي محصين فى كل شى اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا وهو تهديد وتقدم القول فى البراء
ويا تى ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان اي التوراة لان فيها الفرق بين الحق
والباطل والحلال والحرام وضيآء يستضاء به فى ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا
للمتقين يتعظون به اوذكرما يحتاجون اليه من الشرايع وقيل الفرقان النصر و
فلق البحر وقرى ضيآء بغير واو على انه حال من الفرقان وقيل دخلت الواو على الصفة
كما تقول مررت بزيد الكريم والعالم الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح
لهم منصوب بالغيب اي مع انهم لم يروه هذا ما عليه الاكثر وقيل بالغيب عن
الناس اى فى الخلا عنهم وهم من الساعة اي اهوالها مشفقون اي خائفون وهذا
ذكر يعنى القرآن مبارك كثير خيره انزلناه على محمد افانتم له منكرون استفهام
توبيخ ولقد اتينا ابراهيم رشده اي الاهتداء لوجوه الصلاح ووفقناه للنظر
والاستدلال واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شانا من قبل اي من
قبل موسى وهارون اومحمد وقيل من قبل بلوغه وقيل من قبل استنبائه حيث قال
انى وجهت وجهى وكنا به عالمين اى علمنا انه اهل لما آتيناه وفيه اشارة الى ان
فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه وقومه متعلق بآتينا

اوبرشده اذ بحذوف اي اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل
الاصنام التى انتم لها عاكفون اي مقيمون على عبادتها وهذا منه تحقير
لشانها وتوبيخ على اجلالها فان التماثيل صورة لا روح فيها لا تضر ولا تنفع
واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى وانتم
فاعلون العكوف لها وتجوز ان يوول بعلى او يضمن العكوف بمعنى العبادة
قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام
من السوال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لهم لقد كنتم انتم واباؤكم
بعبادتها فى ضلال مبين بين اي منخرطون فى سلك ضلال لا يخفى على عاقل
لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد انما يجوز لمن لم يعلم فى الجملة انه
على حق قالوا اجئتنا بالحق اجادا انت محق فيما تقول ام انت من اللاعبين اى
لاعب مازح فانهم لاستبعادهم تضليل اباءهم ظنوا انما قاله على وجه الملاعبة
قال بل ربكم المستحق للعبادة رب السموات والارض الذى فطرهن اضراب
عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه ومعنى فطرهن اخترعهن على غير مثال
سبق وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين به اى المحققين له والبرهان
له فان الشاهد من تحقق الشى وحققه وتالله لاكيدن اصنامكم اي لاجتهدن
فى كسرها والتاء حرف جر معناه القسم ويختص باسم الله تعالى الزمخشرى انها اصل
احرف القسم والواو بدل منها والتاء تبدل من الواو وفيها معنى التعجب كانه تعجب من
تسهيل الكيد على يديه وتاتيه مع عتو نمرود وقهره ولفظ الكيد لصعوبة الامر
وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا مدبرين الى عيدكم ولعله قال ذلك
سرا فجعلهم جذاذا اي فتاتا وقطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو
القطع وقال فجعلهم لان القوم اعتقدوا فى اصنامهم الالهية الا كبيرا لهم اي

للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفاس فى عنقه لعلهم اليه الى ابراهيم
يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره
بعداوة الهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم وقيل يرجعون الى الكبير
فيسالونه عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع اليه فى حل العقد او الى
الله اى يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز الهتهم قالوا حين رجعوا من فعل
هذا بالهتنا على جهة التحير والانكار انه لمن الظالمين بجراته على الالهة الحقيقة
بالاعظام او بتوريط نفسه للهلاك قالوا اى الصفعة منهم سمعنا فتى يذكرهم
اى يعيبهم ويسبهم فلعله هو ويذكرهم ثانى مفعولى سمع او صفة لفتى وهو
ابلغ فى نسبة الذكر اليه يقال له ابراهيم اى هو ابراهيم ويجوز رفعه بالفعل
لان المراد به الاسم لا الشخص كما تقول زيد ثلاثة احرف فلم تدل على الشخص بل
دلت على نفس اللفظه والفتى الشاب ابن عباس ما ارسل الله نبيا الا شابا قالوا
فاتوا به على اعين الناس كرهوا ان ياخذوه بغير بينة فقالوا اتوا به ظاهرا
بمرا من الناس حتى يروه لعلهم يشهدون بما قال ليكون حجة عليه وقيل لعلهم
يشهدون عقابه فلا يقدم احد على مثل ما اقدم عليه او لعلهم يشهدون
بانهم راوه يكسر الاصنام قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم حين
احضروه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسلوهم عن فاعله ان كانوا ينطقون
اسند الفعل اليه تجوزا لما راى من زيادة تعظيمهم له او تقريرا لنفسه مع الاستهزا
والتبكيت والمعنى انه غار وغضب من ان يعبد هو وتعبد الصغار معه
تلويحا لعابديها بان الاصنام لا تصلح ان تكون آلهة وقيل انه فى المعنى متعلق
بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض اى علق فعل الكسر بنطق الاصنام
تنبيها لهم على فساد اعتقادهم كانه قال بل هو الفاعل ان نطق هولا وقيل

فعله

فعله مسند الى ضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدا وخبر ولذلك
وقف على فعله وقوله انت فعلت هذا محتمل لارادة الاستفهام الحقيقى
بان يكونوا لم يعلموا انه الفاعل ولارادة التقرير بان يكونوا قد علموا ولا يكون
استفهاما عن الفعل لان الهمزة لم تدخل عليه ولانه عليه الصلاة والسلام قد
اجابهم بالفاعل بقوله بل فعله كبيرهم هذا وما روى انه عليه الصلاة والسلام
قال لابراهيم ثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورة
الكذب فرجعوا الى انفسهم اى رجع بعضهم الى بعض وراجعوا عقولهم رجوع
المنقطع عن حجته المتفطن لصحة حجة خصمه فقالوا انكم انتم الظالمون بهذا
السوال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع وكيف ينفع عابديه ويدفع
عنهم البأس من لا يرد عن نفسه او المعنى ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم
نكسوا على رؤسهم اى انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة وعادوا
الى جهلهم وعنادهم وشبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشى اعلاه فهو
استعارة للذى يرتكم فى غيه كانه منكوس على راسه فى اقبح هيئة للانسان
وكذا هو اسوا حالات الناظر وقالوا والله لقد علمت ما هولا ينطقون فكيف
تامرنا بسوال ما لا ينطق فهو على ارادة القول قال فاطعا لما به يهذون ومفحما
لما به يتقولون افتعبدون من دون الله اى بدله ما لا ينفعكم شيا ولا يضركم
انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافى الالوهية
اف لكم ولما تعبدون من دون الله اى عيرهم وهو تضجر منه على اصرارهم على الباطل
البين واف صوت المتضجر وهى كلمة تقال عند المستقذرات من الاشيا فيستعار
ذلك للمكروه من المعانى ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتاقف له افلا تعقلون
قبح صنيعكم وان هذه الاصنام لا تستحق العباده قالوا اخذا فى المضارة لما عجزوا

عن المحاجة حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا الهتكم بالانتقام لها
ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصريها نصر امورا والقائل هذه الكلمه لهم رجل
من الاكراد فارس اسمه هيون فخسف به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كوني
بردا وسلاما اي ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات
جعل النار المسخرة لقدرته مامورا بمطلقا واقامة كونى ذات برد مقام ابردى ثم
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا
سلاما عليه وروي انهم لما اجمع رايهم على تحريقه حبسه نمرود الملك وامرهم
بجمع الحطب في مدة شهر حتى صار كالجبل ثم بنوا حظيرة واضرموا نارا عظيمة فلما
اراد واطرح ابراهيم فيها لم يقدروا على القرب منها فجاءهم ابليس في صورة شيخ
وصنع المنجنيق ورمى به فيها فلقيه جبريل وهو في الهوا فقال الك حاجة فقال
اما اليك فلا فقال سل ربك قال حسبي من سوالي علمه حالي فجعل الله بركته قوله
الخظيرة روضه ولم يحترق منه الا وثاقه وذهبت الحرارة وبقيت الاضاة وكان حين
القي في النار ابن ستة عشر سنة وروى ان نمرود اطلع عليه من الصرح فقال الى
مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابراهيم وروى انه لما خوطبت
النار جمدت كل نار في الارض وانقلاب النار هوا طيبة ليس ببدع غير الله هكذا
على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى رفع
عنه اذاها كما ترى في السندل ويشعر به قوله على ابراهيم واراد وا به كيدا
اي مكرا في اضلاله فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا
قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لزيادة درجته واستحقا
اشد العذاب ونجيناه ولوطا ابن اخيه هاران الى الارض التي باركنا فيها
للعالمين اى من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبيا بعثوا فيه

فانتشرت في العالمين شرايعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينيه
والدنيويه وقيل كثرة النعم والخصب الغالب والثمار والانهار وروي انه
نزل بفلسطين ولوط بالموتفكه وبينهما مسيرة يوم وليله ابن عباس الارض
المباركة مكة ووهبنا له لابراهيم اسحاق ويعقوب نافلة زيادة لانه دعا
في اسحاق فزيد في يعقوب من غير دعا فكان ذلك نافلة ويقال لولد الولد نافلة
وكلا يعني الاربعه جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا
كاملين انبيا وجعلناهم ائمة اي رؤسا يقتدي بهم يهدون الناس الى الحق
بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات
اي ان يفعلوا الطاعات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واقام
الصلاة وايتا الزكاة هو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تا الاقامة
المعوضة من الالف لقيام المضاف اليه مقامها وكانوا لنا عابدين اى موحدين
مخلصين في العباده ولذلك قدم الصله ولوطا آتيناه حكما اي حكمة او نبوة او
فصلا بين الخصوم وعلما مما ينبغي علمه للانبيا ونجيناه من القرية اي قرية
سدوم التي كانت تعمل الخبائث يعني اللواط وقيل الضراط في النادي وحذف
الحصبا واللعب بالطيور والرمي بالبندق وغير ذلك ووصفها بصفة
اهلها واسندها اليه على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه انهم
كانوا قوم سوء مصدر ساء نظير سره فاسقين فانه تعليل له وادخلناه
في رحمتنا بان انجيناه من قومه انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا
الحسنى والرحمة قيل الاسلام وقيل الجنة واذكر نوحا اذ نادى اي دعا
الله على قومه بالهلاك من قبل اي من قبل المذكورين ابراهيم ولوط ومن معهما
فاستجبنا له دعاه فنجيناه واهله المومنين في السفينة من الكرب العظيم

اي من الطوفان اومن اذي قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه من القوم
اي على القوم وقيل المعنى منعناه او انتقمنا له من القوم الذين كذبوا بآياتنا
الدالة على رسالته ان لا يصلوا اليه بسوء انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم
اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في السوء فانهما لم يجتمعا في قوم
الا واهلكهم الله واذكر داود وسليمان اي قصتهما اذ يحكمان في الحرث اي
في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعت فيه
ليلا والنفش الرعي بالليل والهمل الرعي بالنهار اذا رعت بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين
اي لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين وقيل الضمير لداود وسليمان ففيه دليل على ان
اقل الجمع اثنان ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او القضية وكنى عنها اذ
سبق ما يدل عليها وكانت غنم رجل قد دخلت حرث اخر فاكلته فقال داود لصاحب
الحرث لك رقاب الغنم فقال سليمان وهو ابن احدي عشرة سنة او غير ذلك ارفق
بهما قال وما هو قال تريد دفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها واولادها
وشعرها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان
ولعلهما قالا ذلك اجتهادا ورجع داود الى سليمان وقيل كان بوحي والثاني ناسخ
للاول وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط
الدواب ليلا ولذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا
وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند
ابي حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه الصلاة والسلام جرح العجماء
جبار وكلامنهما اتينا حكما وعلما بامور الدنيا فيه على ان خطا المجتهد لا يقدح فيه
وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف مفهوم قوله ففهمناها وسخرنا مع
داود الجبال يسبحن اي يقدسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت تمثل له

للتسبيح
او خلقه الله فيها قال وهب كان داود يمر بالجبال مسبحا والجبال تجاوبه بالتسبيح
وكذلك الطير وقيل كان اذا وجد فطرة امر الجبال فسبحت حتى يشتاق ولهذا
قال وسخرنا اي جعلناها بحيث تطيعه اذا امرها بالتسبيح وقيل ان تسبيحها
سيرها معه وقيل يسبحن يصلين والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ
بالرفع على الابتدا وكنا فاعلين لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم
وعلمناه صنعة لبوس يعني عمل الدرع بالالة الحديد له وهو بمعنى الملبوس
قتادة اول من صنع الدروع داود وانما كانت صفائح فهو اول من سردها وحلقها
لكم متعلق بعلم او صفة للبوس ليحصنكم من بأسكم بدل منه بدل الاشتمال
باعادة الجار والضمير لداود او للبوس وقرئ بالتا للصنعة او للبوس على تاويل
الدرع وقرئ بالنون لله عز وجل ومعنى من بأسكم من حربكم او من آلة بأسكم ابن عباس
من سلاحكم الضحاك من حرب اعدائكم فهل انتم يا اهل مكة شاكرون ذلك امر
اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان اي وسخرنا له الريح
عاصفة اي شديد الهبوب من حيث انها تستقل بكرسيه في مدة سيره كما قال
غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها لينة وقيل كانت رخاء تارة
وعاصفة اخرى حسب ارادته تجري بامره اي بمشيته حال ثانية او بدل من
الاولى وحال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها اي الى الشام ولها بعد
ما سار به منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجزيه على ما تقتضيه الحكمة ومن
ذلك علمه تعالى بان ما يعطيه سليمان يدعوه الى الخضوع لربه ففعله تعالى على
مقتضى علمه ومن الشياطين من يغوصون له يدخلون في البحار ويخرجون
تفاسه ويعملون عملا دون ذلك اي ويتجاوزون الى اعمال اخر كبناء المدن
والقصور واختراع الصنايع الغريبة كقوله يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل

وكنا لهم حافظين من ان يرتفعوا عن ابره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم
وقيل انهم كانوا اذا فرغوا من العمل قبل الليل افسدوه ان لم يشغلوا بغيره وقد
قيل ان الحمام والنوره والطواحين والقوارير والصابون من عمل الشياطين واستخرجها
واذكر ايوب اذ نادى بدل من ايوب ربه انى مسنى الضر اى بانى مسنى الضر
وقرى بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع فى كل ضر
وبالضم خاص كما فى النفس كمرض وهزال وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية
الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا فى السوال
روى انه كان روميا من ولد عيص بن اسحاق استنباه الله وكان ذا مال عظيم واهل
كثير بن وكان بارا رحيما بالمساكين يكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن
السبيل شاكرا الانعم الله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب
امواله والمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنه وقيل ثلاث عشرة وقيل غير ذلك القرطبى
والاول الصح رواه ابن شهاب عن النبى صلى الله عليه واختلف فى سبب قوله مسنى الضر
قيل انه وثب ليصلى فلم يقدر على النهوض فقال مسنى الضر اخبارا عن حاله لا شكوى
لبلايه وقيل انه اقرار بالعجز فلم يكن منافيا للصبر وقيل اجراه الله تعالى على لسانه
ليكون حجة لاهل البلا بعده فى الاصح بما ابتلى ايوب وقيل انقطع عنه الوحى اربعين
يوما فخاف هجران ربه وقيل ان الدود كان يتناول بدنه فصبر حتى تناولت دودة
لسانه واخرى قلبه فقال مسنى الضر فخوف اشتغاله عن ذكر الله وقيل ابهم عليه جهة
اخذ البلا اله هل هو تاديب او تعذيب او تخصيص او تمحيص او ذخر او طهر فقال
مسنى الضر ضر الاشكال فى جهة اخذ البلا وقيل سببه قول ابليس لزوجته اسجدى
لى فتخاف ذهاب ايمانها فتهلك ويبقى بغير كافل وقيل خاف شماتة الاعدا ولهذا
قيل له ما كان اشد عليك فى بلائك قال شماتة الاعدا وروى ان زوجته رحمه

بنت

بنت افراثيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخا فقالت
ثمانين واربعين سنه فقال استحيى من ربه ان ادعوه وما بلغت مدة بلائى مدة
رخائى قال العلما ولم يكن قوله مسنى الضر جزعا لان الله تعالى قال انا وجدناه صابرا
بل كان ذلك دعا منه والجزع فى الشكوى الى الخلق لا الى ربه والدعا لا ينافى الرضى قال
الجنيد عرفه فاقة السوال ليمن عليه بكرم النوال فاستجبنا له دعاه وكشفنا
ما به من ضر بالشفا من مرضه واتيناه اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف
ما كان او احيى ولده وولد له منهم نوافل قال مجاهد وعكرمه قيل لايوب عليه
السلام قد اتيناك اهلك فى الجنة فان شئت تركناهم لك فى الجنة وان شئت
اتيناكهم فى الدنيا قال مجاهد فتركهم الله له فى الجنة واعطاه مثلهم فى الدنيا ابن مسعود
كان اهل ايوب قد ماتوا الا امراته فاحياهم الله عز وجل واعطاه مثلهم معهم
القرطبى لانهم ماتوا ابتلا قبل اجلهم كما فى قصة الذين خرجوا من ديارهم وروى
انه كان له اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين افرغت احداهما
على اندر القمح الذهب وافرغت الاخرى على اندر الشعير الورق حتى فاض وقيل
اوحى الله الى ايوب انى قد اثنيت عليك بالصبر قبل وقوعك فى البلا وبعده ولولا
انى جعلت تحت كل شعرة منك صبرا ما صبرت رحمة مفعول له من عندنا صفة
وذكرى للعابدين اى رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا انما
صبر فينا بواكما اثيب لانهم اذا ذكروا بلا ايوب وصبره عليه وهو افضل اهل زمانه
وطنوا انفسهم على الصبر على شدائد الدنيا واسماعيل وادريس وذا الكفل
اى واذكر اسماعيل بن ابراهيم الخليل وهو ابو العرب وادريس اخنوخ روى
انه كان خياطا يسبح الله عند دخال الابرة وخروجه عند اخراجها وذا الكفل كان
نبيا وروى انه بعث الى رجل واحد وقيل هو الياس وقيل يوشع وقيل زكريا

وقيل ليس بنبي وعليه الجمهور وخرج الترمذي من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال كان في بني اسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا يتنزع عن ذنب عمله فاتبع امرأة
فاعطاها ستين دينارا فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت وبكت فقال
ما يبكيك قالت من هذا العمل والله ما عملته قال اكرهتك عليه قالت لا ولكن حملني
عليه الحاجة قال اذهبي فهو لكِ والله لا اعصي الله ابدا ثم مات من ليلته فوجد على
باب داره مكتوبا ان الله قد غفر لذي الكفل وقيل ان ابليس لما كبر قال لو استخلفت
رجلا على الناس حتى انظر كيف يعمل فقال من يتكفل لي بثلاث يصيام النهار ويقام
الليل وان يقضي بين الناس ولا يغضب فقال رجل من ذرية العيص فرده ثلاثا
ثم استخلفه فوفى فاثنى الله عليه فسمي ذا الكفل وقيل غير ذلك **كل** اي كل هؤلاء **من**
الصابرين على مشاق التكاليف وشدائد النوب **وادخلناهم في رحمتنا** يعني
النبوة او نعمة الآخرة **انهم من الصالحين** الكاملين في الصلاح **واذكر ذا النون**
اي صاحب الحوت يونس بن متى وهو بني من اهل نينوى **اذ ذهب** بدل من ذا
مغاضبا لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم
قبل ان يومر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم ليعادهم لتوبتهم ولم يعرف الحال فظن
انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بنا المغالبة للمبالغة اولانه اغضبهم بالمهاجرة
لخوفهم لحوق العذاب عندها وفي الحديث انه كان ضيق الصدر فلما حمل اعباء النبوة
تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فمضى على وجهه مضى الناد ولم يغضب
على الله ولكن غضب لله اذ رفع العذاب عنهم **فظن ان لن نقدر عليه** اي
لن نضيق عليه ماخوذ من القدر وهو الحكم دون القدرة والاستطاعة الحسن
ماخوذ من قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يضيق والمعنى ظن ان
لن نقضي عليه بالعقوبة على ذهابه مغاضبا وقيل معناه الاستفهام اي

افظن ان لن نقدر عليه او هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته
قومه من غير انتظار لامرنا **فنادى في الظلمات** اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة
او ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وقيل ظلمة البحر وظلمة الحوت وظلمة
حوت اخر التقم الحوت الاول الماوردي ويحتمل ان يعبر بالظلمات عن ظلمة الخطيئة
وظلمة الشدة وظلمة الوحدة وفي الكلام حذف اقتضب لبيانه في غير هذه السورة
المعنى ذهب الى الفلك فدخل البحر وكذا وكذا حتى التقمه الحوت وصار في ظلمة جوفه
فنادى في الظلمات **ان لا اله الا انت** اي بانه لا اله الا انت **سبحانك** تنزيها
لك ان يعجز شيء **اني كنت من الظالمين** لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة من غير اذن وروي
ان يونس سجد في بطن الحوت حين سمع تسبيح الحيتان في قعر البحر فقال اللهم اني قد
اتخذت لك مسجدا لم يتخذه احد قبلي ولم يكن ذلك من الله عقوبة ليونس لان الانبيا
لا يجوز ان يعاقبوا وانما كان ذلك تمحيصا وقد يوذب من لا يستحق العقاب كالصبيان
فائدة روى ابو داود عن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعوة
ذي النون في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل
مسلم في شيء قط الا استجيب له وقيل انه اسم الله الاعظم وفي حديث ما من مكروب
يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له **فاستجبنا له** اي اجبنا دعاءه **ونجيناه من**
الغم بتلك الكلمات باذ قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات وقيل ثلاثة
ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة **وكذلك** كما انجيناه **ننجي المومنين**
من غمومهم دعوا الله فيها بالاخلاص وقرئ نجي بنون واحدة وتشديد الجيم وتشكيس
الياء على الفعل الماضي واضمار المصدر اي وكذلك نجى النجا المومنين كما تقول
ضرب زيدا اي ضرب الضرب زيدا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول
مذكور والماضي لا يسكن اخره وقيل اصله ننجي فحذفت النون الثانية كما

حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت تاء فحذفها اوقع من حرف المضارعة التي
لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع
تعذر الادغام وامتناع الحذف في تحامي المظالم لخوف اللبس واذكر زكريا اذ بدل
من نادى ربه بقوله رب لا تذرني فردا اي وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير
الوارثين اي خير من بقي بعد كل من يموت وان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي
فاستجبنا له اي اجبنا دعاءه ووهبنا له يحيى ولدا واصلحنا له زوجه اي اصلحنا
للولادة بعد عقرها او اصلحناها لزكريا بتحسين خلقها وكانت سيئة الخلق
طويلة اللسان وعموم اللفظ يتناول جميع وجوه الاصلاح انهم اي الانبيا المسمين
في هذه السورة وقيل الكناية راجعة الى زكريا وزوجته ويحيى كانوا يسارعون في
الخيرات اي يبادرون الى انواع الطاعات ويدعوننا رغبا ورهبا اي ذوي رغب
اورهبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة اوخائفين العقاب او المعصية
او المعنى يفزعون الينا فيدعوننا في حال الرخا وحال الشدة وكانوا لنا خاشعين
او مخبتين متواضعين في عباداتهم او دائمين الوجل والخشوع التذلل بالبدن المترتب
على التذلل بالقلب والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا لما عدد الخصال واذكر التي احصنت
فرجها اي عفته من الحلال والحرام يعني مريم وانما ذكرها وليست من الانبيا
ليتم ذكر عيسى ولهذا قال وجعلناها وابنها اية ولم يقل ابتيه فنفخنا فيها اي
في عيسى فيها اي اجبيناه في جوفها وقيل المعنى وجعلنا النفخ فيها من روحنا
اي من الروح الذي هو امرنا او من جهة روحنا جبريل والمراد بالفرج فرج القميص
اي لم تعلق بثوبها ريبة اي انها طاهرة الاثواب كما يقال نقي الثوب عفيف
الذيل وفرج القميص اربعة الكمان والاعلى والاسفل قال السهيلي فلا يذهبن
وهمك الى غير هذا فانه من لطيف الكناية وجعلناها وابنها اي قصتهما او

حالها

او حالهما اية للزجاج لان الاية فيهما ولحوق ولدته من غير فحل ومذهب سيبويه
ان التقدير وجعلناها اية وجعلنا ابنها اية فحذف للعالمين الانس والجن والملائكة
حيث ولدته من غير فحل فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ان هذه
امتكم اي ملة التوحيد والاسلام ملتكم التي تجب عليكم ان تكونوا عليها ايها المخاطبون
بالملازمة امة واحدة غير مختلفة بين الانبيا وانا ربكم لا اله غيري فاعبدون
اي افردون بالعبادة وتقطعوا اي بعض المخاطبين امرهم بينهم صرفه الى الغيبة
التفاتا ليشنع على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة بقبيح فعلهم
الى غيرهم والمراد انهم صاروا فرقا واحزابا يلعن بعضهم بعضا كل اي من الفرق
والاحزاب الينا راجعون فيجازيهم ومن يعمل من الصالحات من للتبعيض
اذ لا قدرة للمكلف ان ياتي بجميع الطاعات فرضها ونفلها وهو مومن مصدقا بالله
ورسوله فلا كفران لسعيه اي لا جحود لعمله بل يشكر ويثاب عليه وانا له
اي لسعيه كاتبون اي مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما والمراد
تاكد الحفظة بكتبه فيجازيه عليه وحرام على قرية اي وممتنع على اهلها غير
منصوب منهم وقرى وحرم بكسر الحا وسكون الرا اهلكناها اي حكمنا باهلاكها
اووجدناها هالكة انهم لا يرجعون اي رجوعهم الى التوبة او الحياة ولا صلة او
عدم رجوعهم للجزا وهو مبتدا خبره حرام وقيل حرام واجب اي واجب على قوته
كما قالت الخنساء وان حراما لا ارى الدهر باكيا على شجوه الا بكيت على صخر
والمعنى عزم وواجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت بالتشديد والتخفيف
ياجوج وماجوج متعلق بحرام او بمحذوف دل عليه الكلام او بلا يرجعون اي
يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح
سد ياجوج وماجوج وهم اي ياجوج وماجوج او الناس كلهم من كل حدب

اي نشر من الارض وهو ما ارتفع منها وقرى جدث اي قبر ينسلون اي يسرعون
من نسلان الذئب وقيل يقبلون وقيل يخرجون واقترب الوعد الحق يعني القيا
فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط وقوله واقترب الوعد
الحق معطوف على الفعل الذي هو شرط قاله الكسائي واذا للمفاجاة تسد مسد
الفا الجزائية كقوله اذا هم يقنطون والضمير للقصة او مبهم تفسره الابصار
والشخوص بالعين احداد النظر دون ان تطرف وذلك من الخوف المفرط او علة وقيل
الواو زايدة والمعنى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج اقترب الوعد الحق وقال البصريون
الجواب محذوف والتقدير قالوا يا ويلنا والويل
الهلاك ومعنى قد كنا اي في الدنيا في غفلة من هذا اليوم لم نعلم انه حق بل كنا
ظالمين بوضع العبادة في غير موضعها او لانفسنا بالاخلال بالنظر والاعتداد
بالنذر وقيل من بمعنى عن انكم يا اهل مكة وما تعبدون من دون الله اي
غيره من الاوثان وابليس مع اعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم وروي
انها لما نزلت شقت على كفار قريش وقالوا شتم الهتنا فاتوا ابن الزبعرى للنبي
صلى الله عليه وسلم قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى
المسيح وعبدت الملائكة فقال عليه الصلاة والسلام بل هم عبدوا الشياطين
التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية ويكون نزولها
بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روي ان ابن الزبعري قال هذا شيء لالهتنا
خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه الصلاة والسلام بل لكل من
عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز او التخصيص تاخر عن
الخطاب حصب جهنم اي ما يرمى به اليها وقيل حطبها ابو عبيدة كلما
القيته في النار فقد حصبتها به انتم لها واردون استيناف او بدل

من

من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم
لاجلها وقيل المعنى فيها داخلون والخطاب للمشركين عبدة الاصنام ولا يدخل
في هذا عيسى ولا عزير ولا الملائكة لان ما لغير العاقل لو كان هؤلاء الاوثان
الهة كما زعمتم ما وردوها لان المواخذ المعذب لا يكون الها وكل اي العابد
والمعبودين فيها خالدون لاخلاصهم عنها لهم العابدين فيها زفير
اي انين ونفس شديد كنهيق الحمير وشبه به لانه من الصدر وهو من اضافة
فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام او ان الله يحيي الاصنام
ويعذبها حتى يكون لها زفير وهم فيها لا يسمعون شيئا من الهول وشدة العذاب
وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اي الخصلة
الحسنة وهي السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة نزلت لما قال
ابن الزبعرى عبد عزير والمسيح والملائكة فهم في النار اولئك عنها مبعدون
اي عن النار لانهم يرفعون الى اعلى عليين فمعنى الكلام الاستثنا وهذا قال بعض اهل
العلم ان ها هنا بمعنى الا وليس في القرآن غيره لا يسمعون حسيسها اي
صوت النار وحركة لهبها وهو بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة
في ابعادهم عنها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون وآمنون باقون
وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الاكبر اي النفخة
الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض وقيل
هو وقت يومر بالعباد الى النار او حين تطبق النار على اهلها ويذبح الموت
وقال ذو النون هو القطيعة والفرار وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم
مهنئين عند خروجهم من القبور هذا يومكم اي هذا يوم ثوابكم وهو مقدر
بالقول الذي كنتم توعدون في الدنيا يوم نطوي السما بالنون مقدر

باذكرا وظرف للاخبر بهم او تلقاهم والمراد بالطي ضد النشر او المحو من قولك اطوي
عني هذا الحديث لانها تشرت مظلة لبني ادم فاذا انتقلوا طويت عنهم وقرئ باليا
والتاء والبنا للمفعول **كطي السجل** اي طيا كطي الطومار **للكتاب** لاجل الكتابه او
لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة الجمع اي للمعاني الكثيره المكتوبة فيه وقيل
السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه ويقال انه في السما الرابعه ترفعها
الحفظه في كل خميس واثنين او كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بالقوي
لان كتبته صلى الله عليه وسلم معروفون ليس هذا منهم **كما بدانا اول خلق** نعيده عن عدم
نعيده اي نعيد ما خلقناه مبتدا اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم
او جمعا من الاجزا المتبدده والمقصود بيان صحة الاعاده والقياس على الابتدا الشمول
الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لها على السوا وما كافه
او مصدرية واول مفعول لبدانا او حال من الها في نعيده **وعدا علينا** منصوب
بوعدنا مقدرا قبله ومؤكد لمضمون ما قبله **انا كنا فاعلين** ذلك لا محالة **ولقد**
كتبنا في الزبور اي زبور داود **من بعد الذكر** اي توراة موسى وقيل جنس
الكتب المنزله ومن بعد الذكر الذي في السما او اللوح المحفوظ **ان الارض** اي ارض
الجنة او الارض المقدسه وقيل ارض الامم الكافرة **يرثها عبادي الصالحون**
يعني عامة المومنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقيل
هم امة محمد صلى الله عليه وسلم ترثها بالفتوح والصالحون جمع صالح وهو القائم
بحقوق الله وحقوق العباد **ان في هذا** اي فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد
او القران **لبلاغا** اي لكفاية او لسبب بلوغ الراغبين البغيه **لقوم عابدين**
همهم العباده دون العاده ابن عباس عابدين مطيعين وقيل هم اهل الصلوا
الخمس **وما ارسلناك** يا محمد **الا رحمة للعالمين** الانس والجن وقيل جميع

الخلق

الخلق لانه نبا بعث به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم
وحكي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شي
قال نعم كنت اخشى العاقبه فامنت لثنا الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي
العرش مكين مطاع ثم امين وكونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب
الاستيصال فهو صلى الله عليه وسلم رحمة لمن امن به وصدق ومن لم يومن به سلم
مما سبق وفي الخبر انما اراد رحمة مهداة قال ابوبكر بن طاهر زين الله محمدا صلى الله عليه
وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن ابصا
شي من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب وكانت
حياته رحمة ومماته رحمة كما قال حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال اذا اراد الله بامة
خيرا قبض نبيها قبلها **قل** لهم **انما يوحى الي انما الهكم اله واحد** اي ما يوحى الي الا
انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد
فالاولى لقصر الحكم على الشي والثانيه على العكس والمعنى ليروح الي في شان الاله الا
وحدانيته **فهل انتم مسلمون** اي مخلصون العباده لله على مقتضى الوحي الصدق
بالحجه وقد عرفت التوحيد مما يصح اثباته بالسمع والاستفهام للامر اي اسلموا **فان تولوا**
عن التوحيد **فقل اذنتكم** اي اعلمتكم ما امرت به اوذنتكم حربي لكم **على سوا** اي مستوين
في الاعلام به فلا صلح بيننا او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة وقيل
اعلمتكم اني على سوا اي عدل واستقامة ترى بالبرهان النير **وان ادري** اي وما
ادري **اقريب ام بعيد ما توعدون** من غلبة المسلمين او الحشر لكنه كائن لا محالة
وقيل اذنتكم بالحرب ولا ادري متى يوذن لي في محاربتكم **انه يعلم الجهر من القول**
اي ما تجهرون به من الطعن في الاسلام **ويعلم ما تكتمون** من الحقد للمسلمين فيجازيكم
عليه او يعلم الجهر من القول والفعل منكم ومن غيركم ويعلم ما تكتمون انتم وغيركم

وعند الجمهور لان الحمل والوضاع انما هو فى الدنيا وقيل للقيامة ويوم منصوب
بتذهل او على اضمار اذكر ومعنى تذهل تشتغل وقيل تنسى وقيل هو الغفلة عن
الشئ بطريان ما يشغل عنه من هم او وجع ومرضعة جا على الفعل ولو قال جا على
النسب لقال مرضع بلا هاء وهى التى من شانها ذلك وما بمعنى من ويجوز ان تكون
مصدرية وتضع كل ذات حمل اى جبلى حملها اى جنينها والحمل بالفتح ما كان
فى بطن او على راس شجرة وترى الناس سكارى اى كانهم سكارى من هولها وما
بهم من شدة الخوف والفزع وما هم بسكارى على الحقيقة اوما هم بسكارى
من الشراب ولكن عذاب الله شديد فاذهقهم هوله بحيث طيش عقولهم واذهب
تمييزهم وقرى سكرى كعطشى ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم نزلت فى
النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين ولا
بعث بعد الموت وهى تعمه واضرابه والمجادلة المحاجة والمراد ما خوذة من الجدل
وهو الفتل ويتبع فى المجادلة او فى عامة احواله كل شيطان مريد اى متجرد للفساد
واصله العرى والشيطان يحتمل ان يكون من بعوبهم من الجن وان يكون من الانس
كتب عليه اى قضى على الشيطان انه من تولاه اى تبعه والضمير للشان فانه يضله
خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه لانه جعل عليه وقرى بالفتح
على تقدير فشانه انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرى بالكسر
فى الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه ويهديه
يدعوه الى عذاب السعير اى بالحمل على ما يودى اليه يا ايها الناس اهل مكة ان
كنتم فى ريب من البعث اى من امكانه وكونه مقدورا فانا خلقناكم اى فابتدانا
فى بدء خلقكم فانه يذهب ربيكم فانا خلقناكم من تراب بخلق آدم منه ثم خلقنا
ذريته من نطفة هو المنى سمى نطفة لقلته ثم من علقة قطعة من الدم جامدة

من السر وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع تمتع الى حين اى وما ادرى
لعل تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون
قل رب احكم بالحق اى اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضى لاستعجال
العذاب والتشديد عليهم او نصره صلى الله عليه وسلم وقرى قال على حكاية قول
الله وربنا الرحمن اى كثير الرحمة على خلقه المستعان اى المطلوب منه المعونة
على ما تصفون من كذبكم على الله فى قولكم اتخذ ولدا وعلى فى قولكم ساحر
وعلى القران فى قولكم شعر او بان الشوكة تكون لكم وان راية الاسلام تخفق
ايا ما تم تسكن وان الموعود به لو كان حقا لانزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله
صلى الله عليه وسلم فخيب امانيهم ونصر رسوله عليهم فعذبوا ببدر وحنين والخندق
وقرى بصفون بالياء والتاء سورة الحج مكية الا ستة ايات من هذان خصمان
الى صراط الحميد بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اى
اهل مكة وغيرهم اتقوا ربكم المراد بهذا النداء المكلفون اى احشوه فى اوامره ان
تتركوها ونواهيه ان تقدموا عليها ان زلزلة الساعة اى تحريكها للاشياء
على الاسناد المجازى او تحريك الاشياء فيها وهذه اللفظة تستعمل فى تهويل الشئ
وقيل هى الزلزلة المعروفة التى هى احدى شرائط الساعة تكون قبل طلوع الشمس من
مغربها واضافتها الى الساعة لانها من شرائطها قيل وتكون فى النصف من شهر
رمضان شئ عظيم اى هائل فى ارعاج الناس وتسمية الزلزلة بشئ اما لانها
حاصلة بتيقن وقوعها فيستشهد لذلك ان تسمى شيا وهى معدومة اذ اليقين
يشبه الموجود واما على المآل اى هى اذا قامت شئ عظيم وامرهم بالتقوى لفظاعتها
ليتصوروها بعقولهم ويشفقوا على انفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم
ترونها تذهل بسببها كل مرضعة عما ارضعت تصوير لهولها والضمير للزلزلة

وعند

وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها شاهدة ذلك اشارة
الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفه وتحويله الى احوال متضاده واحيا
الارض بعد موتها وهو مبتدا لخبر محذوف اي بسبب انه الثابت في
ذاته الذي به تحقق الاشيا وان ما سواه وان كان موجودا حقا فانه لا حقيقة
له من نفسه لانه مسخر مصرف وقيل المبتدا محذوف اي الامر ذلك وانه يحيي الموتى
اي وانه يقدر على احيا الموتى والا لما احيى النطفه والارض الميته وانه على كل شي قدير
لان قدرته لذاته التي نسبتها الى الكل على سوا فلما دلت المشاهدة على قدرته على
احيا بعض الاموات لزم اقتداره على احيا كلها وان الساعة آتية لا ريب شك فيها
وان الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى
معه ولا كتاب منير له نور معه على انه لا سند له من استدلال عقل او وحي او
الاول في المقلدين وهذا في المقلدين وقيل نزلت في ابي جهل والمراد بالعلم النظري
ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ثاني عطفه اي لاوى عنقه تكبرا والعطف
الجانب عن يمين او شمال والمعنى معرضا عن الحق استخفافا به وهو نصب على الحال
والاضافة غير محضه ليضل عن سبيل الله اي دينه واللام لام العاقبة ويجوز ان
يتعلق بثاني او يجادل له في الدنيا خزي وهو ما اصابه يوم بدر من قتله بالصغار
وقيل هو الهوان والذل مما يجري له من الذكر القبيح على السنة المومنين الى يوم القيامة
ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق اي المحرق وهو النار وقيل طبقة من
طبقاتها ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول اي يقال له يوم
القيامة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وعبر باليد
عن الجملة لانها تفعل وتبطش للجملة فهو من باب اطلاق اسم الجزء على الكل وان الله

ثم من مضغة قطعة من اللحم قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة اي مسواة لا نقص
فيها ولا عيب وغير مسواة وقيل تامة الخلق وساقطة قبل التمام وقيل مصورة
وغير مصورة لنبين لكم بهذا التدريج كمال قدرتنا وحكمتنا بتصريفنا اطوارا خلقكم
وأن ما قبل التغير والفساد والتكوين مرة قبلها اخرى وأن من قدر على تغيير
وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول اشارة الى ان افعاله يبين بها
من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشا ان نقره الى
اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه اربع سنين وقال
ما ولم يقل من لانه يرجع الى الحمل ونقر بالرفع على الاستيناف اذ ليس المعنى خلقنا
لنقر ثم نخرجكم طفلا اي اطفالا هو اسم جنس وقيل المعنى نخرج كل واحد منكم
طفلا كما قال فاجلدوهم ثمانين جلدة اي كل واحد والطفل يطلق من وقت انفصال
الولد الى البلوغ ثم لتكم لتبلغوا اشدكم اي كمالكم في القوة والعقل جمع شده
كانعم ونعمه وهو ما بين الثلاثين الى الاربعين ومنكم من يتوفى يموت عند
الاشد او قبله ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه وادونه وهو الخرف والهرم
لكيلا يعلم من بعد علم شيا اي ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من
سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه وقال عكرمه من قرا القران
لم يصر هذه الحالة وهذا استدلال ثان على امكان البعث بما يعترى الانسان في
اسنانه من الامور المختلفه والاحوال المتضاده فان من قدر على ذلك قدر على نظائره
وترى الارض هامدة ميته يابسه من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا
عليها الما اهتزت اي تحركت بالنبات وقيل اهتز نباتها فحذف المضاف وربت
اي ارتفعت وزادت وقيل انتفخت وانبتت اي اخرجت من كل زوج صنف ولون
بهيج حسن رايق والمفعول محذوف اي اشيا او الوانا وعند الاخفش من زائده

وهذه

ليس بظلام اي بذي ظلم للعبيد وانما هو على اعمالهم وقيل المبالغة لكثرة
العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف اي على طرف وشك من الدين لاثبات
له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر وهو في موضع
الحال اي مضطربا اي متزلزلا وقيل على شفا منه معد للزهوق فان اصابه
خير من صحة جسم ورخاء عيش اطمأن به اي رضي واقام على دينه وان اصابته
فتنة اي خلاف ذلك من محنة وسقم انقلب على وجهه اي ارتد ورجع قال ابو سعيد
الخدري اسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وتشاءم بالاسلام فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فقال اني لم اصب في هذا
الدين خيرا ذهب بصري ومالي وولدي فقال يا يهودي ان الاسلام يسبك الرجال
كما تسبك النار خبث الحديد والفضة والذهب فانزل الله الاية وقيل كان الرجل
يقدم المدينة فان ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح وان لم تلد
امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء وقيل غير ذلك خسر الدنيا والاخرة بذهاب
عصمته وفوات ما امله من الدنيا وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب
على الحال ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله
ما لا يضره وما لا ينفعه اي يعبد جمادا لا يضره ان لم يعبده ولا ينفعه ان عبده
اولا يضر نفسه ولا ينفعها ذلك هو الضلال البعيد عن المقصد مستعار
من ضلال من ابعد في التيه يدعو لمن اللام زائدة ضره بكونه معبودا لانه
يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الاخرة اقرب من نفعه الذي يزعم انه ينتفع
بعبادته وهو الشفاعة والتوصل بها الى الله لبئس المولى اي الناصر ولبئس
العشير اي الصاحب المعاشر والمراد الصنم وقيل المعنى ان هذا الذي انقلب
على وجهه يعبد من يضره ولا ينفعه اصلا ولكنه قال ضره اقرب من نفعه

ترصيعا

ترصيعا للكلام كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ان الله يدخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات من الفروض والنوافل جنات تجري من تحتها
الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع
ولما مانع من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة كلام فيه اختصار
والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتو
من غيظه وهذا قول النحاس ولفظه من احسن ما قيل فيها ان المعنى من كان
يظن ان لن ينصر الله محمدا صلى الله عليه وسلم وانه يتهيا له ان يقطع النصر الذي وعده
فليمدد بسبب اي فليطلب حيلة يصل بها الى السماء ثم ليقطع اي ثم ليقطع
النصر ان تهيا له فلينظر هل يذهبن كيده وحيلته ما يغيظ اي ما يغيظه
من نصر النبي صلى الله عليه وسلم والفائدة في الكلام انه اذا لم يتهيا له الكيد والحيلة
بان يفعل مثل ذلك لم يصل الى قطع النصر وكذا قال ابن عباس ان الكناية في ينصر
ترجع الى محمد صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يجر له ذكر فجميع الكلام دال عليه وقيل
المراد بالنصر الرزق والضمير لمن والمعنى من كان يظن ان الله لا يرزقه فليختنق
فليقتل نفسه اذ لا خير في حياة تخلو من عون الله تعالى وقيل الهاء تعود على الدين
اي من كان يظن ان لن ينصر الله دينه فليمدد بسبب اي بحبل والسبب ما يتوصل
به الى الشيء الى السماء الى سقف البيت وقيل السماء المرقوعة وقيل نزلت الاية في
قوم مسلمين استبطاوا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك
اي ومثل ذلك الانزال انزلناه اي انزلنا القرآن كله ايات بينات واضحات
حال وان الله يهدي اي ولان الله يهدي به او يثبت على الهدى من يريد
هدايته او تثبيته ان الذين امنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم والذين
هادوا اليهود والصابئين قوم من اليهود يعبدون النجوم وتقدم والنصارى

المنتسبين الى ملة عيسى والمجوس عبدة النار والذين اشركوا عبدة الاو
ان الله يفصل بينهم يوم القيامة بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم
والمبطل فيجازى كلا مايليق به ويدخله المحل المعد له وقوله ان الله يفصل
خبر ان فى قوله ان الذين امنوا كما تقول ان زيدا ان الخير عنده وانما دخلت
ان على كل من ظرفى الجملة لمزيد التاكيد وقيل الخبر محذوف تقديره مفترقون
او نحو ذلك والمذكور تفسير له ان الله على كل شى شهيد اى عالم مراقب
لاحواله الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض هذه
رؤية القلب اى تعلم اى كل مسخر لقدرته او يدل بذاته على عظمة مدبره ومن
يجوز ان يعم اولى العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر
والنجوم والجبال والشجر والدواب افرد لها بالذكر لشهرتها وذكر فى الاية
كلما عبد الناس اذ فى المخلوقات اعظم مما ذكر كالبحار والرياح ومن فى السموات
الملائكه ومن فى الارض من عبد من البشر عيسى وعزير والشمس عبد تها حمير
والقمر كنانة والدبران تميم والمشترى لخم والثريا طيّ والشعرى قريش وعطارد
اسد والشجر منه الاصنام والجبال منها الحجارة والدواب منها البقر وكثير
من الناس عطف عليها ان جوزنا اعمال اللفظ الواحد فى كل واحد من مفهوميه
واسناده باعتبار احدهما الى المرو باعتبار الاخر الى اخر فان تخصيص الكثير يدل
على خصوص المعنى والمعنى وكثير من الناس وهم المؤمنون بزيادة على الخضوع فى
سجود الصلاة وكثير حق عليه العذاب وهم الكافرون لانهم ابوا السجود المتوقف
على الايمان وقيل هو مبتدا خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب
او فاعل فعل مضمر اى يسجد له من الناس سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب
بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول لمبالغة فى تكثير

المخلوقين بالعذاب ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة
ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان اى فوجان مختصمان
ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى كان كل خصم فريق فيه اشخاص والمراد بهما
المؤمنون والكافرون فى ربهم اى فى دينه او فى ذاته وصفاته وقيل تخاصمت
اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله اقدم منكم كتابا ونبينا قبل
نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد وبنبيكم وبما انزل الله من كتاب
وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم حسدا وفى مسلم عن قيس بن عباد قال
سمعت ابا ذر يقسم ان هذه الاية خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين برزوا
يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث رضى الله عنهم وعتبة وشيبة ابنى
ربيعة والوليد بن عتبة وقيل المراد بالخصمين الجنة والنار قالت النار خلقنى
لعقوبته والجنة خلقنى لرحمته فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعنى
بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة قطعت لهم اى قدرت وجعلت
على مقادير جثتهم ثياب من نار اى نيران تحيط بهم لمحاطة الثياب سعيد بن
جبير من نار من نحاس وهى السرابيل المذكورة من قطران وليس فى الاية شى اذا
حمى يكون اشد حرا منه وقوله قطعت اى تقطع وذكر بلفظ الماضى لان الموعود
به من اخبار الاخرة كالواقع المحقق ويجوز ان تكون قد اعدت الآن يصب من
فوق رؤسهم الحميم هو الماء المغلى بنار جهنم الذى انتهت حرارته يصهر به
ما فى بطونهم الصهر اذابة الشحم والصهارة ماذاب منه والجلود اى وتحرق
الجلود فان الجلود لا تذاب ولكن يضمر فى كل ما يليق به كقوله علفتها تبنا وماء باردا
اى علفتها تبنا وسقيتها ماء وقيل المعنى ان ذلك يؤثر من فرط حرارته فى باطنهم
تاثيره فى ظاهرهم فيذاب به اجسامهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم

ولهم مقامع من حديد اي سياط منه تحلدون بها جمع مقمعه وحقيقتها
ما يقمع به اي يكف بعنف وقيل هي المطارق لضرب رؤسهم كلما ارادوا ان
يخرجوا منها اي من النار من غم اي من غمومها وهو بدل من الها باعادة الجار
بدل اشتمال اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيد والان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج
فاعيدوا بالضرب والمقامع وقيل ان من الاولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من
اجل وذلك ان النار ترفعهم حتى اذا ظنوا انها ستقذفهم اعادتهم الزبانية بالمقامع
وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار بالغة في الاحراق ان الله
يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار غير
الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعظيما لشان المؤمنين يحلون فيها من
حليت المراة اذا لبست الحلي من اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسوره
جمع سوار من ذهب بيان له ولولوا بالجر عطف على اساور او على ذهب لانه
لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به وقرئ بالنصب عطفا على محلها او اضمار
الناصب مثل ويوتون وقرئ بالهمز وتركه وهما لغتان قال المفسرون لما كانت
الملوك تلبس في الدنيا الاساور والتيجان جعل الله ذلك لاهل الجنة وليس احد من
اهل الجنة الا وفي يده ثلاثة اسوره سوار من ذهب وسوار من فضه وسوار من
لولو واللولو الجوهر قيل صغاره وقيل كباره ولباسهم فيها حرير غير اسلوب
الكلام للدلالة على ان الحرير شيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل والمراد
جميع ما يلبسون من فرشهم ولباسهم وستورهم وهو المحرم على الرجال في الدنيا
وهدوا الى الطيب من القول اي ارشدوا اليه هو قولهم الحمد لله الذي صدقنا
وعده ابن عباس يريد لا اله الا الله والحمد لله اي في الدنيا وقيل القرآن وهدوا
الى صراط الحميد اي المحمود في افعاله الذي رزقهم ما يحمدون به عنده وعند خلقه

وقيل

وقيل المحمود عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق الحمد لذاته وهو الله تعالى وصراطه
الاسلام ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام اعاد
الكلام الى مشركي العرب حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام عام
الحديبيه وذلك انهم لم يعلم لهم صد قبل ذلك الا ان يريد صدهم الافراد من الناس
فقد وقع ذلك في صدر البعثة والصد المنع اي وهم يصدون وبهذا حسن عطف
المستقبل على الماضي وقيل الواو زائده ويصدون خبر ان وهذا مفسد للمعنى المقصود
وانما الخبر محذوف دل عليه اخر الاية مقدر عند قوله والباد تقديره خسروا او
هلكوا او معذبون وجاء ويصدون مستقبلا اذ هو فعل يديمونه كما جاء قوله ان
الذين امنوا وتطمئن قلوبهم فكانه قال ان الذين كفروا من شانهم الصد فهو لا يريد حالا
ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد منهم الذي جعلناه للناس اي للصلاة والطواف
والعباده وقيل قبلة ومنسكا سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطاري اي
سواء في تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه الحاضر والذي ياتيه من سائر البلاد فليس
اهل مكة احق من النازع اليه وقيل ان المساواة انما هي في دوره ومنازله فليس
المقيم فيها اولى من الطاري عليها وهذا الخلاف مرتب على الخلاف في ان مكة هل
فتحت عنوه كما روي عن مالك والاوزاعي او صلحا كما روي عن الشافعي ويمتنع على
الاول بيع دور مكة واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا
من ديارهم واشترى عمر دار السجن من صفوان بن امية باربعة الاف ابن عطيه
وظاهر قول النبي صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من رباع يقتضي ان الاستواء
وانما هي تملكه وسواء خبر مقدم وما بعده المبتدا وقيل في اعرابه غير ذلك ومن
يرد فيه هو مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول بالحاد اي عدول عن القصد
بظلم اي بغير حق وهما حالان متترادفان والثاني بدل عن الاول باعادة الجار

او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك وافتراف الاثام ولو بشتم الخادم وقيل
صيد حمامة وقطع شجرة ودخوله غير محرم ورد وان احتكار الطعام في الحرم الحاد
فيه نذقه من عذاب اليم مولم اي بعضه وهو جواب لمن واذ بوانا لابراهيم
مكان البيت اي واذكر اذ بوانا اي عيناه وجعلناه له مباة وقيل اللام زائدة ومكان
ظرف اي واذ اترلناه فيه وقيل المعنى اريناه اصله ليبنيه وكان قد درس ايام الطوفان
وانطمس وقيل رفع الى السما فاعلم الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على
اسه القديم ان لا تشرك بي شيا ان مفسرة لبوانا من حيث انه تضمن معنى نعيد
لان التبوية من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهي اي جعلنا ذلك لئلا تشرك
بعبادتي وقيل المعنى واريناه ان لا يشرك والخطاب لابراهيم في قول الجمهور وطهر
بيتي من الاوثان والاقذار للطائفين لمن يطوف به والقائمين من يصلي فيه
والركع السجود جمع راكع وساجد وذكر تعالى من اركان الصلاة اعظمها وهي القيام
والركع والسجود ولعله عبر عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل
باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت واذن في الناس اي ناد هم بالحج اي بدعوة الحج
والامر به لما فرغ عليه الصلاة والسلام من بنا البيت وقيل له اذن في الناس بالحج
قال يا رب وما يبلغ صوتي قال اذن وعلي الابلاغ فصعد ابراهيم على جبل ابي قبيس
وقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم والتفت يمينا وشمالا وشرقا وغربا فاسمعه الله
من في اصلاب الرجال وارحام النسا فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علم الله انه
يحج بقوله لبيك اللهم لبيك فمن اجاب يومئذ حج على قدر الاجابة وجرت التلبية على
ذلك وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع ياتوك جواب
الامر رجالا اي مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم وقال يا توك وان كانوا ياتون
الكعبة لان المنادي ابراهيم فمن اتى الكعبة حاجا فكانه اتى ابراهيم لانه اجاب

نداه وفيه تشريف لابراهيم وعلى كل ضامر اي وركبانا على كل بعير هزل لتعبه
بعد السفر فهزله ياتين صفة لضامر محموله على معناه وصفه بالحال الذي انتهت
عليه الى مكة وذكر سبب الضمور فقال من كل فج اي طريق عميق بعيد ورد الضمير
الى الابل تكرمة لها لقصدها الحج مع ازيادها ليشهدوا اي ليحضروا منافع لهم دينية
ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة وقيل
المنافع المناسك كعرفات والمشعر الحرام وقيل المغفرة وقيل التجارة والافضل ان
لا يحج بقصد التجارة وان يخلي وجه من ذلك فالقصد حط الوزر لا زيادة الاموال ويذكروا
اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وذبحها وقيل كني بالذكر عن النحر لان
ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله في ايام
معلومات هي عشر ذي الحجة الاول كما رواه البيهقي باسناد حسن عن ابن عباس
وقيل ايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام من الابل والبقر والغنم وبهيمة
الانعام هي الانعام كقولك صلاة الاولى ومسجد الجامع فكلوا منها اي من لحومها
والامر للاباحة ازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او للندب الى مواساة الفقرا
ومساواتهم وهذا في المقطوع به دون الواجب واطعموا البائس اي الذي باله
البوس وهو الشدة الفقير اي المحتاج والامر للوجوب ثم ليقضوا بعد نحر
الضحايا والهدايا تفثهم اي ليزيلوا وسخهم بقص الشارب ونتف الابط والاستحداد
عند الخروج من الاحرام وقيل ليزيلوا ادرانهم قيل لبعض الصلحا ما المعنى في شعث
المحرم قال ليشهد الله منك الاعراض عن العناية بنفسك فيعلم صدقك في بذلها
لطاعته وليوفوا بالتخفيف والتشديد نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم
وقيل هو امر بوفا النذر مطلقا الا ما كان معصية وليطوفوا طواف الركن الذي
به تمام التحلل وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق اي القديم لانه اول بيت وضع

للناس والمعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى
واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير رضي الله عنهما منه دون التسلط عليه وقيل
العتيق الكريم وقيل لان الله يعتق فيه رقاب المذنبين وقيل غير ذلك ذلك خبر محذوف
اي الامر او الشان ذلك المذكور هو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين ومن يعظم
حرمات الله اي احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او المراد الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف
وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام فهو خير له اي فالتعظيم خير
له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام اكلا بعد الذبح الا ما يتلى عليكم اي الا المتلو
عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل لغير الله فلا تحرموا غير ما حرمه
الله تعالى كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي فاجتنبوا الذي هو الاوثان
كما تجتنب الانجاس وهي غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عنها والاوثان واحدها
وثن وهو التمثال من خشب وحديد او ذهب او فضة ومن قيل هي لبيان الجنس فيقع
نهيه عن رجس الاوثان فقط ويبقى سائر الارجاس نهيا في غير هذا الموضع ويحتمل
ان تكون لابتداء الغاية فكأنه نهاهم عن الرجس عاما ثم عين لهم مبتداه واجتنبوا
قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور كأنه لما حث على
تعظيم الحرمات اتبعه ذلك رد لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب
وتعظيم الاوثان والافتراء على الله فانه حكم بذلك او المعنى الشرك بالله في تلبيتهم
وقيل شهادة الزور لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال عدلت شهادة الزور
الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الاية والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك
من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف منصرف عن الواقع حنفاء لله اي مخلصين
له وقيل مسلمين مائلين الى الحق غير مشركين به تاكيد لما قبله وهما حالان من
الواو ومن يشرك بالله فكأنما خر سقط من السما لانه يسقط من اوج الايمان

الى

الحضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهوا المرديه توزع افكاره او تهوى به الريح في
مكان سحيق اي بعيد فان الشيطان قد طرح به في الضلالة واو للتخيير كما في قوله او
كصيب بين السما او للتنويع فان من المشركين من لا اخلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه
بالتوبة ولكن بعد بعد ويجوز ان يكونا من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن
يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه هلاك الهالكين وقيل هو يوم القيامة
بمنزلة من لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عنها عذابا فهو بمنزلة من خر من السما فتخطفه
الطير بمخالبها او تهوي به الريح في مكان بعيد وقيل غير ذلك والخطف اخذ الشي
بسرعة وقوله خر اي تخر ولذلك عطف عليه فتخطفه ويجوز ان يكون التقدير فهو
تخطفه فيكون عطف الجملة على الجملة الاولى ذلك يقدر قبله الامر مبتدا ومن
يعظم شعائر الله اي دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها من معالم
الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان تختار سمانا حسانا غالية الاثمان وروى
انه عليه الصلاة والسلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب
وان عمر رضي الله عنه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار والشعائر جمع شعيرة
وهي كل شي لله تعالى فيه امر اشعر به واعلم ومنه شعار القوم اي علامتهم التي يتعارفون
بها فانها من تقوى القلوب منهم اي فان افعالها من افعال ذوي التقوى
القلوب فحذفت هذه المضافات وقيل الكناية راجعة الى الشعائر اي فان
تعظيم الشعائر وذكر القلوب لانها منشا التقوي والمجرور والاثرة بهما
لكم فيها اي البدن منافع بركوبها والحمل عليها ما لا يضرها الى اجل مسمى وقت
نحرها ثم محلها الى البيت العتيق اي عنده والمراد الحرم كله وقيل منافع درها
ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اي
ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة اي لكم فيها منافع

دنيوية الى وقت النحر وهذه منافع دينيه اعظم منها تنتفعون بها الى اجل مسمى
وهو الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذي يرفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها
وهو البيت المعمور او الجنة او لكم فيها منافع التجارات في الاسواق الى وقت المراجعة
ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاهلال بطواف الزيارة فالبيت على هذا
التاويل يراد بنفسه وقيل لكم فيها منافع قبل ان يسميها صاحبها هديا او يشعرها
فاذا فعل ذلك فليس له من منافعها شيء **ولكل امة** اي اهل دين سلف قبلكم **جعلنا**
منسكا بفتح السين اي متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله وقرئ بكسر السين اي
موضع نسك وقيل المنسك الذبح واراقة الدم وقيل المذهب وقيل العيد **ليذكروا**
اسم الله دون غيره ويجعلوا منسكهم لوجهه وعلل الجعل به تنبيها على ان المقصود
من المناسك تذكر المعبود **على ما رزقهم من بهيمة الانعام** عند ذبحها ليكون الذبح
له لانه رازق ذلك وفيه تنبيه على ان القربان يكون نعما **فالهكم اله واحد** رجوع
من لفظ الخبر عن الامم الى اخبار الحاضرين **فله اسلموا** اي اخلصوا التقرب او الذكر ولا
تشوبوه بالاشراك ويحتمل ان يريد الاستسلام اي اطيعوا وانقادوا **وبشر**
المخبتين اي المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم والخبت ما انخفض من
الارض اي بشرهم بالثواب الجزيل قال عمرو بن اوس هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا
لم ينتصروا **الذين اذا ذكر الله وجلت** خافت **قلوبهم** هيبة منه لاشراق اشعة
جلاله عليها **والصابرين على ما اصابهم** من الكلف والمصائب والبلايا **والمقيمي**
الصلاة في اوقاتها **ومما رزقناهم ينفقون** في وجوه الخير **والبدن** جمع بدنة
كخشب وخشبة وانما سميت به الابل لعظم بدنها واختلف هل تطلق على غير الابل
من البقر فقال ابن مسعود وعطاء والشافعي لا وابو حنيفة ومالك نعم والصحيح
الاول للحديث في يوم الجمعة من راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح

في

في الثانية فكانما قرب بقرة الى اخره فتفريقه عليه الصلاة والسلام بين البدنة والبقرة
يدل على ان البقر لا يقال عليه بدن ايضا فان قوله فاذا وجبت جنوبها يدل على ذلك
فان هذا الوصف خاص بالابل والبقر تضجع للذبح كالغنم ولا يلزم من مشاركة البقر
لها في اجزائها عن سبعة بقوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة والبقرة عن
سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك والمراد بالبدن الابل التي تهدى
الى الكعبة والهدى عام فيها وفي البقر والغنم وانتصابه بفعل يفسره **جعلناها لكم**
ومن رفعه جعله مبتدأ ومعنى لكم من اجلكم **من شعآئر الله** اي من اعلام دينه التي
شرعها **لكم فيها خير** اي منافع دينيه ودنيويه **فاذكروا اسم الله عليها** بان تقولوا
عند نحرها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك **صوآف** اي قائمات قد
صففن ايديهن وارجلهن والابل تنحر قياما معقولة احدى يديها **فاذا وجبت جنوبها**
اي سقطت على الارض بعد نحرها وهو كناية عن الموت وهو وقت اكلها **فكلوا منها**
واطعموا القانع اي الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة **والمعتر** اي المتعرض
بالسؤال وقيل القانع السائل يقال قنع الرجل يقنع قنوعا اذا سال بفتح النون
في الماضي وكسرها في المستقبل ويقنع قناعة اذا تعفف ولم يسال والمعتر الذي
يطيف بك يطلب ما عندك سائلا كان او ساكتا قال الشاعر

على مكثريهم حق من يعتريهم ... وعند المقلين السماحة والبذل

وقال

ح العبد حر ان قنع ... والحر عبد ان قنع فاقنع ولا تقنع فما شيء يشين سوى الطمع

والامر بالاكل للندب ففيه اجر اذ كان الجاهلية لا ياكلون من هديهم وقال
الشافعي الاكل مستحب والاطعام واجب فان الطعم جميعها اجزاه وان اكل
جميعها لم يجزه هذا فيما اذا كان تطوعا واما واجبات الدماء فلا يجوز ان ياكل
منها **كذلك** اي مثل ما وصف من نحرها قياما **سخرناها لكم** مع عظمها وقوتها

حتى تاخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون فى لباتها ولولا
التسخير لم تطق ان تركب ولا تنحر لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص
لن ينال الله اى لن يصيب رضاه ولن يقع موقع القبول لان النيل لا يتعلق بالبارى
تعالى فهو من التعبير المجازى عن القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة
بالنحر ابن عباس كان المشركون من الجاهلية يضرجون البيت بدماء البدن فاراد المسلمون
ان يفعلوا ذلك فنزلت ولكن يناله التقوى منكم اى يصل اليه التقوى منكم وهو
ما اريد به وجهه والتقرب اليه كذلك سخرناها لكم كرره تذكير النعمة وتعليلا
له بقوله لتكبروا الله اى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه
بالكبريا وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هداكم اى ارشدكم الى طريق
تسخيرها وكيفية التقرب بها او لمعالم دينه ومناسك حجه وما تحتمل المصدرية
والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا والتضمينه معنى تشكروا وبشر المحسنين المخلصين فيما
يامرونه ويذرونه ان الله يدفع عن الذين امنوا غائلة المشركين وقرئ يدافع اى
يبالغ فى الدفع مبالغة من يغالب فيه ان الله لا يحب كل خوان فى امانة الله كفور
لنعمته بمعنى انه يعاقبه روى انها نزلت بسبب المومنين لما كثروا بمكة واذاهم الكفار
وهاجر من هاجر الى ارض الحبشة اراد بعض مومنى مكة ان يقتل من امكنه من الكفار
ويغتال ويغدر فوعدها سبحانه بالمدافعة ونهى افصح نهى عن الخيانة وقيل
المعنى يدفع عن المومنين باياديهم توفيقهم حتى يتمكن الايمان من قلوبهم فلا يقدر
الكفار على ايذائهم اذن اى رخص قرئ بالبنا لما لم يسم فاعله وحذف الفاعل وهو
الله للعلم به جريا على منوال الكلام الملوك والعظما وقرئ بالبنا للفاعل وهو ضمير
الله تعالى لتقدم ذكره للذين يقاتلون اى المومنين والماذون فيه محذوف
لدلالة عليه اى اذن يقاتلوا وقرئ بفتح التا اى للذين يقاتلهم المشركون

وا اذن

والاذن فى القرآة الاولى للابتدا بالقتال وفى الثانية للمجازاة بانهم ظلموا اى بسبب
توجيه الظلم اليهم وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون يوذونهم
وكانوا ياتونه ما بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا لم اومر بالقتال
حتى هاجروا فنزلت وهى اول اية نزلت فى القتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين اية
وقال الصديق لما نزلت علمت انه سيكون قتال وان الله على نصرهم لقدير وعدهم
بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم الذين اخرجوا من ديارهم يعنى مكة بغير
حق اى بغير موجب استحقوا به الاخراج وهذا الحد ما ظلموا به الا ان يقولوا ربنا الله
اى انما اخرجوا لقولهم ربنا الله وحده وهذا القول حق والاخراج به اخراج بغير حق فهو
استثنا منقطع اى لكن لقولهم ربنا الله قاله سيبويه وقيل فى موضع خفض مردودة
على الباء والمعنى الذين اخرجوا من ديارهم بلا حق الا بان يقولوا ربنا الله اى اخرجوا بتوحيده
وقيل هو تعقيب المدح بما يشبه الذم كقول الشاعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب اى ان كان فيهم عيب فهو هذا وهذا ليس بعيب فلا
عيب فيهم ولولا دفع الله الناس بعضهم بدل بعض من الناس ببعض بتسليط
المومنين منهم على الكافرين بما شرعه من القتال لاستولى اهل الشرك وعطلوا ما بنته
ارباب الديانة من مواضع العبادات ولكنه دفع بان اوجب القتال ليتفرغ
اهل الدين للعبادة فالجهاد امر متقدم فى الامم وبه صلحت الشرايع فلولا القتال
والجهاد لتغلب على الحق فى كل امة فمن استبشع من النصارى وغيرهم الجهاد فهو مناقض
لمذهبه ولولا القتال لما بقى الدين يذب عنه ولهدمت اى لخربت من هدمت البنا
اذا نقضته وقرئ بالتخفيف اكتفا باصل الفعل وبالتشديد للتكثير صوامع جمع
صومعه وهو بنا مرتفع حديد الاعلى للرهبان وكانت قبل الاسلام مختصة بهم
وبعباد الصابئين ثم استعمل فى مسذنة المسلمين وبيع جمع بيعه وهى كنيسة

النصاري وقيل كنآس اليهود وصلوات كنآس اليهود وهي بالعبرانيه صلوثا
وقيل هي بيوت تبنى للنصاري في البراري يصلون فيها في اسفارهم وقيل مساجد
الصابيين وقيل هي صلوات المسلمين تنقطع اذا دخل عليهم العدو وعلى هذا استعير
الهدم للصلوات من حيث تعطل اوراد موضع صلوات فحذف المضاف ومساجد
للمسلمين يذكر فيها اي في المواضع المذكورة اسم الله كثيرا وتنقطع العبادة فخرا
ان قيل لم قدمت متعبدات اهل الذمة على مساجد المسلمين قيل لانها اقدم بنآ وقيل
لقربها من الهدم وقرب المساجد من الذكر ولينصرن الله من ينصره اي ينصر دينه
ونبيه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب والكاسرة العجم
وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوى على نصرهم عزيز لايمنعه شئ
الذين ان مكناهم في الارض بنصرهم على عدوهم اقاموا الصلاة واتوا الزكاة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر جواب الشرط وهو وجوابه صلة الموصول ويقدر
قبله مبتدا وقيل وصف للذين اخرجوا وقيل بدل من من ينصره قيل هم المهاجرون والانصار
والتابعون لهم باحسان وقيل هذه الامة وقيل الولاة وفي هذا دليل على صحة امر الخلفآ الراشدين
اذ لم يستجمع ذلك لغيرهم من المهاجرين ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمته
وفيه تاكيد لما وعده وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود
قوم هود وقوم صالح وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين قوم شعيب
تسلية له عليه الصلاة والسلام بان قومه ان كذبوه فانه ليس بأوحدي في التكذيب
فان هؤلآ قد كذبوا رسلهم قبل قومه فلك اسوة بهم وكذب موسى غير النظم
وبني فيه الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرآيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط او
لان تكذيبه كان اشنع واياته كانت اعظم واشيع والمعنى وكذب موسى ايضا مع
وضوح اياته وعظم معجزاته فامليت للكافرين اي امهلتهم حتى انصرمت آجالهم

المقدرة ثم اخذتهم فعاقبتهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بتغيير النعمة
محنة والحياة هلاكا والعمارة خرابا فكذلك افعل بالمكذبين من قريش والاستفهام
للتقرير اي هو واقع موقعه الجوهري النكير والانكار تغيير المنكر وكاين اي وكم
من قرية اهلكتها باهلاك اهلها وقرى اهلكناها على التعظيم وهي ظالمة اي
اهلها بكفرهم فهي خاوية على عروشها اي ساقطة حيطانها على سقوفها بان
تعطلت فخربت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف وقيل خاوية
خاليه مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون المجاز متعلقا بخاويه وكاين يجوز ان يكون
في موضع نصب بما دل عليه اهلكناها وان يكون في موضع رفع بالابتدا وبير معطلة
عطف على قرية اي وكم بير عامره في البوادي تركت لايسقى منها هلاك اهلها وقيل
غائرة الما وقصر مشيد اي مرفوع او مجصص من الشيد وهو الجص وقيل حصين
اخليناها عن ساكنيه وقيل ان هذه البير والقصر بحضرموت فالقصر مشرف على
قلة جبل لايرتقى اليه بحال والبير في سفحه لاتقرب الريح شيا سقط فيه الا اخرجته
كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح اهلكهم الله وعطلهما وقيل
اصحاب القصور ملوك الحضر واصحاب الآبار ملوك البدو فاهلك الله هؤلا
وهؤلا وقيل غير ذلك افلم يسيروا في الارض يعني كفار مكة فيشاهدوا هذه
القرى فيتعظوا ويحذروا عقاب الله ان ينزل بهم كما نزل بمن قبلهم فهو حثهم على السفر
ليروا مصارع المهلكين وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك فتكون لهم
قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار
والاستدلال واضاف العقل الى القلب لانه محله كما ان السمع محله الاذن وقيل ان
العقل محله الدماغ ولا ينكر ان يكون للدماغ اتصالا بالقلب يوجب فساد العقل
ونصب فيكون في جواب الاستفهام او اذان يسمعون بها اي ما يجب ان يسمع من

الوحي والتذكير او المعنى يعقلون ما نزل بالمكذبين ويسمعون اخبارهم بالا
فانها الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار لا تعمى الابصار اي ابصار العيون
ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور عن الاعتبار اي ليس الخلل فى مشاعرهم
وانما ذهبت او فسدت عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى التقليد وذكر الصدور
للتاكيد ونفى التجوز فهو مبالغة كانه قال ليس العمى عمى العيون وانما العمى حق العمى
عمى القلب ومعلوم ان الابصار تعمى ولكن المقصد ما ذكر قتادة البصر الناظر جعل
بلغة ومنفعه والبصر النافع فى القلب يجاهد لكل انسان اربع اعين عينان فى
راسه لدنياه وعينان فى قلبه لاخرته وقيل لما نزل ومن كان فى هذه اعمى قال ابن ام
مكتوم يا رسول الله انا فى الدنيا اعمى افاكون فى الاخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك
بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف فى خبره فيصيبهم
ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه لا يعجل بالعقوبة قيل نزلت فى النضر بن الحارث
وهو قوله اللهم ان كان هذا هو الحق وقد نزل بهم العذاب يوم بدر وان يوما عند ربك من
ايام الاخرة بالعذاب كالف سنة مما تعدون بالياء والتاء من ايام الدنيا وهذا
بيان لتناهى صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادى عذابه وطول
ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد متطاولة ابن عطية وان يوما من عذاب الله
كالف سنة من هذه لطول العذاب وبوسه وكأن المعنى ما اجهل من يستعجل هذا
عكرمة اعلمهم الله تعالى اذا استعجلوه بالعذاب فى اى يوم فصبرهم انه يأتيهم فى ايام
طويلة وكاين من قرية اي وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه فى الاعراب وعطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل عن قوله فكيف
كان نكير وهذه فى حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به تحيق بهم لا محالة

وان

وان تاخر لعادته تعالى املیت لها امهلتها كما امهلتكم وهى ظالمة مثلكم ثم
اخذتها بالعذاب والى المصير اي والى حكمى يرجع الجميع قيل وانما كررها لانه جاء
معنى اخر ذكر اولا القرى المهلكة دون املاء بل يعقب التكذيب ثم ثنى بالمهلية
لئلا يفرح هؤلاء بتاخير العذاب قل يا ايها الناس قيل يريد اهل مكة انما انا
لكم نذير مبين اى منذر مخوف ابين لكم ما تحتاجون اليه من امر دينكم وليس الى
ان اعجل عقابا ولا ان اوخره عن وقته والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب
وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه مع المشركين ثم قسم حالة المومنين والكافرين
فقال فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما ندر منهم من الذنوب
ورزق كريم هى الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا اي اجتهدوا
وكادوا من السعاية فى اياتنا القران بالرد والابطال معجزين اي مسابقين مشاقين
للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا
من المسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحاق وقرى معجزين على انه حال مقدرة وقيل
المعنى ظانين انهم يعجزوننا لانهم ظنوا ان لا بعث اولئك اصحاب الجحيم اي النار الموقدة
وقيل اسم درکه وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الرسول من بعثه
الله تعالى بشريعة محدودة يدعو الناس اليها والنبى يعمه ومن بعثه لتقرير شرع
سابق كانبياء بنى اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه
النبى صلى الله عليه وسلم علماء امته بهم فالنبى اعم من الرسول وقيل هما بمعنى واحد
واصله الانباء وهو الاعلام فقد ثبت لهما معا الارسال وعليه فلا يكون النبى الا
رسولا ولا الرسول الا نبيا وعلى القول انهما بمعنيين فمعنى الاية وما ارسلنا من نبى
الى امة او نبى ليس بمرسل الى احد والصحيح ان كل رسول نبى ولا عكس وقيل غير ذلك
الا اذا تمنى اي اذا ردد فى نفسه ما يهواه وقيل تمنى قراءة تلا القى الشيطان

في امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان اي فيبطله ويذهب به ثم يحكم الله
اياته اي ثم يثبت الله اياته الداعية الى الاستغراق في امر الاخرة والله عليم
باحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل انه عليه الصلاة والسلام حدثت نفسه
بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم
اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم وقرا افرايتم
اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترتجى ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم في اخر النجم وسجد معه
كل مشرك كان في المسجد وسومن الا الوليد بن المغيرة وسعيد بن العاص كانا شيخين
كبيرين فاخذ كل كفا من تراب ووضعه على جبهته ثم وقعت هذه الكلمة في مسامع
كل مشرك وفرحوا بذكر النبي صلى الله عليه وسلم آلهتهم وقالوا ذكرها باحسن
الذكر فنحن نوافقه وبلغ ذلك من هاجر الى ارض الحبشة فظنوا اسلام اهل مكة
فرجعوا ثم تبين لهم الحال فلم يدخلوا مكة الا بجوار او خفية واتى جبريل النبي صلى الله
عليه وسلم وقال له ما القى الشيطان واخبره انه وقع على لسانه وكان ذلك من غير
علمه صلى الله عليه وسلم فحزن حزنا شديدا فسلاه الله بهذه الاية لانه كان به رحيما
ثم تكلم الناس في ذلك بسبب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما وان القران
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فمن قائل يقول لم يقره صلى الله عليه وسلم
وانما قاله الشيطان فظن المشركون ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله واخرون قالوا
اغفى اغفاءة فجرى على لسانه بلا قصد والاكثرون على انه وقع على سبيل السهو والنسيان
فلم يلبث ان نبهه الله عليه ولا ينافي ذلك العصمة لانه جرى على لسانه لا عن قصد
فلا يعد فعلا له كحركة المرتعش قال القاضي عياض وهذا لا يصح اذ لا يجوز على
النبي مثله في حالة من احواله ولا خلفه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في يوم

ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو ثم قال والذي يظهر
ويترجح في تاويله عند المحققين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه
يرتل القران ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا في قراته فيمكن ترصد الشيطان لتلك
السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم
بحيث سمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها
ولم يقدح ذلك عند المسلمين الى اخره ومعنى الغرانيق السادة العظام الاقدار ليجعل
ما يلقى الشيطان فتنة اي ضلالة ومحنة وبلية واللام متعلقة بينسخ للذين في
قلوبهم مرض اي شك ونفاق والقاسية قلوبهم فلا تلين لامر الله وهم المشركون
وان الظالمين يعني الفريقين وضع الظاهر موضع ضميرهم تقضا عليهم بالظلم لفي
شقاق بعيد اي لفي خلاف طويل وعصيان لله ورسوله وليعلم الذين اوتوا العلم
التوحيد والقران من المومنين وقيل اهل الكتاب انه اي الذي احكم من ايات القران هو
الحق من ربك او ان القران هو الحق النازل من عند الله فيومنوا به اي بالقران او
بالله وقيل هو اشارة الى نسخ ما يلقى الشيطان وقيل غير ذلك فتخبت له قلوبهم اي
تخشع وتسكن وقيل تخلص بالانقياد والخشية وقيل تخشع منه عند سماعهم تلك الغرانيق
وان الله لهادي الذين امنوا فيما اشكل الى صراط طريق مستقيم فيثبتهم على الهداية
ولا يزال الذين كفروا في مرية اي شك منه اي من القران او من الرسول او مما القى
الشيطان في امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها حتى تاتيهم الساعة
اي القيامة او اشراطها او الموت بغتة اي فجاة او ياتيهم عذاب يوم عقيم يوم
حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النسا يقتلون فيه فيصرن كالعقم
اولان المقاتلين ابنا الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا
اولانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تدر مطرا ولم تلقح شجرا اولانه لا مثل له

لقتال الملآئكة فيه او يوم القيامة لانه لا ليلة له النحاس وسمي عقيما لانه ليس
يعقب بعده يوما مثله وذلك على ان المراد بالساعة خبر القيامة او على وضع اليوم
موضع ضميرها للتهويل والعقيم في اللغة من لا يكون له ولد الملك يومئذ يعني
يوم القيامة لله وحده لا منازع له فيه يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم المومنين
والكافرين لتفصيله بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين ذو اهانة وادخال
الفا في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المومنين بالجنات تفضل من الله
وان عذاب الكافرين بسبب من اعمالهم ولذلك كان لهم عذاب ولم يقل لهم في عذاب
والذين هاجروا في سبيل الله اي طاعته من مكة الى المدينة ثم قتلوا في الجهاد او
ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل في
الجهاد وبين من مات حتف انفه في الوعد لاستوآئهما في القصد واصل العمل
وروى ان بعض الصحابة قال يا نبي الله هولا الذين قتلوا في سبيل الله علمنا ما اعطاهم
الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا فنزلت واختلف
في ايهما افضل وظاهر الشريعة يدل على ان المقتول افضل وقال بعضهم هما سوآء
واحتج بهذه الاية وان الله لهو خير الرازقين اي افضل المعطين فانه يرزق
بغير حساب ليدخلنهم الله بدل من ليرزقنهم او مستانف مدخلا بضم الميم
وفتحها اي ادخالا او موضعا يرضونه هو الجنة فيها ما يتمنونه وان الله لعليم
باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجل في العقوبة ذلك اي الامر ذلك ومن
عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في الانتصار وانما سمي الذنب في هذه باسم العقوبة
كما سمي العقوبة باسم الذنب للازدواج والاتساع فمعنى من عاقب بمثل ما عوقب
به اي من جازى الظالم بمثل ما ظلمه فسمي جزآء العقوبة عقوبة لاستوآء الفعلين في

الصورة ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله لا محالة ان الله
لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله
ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة
فانه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على
انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك النصر بان
الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي يدخل كلا منهما في الاخر
بان يزيد به او ينقص فيكون ظلمة الليل في مكان ضو النهار بتغييب الشمس وعكس
ذلك باطلاعها وذلك من اثر قدرته التي بها النصر اي ذلك بسبب ان الله قادر
على تعقيب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشيآء المتعاقبة
ومن ذلك ايلاج احد المتداولين في الاخر وان الله سميع يسمع قول المعاقب والمعاقب
بصير يرى افعالهما فلا يهملهما وقيل سميع دعآء المومنين بصير بهم ذلك اي
الوصف بكمال القدرة والعلم بان الله هو الحق الثابت في ذاته الواجب الوجود وقيل
ذو الحق فدينه الحق وعبادته حق وان ما يدعون من دونه الهاوقرى بالتآء
على خطاب المشركين هو الباطل اي المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية وهي الاصنام
التي لا استحقاق لها في العباده وان الله هو العلي على الاشيآء الكبير عن ان يكون
له شريك لا شيء اعلى منه شانا ولا اكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السما ما
مطرا استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح الارض مخضرة بالنبات عطفا على انزل
وليس بجواب فيكون منصوبا وانما هو خبر قال الخليل المعنى انتبه انزل الله من السما
ما فكان كذا وكذا كما قال، الم تسال الربع القوا فينطق، وهل تخبرنك اليوم بيدا اسماق
معناه قد سالته فنطق الفعل الم تر خبر كما تقول اعلم ان الله عز وجل ينزل من السما
ما فتصبح الارض وقال غيره انما رفع الفعل هنا وان كان قبله لفظ الاستفهام لامرين

احدهما انه استفهام بمعنى الخبر اي قد رايت فلا يكون له جواب والثاني ان
ما بعد الفا ينتصب اذا كان المستفهم عنه سببا له ورويته لا تزال المآ لا توجب
اخضرار الارض وانما يجب عن المآ والتقدير فتهي اي القصة وتصبح الخبر وتخضر
اسم فاعل ذات خضرة وهو عبارة عن استجمالها اثر نزول المآ بالنبات واستمرارها
كذلك عادة وهذا من اثر قدرته ان الله لطيف يصل علمه او لطفه الى كل
ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة ابن عباس خبير بما ينطوي
عليه العبد من القنوط عند تاخير المطر لطيف بارزاق عباده له ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شي الحميد المستوجب
للحمد بصفاته وافعاله وقيل الحميد لاوليآئه الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض
من الحيوان والمعادن وسآئر المرافق وجعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك
السفن عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتدآء تجري في البحر للريح
والحمل بامره حال منها او خبر ومعنى بامره بارادته ويمسك السمآء ان تقع اي
من ان تقع او كراهية ان تقع على الارض فتهلكوا بان خلقها على صورة متداعية
الى الاستمساك الا باذنه اي الا بمشيته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها
بذاتها فانها مساوية لسآئر الاجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول
غيرها وامساكه لها خلق السكون فيها حالا بعد حال ان الله بالناس لرؤف
رحيم حيث هيا لهم اسباب الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم
انواع المضار وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم
اذا جآء اجلكم ثم يحييكم في الاخرة ان الانسان اي المشرك لكفور اي بجحود لما
ظهر من الايات الدالة على قدرته او بجحود للنعم مع ظهورها لكل امة جعلنا منسكا
اي متعبدا او شريعة تعبدوا بها او عبدا هم ناسكوه اي ينسكونه ويعملون به

فلا

فلا ينازعنك يعني سآئر ارباب الملل في الامر اي امر الدين او المناسك لانهم
بين جهال واهل عناد اولان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي
الرسول عليه الصلاة والسلام عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية
الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلآء اهل مرآء وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا
للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وقالوا اما قتله الله احق ان
تاكلوه مما قتلتم بعنون الميتة وادع الى ربك اي الى توحيده وعبادته انك لعلى
هدى مستقيم اي طريق الحق السوي وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت الحجة
فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد
فيه رفق وهذا قبل الامر بالقتال الله يحكم بينكم اي يفصل بين المومنين منكم
والكافرين بالثواب والعقاب يوم القيامة كما فصل في الدنيا بالحجج والايات
فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السمآء والارض
فلا يخفى عليه شي ان ذلك في كتاب اي ان الاحاطة به واثباته او الحكم به في اللوح
المحفوظ ان ذلك اي علم ما ذكر على الله يسير سهل لان علمه يتعلق بجميع المعلومات
على السوآء ويعبدون اي المشركون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي
حجة تدل على جواز عبادته وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل واستدلال
وما للظالمين اي وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم
او يدفع العذاب عنهم واذا تتلى عليهم ايآتنا من القران بينات واضحات الدلالة
على العقآئد الحقة والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار
والمعنى اثر الانكار من الكراهة للحق فكانوا اذا سمعوا القران من النبي صلى الله عليه وسلم
او من اخذ من المومنين وسمعوا ما فيه من رفض آلهتهم والدعآء الى التوحيد عرفت
المساءة في وجوههم غضبا باطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة يكادون

يسطون اي يبطشون بالذين يتلون عليهم اياتنا والسطوة شدة البطش
وقيل ياخذونهم اخذا باليد والمعنى انهم يكادون يسطون دهرهم اجمع واما
في الشاذ من الاوقات فقد سطوا بالتالين نحو ما فعل بابن مسعود وبالنبي
صلى الله عليه وسلم حين اعانه وبابي ذر وغيرهم قل افانبئكم بشر من ذلكم
اي من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم اوما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا
عليكم النار اي هو النار كانه جواب سائل قال ما هو وتجوز ان يكون مبتدا خبره
وعدها الله الذين كفروا بان يطعمها الكفار فالوعد على بابه وهو يقتضي سرعتها
الى الكفار وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر وبئس المصير
النار يا ايها الناس اي اهل مكة ضرب مثل اي بين لكم حال مستغربة او
قضية زائفة ولذلك سماها مثلا او جعل الله مثلا اي مثل في استحقاق العبادة
فاستمعوا له اي للمثل او لشانه استماع تدبر وتفكر وانما قال ضرب مثل لان
مجاج الله تعالى عليهم بضرب الامثال لهم اقرب الى افهامهم فان قيل فاين المثل المضروب
قال الاخفش ليس ثم مثل وانما المعنى ضربوا لي مثلا فاستمعوا له يعني ان الكفار
جعلوا لله مثلا بعبادتهم غيره فكانه قال جعلوا لي شبيها في عبادتي فاستمعوا
خبر هذا الشبيه ان الذين تدعون تعبدون من دون الله يعني الاصنام
لن يخلقوا ذبابا اي لا يقدرون على خلقه مع صغره ولو اجتمعوا له هو في
موضع الحال جيء به للمبالغة اي لا يقدرون على ذلك مجتمعين متعاونين عليه
فكيف اذا كانوا منفردين والذباب من الذب لانه يذب للذكر والانثى وجمعه
اذبة وذبان وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه اي يردوه
جعلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد
الموجودات باسرها تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق

اقل الاجناس واذلها ولو اجتمعوا بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل
وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما تخطفه من عندها قيل كانوا يطلونها
بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله
ابن عباس كانوا يطلون اصنامهم بالزعفران فيجف فياكله الذباب وقيل كانوا
يصنعون لها طعاما فياكله الذباب ضعف الطالب والمطلوب اي عابد الصنم
ومعبوده وقيل الطالب الاصنام والمطلوب الذباب وقيل بالعكس وخص الذباب
بالربعة بمهانته وضعفه واستقذاره وكثرته فاذا كان هذا الذي هو اضعف
الحيوان واحقره لا يقدر من عبد من دون الله على خلق مثله ودفع اذيته فكيف
يجوز ان يكون الها معبودا وربا مطاعا وهذا امر مستغرب عبر عنه بضرب مثل
ولو حققت وجدت الصنم اضعف من الذباب بدرجات ما قدروا الله حق قدره
اي ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه
مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه شيء والهتهم
التي يعبدونها عاجزة عن اقلها مقهورة من اذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا
يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي ومن الناس رسلا يدعون سائرهم الى الحق
ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه
غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء
بهم الى عبادة الله سبحانه وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من
الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
والملائكة بنات الله ونحو ذلك وتركت لما قال المشركون اانزل عليه الذكر من
بيننا ان الله سميع لقولهم بصير بهم او بصير بمن يتخذه رسولا كجبريل وميكائيل
وابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم وغيرهم يعلم ما بين ايديهم ما قدموا وما

خلفهم ما خلفوا او ما عملوه وما هم عاملون بعد والى الله ترجع الامور واليه يرجع
الامر كله لانه مالكها لا يسئل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسئلون يا ايها
الذين امنوا اركعوا واسجدوا في صلوتكم او المعنى صلوا وعبر بهما لانهما اعظم
اركان الصلاة او المعنى اخضعوا لله وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم
به او المعنى وحدوه وافعلوا الخير اي وتحروا ما هو خير واصلح فيما تاتون وتذرون
كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون تسعدون
وتفوزون بالجنة اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير واثقين على اعمالكم
والاية آية سجدة عند الشافعي لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه الصلاة
والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأهما وجاهدوا في الله
اي لله ومن اجله اعدا الله الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه
الصلاة والسلام لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
حق جهاده اي جهادا حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك
هو حق عالم واضيف الى الضمير اتساعا او لانه يختص بالله من حيث انه مفعول لوجهه
ومن اجله هو اجتباكم اي اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على انه المقتضي للجهاد
والداعي اليه وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق وهو اشارة الى الرخصة
في اعقال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا امرتكم
بشئ فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم
في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والارش والديات
في حقوق العباد وقيل هو ما سهله عند الضرورات قصر الصلاة والتيمم واكل الميتة
وافطار المسافر والمريض وصلاة الايماء وحط الجهاد عن الاعمى والاعرج والمريض او
حط الاصر الذي كان على بني اسرائيل ملة ابيكم ابراهيم منصوب على المصدر لفعل

دل

دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف وابراهيم عطف بيان اي وسع عليكم دينكم
توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية اولان اكثر
العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل اي من قبل
القران في الكتب المتقدمة وقيل من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذا اي وفي القران
والضمير لله تعالى وقيل الضمير لابراهيم وتسميتهم مسلمين في القران وان لم يكن منه
كان بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة وفي هذا تقديره وفي
هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيامة متعلق بسماكم شهيدا
عليكم بانه بلغكم فدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع
وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلاة
بالمداومة عليها واتوا الزكاة واعتصموا بالله اي تقووا وتوكلوا وثقوا به في
مجامع امورهم ولا تطلبوا الاعانة والنصر الا منه هو مولاكم اي ناصركم ومتولي امركم
فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له في الولاية سورة المومنين مكية
بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المومنون اي قد نالوا البقاء
الدائم في الخير تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخل على الماضي ولذلك
تقرب من الحال ولما كان المومنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم
الذين هم في صلاتهم خاشعون اي خائفون من ربه متذللون ملزمون ابصارهم
مساجدهم والخشوع السكون والتطامن والوقار وقال ابن عباس خاشعون بمخبتون
اذ لا مقاتل متواضعون وعن علي هو ان لا يلتفت يمينا ولا شمالا ابن جبير
هو ان لا يعرف من عن يمينه ولا من على شماله وهذا انما يظهر في الاعضاء ممن في قلبه
خوف وفي الخبر انه صلى الله عليه وسلم راى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب

هذا الخشعت جوارحه **والذين هم عن اللغو** عما لا يعنيهم من قول وفعل الضحاك
اللغو هنا الشرك وهو في اللغة سقوط القول الزجاج كل باطل ولهو وما لا يحل من
القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب **معرضون** لما بهم من
الجد ما يشغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبنا
الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام
الترك على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في
عرض غير عرضه وكذا قوله **والذين هم للزكاة فاعلون** اي مودون قيل هي المفروضة
وقيل كل طاعة لان السورة مكية والزكاة فرضت بالمدينة ووصفهم بذلك بعد وصفهم
بالخشوع ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب
عن المحرمات وسائر ما توجب المروءة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الاول
لان الفاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه او الثاني على تقدير مضاف **والذين هم**
لفروجهم حافظون عن الحرام لا يبذلونها **الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم**
اي زوجاتهم او سراريهم وعلى صلة الحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي وهو
في موضع نصب يحافظون على المعنى لان المعنى صانوها عن كل فرج الا على فروج
ازواجهم وقيل حال اي حفظوها في كل حال الا هذه الحالة وانما قال ما اجراء للمملوك
مجرى العقلاء اذ الملك اصل شايع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله عن اللغو معربون
لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا فرا الاعلى ازواجهم الاسن ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم في موضع خفض عطفا على ازواجهم وما مصدرية ابن العربي من
عزيب القرآن ان هذه الايات العشر عامة في الرجال والنسا الا قوله والذين هم
لفروجهم حافظون فانما خاطب بها الرجال خاصة دون الزوجات بدليل قوله
او ما ملكت ايمانهم اذ لا يجوز للمراة ان تستمتع بفرج مملوكها وانما عرف حفظ المراة

فرجها من ادلة اخر كايات الاحصان **فانهم غير ملومين** الضمير لحافظون اي فان
بذلوها لازواجهم واما آتهم فانهم غير ملومين على ذلك اذا كان على وجه اذن فيه الشرع
دون الاتيان في غير المأتي وفي حال الحيض والنفاس فانه محظور **فمن ابتغى وراء ذلك**
اي ابتغى ما بعد ذلك من الزوجات والسراري كالاستمنا باليد ومفعول الابتغا محذوف
ووراء ظرف وذلك يشار به الى كل مذكور مذكرا كان او مونثا **فاولئك هم العادون**
اي المجاوزون الحد اي الى ما لا يحل لهم الكاملون في العدوان **والذين هم لاماناتهم**
وعهدهم العهد يجمع كل ما تحمله الانسان من امر دينه ودنياه قولا وفعلا من جهة
الحق او الخلق كالصلاة والصيام والودايع والامانة اعم من العهد وكل عهد فهو امانة
فيما تقدم فيه قول او فعل او معتقد فهم لما يوتمنون عليه ويعاهدون **راعون**
اي قايمون بحفظها واصلاحها روى البيهقي من حديث انس قال قل ما خطبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا قال في خطبته لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له وقرى
بالافراد لامن اللبس **والذين هم على صلواتهم يحافظون** اي يواظبون عليها ويودونها
في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما للصلاة من التجدد والتكرر وليس ذلك بتكرير لما
وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها **اولئك** اي الجامعون
لهذه الصفات **هم الوارثون** اي الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم **الذين**
يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتعيين للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها
وتاكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس بمقتضى وعده مبالغة وقيل
يرثون منازل اهل النار من الجنة حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل
انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار والفردوس ربوة الجنة واوسطها وافضلها
هم فيها خالدون انث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا وفي ذلك
اشارة الى المعاد وبناسبه ذكر المبدا بعده ولذلك قال **ولقد خلقنا الانسان**

من سلالة اي من خلاصة سلت من شيء الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه
صفة لسلالة او بمعنى سلالة لانها في معنى مسلولة والانسان ادم خلق من صفوة
سلت من الطين او الجنس لانهم خلقوا من سلالة جعلت نطفا بعد اد وار وقيل المراد
بالطين ادم لانه خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه اي ثم جعلنا نسله فحذف
المضاف نطفة اي ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تاويل الجوهر او المسلول
او الما قيل وفي الاية من انواع البديع الاستخدام وهو كما قال السكاكي ومن تابعه ان
يوتى بلفظ له معنيان فاكثر يراد به احد معانيه ثم يوتى بضمير يراد به المعنى الاخر فان
المراد بالانسان ادم ثم اعاد الضمير عليه مراد به ولده في قرار مكين اي مستقر حصين
يعني الرحم وهو ما وى للولد ثم خلقنا النطفة علقة دما جامدا اي بان احلنا النطفة
البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة اي نضيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة
عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها بما
يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات وقرى العظام فيهما بالجمع لاختلا
في الهيئة والصلابة وبالتوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع ثم انشاناه خلقا
اخر وهو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين
من التفاوت واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فاوزغت عنده لزمه ضمان
البيضة لا الفرخ لانه خلق اخر فتبارك الله تعالى شانه في قدرته وحكمته احسن
الخالقين اي المقدرين تقديرا لحذف المميز لدلالة الخالقين عليه والحسن بدل او
خبر مبتدا محذوف وليس بصفة لانه نكرة وان اضيف لان المضاف اليه عوض من
من وهكذا جميع باب افضل منك ثم انكم بعد ذلك لميتون اي لصائرون الى
الموت لامحالة والعامل في بعد ذلك ميتون واللام لا تمنع ها هنا ثم انكم يوم
القيامة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق اي

سموات لانه طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقه
او لانها طرق الملائكة او لان الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق غافلين اي عن ذلك
المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال
لئلا تسقط عليهم فتهلكهم بل نمسكها وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدرلها من الكمال
حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية وقيل المعنى ما تركناهم سدى بغير امر
ونهي وانزلنا من السماء ما بقدر اي بتقدير كثرة نفعه وقلة ضره او بمقدار ما علمناه
من صلاحهم فاسكناه في الارض اي فجعلناه ثابتا مستقرا فيها ابن عباس اراد الانهار
الاربعة سيحان وجيحان والنيل والفرات وانا على ذهاب به اي على ازالته بالافساد
او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله
وهو تهديد ووعيد اي في قدرتنا اذهابه وهلاك الناس والمواشي بالعطش فانشانا
لكم به اي بالماء جنات من نخيل واعناب اي جعلنا ذلك سببا لانباتها وايجادنا به
وذكر النخيل والاعناب لانهما ثمرة الحجاز والطائف والمدينة ولانهما اشرف الثمار لكم
فيها اي في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها من غير الرطب والعنب ويحتمل ان
يعود على النخيل والاعناب خاصة اذ فيها مراتب وانواع من الفواكه الرطب والعنب
والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك والاول اعم ومنها تاكلون اي من الجنات
تغذون او تزرقون وتخلصون معاشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته وشجرة
عطف على جنات وهي شجرة الزيتون وافردها بالذكر لعظم منافعها تخرج من طور
سيناء جبل موسى بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال طور سينين ولم
ينصرف سيناء لانه اسم بقعة ففيه التعريف والتانيث ويجوز ان يكون فيه العجمة
ايضا قال قتاده معناه الحسن ويلزم من هذا التاويل ان يكون الطور على اللغة
وقيل معناه مبارك تنبت بالدهن بفتح التاء وضم الباء اي تنبت ومعها الدهن

كما تقول خرج زيد بسلاحه وقرئ بضم التاء وكسر الباء قال الفارسي التقدير تنبت جنا ها
ومعها الدهن فالمفعول محذوف وقيل الباء صلة كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
وصبغ للاكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف على احد معنى المثنى على الاخر
اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويبرج منه وكونه ادما يصبغ فيه
الخبز اي يغمس فيه للائتدام وان لكم في الانعام الابل والبقر والغنم لعبرة عظة
تعتبرون بها وتستدلون بها على خالقها نسقيكم بفتح النون وضمها مما في بطونها من
الالبان او من العلف فان اللبن يتكون منه ثم للتبعيض او للابتداء ولكم فيها منافع
كثيرة في ظهورها واصوافها وشعورها ومنها تاكلون فتتنفعون باعيانها وعليها
اي وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها
عندهم والمناسبة للفلك فانها في سفائن البر قال ذو الرمة * سفينة بر تحت خدي زمامها *
وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم
اعبدوا الله اطيعوه ووحدوه وهو الى اخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد
عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله غيره استيناف
لتعليل الامر بالعبادة وقرئ غيره بالجر عطفا على اللفظ افلا تتقون اي افلا تخافون
ان تزيلوا عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفض عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه
التي لا تحصى فقال الملا اي الاشراف الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا الا
بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم اي يطلب الفضل عليكم وان يسود ويشرف
ويكون متبوعا وانتم اتباعه ولو شاء الله ان لا يعبد سواه او ان يرسل رسولا لانزل
ملائكة رسلا ولم يرسل بشرا ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين اي في الامم الماضية
يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه نبي وما كلمهم به من الحث على عبادة الله ونفي اله
غيره وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم كانوا في فترة متطاولة ان ما هو اي نوح

الا رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا به اي فاحملوه واصبروا
حتى حين لعله يفيق من جنونه وقيل انتظروا موته قال نوح بعد ما يئس من ايمانهم
رب انصرني باهلاكهم او بايجاز ما وعدتهم من عذابهم بما كذبون بدل تكذيبهم اياي او
بسببه قال تعالى مجيبا دعاءه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك السفينة باعيننا اي
محفوظا بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك مفسد ووحينا اي امرنا وتعليمنا كيف
تصنع فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور روي انه قيل لنوح
اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب و
مشى الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام وتقدم في
هود فاسلك فيها اي فادخل في السفينة من كل زوجين اثنين الحكمة تقتضي ان يحمل
نوح في السفينة الا ما يلد ويبيض فاما البق والذباب والدود فلم تحمل شيئا منها والمراد
من كل شيء ذكر وانثى وقرئ من كل بالتنوين اي من كل نوع واثنين تاكيد وفي القصة ان
الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع
يده اليمنى على الذكر واليسرى على الانثى فيحملهما في السفينة واهلك اي اهل بيتك و
من امن معك الا من سبق عليه القول منهم اي القول من الله باهلاكه لكفره وهو
زوجته وولده كنعان وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا
في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لهم
بالانجاء انهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شانه لا يشفع
له ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت
اي علوت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة
او في الارض منزلا مباركا قرئ بضم الميم وفتح الزاي على المصدر اي انزالا مباركا

وقرى بفتح الميم وكسر الزاى اى موضع انزل **وانت خير المنزلين** وانما افرده بالامر
والمعلق به ان يستوى هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان فى دعائه سعادة
عن دعائهم فانه يحيط بهم **ان فى ذلك** اى فيما فعل بنوح وقومه **لايات** يستدل بها
ويعتبر اولوا الابصار والاعتبار **وان كنا لمبتلين** اى لمصيبين قوم نوح بلايا
عظيما او المعنى لمختبرين عبادنا بهذه الايه وان هى المخففه واللام هى الفارقة **ثم انشانا**
من بعدهم اى من بعد هلاك قوم نوح **قرنا اخرين** قيل هم قوم عاد وقيل قوم
ثمود ويدل له قوله اخر الاية فاخذتهم الصيحة القرطبى وممن اخذ بالصيحة ايضا
اصحاب مدين قوم شعيب فلا بعد ان يكونوا هم **فارسلنا فيهم رسولا منهم** هو
هود او صالح **ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره** تفسير لارسلنا اى قلنا لهم على
لسان الرسول ان اعبدوا الله **افلا تتقون** عذابه فتومنون **وقال الملا** اى الاشراف
والقادة والروساء **من قومه الذين كفروا** العله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام
الرسول بخلاف قول قوم نوح وجيء استوئف به فعلى تقدير سوال **وكذبوا بلقاء**
الاخرة اى بالبعث والحساب **واترفناهم** اى نعمناهم ووسعنا عليهم **فى الحياة الدنيا**
بكثرة الاموال والاولاد **ماهذا الا بشر مثلكم** فى الصفة والحال **ياكل مما تاكلون**
منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما مجرية والعائد الى الثانى منصوب
محذوف او مجرور محذوف مع الجار لدلالة ما قبله عليه **ولئن اطعتم بشرا مثلكم**
فيما يامركم فيه قسم وشرط والجواب للاولها وهو مغن عن الجواب الثانى **انكم اذا**
اى ان اطعتموه **لخاسرون** حيث اذللتم انفسكم **ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا**
وعظاما مجرده عن اللحوم والاعصاب **انكم مخرجون** من الاجداث او من العدم
نارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره
او انكم مخرجون مبتدا خبره الظرف المقدم وقيل فى اعرابه غير هذا هيهات

هيهات هو اسم للفعل وهو خبر واقع موقع بعد وفى فاعله وجهان احدهما
ما واللام زائدة اى توعدون والثانى مضمر تقديره بعد التصديق لما توعدون
او الصحة او الوقوع **ان هى الا حياتنا الدنيا** اصله ان الحياة الا حياتنا فاقيم الضمير
مقام الاولى للدلالة الثانية عليها ومعناه لا حياة الا هذه الحياة لان ان النافية دخلت
على هى التى فى المعنى الحياة الدالة على الجنس **نموت ونحيى** اى يموت بعضنا ويولد
بعض وقيل المعنى نحيى ونموت **وما نحن بمبعوثين** بعد الموت **ان هو** اى ما الرسول
الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من البعث **وما**
نحن له بمومنين اى بمصدقين **قال رب انصرنى** عليهم وانتقم لى منهم **بما كذبون**
اى بسبب تكذيبهم اياى **قال عما قليل** اى عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة
او نكرة موصوفة **ليصبحن نادمين** على التكذيب اذ عاينوا العذاب وفى الكلام قسم محذوف
جوابه ليصبحن **فاخذتهم الصيحة** صيحة جبريل صاح عليهم هائلة تصدعت منها
قلوبهم كائنة **بالحق** فماتوا **فجعلناهم غثاء** شبههم بغثاء السيل وهو حميله وهو ما
الزبد وما ارتفع على السيل مما لا ينتفع به **فبعدا للقوم الظالمين** المكذبين يحتمل
الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل
ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين يعنى قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ابن عباس
يريد بنى اسرائيل وفى الكلام حذف كذبوا انبياءهم فاهلكناهم **ما تسبق من امة اجلها**
اى الوقت الذى حد هلاكها ومن زائدة للاستغراق **وما يستاخرون** عنه ذكر الضمير
بعد تانيثه رعاية للمعنى **ثم ارسلنا رسلنا تترى** اى متواترين واحدا بعد واحد
من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو والالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرى
بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواتر فى موضع الحال اى متتابعين **كلما جاء**
امة رسولها كذبوه اضاف الرسل مع الارسال الى المرسل ومع المجئ الى المرسل اليهم

لان الارسال الذي هو مبدا الامر منه والمجئ الذي هو منتهاه اليهم فاتبعنا
بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث جمع لحديث وهي ما يتحدث
به تلهيا اي لم يبق منهم الا حكايات يستمر بها الاخفش انما يقال هذا في الشر
ولا يقال في الخير كما يقال صار فلان حديثا اي عبرة ومثلا القرطبي وقد يقال
فلان حديث حسن اذا كان مقيدا بذكر ذلك فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا
موسى واخاه هارون هارون بدل من اخاه باياتنا بالايات التسع وسلطان
مبين اي حجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافردها لانها اول
المعجزات وتعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة
وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة
خضراء مثمرة ورشا وانيسا وغير ذلك الى فرعون وملائه فاستكبروا عن الايمان
والمتابعة وكانوا قوما عالين اي متكبرين قاهرين لغيرهم بالظلم فقالوا انؤمن
لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق على الواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله
فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وقد جاءت تثنيته وجمعه
في قوله تعالى يرونهم مثليهم ثم لا يكونوا امثالكم وقيل انما وحد لان المراد المماثلة
في البشرية لا المماثلة في الكمية وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون اي خادمون
منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد
اتينا موسى الكتاب يعني التوراة وخصه بالذكر لان التوراة نزلت عليه في الطور
وهارون خليفته في قومه لعلهم يعني بني اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون
وقومه لان التوراة نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن مريم
عيسى وامه اية بولادتها اياه من غير مسيس فالاية امر واحد مضاف اليهما او
جعلنا ابن مريم اية بان تكلم في المهد وظهر منه معجزات اخر وامه اية بان ولدت من

غير

غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها واويناهما اي ضممناهما واقررنا
الى ربوة اي ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او مصر فان قراها على الربا
ذات قرار اي مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنها
يستقر فيها لاجلها ومعين اي وماء معين ظاهر للعيون وجا فعيل من معن الماء اذا
جرى واصله الابعاد في الشي ومن الماعون وهو المنفعة لانه ينفاع او مفعول من
عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصفه ما هنا بذلك لانه الجامع
لاسباب التنزه وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع
الانبيا لا انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان
كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا او يكون ابتداء كلام ذكر
تنبيها على ان تهيئة الاسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبيا
شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفضهم الطيبات حكايه لما ذكر عيسى وامه
عند ايوائهما الى الربوة وليقتدوا بالرسل في تناول ما رزقوا وقيل الند لعيسى وليقع
الجمع للتعظيم وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وانه اقامه مقام الرسل والطيبات
ما تستلذ من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي
ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا من فرض
ونفل فانه المقصود منكم والنافع لكم عند ربكم اني بما تعملون عليم اي فاجازيكم عليه
وفيه تنبيه وضرب من الوعيد واذا كان هذا مع الرسل فما ظن كل الناس بانفسهم
وان هذه اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او معطوف على ما قبله تقديره واني
بما تعملون عليم وبان هذه وقرئ بتخفيف ان وبكسرها على الاستيناف امتكم امة
واحدة اي ملتكم ملة واحدة يعني متحدة في العقائد واصول الشرايع والاشارة بهذه
الى الحنيفية السمحة ملة ابراهيم عليه السلام وقيل المعنى جماعتكم جماعة واحدة

الوجه اللائق فيواخذوا انهم اومن اجل انهم الى ربهم راجعون
لان مرجعهم اليه وروى الترمذي عن عائشة قالت سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن هذه الاية والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اهم الذين يشربون
ويسرقون قال لا يابنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقو
وهم يخافون ان لا يقبل منهم وقال الحسن ادركت اقواما كانوا من حسناتهم ان ترد
عليهم اشفق منكم على سيئاتكم ان تعذبوا عليها قال بعض اصحاب الخواطر وجل العارف
من طاعته اكثر من وجله من مخالفته لان المخالفة تمحوها التوبة والطاعة تطلب
بتصحيح الفرض اولئك يسارعون في الخيرات اي يسرعون في الطاعات لشدة الرغبة
فيبادرونها وهم لها سابقون اي لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى
الطاعة او الثواب او الجنة وقيل الحسن بما فيه انهم يسبقون الى وقاتها ابن عباس
سبقت لهم من الله السعادة فلذلك سارعوا في الخيرات ولا نكلف نفسا الا وسعها
اي قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس
فمن لم يستطع ان يصلي قائما فليصل جالسا ومن لم يستطع ان يصوم فليأكل ولدينا
عندنا كتاب يعني اللوح المحفوظ او صحيفة الاعمال التي ترفعها الملائكة واضافه
الى نفسه لان الملائكة كتبت فيه اعمال العباد بامره ينطق بالحق اي بالصدق لا يوجد
فيه ما يخالف الواقع وهم اي النفوس العاملة لا يظلمون بزيادة عقاب او نقصان
ثواب بل للاضراب الانتقالي من غرض الى غرض من غير ابطال لما قبلها تماثل بل
على حاله قلوبهم اي قلوب الكفرة في غمرة اي غفلة غامرة وقيل في حيرة وعمى من
هذا من هذا الذي وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة او القرآن ولهم اعمال
خبيثة من دون ذلك اي متجاوزة لما وصفوا به هم لها عاملون اي معتادون
في فعلها مجاهرتهم خطايا لا بد ان يعملوها من دون الحق ويحتمل انه ظلم الخالق

متفقة على الايمان والتوحيد في العباده ونصب امة على الحال وانا ربكم فا
في شق العصا ومخالفة الامر فتقطعوا امرهم بينهم اي تقطعوا امر دينهم وجعلوه
اديانا مختلفه كاليهود والنصارى وغيرهما او تفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب
بنزع الخافض والضمير لما دل عليه الامة من اربابها زبرا اي قطعا جمع زبور
الذي بمعنى الفرقة ويويده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبره وهو حال من امرهم
او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل زبرا كتبا ومذهبا
وضلالات الفوها وقيل اخذ كل فريق منهم كتابا آمن به وكفر بما سواه كل حزب
اي فريق من المتحزبين بما لديهم بما عندهم من الدين الذي ابتدعوه فرحون اي
معجبون به معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم اي اترك هؤلاء الذين
هم بمنزلة من تقدم في جهالتهم وهم كفار مكه والغمرة هنا الحيرة والغفلة والضلاله
شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون حتى حين الى ان
يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به اي ما نعطيهم ونجعله مددا لهم من
مال وبنين بيان لما وليس خبرا فانه غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم
ان ذلك لهم وانما خبره نسارع لهم في الخيرات والراجع محذوف والمعنى ايحسبون
ان الذي نمدهم به تعجيل به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون اي بل هم
كالبهائم لا فطنة بهم ولا شعور لتاملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج
لا مسارعة في الخير ان الذين هم من خشية ربهم اي من خوف عذابه مشفقون
اي حذرون والذين هم بايات ربهم المنصوبة او المنزله يومنون اي يصدقون
والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يوتون ما اتوا بالمد
اي يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يوتون ما أتوا بالقصر اي يفعلون
ما فعلوه من الطاعات وقلوبهم وجلة اي خائفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على

مع الكفر بالخالق حتى حرف ابتدا اذا اخذنا مترفيهم اي متنعميهم يعني الرؤ
من قريش بالعذاب اي القتل يوم بدر وقيل بالجوع حتى اكلوا العظام المحرقه
والميتة والكلاب والجيف وذلك حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف اذا هم
يجأرون اي يضجون ويستغيثون واصل الجؤار رفع الصوت بالتضرع لا تجأروا
اليوم يجوز ان يكون ذلك حقيقة من قول الملائكه ويحتمل ان يكون مجازا الى لسان
الحال انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون
منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت اياتي تتلى عليكم يعني القرآن
فكنتم على اعقابكم تنكصون يعني تعرضون مدبرين عن سماعها وتصدفون
والعمل بها والنكوص الرجوع القهقري مستكبرين به الضمير للتنكيب او للحرم
او للمسجد او البلد الذي هو مكة وان لم يتقدم له ذكر لشهرته في الامن وشهرة
استكبارهم وافتخارهم بانهم لاهله اغنى عن سبق ذكره والمعنى انهم يعتقدون ان
لهم بالمسجد الحرام اعظم الحقوق على الناس فيتكبرون بذلك او القرآن من حيث
ذكرت الايات والمعنى تحدث لكم سماع القرآن طغيانا وكبرا فلا تؤمنون به او
بقوله سامرا اي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء على
لفظ الفاعل كالعافية تهجرون من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان
اي تعرضون عن القرآن او تهذون في شانه والهجر بالضم الفحش وبوبد التالي
قراءة تهجرون من الهجر اي تقولون غير الحق غير الحق في النبي والقرآن وسامرا نصب
على الحال قيل ومعناه سمارا وهي الجماعة تتحدثون بالليل ماخوذ من السمر وهو
ظل القمر وكانوا يتحدثون حول الكعبه في سمر القمر قال الاعمش اذا رايت الشيخ
ولم يكتب الحديث فاضعفه فانه من شيوخ القمر يعني يجتمعون في ليالي القمر يتحدثون

بايام الخلفا والامرا ولا يحسن احدهم يتوضا للصلاة قال تعالى افلم يدبروا القول
يعني القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم بالاعجاز لفظه ووضوح مدلوله وسمي قولا
لانهم خوطبوا به ام جاءهم ما لم ياتِ اباءهم الاولين من الرسل والكتب او جاءهم
الامن عذاب الله فلم يحاموا كما خاف اباؤهم الاقدمون وقيل ام بمعنى بل اي بل
جاءهم ما لا عهد لاباءهم به فلذلك انكروه وتركوا التدبر له ام لم يعرفوا رسولهم
بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة
الانبياء فهم له منكرون دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار
الشيء قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما
يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد قال سفيان بلى قد عرفوه ولكنهم حسدوه ففي اتباعه
الخير والنجاة لولا العنت ام يقولون به جنة اي جنون فلا يبالون بقوله وكانوا
يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا بل للاضراب الابطالي جاءهم بالحق يعني القرآن
والتوحيد واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواهم فلذلك انكروه
حسدا وبغيا وقال اكثرهم لان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه
لئلا يقولوا ترك دين اباءه لا كراهة للحق كما حكي عن ابي طالب وغيره او لعدم فطنته وقلة
فكره ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان في الواقع الهة شتى لفسدت السموات
والارض ومن فيهن اي لخرجت عن نظامها المشاهد لوجوب التمانع في الشيء عادة
عند تعدد الحاكم والحق هنا الله تعالى قاله الاكثرون وتقديره ولو اتبع صاحب
الحق وقيل لو اتبع الحق ما يهواه الناس ويشتهونه لبطل نظام العالم لان شهوات
الناس تختلف وتتضاد وسبيل الحق ان يكون متبوعا وسبيل الناس الانقياد
وقيل الحق القرآن اي لو نزل القرآن بما يحبون لفسدت السموات والارض وقيل
لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى وقوله ومن

فهن اشارة الى من يعقل من ملآيكه السموات وانس الارض وجنها الكلبي يعني
وما بينهما وهي قراة ابن مسعود فيكون هذا محمولا على فساد من يعقل وما
لا يعقل من حيوان وجماد وعلى قراة الجمهور وظاهر التنزيل يكون محمولا على
فساد من يعقل ويكون ما لا يعقل تابعا لمن يعقل في الصلاح والفساد وقيل
غير ذلك **بل اتيناهم بذكرهم** اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او بما
فيه شرفهم وعزهم وهو القران ان اتبعوه وقيل الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان
عندنا ذكرا من الاولين ابن عباس بذكرهم بيان الحق وذكر ما لهم به حاجة من
امر الدين **فهم عن ذكرهم معرضون** لا يلتفتون اليه **ام تسالهم** قيل انه قسيم قوله
ام به جنة **خرجا** اي اجرا على اداء الرسالة **فخراج ربك** اي رزقه في الدنيا او
ثوابه في العقبى **خير** لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطآئهم وقد
عرضوا عليه اموالهم حتى يكون كاغنى رجل من قريش فلم يجبهم والخرج والخراج
واحد وهو المال تجبى ويوتى به لاوقات محدوده وقيل الخرج الجعل والخراج
العطا ابو عمرو الخراج ما لزمك والخرج ما تبرعت به وعنه ان الخرج من الرقاب
والخراج من الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر عنه
عن عطا الله اياه وقرى خرجا فخرج وخراجا فخراج للمزاوجه **وهو خير الرازقين**
تقرير لخيرية خراجه **وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم** اي دين قويم تشهد
العقول السليمة على استقامته لاعوج فيه يوجب اتهامهم له وسمى الدين
طريقا لانه طريق الجنة فهو يودي اليها واعلم انه سبحانه الزمهم الحجه وازاح
العلل في هذه الايات بان حصر اقسام ما يودي الى الانكار والاتهام وبين
انتفاها ما عدا الكراهة الحق وقلة الفطنه **وان الذين لا يومنون بالاخرة**
اي بالبعث والثواب والعذاب **عن الصراط** اي الطريق السوى **لناكبون** اى

لعادلون

لعادلون عنه يقال نكب عن الطريق ينكب نكوبا اذا عدل عنه ومنه نكبت
الريح اذا لم تستقم على مجرى هبوبها **ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر**
اي لو رددناهم الى الدنيا ولم ندخلهم النار **للجوا في طغيانهم** اي معصيتهم ابن جريج
ولو رحمناهم اي في الدنيا وكشفنا ما بهم من ضر اي من قحط وجوع للجوا اي
لتمادوا في طغيانهم ضلالتهم وتجاوزهم الحد **يعمهون** يتذبذبون ويخبطون
الاعمش يترددون وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بالجوع فاقاموا
سبع سنين ياكلون الجيف والكلاب وصار احدهم ينظر الى السما فلا يرى الا
دخانا من شدة الجوع وروى انهم قحطوا حتى اكلوا العذره فاتى ابو سفيان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة
قتلت الآبا بالقتل والابنا بالجوع فنزلت **ولقد اخذناهم بالعذاب** يعني القتل يوم
بدر وقيل بالامراض والحاجة **فما استكانوا لربهم** اي ما خضعوا لربهم **وما**
يتضرعون اي وما يخشعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكن استفعل
من الكون او افتعل من السكون وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على
ما قبله حتى ابتدآ به **اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد** يعني الجوع فانه
اشد من الاسر والقتل يجاهدا صابهم القحط حتى اكلوا العلهز وهو صوف ووبر
يبلونه بالدم ثم يشوونه ويا كلونه من الجوع وقيل يوم بدر بالقتل عكرمه
هو باب من ابواب جهنم عليه من الخزنه اربعمايه الف سود وجوههم كالحة
انيابهم قد قلعت الرحمة من قلوبهم اذا بلغوه فتحه الله عزوجل **اذا هم فيه**
مبلسون اي متحيرون آيسون من الخير **وهو الذي انشا لكم السمع** بمعنى
الاسماع **والابصار** لتحسوا بها ما نصب من الايات ووحد السمع لانه مصدر
والافيدة اي القلوب لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينيه

والدنيويه قليلا ما تشكرون اي تشكرون بها شكرا قليلا لان العبرة
في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لما فيها من غير اشراك وما
صلة لتاكيد القلة وقيل المعنى لا تشكرون البتة وهو الذي ذرأكم في الارض
اي خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون اي تجمعون للجزا بعد تفرقكم
وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار اي وتختص به تعاقبهما
لا يقدر عليه غيره ابن عطية اي له القدرة التي عنها ذلك او المعنى لامره وتضاده
تعاقبهما او انقاص احدهما وازادة الاخر وقيل اختلافهما النور والظلمة افلا
تعقلون بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث
من جملتها بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال الاولون اي اباهم ومن دان بدينهم
من الامم الكافرة كعاد وثمود قالوا اي الاولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
انا لمبعوثون هذا لا يكون ولا يتصور وهو استبعاد منهم ولم يتاملوا انهم
كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن وابآونا هذا اي البعث بعد
الموت من قبل اي من قبل مجيء محمد فلم نره حقيقة ان هذا الا اساطير الاولين
اي اكاذيبهم وترهاتهم التي كتبوها جمع اسطوره بالضم لانه يستعمل فيما يتلهى به
كالاعاجيب والاضاحيك وقيل اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم
تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم
وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي والزاما بما لا يمكن لمن له ادنى مسكة
من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان
العقل الصريح قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها قل اي بعد ما قالوا
افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتدا قدر على اعادتها
ثانيا فان بدا الخلق ليس اهون من اعادته قل من رب السموات السبع ورب

العرش العظيم فانه اعظم من ذلك وقيل العرش هو الكرسي سيقولون لله
قل افلا تتقون عقابه فلا تشركون به بعض مخلوقاته ولا تنكرون قدرته على كافة
بعض مقدوراته وقيل المعنى افلا تخافون حيث تجعلون لي ما تكرهون زعمتم ان الملا
بناتي وكرهتم لانفسكم البنات قل من بيده ملكوت كل شي يريد السموات وما
فوقها وما بينهن والارضين وما تحتهن وما فيهن وما لا يعلمه احد الا الله مجاهد
ملكوت كل شي خزآئن كل شي الضحاك ملك كل شي وهو يجير اي يغيث من يشاء وكرر
ولا يجار عليه اي ولا يغاث احد ولا يمنع منه وقيل يومن من يشاء ولا يومن
من اخافه وتعديته بعلى لتضمينه معنى النصرة ان كنتم تعلمون سيقولون لله
قل فانى تسحرون اي فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر
وتظاهر الادلة وقرى سيقولون الله بالالف في الموضعين الاخيرين لان السوال
جآء فيهما بغير لام فجآء الجواب على لفظه وجآء في الاول باللام لما كان السوال باللام
وقرى لله بغير الف في الاخيرين وهو مكتوب في جميع المصاحف بغير الف وليس في
السوال لام فمعنى قل من رب السموات قل لمن السموات فكان الجواب لله حين
قدرت اللام في السوال والثالثة كالثانية قال الشاعر

اذا قيل من رب المزالف والقرى ٠ ورب الجياد الجرد قيل لخالد ٠ ونظيره
ان يقال لمن صاحب هذه الدار فتقول لزيد اذا اجبت على اللفظ ولزيد اذا اجبت
على المعنى اذ لا فرق في المعنيين بين من صاحب الدار ولمن هي بل اتيناهم بالحق
من التوحيد والوعد بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك وقيل الكاذبون
في قولهم الملآئكة بنات الله ما اتخذ الله من ولد لتعاليه عن مماثلة احد وما
كان معه من اله يساهمه في الالوهيه وبين صلة فيهما اذا لذهب كل اله
بما خلق ولتغلب بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزآء شرط حذف لدلالة ما قبله

عليه اي لوكان معه الهة كما تقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز
ملكه عن ملك الاخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم
يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على
اسناد جميع الممكنات الى واجب واحد والذي يدل على نفي الشريك يدل على نفي الولد
ايضا لان الولد ينازع الاب في الملك منازعة الشريك **سبحان الله** تنزيها له **عما**
يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده **عالم الغيب والشهادة**
خبر مبتدا محذوف وقرئ بالجر على الصفة وهو دليل اخر على نفي الشريك بناء على توافقهم
في انه المنفرد بذلك وهذا يترتب عليه قوله **فتعالى** تعظم **عما يشركون** بالفا والغيب
ما غاب عنا والشهادة ما شاهدناه وما موصوله والعائد محذوف **قل رب اما ترينى**
اي ان كان لابد ان تريني لان ما والنون للتاكيد **ما يوعدون** من العذاب في الدنيا
والاخرة **رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين** قرنائهم في العذاب اي اذا اردت
بهم عقوبة فاخرجني منهم وهو اما هضم للنفس اولان شوم الظلمة قد يحيق بمن يراهم
كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن الحسن انه تعالى اخبر
نبيه ان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء **وانا على ان نريك**
ما نعدهم لقادرون لكنا نوخرهم علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يومنون او
لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به
وقيل قد اراه وهو يوم بدر او فتح مكة **ادفع بالتى هى احسن السيئة** وهو الصفح
عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد
والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر امره بالصفح ومكارم
الاخلاق فما كان منها لهذه الامة فيما بينهم فهو محكم باق وما كان فيها من معنى الموادعة
للكفار وترك القتال فمنسوخ باية السيف **نحن اعلم بما يصفون** اي بما

يصفو

يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزآئهم فكل الينا امرهم
وقل رب اعوذ بك اي امتنع بك واعتصم **من همزات الشياطين** اي وساوسهم
واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز رائض
الدواب على المشي والجمع للمرات او لنوع الوسواس او لتعدد المضاف اليه **واعوذ**
بك رب ان يحضرون وتخصيص بعضهم
حال الصلاة او قراءة القران او عند حلول الاجل لانها احرى الاحوال بان تخاف فيها
عليه **حتى اذا جاء احدهم الموت** متعلق بما يصفون وما بينهما اعتراض لتاكيد
الامر بالاستعاذة بالله من الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام وقيل
حتى ابتدائية **قال** تحسرا على ما فرط منه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر وعاين
الملائكة التي تقبض روحه وراى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو امن **رب**
ارجعون اي ردون الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني
كما في قوله القيا في جهنم ان معناه الق الق وقيل انه استغاث اولا بالله ثم رجع
الى مخاطبة الملائكة فقال ارجعون وقيل اراد يا ملائكة ربي ارجعون الضحاك
المراد بالاية اهل الشرك القرطبي ليس سوال الرجعة مختصا بالكافر فقد يسالها
المومن كما في اخر سورة المنافقين ودلت الاية على ان لا حد الا يموت حتى يعرف
اضطرارا هو من اولياء الله ام من اعدائه **لعلى اعمل صالحا فيما تركت** من الايمان
الذي تركته اي لعلي آتي بالايمان واعمل فيه وقيل فيما تركت من مالي فاتصدق
وقيل في الدنيا وفي الخبر انه عليه الصلاة والسلام قال اذا عاين المومن الملائكة
قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى
واما الكافر فيقول رب ارجعون ولعل تضمن تردد او هذا الذي يسال
الرجعة قد استيقن العذاب فهو يوطن نفسه على العمل قطعا من غير تردد

فالتردد يرجع اما الى رده الى الدنيا واما الى التوفيق اي اعمل صالحا ان وفقتني
اذ ليس على قطع من وجود القدرة لو رد الى الدنيا **كلا** هذه كلمة ردع عن طلب
الرجعه واستبعادها اي ليس الامر على ما يظنه بل هو كلام يطلح في ادراج الريح
انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الى اخره وسمي ذلك كلمة مجازا وهو سائغ والكلمة
للطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض **هو قائلها** لا محالة لتسلط الحسرة عليه
ومن ورائهم اي امامهم والضمير للجماعة **برزخ** اي حاجز بينهم وبين الرجعه وقيل
بين ايديهم وقيل من خلفهم حاجز بين الموت والبعث وقيل بين النفختين **الى يوم**
يبعثون الى يوم القيامة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة
يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون في الاخرة **فاذا نفخ في الصور**
لقيام الساعة **فلا انساب بينهم** تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة
واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او المعنى فلا
انساب بينهم يفتخرون بها **يومئذ** كما يفعلون اليوم **ولا يتسآلون** اي ولا يسأل
بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا ينافض قوله واقبل بعضهم على بعض يتسآلون
لانه عند النفخة وذاك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار **فمن**
ثقلت موازينه اي موزونات عقائده واعماله اي فمن كانت له عقائد واعمال
صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر **فاولئك هم المفلحون** اي الفائزون بالنجاة
والدرجات **ومن خفت موازينه** اي ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار
لقوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا **فاولئك الذين خسروا انفسهم** اي غبنوها
حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها **في جهنم خالدون**
بدل من الصلة او خبر ثان للاولئك وقيل فمن ثقلت موازينه بحسناته ومن خفت
موازينه بسيآته وتقدم شيء من ذلك **تلفح وجوههم النار** اي تحرقها واللفح

كالنفح الا انه اشد تاثيرا قيل انها اذا لفحتهم لفحة واحدة لم تبق لحما على عظم الا القته على
اعقابهم **وهم فيها كالحون** من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان
وفي الترمذي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالحون
اي تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى
حتى تضرب سرته **الم تكن اياتي** اي القرآن **تتلى عليكم** تخوفون بها على اضمار القول اي
يقال لهم الم تكن **فكنتم بها تكذبون** تانيب وتذكير لهم عما استحقوا هذا العذاب
لاجله **قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا** اي ملكتنا بحيث صارت احوالنا مودية الى
سوء العاقبة وقيل لذاتنا واهوآنا فسمى اللذات والاهوآ شقوة لانها يودبان اليها
وقيل ما سبق في علمك وكتب علينا في ام الكتاب من الشقاوة وقيل حسن الظن بالنفس
وسوء الظن بالخلق **وكنا قوما ضالين** في فعلنا عن الهدى وليس هذا اعتذارا منهم
وانما هو اقرار ويدل على ذلك **ربنا اخرجنا منها** اي من النار **فان عدنا** الى التكذيب
فانا ظالمون لانفسنا **قال** الله لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين **اخسئوا**
فيها اي اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سوال من جنسات الكلب اذا زجرته
ولا تكلمون في رفع العذاب اولا تكلمون راسا وقيل ان اهل النار يقولون الف
سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا
اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك
فيجابون انكم ماكثون فيقول الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم
فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون اخسوا فيها ولا تكلمون ثم لا يكون لهم الا
زفير وشهيق وعواء تنطبق عليهم النار والامر والنهي هنا فيهما معنى الاهانة
انه اي الشان وقرئ بالفتح اي لانه **كان فريق من عبادي** يعني المومنين وقيل
اهل الصفة مجاهد هم بلال وخباب وصهيب وعمار وسلمان ونحوهم من

ضعفا المسلمين كان ابو جهل واصحابه يهزؤن بهم **يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا** اي هزوا وقرى بالضم والكسر وفرق ابو عمرو بينهما فجعل المكسورة من جهة الهزء والمضمومة من جهة السخرة بمعنى الانقياد والعبودية ولا يعرف هذا التفريق الخليل ولا سيبويه وقال الكسائي هما لغتان بمعنى واحد **حتى انسوكم ذكري** من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي **وكنتم منهم تضحكون** استهزاءكم والحاق الانسا المؤمنين لانهم كانوا سببا لاشتغالهم عن ذكره وتعدى شوم استهزآئهم بالمؤمنين الى استيلاء الكفر على قلوبهم **اني جزيتهم اليوم بما صبروا** على اذاكم وعلى طاعتي **انهم هم الفائزون** دونكم وقرى بالكسر على الاستيناف وبالفتح على جعل انهم مفعول ثان لجزيتهم **قال** الله او الملك المامور بسؤالهم وقرى على الامر للملك او لبعض رؤسا اهل النار **كم لبثتم في الارض** احياء وامواتا في القبور وكم ظرف للبثتم **عدد سنين** تميزلكم وهذا السؤال للمشركين في عرصات القيامة او في النار **قالوا لبثنا يوما او بعض يوم** استقصروا مدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم وقيل لان العذاب رفع عنهم بين النفختين فنسوا ما كانوا فيه **فاسال العادين** الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصارها او الملائكة الذين يحصون اعمار الناس ويحصون اعمالهم **قال** وقرى **قل ان لبثتم الا قليلا** اي ما لبثتم الا زمنا قليلا **لو انكم كنتم تعلمون** تصديقا لهم في مقالهم وقيل جواب لو محذوف اي لو كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لما اجبتم بهذه المدة **افحسبتم انما خلقناكم عبثا** توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اي لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لتتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث

وبين

وقيل معناه مهملين كما خلقنا البهائم لا ثواب لها ولا عقاب عليها والعبث الفعل لغير غرض صحيح **وانكم الينا لا ترجعون** بالبنا للمفعول معطوف على انما خلقناكم او على عبثا وقرى ترجعون بفتح التا وكسر الجيم **فتعالى الله الملك الحق** الذي تحق له الملك مطلقا وان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال **لا اله الا هو رب العرش الكريم** بالجرا السرير الحسن او المرتفع الذي تحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضيه والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقيل العرش الكرسي وقرى الكريم بالرفع على انه صفة لرب **ومن يدع مع الله الها اخر** بعبده افرادا او اشراكا **لا برهان له به** صفة اخرى لانها لازمة له فان الباطل لا برهان له جي به للتاكيد ونبا الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط وجزآئه لذلك وقال بعضهم هذه الاية من باب نفي الشي مقيدا والمراد نفيه مطلقا مبالغة في النفي فان الاله مع الله لا يكون الا عن غير برهان ومثله يقتلون النبيين بغير حق فان قتلهم لا يكون الا بغير حق فلا برهان له صفة كاشفة لا مفهوم له **فانما حسابه عند ربه** فهو مجازيه مقدارما يستحقه **انه** اي الشان وقرى بالفتح على التعليل او الخبر اي حسابه عدم الفلاح بدا في السورة بفلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال **وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين** في الرحمة زيادة على المغفرة وفي الخبر لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر

سورة النور مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة اي هذه سورة او مما يتلى عليكم سورة ولا يكون سورة مبتدا لانها نكرة **انزلناها** صفتها ومن نصبها جعله مفسرا الناصبها على تقدير انزلنا

لا يفلح الكافرون

سورة فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او دونك او نحوه فيكون موضع انزلنا نصبا
وفرضناها بالتخفيف اي فرضنا ما فيها من الاحكام وقرئ بالتشديد للكثرة فرائضها
او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها ابو عمرو فرضناها بالتشديد قطعناها في
الانزال نجما نجما وعنه فصلناها وبيناها وقيل بالتشديد فرضنا فيها فروضا وبالتخفيف
الزمناكم العمل بما فيها وانزلنا فيها ايات بينات اي واضحات الدلالة لعلكم
تذكرون فتتقون المحارم الزانية والزاني اي فيما فرضنا او انزلنا حكمهما وهو الجلد
ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلد واكل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنها
معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وانما قدم الزانية لان الزنا في الاغلب يكون بتعرض
المرأة وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها وقيل لانه في
النساء عرو هو لاجل الحبل اضر وقيل لان الشهوة في المرأة اكثر وعليها اغلب واذا
زنت ذهب حياؤها وقيل لانه كان في ذلك الزمان زنا النساء فاش وكان لاماء العرب
وبغايا الوقت رايات وانما ذكر الزانية وان كانت داخلة في لفظ الزاني للايذان بان
ان الرجل لما كان هو الفاعل والمرأة محل ليست بفاعلة فلا تجب عليها حد فذكرها
دفعا لهذا الاشكال والجلد ضرب الجلد وهو حكم يختص بمن ليس بمحصن لما دل
على ان حد المحصن هو الرجم والذي بجلد مائة هو الحر البالغ العاقل البكر ذكرا
كان او انثى غير محصنين وزاد الشافعي رضي الله تعالى عنه تغريب عام للحر لقوله عليه
الصلاة والسلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والرقيق على النصف وليس
في الاية ما يدفعه لجواز ان ينسخ احدهما بالاخر نسخا مقبولا او مردودا والاحصان بالحرية
والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا
وهو مردود برجمه عليه الصلاة والسلام يهوديين ولا يعارضه من اشرك
بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذي هو بقتضى له من المسلم ولا تاخذكم

بهما رافة اي رحمة في دين الله اي في طاعته او في حكمه واقامة حده وهي وان كانت
لا تدخل تحت الاختيار نهي عنها باعتبار ما يتعلق بها من طاعة داعيتها فيترك الحد
والمعنى لا تمتنعوا عن اقامة الحدود شفقة على المحدود ولذلك قال عليه الصلاة
والسلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ان كنتم تومنون بالله واليوم
الاخر اي يوم البعث فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه
وهو من باب التهييج وقرئ ان بفتح الهمزة وليشهد عذابهما اي جلدهما طائفة من
المومنين زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة
فرقة يمكن ان يكون حافة حول الشيء من الطوف واقلها ثلاثة لانه اقل الجمع وقيل
اربعة قياسا على الشهادة مجاهد رجل فما فوقه الى الف قيل ولا يشهد التعذيب
الا من لا يستحق التاديب والمراد جمع يحصل به التشهير الزاني لا ينكح يتزوج الا زانية
او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اذ الغالب ان الميل الى الزنا
لا يرغب في نكاح الصوالح وان المسافحة لا يرغب فيها الصلحا فان المشاكلة علة
للالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق وكان مقتضى ظاهر المقابلة ان يقال
والزانية لا ينكح الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان
الاية نزلت في صفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا الزانيات ويقال انها نزلت
في رجل من المسلمين استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح امراة يقال لها
ام مهزول من بغايا الزانيات وشرطت ان تنفق عليه من كسبها على عادة الجاهلية
ولذلك قدم الزاني وقيل المراد الزاني المحدود والزانية المحدودة ذكره الزجاج عن
الحسن قال وهذا حكم الله فلا يجوز الزان محدود ان يتزوج الا محدودة وقيل الاية
منسوخة بقوله وانكحوا الايامى منكم النماس وهذا القول عليه اكثر العلما وحرم
ذلك على المومنين لانه يشبه بالفساق ويعرض للتهمة وسبب للطعن في الانساب

وغير ذلك من المفاسد ولذلك عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي
وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ
كما تقدم ويويده انه عليه الصلاة والسلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره
نكاح والحرام لا يحرم الحلال **والذين يرمون المحصنات** اي يشتمون العفائف
واستعير له اسم الرمي لانه اذاية بالقول ويسمى قذفا اي يقذفونهن بالزنا لوصف
المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقب الزواني واعتبار اربعة شهدا لقوله **ثم**
لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة اي كل واحد منهم ثمانين اذا كان
حرا والعبد اربعين والقذف بغيرهم كيا فاسق ويا شارب الخمر فيه التعزير لقذف
غير المحصن والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن زنا يحد به
في دوام عمره حتى لو زنا وتاب لم يعد محصنا هنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى و
تخصيص
المحصنات لخصوص الواقعة اولان قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع
الشهود عند الاداء ولا تعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة وليكن ضربه
اخف من ضرب الزنا لضعف سببه ولذلك نقص عدده **ولا تقبلوا لهم شهادة**
اي شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يوقف ذلك على استيفاء
الجلد خلافا لابي حنيفة فان الامر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا
للشرط لا الترتيب بينهما فيتبادر عليه دفعة وكيف وحاله قبل الجلد اسوأ مما بعده
ابدا اي ما لم يتب وعند ابي حنيفة الى آخر عمره **واولئك هم الفاسقون** اي المحكوم
بفسقهم لاتيانهم كبيرة واستثنى منه من تاب بقوله **الا الذين تابوا من بعد ذلك**
عن القذف **واصلحوا** اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال من المقذوف
والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرع لهذه الامور ولا يلزم سقوط الحد
به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال والاستثنا اذا تعقب جملا

معطوف

معطوفات عاد الى جميعها عند مالك والشافعي وعند ابي حنيفة يرجع الى الاخير
مذكور وهو الفسق هنا ولهذا لا تقبل شهادته عنده كما تقدم وموضع المستثنى نصب
على اصل الباب وقيل بوضعه جر على البدل من الضمير في لهم وقيل بوضعه رفع على
الابتداء والخبر **فان الله غفور لهم** لقذفهم **رحيم** بهم بالهامهم التوبة فيها وهو علة
للاستثناء **والذين يرمون ازواجهم** بالزنا **ولم يكن لهم شهداء** عليه **الا انفسهم**
بالرفع بدل او صفة لهم على ان الا بمعنى غير **فشهادة احدهم اربع شهادات** اي فالواجب
شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقرئ بالرفع على
انه خبر شهادة **بالله** متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها **انه لمن**
الصادقين اي فيما رمى به زوجته من الزنا **والخامسة** اي والشهادة الخامسة **ان لعنة**
الله عليه ان كان من الكاذبين وقرئ بتخفيف ان في الموضعين وسبب نزول الاية ان
هلال بن امية قذف زوجته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريك بن السحماء فقال
النبي صلى الله عليه وسلم البينة والا حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا رأى احدنا مع
امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرر ذلك فقال هلال
والذي بعثك بالحق اني لصادق وليترلن الله ما يبرئ ظهري من الجلد فنزلت وحكمة
اللعان سقوط حد القذف عن الرجل وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عند الشافعي
لقوله عليه الصلاة والسلام المتلاعنان لا يجتمعان ابدا ونفي الولد ان تعرض له وبيوت
حد الزنا على المرأة لقوله **ويدرأ عنها العذاب** اي يسقط حد الزنا الذي يثبت بشهادة
ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني **والخامسة ان غضب الله**
عليها ان كان من الصادقين في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر وقرئ
غضب الله بكسر الضاد ورفع الله وغضب الله ارادة الانتقام وانزال العقوبة وانما
خص اللعن بجانب الزوج والغضب بجانب الزوجة لان جريمة الزنا اقبح من جريمة

القذف واذلك تفاوت الحدان وتفصيل احكام اللعان مذكور فى الفروع **ولولا**
فضل الله عليكم ورحمته وان الله توآب حكيم حذف جواب لولا للتعظيم
والمعنى لفضحكم او عاجلكم بالعقوبة **ان الذين جاؤا بالافك** اى بابلغ مايكون
من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه وسبب نزولها ماروا
الايمة من حديث الافك الطويل فى قصة عائشه رضى الله عنها وهو خبر صحيح مشهور
وذلك انه عليه الصلاة والسلام استصحبها فى بعض الغزوات فاذن ليلة بالرحيل
فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع انقطع
فرجعت لتلتمسه فظن الذى كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها
وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد به احدا فجلست كى يرجع اليها وكان صفوان بن
المعطل قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها
فقادها حتى اتى الجيش فاتهمت به **عصبة منكم** اى جماعة وهو من العشرة الى الاربعين
وكذلك العصابه وعن ابن عباس من الثلاثة الى العشرة واصلها فى اللغة الجماعة
التى يتعصب بعضهم لبعض والمراد بها عبد الله بن ابى وزيد بن رفاعه وحسان
بن ثابت ومسطح بن اثاثه وحمنه بنت جحش ومن ساعدهم وهو خبر ان وقوله
لاتحسبوه شرا لكم مستانف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر
وعائشه وصفوان وقيل للمؤمنين غير العصبة والضمير للافك **بل هو خير لكم**
لاكتسابكم الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثمان عشرة اية فى براءتكم
وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثنا على من ظن بكم خيرا والخير
حقيقته مازاد نفعه على ضره والشر مازاد ضره على نفعه وان خير الاشرفيه هو
الجنة وشر الاخير فيه هو النار فاما البلا النازل على الاولياء فهو خير لان ضرره من الالم
قليل فى الدنيا وخيره هو الثواب الكثير فى الاخرى **لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم**

اى

اى لكل من تكلم بالافك جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه نختصابه **والذى تولى**
كبره اى معظمه والكبر منهم اى من الخائضين وهو ابن ابى فانه بدا به واذاعه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم **له عذاب عظيم** فى الاخرة او فى الدنيا فانه جلد وصار
مطرودا مشهورا بالنفاق وقيل الذى تولى كبره حسان ومسطح وابن ابى فالذى بمعنى
الذين وروى ان حسان عمى وشلت يداه ومسطح كف بصره **لولا** اى هلا **اذ** حين **سمعتموه**
ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا اى بالذين هم من المؤمنين والمؤمنات اى
ظن بعضهم ببعض كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة
فى التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضى ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب
الطاعنين عنهم كما يذبون عن انفسهم لان المؤمنين كنفس واحدة فاوجب الله على المسلمين
اذا سمعوا مثلا رجلا يقذف احدا ويذكره بقبيح لا يعرفونه به ان ينكروا عليه ويكذبوه
وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه يتسع فيه مالا يتسع فى غيره والاية عتاب
من الله تعالى للمؤمنين والمعنى انه كان ينبغى ان يقيس فضلا المؤمنين والمؤمنات الامر على
انفسهم فان كان ذلك يبعد فيهم فذلك فى عائشة وصفوان ابعد **وقالوا هذا افك**
مبين كذب بين كما يقول المستيقن المطلع على الحال **لولا جاؤا عليه باربعة شهداء**
هذا توبيخ لاهل الافك اى هلا جاؤا باربعة شهداء على ما زعموا من الافتراء **فاذ لم يأتوا**
بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون تقرير لكونه كذبا فان من لا حجة له
مكذب عند الله اى فى حكمه فقد يعجز عن اقامة البينه وهو صادق فى قذفه فهو فى حكم
الشرع وظاهر الامر كاذب لا فى علم الله وهو سبحانه انما رتب الحدود على حكمه الذى شرعه
فى الدنيا لا على مقتضى علمه الذى تتعلق بالاشياء على ما هى عليه فانما ينبنى ذلك على حكم
الاخرة **ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والاخرة** لولا هذه لامتناع الشى
لوجود غيره وفضل رفع بالابتدا عند سيبويه والخبر محذوف لانظهره العرب والمعنى

ولولا فضل الله عليكم بانواع النعم التى من جملتها الامهال للتوبه ورحمته فى الاخرة
بالعفو والمغفرة المقدران لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم اى خضتم فيه ايها
العصبة وفى للتعليل اى لاجل ما قلتم عذاب عظيم فى الاخرة يستحقرون دونه اللوم
والجلد والافاضة الاخذ فى الحديث وهو الذى وقع عليه العتاب اذ ظرف لمسكم او
افضتم تلقونه بالسنتكم اى ياخذه بعضكم من بعض بالسوال عنه يقال تلقى القول
وتلقفه وقرى بضم التاء وسكون اللام وضم القاف من الالقاء وقرى تتلقونه بتاءين من
التلقى وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اى تقولون قولا تختصا بالافواه بلا
مساعدة من القلوب كقوله يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم وتحسبونه هينا
اى سهلا لا تبعة فيه والضمير عائد على الحديث وهو عند الله عظيم فى الوزر واستمرار
العذاب فهذه ثلاثة اياهم مترتبه تعلق بها العذاب العظيم تلقى الافك بالسنتهم
والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه
قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا اى ما ينبغى وما يصح لنا سبحانك هو للتعجب هذا
يجوز ان تكون الاشارة الى القول المخصوص وان تكون الى نوعه فان قذف لحاد الناس
محرم شرعا فضلا عن الصديقه بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهتان
كذب عظيم وحقيقة البهتان ان تقول فى الانسان ما ليس فيه والغيبة ان تقول فيه
هو فالاية عتاب لجميع المومنين اى كان المطلوب منكم ان تنكروه ولا تتعاطوه على جهة
الحكاية وان تنزهوا الله ان يقع هذا من زوج نبيه صلى الله عليه وسلم وان تحكموا على هذه
المقالة بانها بهتان ثم وعظهم تعالى فى العودة الى مثل هذه بقوله يعظكم اى ينهاكم الله
لعظمة المنهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها ان تعودوا اى
كراهة ان تعودوا او فى ان تعودوا لمثله يعنى عائشة لان مثله لا يكون الا تطهيرا القول
فى المقول عنه بعينه او من كان فى مرتبته من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم لما فى ذلك من

اذايته

اذايته فى عرضه واصله وذلك كفر بين فاعله ابدا اى ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم
مومنين فان الايمان يمنع عنه وهو تهييج وتوقيف وتوكيد كما تقول ينبغى لك
ان تفعل كذا ان كنت رجلا ويبين الله لكم الايات الدالة على الشرايع ومحاسن الاداب
كى تتعظوا وتتادبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم فى تدبيره ان الذين يحبون ان
تشيع اى تكثر وتفشو الفاحشة اى القذف بها يقال شاع اذا ظهر وتفرق فى
الذين امنوا يعنى عائشه وصفوان بنسبتها اليهما والفاحشة الفعل القبيح المفرط
القبح وقيل هى هنا القول السيى لهم عذاب اليم فى الدنيا بالحد للقذف وفى الاخرة
عذاب النار لحق الله الطبرى معناه ان مات مصرا غير تائب والله يعلم ما فى الضمائر وانتم
لا تعلمون فعاقبوا فى الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما فى
القلوب من حب الاشاعة وقيل المعنى يعلم مقدار عظم هذا الذنب والمجازاة عليه وانتم تعلم
كل شى وانتم لا تعلمون وقيل والله يعلم انتفا الفاحشة عنهم وانتم لا تعلمون ايها العصبة
وجودها فيهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب
للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله وان الله رءوف رحيم على حصول فضله ورحمته
عليهم وهو مستغنى عنه بذكره مرة يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان
اى تزيينه ومسالكه او مذاهبه التى يدعوكم اليها وقيل باشاعة الفاحشه وهى جمع
خطوة بالضم ما بين القدمين وبالفتح المصدر ومن يتبع خطوات الشيطان فانه
اى المتبع يامر بالفحشآء والمنكر بيان لعلة النهى عن اتباعه والفحشآء ما افرط قبحه
والمنكر ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للذنوب
وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى اى ما طهر من دنسها منكم اى العصبة بما قلتم من الافك
من احد ابدا اخر الدهر وقيل ما زكى بما اهتدى ولا اسلم ولا عرف رشده الكسائى يا ايها
الذين امنوا الى اخره معترض وقوله ما زكى منكم من احد جواب لقوله اولا وثانيا ولولا

فضل الله عليكم ولكن الله يزكي من يشآ اي يحمله على التوبة وقبولها ويطهره والله
سميع لمقالكم عليم بنياتكم ولا ياتل اي يحلف يفتعل من الالية وهي اليمين وقيل معناه
يقصر من قولهم ما الوت في كذا اي ما قصرت اولوا الفضل منكم في الدين والسعة في المال
نزلت في ابي بكر الصديق وكان ينفق على مسطح وكان ابن بنت خالته للمسكنة والقرابة
فلما وقع في امر الافك وقال مسطح فيه ما قال حلف ابو بكر انه لا ينفق عليه ولا ينفعه
ابدا فاعتذر مسطح فقال ابو بكر قد شاركت فيما قيل ومر على يمينه وانما لم يسمه لتعظيمه
بالوصف الكامل دون الاسم ومثله والذي جآء بالصدق وصدق به اذ يقول لصاحبه
ففيه دليل على فضله وشرفه ان يوتوا اي على ان يوتوا او في ان يوتوا وقال ابن قتيبة
المعنى ان لا يوتوا فحذف لا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات
لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا
تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اسآ اليكم وهو تمثيل وحجة
اي كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك اعفوا عن ذنوب الناس والاستفهام فيه معنى الحض
فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر قال بلى انا احب ان يغفر الله لي ورجع
الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها منه ابدا وعن ابن عباس ان الاية نزلت في جمع من
الصحابة حلفوا ان لا يتصدقوا على رجل اتهم في الافك ولا ينفعوه ناهية لهم عن ذلك
وتعلمة ان التوبة تزيل اثر الذنب والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا بالخلا
ان الذين يرمون بالزنا المحصنات اي العفائف الغافلات عن الفواحش فلا تخطر
الفاحشة بقلوبهن واجلهن عائشة المومنات بالله ورسوله استباحة لعرضهن وطعنا
في الرسول عليه الصلاة والسلام والمومنين كابن ابي لعنوا في الدنيا والاخرة كما
طعنوا فيهن ولهم عذاب اليم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف سالم يتب وقيل
مخصوص بمن قذف ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس لا توبة له ولو

فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل في افك عائشة يوم تشهد عليهم ظرف
لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرئ بالياء من تحت للتقدم
والفصل السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون اي يقترفون بها بانطاق
الله اياها بغير اختيارهم وهو يوم القيامة وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ
يوفيهم الله دينهم الحق اي جزاءهم المستحق وحسابهم العدل ويعلمون لمعاينتهم الامر
ان الله هو الحق لا غيره كما الاكل شيء ما خلا الله باطل المبين حيث بين لهم ما كان في الدنيا
من الجزاء وقيل معناه وفي الحق البين اي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شانه ينتقم
من الظالم للمظلوم لامحاله الخبيثات للخبيثين اي الخبيثات من النسآ للخبيثين من
الرجال وكذا الخبيثون للخبيثات والطيبات من النسآ للطيبين من الرجال
وكذا الطيبون للطيبات فهو كالدليل على قوله اولئك يعني اهل بيت النبي صلى الله
عليه وسلم والرسول عليه الصلاة والسلام وعائشة وصفوان مبرءون مما يقولون
وقيل ان المعنى الكلمات الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال وكذا الخبيثون من
الرجال للخبيثات من القول وكذا الكلمات الطيبات من القول للطيبين من الناس
والطيبون من الناس للطيبات من القول اي اللآئق بالخبيث مثله وبالطيب مثله
ومعنى مبرءون منزهون مما رموا به لهم مغفرة ورزق كريم في الجنة ولقد برأ الله
اربعة باربعة برا يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى عليه السلام من
قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم عليها السلام بانطاق ولدها وعائشة
رضي الله عنها بهذه الايات وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول صلى الله عليه وسلم
واعلاء منزلته وقد افتخرت عائشة باشياء منها بانها خلقت من طيبة ووعدت مغفرة
ورزقا كريما يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها والمراد
والمعبر ايضا لا يدخل كل منها الا باذن حتى تستانسوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام

من انس بالشئ اذا ابصره فان المستانس مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد
دخوله ويوذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش فان المستانس
مستوحش خائف ان لا يوذن له فاذا اذن استانس او المعنى حتى تتعرفوا اهل
ثم انسان من الانس قال المجاهد بالتنحنح او باي وجه امكن وتيانى قد ربما يعلم انه
قد شعر به ويدخل اثر ذلك **وتسلموا على اهلها** بان تقولوا السلام عليكم ادخل
فالسلام قبل الاستيذان وفى سنن ابن ماجه عن ابى ايوب الانصارى قال قلت
يا رسول الله هذا السلام فما الاستيذان قال يتكلم الرجل بتسبيحه وتكبيره وتحميده
ويتنحنح يوذن اهل البيت وعنه عليه الصلاة والسلام التسليم ان يقول السلام
عليكم ادخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع **ذلكم** اى الاستيذان والتسليم
خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية فان الرجل منهم اذا دخل بيتا
غير بيته قال عمتم صباحا وعمتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امراته فى ثما
وروى ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم استاذن على امى قال نعم قال لا خادم لها
غيرى استاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن
لعلكم تذكرون خيريته فتعملون به وهو متعلق بمحذوف اى اترك عليكم ارادة
ان تتذكروا فتعملوا به **فان لم تجدوا فيها احدا** ياذن لكم **فلا تدخلوها حتى يوذن**
لكم اى حتى ياتى من ياذن لكم فان المانع من الرؤية ليس الاطلاع على العورات فقط
بل وعلى ما تخفيه الناس عادة مع ان التصرف فى ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى
ما اذا كان فيه حرق او غرق او كان فيه منكر او نحوه **وان قيل لكم** بعد الاستيذان
ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا او لا تقفوا على الباب ملازمين **هو ازكى لكم** اى
الرجوع اطهر لكم عما لا تخلو لالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهية وترك
المروءة او انفع لدينكم ودنياكم **والله بما تعملون عليم** فيعلم ما تاتون وما تذرون

مما خوطبتم به فيجازيكم عليه **ليس عليكم جناح ان تدخلوا** اى فى ان تدخلوا
بيوتا غير مسكونة كالربط والخانات والحوانيت **فيها متاع لكم** اى استمتاع
لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثنا
من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها وقال ابن زيد ليس يعنى بالمتاع
الجهاز ولكن ما سواه من الحاجة اما متزل ينزله قوم من ليل او نهار او خربة يدخلها
لقضاء الحاجة او دار ينظر اليها فهذا متاع وكل منافع الدنيا متاع وقيل المراد
دور مكة وقيل هى الخرب التى يدخلها الانسان للبول ونحوه وعن ابن مجاهد انه
قال يوما ما من شئ فى العالم الا وهو فى كتاب الله تعالى فقيل له فاين ذكر الخانات فيه
فقال فى قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة **والله يعلم ما تبدون**
وما تكتمون تحقيق وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع عورات
قل للمومنين يغضوا من ابصارهم اى ما يكون من محرم ولم يذكر تعالى ما يغض
البصر عنه وحفظ الفرج غير ان ذلك معلوم بالعادة وان المراد منه المحرم دون
المحلل ومن قيل زائدة كقوله فما منكم من احد وقيل للتبعيض لان من النظر ما يباح
وقيل الغض النقصان يقال غض فلان من فلان اذا وضع منه **ويحفظوا فروجهم**
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض
اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل المراد بحفظ الفروج هنا سترها خاصة عن
ان لا يراها من لا يحل قال ابو العالية كلما فى القران من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا فى
هذا الموضع فانه اراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه **ذلك** اى غض البصر
وحفظ الفرج **ازكى لهم** اى اطهر فى الدين وابعد من دنس الاثام واتنع لما فيه من
البعد عن الريبة **ان الله خبير بما يصنعون** لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال
سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه فى كل حركة

وسكون وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن لما لا يحل لهن
النظر اليه من الرجل ويحفظن فروجهن بالستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض
لان النظر رائد الزنا كما ان الحمى رائد الموت وخص الاناث هنا بالخطاب
على طريق التاكيد فان قوله قل للمومنين يكفي لانه عام يتناول الذكر والانثى
ولا يبدين زينتهن كالحلي والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل ان تبدى له
قيل والزينة على ضربين خفية كالسوار والقرطين والدملج والقلادة وظاهرة
وهي المشار اليها بقوله الا ما ظهر منها عند مناولة الاشياء كالثياب والخاتم ابن مسعود
هو الثياب وزاد ابن جبير الوجه وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف
والمستثنى الوجه والكفان لانها ليست بعورة ان لم تخف فتنة والاظهر ان
هذا في الصلاة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر
الى شيء منها الا لضرورة كمعالجة وتحمل شهادة وليضربن بخمرهن على جيوبهن
ستر الاعناق هن وسبب هذه الاية ان النساء كن في ذلك الزمان اذا غطين رؤوسهن
بالاخمرة وهي المقانع سدلنها من وراء الظهر فيبقى النحر والعنق والاذنان لا ستر
عليها فامرهن الله تعالى بلي الخمر على الجيوب والخمر جمع الخمار وهو ما يغطى به الراس
والجيوب جمع الجيب وهو موضع القطع من الدرع مقابل على جيوبهن صدورهن
يعني على مواضع جيوبهن قالت عائشة رضي الله عنها رحم الله نساء المهاجرات
الاول لما انزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن من مروطهن فاختمرن به
ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من لا يحل له الا بدا ومن لا يحل له الا بعولتهن
جمع بعل فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج والبعل
هو الزوج والسيد او ابائهن او ابا بعولتهن او ابنائهن او ابنا بعولتهن او
اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى

مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان
ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى
الاخوان والاحوط ان يستترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن يعني المومنات
ويدخل في هذا الاماء المومنات ويخرج منه الكافرات من اهل الذمة وغيرهم فلا يحل
لامراة مومنة ان تكشف شيأ من بدنها لامراة مشركة الا ان تكون امة لها فذلك قوله
او ما ملكت ايمانهن وظاهر الاية يشمل العبيد والاماء المسلمات والكافرات وهو قول
جماعة من اهل العلم وقيل المراد الاماء دون العبيد ويدل للاول ما في سنن ابي داود ان
النبي صلى الله عليه وسلم دخل على فاطمة ومعه عبد قد وهبه لها وعليها ثوب لا يستر
جميع بدنها فقال صلى الله عليه وسلم ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك فعبد المراة
محرمها وقيد البغوي في تفسيره الجواز بكون العبد عفيفا وبالثاني قال سعيد بن المسيب
ومجاهد وابو حنيفة فهو كالاجنبي او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي
الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهرمون والممسوحون وقيل البله الذين يتبعون
الناس لفضل طعامهم لا يعرفون شيأ من امور النساء وقال قتادة هو الاحمق الذي
لا تشتهيه المراة ولا يتعار عليه الرجل وقيل العنين وقيل غير ذلك وقرئ غير بالنصب
على الحال وبالجر على الصفة او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء للجماع
فيجوز ان يبدين لهم ما عدا ما بين السرة والركبة لعدم تميزهم من الظهور بمعنى
الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع
موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ويقال له طفل ما لم يراهق فالمراهق كالبالغ
فهن مامورات بالاحتجاب عنه واما هو فليس بمكلف لكن يومر امر تاديب ولا
يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن اي لا تضرب المراة برجلها اذا
مشت ليسمع صوت خلخالها فان ذلك يورث ميلا من الرجال فاسماع صوت الزينة

كابدا الزينة واشد والفرض الستر وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون اذ لا يخلو
احد منكم من تفريط وتقصير فى ادآ حقوق الله تعالى سيما فى الكف عن الشهوات
وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه فى الجاهلية لانه وان سقط بالاسلام لكنه يجب الندم
عليه والعزم على الكف عنه ولا خلاف بين الامة فى وجوب التوبه وانها فرض متعين
لعلكم تفلحون بسعادة الدارين وانكحوا الايامى منكم اى زوجوا من لا زوج له
منكم اى المومنين فانه طريق للتعفف والصالحين من عبادكم واما ئكم لما نبى عما
عسى يفضى الى السفاح المخل بالنسب المقتضى للالفه وحسن التربية ومزيد الشفقه
المودية الى بقآ النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه امر بالنكاح والخطاب للاولياء
والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبهما واشعا
بان المراة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على الولى والمولى وايامى
مقلوب ايايم جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا من الاحرار والحرائر
وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحون
للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا اى الاحرار فقرآ يغنهم الله من فضله اى
لا يمنع فقر الخاطب المخطوبه من المناكحة فان فى فضل الله غنيه من المال فانه غاد
ورآح اووعد من ابيه بالاغنآ لقوله عليه الصلاة والسلام اطلبوا الغنى فى
هذه الايه ولكن بشرط المشيئة لقوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من
فضله ان شآ وقيل المعنى ان يكونوا فقرآ الى النكاح يغنهم الله بالحلال والله واسع
اى ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تتهى قدرته عليم يبسط الرزق ويقدر على
ما تقتضيه حكمته وليستعفف اى وليجتهد فى العفة عن الزنا ودفع الشهوة الذين
لا يجدون نكاحا اى اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من مهر ونفقة
او بالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجد واما يتزوجون به

والذين يبتغون الكتاب اى المكاتبه وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من
الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال اولانه مما يكتب تاجيله او من
الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض مما ملكت
ايمانكم عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدا خبره فكاتبوهم او منصوب بمضمر هذا
تفسيره والفآ لتضمين معنى الشرط والامر فيه للندب عند الاكثر لان الكتابة معاوضه
تتضمن الارفاق فلا تجب لغيرها ان علمتم فيهم خيرا اى امانة وقدرة على ادآ المال
بالاحتراف وروى مثله مرفوعا وقيل صلاحا فى الدين والكتابة عقد لازم من جهة
السيد جائزة من جهة الرقيق وشرطها علم المال والتاجيل باجلين فاكثر والايجاب
والقبول فيقول السيد مثلا كاتبتك على الفين لتورد فى كل شهر كذا فاذا ادتهما فانت
حر فيقول الرقيق قبلت ذلك وآتوهم من مال الله الذى آتاكم امر للموالى بان يندبوا
لهم شيا من ابوابهم وفى معناه حط شى من مال الكتابه وهو للوجوب عند الاكثر ويكفى
اقل ما يتمول وعن على يحط الربع وعن ابن عباس الثلث وقيل الامر لعامة المسلمين
باعانة المكاتبين واعطآئهم سهمهم من الزكاة وتحل للمولى وان كان غنيا لانه لا ياخذه
صدقة كالدآئن ويدل له حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هديه ولا تكرهوا فتياتكم
اى امآئكم على البغآ اى الزنا نزلت فى عبد الله بن ابى كانت له جاريتان احداهما
تسمى معاذه والاخرى مسيكة فكان يكرههما على الزنا ويضربهما ابتغا الاجر
وكسب الولد فشكتا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل كان له ست جوار فنزلت
الايه فيه وفيمن فعل فعله ومعاذة هذه ام خولة التى جادلت النبى صلى الله عليه
وسلم فى زوجها ان اردن تحصنا اى تعففا للاكراه فانه لا يوجد دونه وذلك
ان الفتاة اذا ارادت التحصن فحينئذ يمكن ويتصور ان يكون السيد مكرها
ويمكن ان ينهى عن الاكراه واذا كانت الفتاة لا تريد التحصن فلا يتصور ان يقال

للسيد لاتكرهها لان الاكراه لايتصور فيها وهي مريدة للزنا فهذا امر في شاده وفتيات
حالتهم هذه فلا مفهوم للشرط وان جعل شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز
ان يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه لتبتغوا بالاكراه عرض الحياة الدنيا اي الشي
الذي تكسبه الامة بفرجها والولد ليسترق فيباع وقيل كان الزاني يفدي ولده بمائة
من الابل يدفعها الى سيد الامة ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور لهن
رحيم لهن اوله ان تاب ولا يرد على الاول ان المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة
لان الاكراه لاينافي المواخذه بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص
ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات بفتح الياء يعني الايات التي انزلت في هذه السورة
واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرئ مبينات بالكسر لانها واضحات تصدقها
الكتب المتقدمه والعقول المستقيمه من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام
والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم اي مثلا من امثال من قبلكم وقصة
عجيبه مثل قصصهم وهي قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم في العفاف
وان الله براهما كما برا الصديقه وموعظة للمتقين يعني يوعظ به في تلك الايات
من قوله ولا تاخذكم بهما رافة الى اخره لولا اذ سمعتموه ظن المومنون الى اخره
ولولا اذ سمعتموه قلتم الى اخره يعظكم الله ان تعودوا الى اخره وتخصيص المتقين
لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالايات القران والصفات المذكوره صفاته
الله نور السموات والارض النور في كلام العرب الاضوا المدركة بالبصر واستعمل
مجازا فيما وضح من المعاني ولاح فيقال الكلام له نور ومنه الكتاب المنير فيجوز
ان يقال الله تعالى نور من جهة المدح لانه اوجد الاشيا ونور جميعها منه ابتداوها
وعنه صدورها وهو سبحانه ليس من الاضوا المدركة جل وتعالى عن ذلك واختلف
في تاويل الاية فقيل المعنى انه بقدرته نارت اضواها واستقامت امورها

وقامت

وقامت مصنوعاتها فالكلام على التقريب للذهن كما يقال الملك نور اهل البلد اي به قوام
امرهم وصلاح جملتهم لجريان اموره على سنن السداد وقيل التقدير الله ذو نور
السموات فهو على تقدير مضاف كقولك زيد كرم اي ذو كرم وقيل المعنى الله منور
السموات والارض كما يقال فلان غيثنا اي مغيثنا فانه تعالى نور السموات بالشمس
والقمر والكواكب والارض بالانبيا والعلما وقيل المعنى مدبرهما من قولهم للرييس الفائق
في التدبير نور القمر لانهم يهتدون به في الامور وقيل موجدهما فان النور ظاهر بذاته
موجد لما عداه والله سبحانه موجود بذاته موجد لما عداه او الذي به يدرك اهلهما
وقيل هادي اهل السموات والارض قاله ابن عباس وقيل غير ذلك مثل نوره اي صفة
نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه وتعالى دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن
على ظاهره وقيل المعنى صفة دلائله التي يقذفها في قلب المومن والدلائل تسمى نورا وسمى
الله كتابه نورا فقال وانزلنا اليكم نورا وسمى نبيه نورا فقال قد جاكم من الله نور و
مبين كمشكاة اي كصفه مشكاة وهي الكوة غير النافذه لان المصباح فيها اكثر انارة
فهي اجمع للضو فيها مصباح اي سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط
القنديل والمصباح الفتيله المشتعله المصباح في زجاجة اي في قنديل من الزجاج
الزجاجة كانها كوكب دري اي مضي متلالي كالزهرة في صفا آله وزهرته وقرئ
دري بضم الدال وتشديد الياء وهذه القرآة وجهان اما ان ينسب الكوكب الى الدر
لبياضه وصفا آله واما ان يكون مهموزا من الدرء وهو الدفع وخففت الهمزة وادغمت
على وزن فعيل وقرئ بكسر الدال والهمز من الدرء والدفع على فعيل كسريب وسكيت
وصديق قال سيبويه اي يدفع بعض ضوئه بعضا من لمعانه وقيل لانه يدفع
الظلام بضوئه توقد من شجرة اي من زيت شجرة فحذف المضاف مباركة اي
منماة زيتونة بدل من شجرة والزيتون من اعظم الثمار نما وهي اول شجرة نبتت في

الدنيا واول شجرة نبتت بعد الطوفان ونبتت فى منازل الانبيآ والارض المقدسة ودعا
لها سبعون نبيا بالبركة منهم ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم وقرى توقد بالتآء وفتح
على انه ماض ويوقد بالياء على انه مضارع اى المصباح والتآء لتانيث الزجاجة لا شرقيه
ولا غربية ابن عباس الشرقية التى تصيبها الشمس اذا اشرقت ولا تصيبها اذا غربت
والغربية عكسها اى انها شجرة فى صحرا ومنكشف من الارض لا يواريها عن الشمس شى
فليست خالصة للشرق فتسمى شرقيه ولا للغرب فتسمى غربيه فان ثمرتها تكون انضج
وزيتها اصفى وقيل انها شجرة فى وهدة قد احاطت بها فهى غير منكشفه من جهة الشرق
ولا من جهة الغرب بل بينهما فلا يصيبها حر ولا برد مضر بين الحسن ليست هذه الشجرة
من شجر الدنيا وانما هو مثل ضربه الله لنوره ولو كانت فى الدنيا لكانت اما شرقيه واما
غربيه وقيل انها من شجر الشام لا شرقى ولا غربى وشجره افضل الشجر يكاد زيتها
يضئ ولو لم تمسسه نار مبالغة فى حسنه وصفائه وجودته نور على نور متضاعف
فان نور المصباح زاد فى انارته صفا الزيت وزهرة القنديل وضبط القنديل الاشعته
وقد ذكر فى معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذى دلت عليه الايات البينات
فى جلآ مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المعنوية او تشبيه للهدى من
حيث انه يحفوف بظلمات اوهام الناس وحيالاتهم بالمصباح وانما ولى الكاف المشكاة
لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل ما نوراه به قلب
المومن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويويده قرآة ابى
مثل نور المومن وقيل الضمير عآئد على محمد صلى الله عليه وسلم فرسول الله صلى الله عليه
وسلم هو المشكاة اوصدره والمصباح هو النبوة وما يصل بها من عمله وهداه والزجاجة
قلبه والشجرة المباركة هى الوحى والملآئكة رسل الله اليه وسببه المتصل به والزيت
هو الحجج والبراهين والآيات التى تضمنها الوحى وقيل المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل

والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم توقد من شجرة مباركة وهى ادم عليه السلام وقيل
هى ابراهيم سماه مباركا لان اكثر الانبيآ فى صلبه لا شرقية ولا غربيه اى لم يكن يهوديا
ولا نصرانيا وانما كان حنيفا مسلما ويكاد زيتها يضئ تكاد محاسن محمد صلى الله عليه
وسلم تظهر للناس قبل ان يوحى اليه نور على نور نبى من نسل نبى وقيل غير ذلك يهدى
الله لنوره لهذا النور الثاقب من يشآ ويضرب الله الامثال للناس لان فيها
وعدا ووعيدا لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها والله بكل شى عليم ومنه ضرب الامثال
فى بيوت اذن الله ان ترفع متعلق بما قبله اى كمشكاة فى بعض بيوت او توقد
فى بيوت وقيل هو حال للمصباح والزجاجة كانه قال وهى فى بيوت والبيوت هنا
قيل المساجد المخصوصة لله بالعبادة وانها تضئ لاهل السمآ كما تضئ النجوم لاهل الارض
وقيل بيوت بيت المقدس وقيل بيوت النبى صلى الله عليه وسلم وقيل المساجد
الاربعة الكعبة وبيت المقدس ومسجد المدينة ومسجد قبا ومعنى اذن امر وقضى
وترفع قيل تبنى وتعلى وقيل تعظم ويرفع شانها وتطهر من الانجاس والاقذار والتكبير
للتعظيم وقيل فى بيوت متعلق بيسبح ويذكر فيها اسمه عآم فيما يتضمن ذكره
حتى فى المذاكرة فى افعاله او المباحثة فى احكامه يسبح له فيها بالغدو والآصال
رجال ينزهون او يصلون له فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر اطلق
للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل من بعد الزوال وقيل الرجال
هم الراقبون امر الله الطالبون مرضاته قيل وخص الرجال بالذكر لانه ليس على النسآ
جمعة ولا جماعة فى المساجد وقرى يسبح بفتح الباء على ما لم يسم فاعله وهو على معنيين
احدهما ان يرتفع رجال بفعل مضمر دل عليه الظاهر المعنى يسبحه رجال فيوقف
على هذا على الآصال والثانى ان يرتفع رجال بالابتدآ والخبر فى بيوت اى فى بيوت
اذن الله ان ترتفع رجال ويسبح له فيها حال من الضمير فى ترفع كانه قال

ان ترفع مسبحاله فيها ولا يوقف على الاصال على هذا التقدير ومن قرا يسبح بكسر
الباء يقف على الاصال لان يسبح فعل الرجال ولا اضمار في الفعل لا تلهيهم تجارة
اي لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان
اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو لهم من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع و
بالشرا وقيل المراد بالتجارة الشرا فانه اصلها ومبداوها وقيل الجلب لانه الغالب فيها
ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه وقيل التجار الجلاب المسافرون والباعة هم المقيمون
وفيه ايما بانهم تجار قيل نزلت هذه الاية في اهل الاسواق الذين اذا سمعوا الاذان بالصلاة
تركوا كل شغل وبادروا فذكر الله هو الاذان وقيل هو ذكره باسمائه الحسنى اي يوحدونه
ويمجدونه وعن ابن عباس هي الصلاة المكتوبة واقام الصلاة هذا يدل على ان المراد بقوله
عن ذكر الله غير الصلاة وعوض فيها الاضافة من التا المعوضة عن العين المساقطة
بالاعلال كقوله • اذ حلفوك عد الابر الذي وعدوا وايتا الزكاة اي ما يجب
اخراجه للمستحقين وقيل هي طاعة الله والاخلاص اذ ليس لكل مومن مال يخافون
مع ما هم عليه من الذكر والطاعة يوما تتقلب فيه القلوب والابصار اي
تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب من توقع النجاة
النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يوخذ بهم ويعطون كتبهم وقيل المراد
قلوب الكفار وابصارهم فتقلب القلوب انتزاعها من اماكنها الى الحناجر وتقلب
الابصار بالزرقة والعمى بعد الكحل والبصر وقيل تقلب على حر جهنم ليجزيهم الله
متعلق بيسبح او بلا تلهيهم او بيخافون احسن ما عملوا اي احسن جزا ما عملوا
الموعود لهم من الجنة وذكر الجزا على الحسنات ولم يذكر الجزا على السيات وان كان
يجازى عليها لامرين احدهما انه ترغيب فاقتصر على ذكر الرغبة والثاني انه في
صفة قوم لا تكون منهم الكبائر ويزيدهم الله من فضله شيا لم يعدهم على

اعمالهم

اعمالهم ولم يخطر ببالهم والله يرزق من يشا بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه
على كمال القدرة ونفاذ المشية وسعة الاحسان يقال فلان ينفق بغير حساب
اي يوسع كانه لا يحسب ما ينفقه والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة اي
والذين كفروا احالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله
تعالى يجدونها لا غنية في العاقبة كالسراب وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس
عليها وقت الظهيرة لاصقا بالارض والآل الذي يكون ضحى كالماء الا انه يرتفع عن
الارض حتى يصير كانه بين السما والارض وسمي سرابا لانه يسرب اي يجري كالماء
فيظن انه ما يشرب والقيعة بمعنى القاع وهي الارض المستوية وقيل جمعه كجار
وجيرة يحسبه يظنه الظمان اي العطشان ماء حتى اذا جاءه اي جا ما توهمه ماء
او موضعه لم يجده شيا مما ظنه ووجد الله عنده اي عقابه او زبانيته او وجده
محاسبا يوفه حسابه استعراضا او مجازاة اي جازاه عليه في الدنيا وهذا مثل ضربه
الله تعالى للكفار يقولون على ثواب اعمالهم من صلة الرحم وتفع الجيران فاذا قدموا
على الله وجدوا اعمالهم محبطة بالكفر ولم يجدوا شيا كما لم يجد صاحب السراب الا رضا
لا ما فيها وقيل هي في شيبة بن ربيعة بن عبد شمس كان يترهب ملتمسا للدين فلما
بعث صلى الله عليه وسلم كفر وقيل نزلت في اهل الكتاب والله سريع الحساب
اي لا يشغله حساب عن حساب او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم
لكونها لا غنية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية من نور الحق كالظلمات
المركمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة
فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات
في الدنيا والسراب في الاخرة وقال الزجاج ان شيت مثل بالسراب وان شيت مثل
بالظلمات الجرجاني الاية الاولى في اعمال الكفار والثانية في كفرهم ابو علي او كظلمات

فان اعطآ الاجرام الثقيله مابه تقوى على الوقوف فى الجو صافة اجنحتها بما فيها
من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره **كل** اى كل
واحد مما ذكر او من الطير **قد علم صلاته وتسبيحه** يجوز ان يكون المعنى قد علم
الله صلاة المصلى وتسبيح المسبح ولهذا قال **والله عليم بما يفعلون** مجاهد الصلاة
للمصلى والتسبيح لما سوى ذلك وقيل المعنى قد علم كل مصل ومسبح صلاة نفسه وتسبيحه
ولا يبعد ان يلهم الله دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة فى اسباب تعيشها لا يكاد
تهتدى اليها العقلآ **ولله ملك السموات والارض** فانه الخالق لهما وما فيهما من
الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة لانتهآ الى الواجب **والى الله**
المصير اى مرجع الجميع **الم تر ان الله يزجى سحابا** اى يسوقه برفق الى حيث يشآ
ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد **ثم يولف بينه** اى يجمعه عند انشائه
ليقوى ويتصل ويكثف والسحاب واحد فى اللفظ ولكن معناه جمع وبين لا يقع الا
بين اثنين فصاعدا وجئ به هاهنا لجماعة السحاب كما تقول التمر جلست بينه وا
فانه يكون قزعا فينضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين
اجزائه وذكر الكناية على اللفظ **ثم يجعله ركاما** اى متراكما بعضه على بعض
فترى الودق اى المطر **يخرج من خلاله** اى من فتوقه وفرجه ومخارج القطر
منه وخلال جمع خلل كجبال وجبل **وينزل من السمآ** اى من الغمام وكل ما علاك فهو
سما **من جبال فيها** اى من قطع عظام تشبه الجبال فى عظمها او وجودها **من برد**
بيان للجبال والمفعول محذوف اى ينزل مبتدئا من السمآ من جبال فيها من برد
بردا قيل خلق الله فى السمآ جبالا من برد فهو ينزل منها بردا ويجوز ان تكون من الثانية
او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسمآ المظلة وفيها
جبال من برد كما فى الارض جبال من حجر وليس فى العقل قاطع يمنعه والمشهور ان

اى او كذى ظلمات ودل على هذا المضاف قوله اذا اخرج يده فالكنايه تعود الى المضاف
المحذوف قال القشيرى فعند الزجاج التمثيل وقع لاعمال الكفار وعند الجرجانى للكفر
الكافر وعند ابى على للكافر ابن عباس هذا مثل قلب الكافر **فى بحر لجى** اى عميق منسوب
الى اللجة وهو معظم الماء **يغشاه** اى البحر **موج من فوقه موج** اى امواج مترادفه
متراكمة وهو اخوف ما يكون اذا تتالى موجه وتقارب **من فوقه** اى من فوق الموج **سحاب**
غطى الموج وحجب انوارها وهو اعظم فى الخوف من وجهين احدهما انه قد غطى النجوم
التى يهتدي بنورها الثانى الرياح التى تنشأ من السحاب والمطر الذي ينزل منه والجملة
صفة اخرى للبحر **ظلمات** اى هذه ظلمات **بعضها فوق بعض** وقرى ظلمات بالجر على
ابدالها من الاولى وقرى باضافة السحاب **اذا اخرج الناظر يده** وهى اقرب ما يرى اليه
لم يكد يراها اى لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها والضمائر للواقع فى البحر وان
لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه والظلمات قيل هى ظلمة السحاب وظلمة البحر وظلمة
الموج وظلمة الليل فلا يبصر من كان فى هذه الظلمات شيا وقيل المراد بها الشدآمد
وقيل المراد بالظلمات اعمال الكافر وبالبحر اللجى قلبه وبالموج فوق الموج ما يغشى
قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الرين والختم والطبع على قلبه **ومن لم**
يجعل الله له نورا يهتدي به اى ومن لم يقدر الله له الهدايه ولم يوفقه لاسبابها
فما له من نور ابن عباس ومن لم يجعل الله له دينا فما له من دين ومن لم يجعل الله له
نورا يمشى به يوم القيامة ليرتهند الى الجنة **الم تر** اى الم تعلم علما يشبه المشاهدة
فى اليقين بالوحي والاستدلال **ان الله يسبح له من فى السموات والارض** اى
ينزه ذاته عن كل آفه ونقص اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلآ او الملائكة
والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال **والطير صافات** عطف على الاول
تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات

الانحرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهوى وقوى
البرد هناك لجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان
وصل الى حد البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهوى بردا
مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك لابد وان يستند
الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها
واليه اشار بقوله فيصيب به من يشآء ويصرفه عمن يشآء والضمير للبرد فتكون
اصابته نقمة وصرف نعمة يكاد سنا برقه اي ضوء برقه يذهب بالابصار اي
ابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من جيث
انه توليد للضد من الضد والسنا بالقصر الضوء قال ابو سفيان
يدعو الى الحق لا يبغي به بدلا ٭ يحلو بضوء سناه داجي الظلم ٭ وبالمد بمعنى العلو
والرفعة يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة
الاخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك ان في ذلك
اي فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار اي لدلالة على وجود الصانع القديم
وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيته وتنزهه عن الحاجة لمن يرجع الي
بصيرة والله خلق كل دآبة اي حيوان يدب على الارض وقرئ خالق بالاضافة من
ما قيل هو ما مخصوص وهو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من
الحيوان ما يتولد لا عن نطفة قيل ولم يدخل في هذا الجن والملآئكة لانا لم نشاهدهم
ولم يثبت انهم خلقوا من ما ثابل في الصحيح ان الملآئكة خلقوا من نور والجن من نار
وقال جمهور المتكلمين اراد ان خلقة كل حيوان فيها ما كما خلق ادم من ما وطين
وعلى هذا يتخرج قول النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ الذي سأله في غزاة بدر ممن
انتما نحن من ما الى اخره وقال قوم لا يستثنى الجن والملآئكة بل كل حيوان خلق من

الما وخلق الله النار من الما والريح من الما اذا اول ما خلق الما ثم خلق منه كل شي
والتنكير للافراد والنوعية اي كل فرد من افراد الدواب من نطفة معينة او لحية
كل نوع من انواع الدواب من نوع من انواع المياه فمنهم من يمشي على بطنه كالحية
والهوام وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة للمشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين
كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ماله اكثر
من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلا
والتعبير بمن عن الابصار ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرق في القدرة
واشار بالاختلاف الى ثبوت الصانع اي لولا ان للجميع صانعا مختارا لما اختلفوا بل
كانوا من جنس واحد كما قال تسقى بما واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك
لايت ما يشآء ما ذكر او مما لم يذكر بسيطا او مركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيآت والحركات
والطبايع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيته ان الله على كل شي
قدير فيفعل ما يشآء لقد انزلنا ايات مبينات واضحات او مبينات للحاق بانواع
الدلآئل وهي القرآن والله يهدي من يشآء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط
مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا صدقنا
بالله والرسول يحكم بيننا نزلت في رجل من المنافقين اسمه بشر كانت بينه وبين رجل من اليهود
خصومة في ارض فدعاه اليهودي الى التحاكم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المنافق
مبطلا فابى من ذلك وقال ان محمدا يحيف علينا فلنحكم كعب بن الاشرف وقيل نزلت في
المغيرة بن وآئل من بني امية كان بينه وبين علي كرم الله وجهه خصومة في ما وارض
فامتنع المغيرة ان يحاكم عليا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انه يبغضني فنزلت
واطعنا اي واطعنا الله فيما حكم به ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمها فريق منهم من
بعد ذلك اي بعد قولهم هذا وما اولئك بالمومنين اشارة الى القائلين باسرهم

فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان امنوا بالسنتهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق
وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمومنين الذين
عرفتهم وهم المخلصون فى الايمان او الثابتون عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم
بينهم اى ليحكم النبى صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وبدا بذكر الله
تعظيما ودلالة على ان حكمه فى الحقيقة حكم الله اذا فريق منهم معرضون اى اذا فريق
منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولى مبالغة
فيه وان يكن لهم الحق على غيرهم اى الحكم لا عليهم ياتوا اليه مذعنين اى مسرعين
او منقادين طائعين لعلمهم بانه يحكم والى صلة لياتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص
افى قلوبهم مرض اى كفر وشك او ميل الى الظلم واتى بلفظ الاستفهام لانه اشد فى
التوبيخ ام ارتابوا بان يرتابوا منك تهمة ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله
فى الحكومة لا بل اولئك هم الظالمون بالاعراض عنه او المعاندون الكافرون لاعراضهم
عن حكم الله تعالى وهو اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم
ان امتناعهم اما لخلل فيهم او فى الحكم والثانى اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما
باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول والفصل لتفنيذ ذلك عن
غيرهم سيما المدعى الى حكمه انما كان اى انما ينبغى ان يكون قول المومنين اذا دعوا
الى الله ورسوله اى الى كتاب الله وحكم رسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا
واطعنا بالاجابة واولئك حينئذ هم المفلحون الناجون ابن عباس اخبر بطاعة
المهاجرين والانصار وان كان ذلك فيما يكرهون اى هذا قولهم وهو لا لو كانوا
مومنين لكانوا يقولون سمعنا واطعنا وقول نصب على خبر كان واسمها فى قوله ان
يقولوا ومن يطع الله ورسوله فيما يامر ان به او فى الفرائض والسنن ويخشى الله
على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه بسكون الهاء وكسرها فيما بقى من عمره فيترك كل

ذنب

ذنب ويفعل ما امر به فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم والنجاة من النار واقسموا
بالله جهد ايمانهم عاد الى ذكر المنافقين فانه لما بين كراهتهم لحكم النبى صلى الله عليه وسلم
اتوه فقالوا والله لو امرتنا ان نخرج من ديارنا ونسائنا وابنائنا لخرجنا ولو امرتنا بالجهاد
لجاهدنا فنزلت وجهد ايمانهم هو طاقة ما قدروا ان يحلفوا اوغايتها لئن امرتهم
ليخرجن جواب لاقسموا الخ حكايه قل لهم لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة اى المطلوب
منكم طاعة معروفة لا اليمين للطاعة او المعنى طاعة معروفة اولى بكم من ايمانكم وقيل
المعنى لتكن منكم طاعة وقول معروف باخلاص القلب ولا حاجة الى اليمين او طاعة
معروفة للنبى خير من قسمكم الذى لا تصدقون فيه وقال مجاهد المعنى قد عرفت
طاعتكم وهى الكذب والتكذيب اى المعروف منكم الكذب دون الاخلاص وقرئ طاعة
بالنصب على تقدير اطيعوا طاعة ان الله خبير بما تعملون فلا تخفى عليه سرائركم قل
اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم به على الحكاية مبالغة فى تبكيتهم
فان تولوا اى تتولوا بحذف احدى التاءين ودل عليه ان بعده وعليكم ولم يقل وعليهم فانما
عليه اى على محمد ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال له وان تطيعوه
فى حكمه تهتدوا الى الحق فجعل الاهتداء مقرونا بطاعته وما على الرسول الا البلاغ المبين
اى التبليغ الموضح لما كلفناه وقد ادى وانما بقى ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات خطاب للرسول والامة اوله ولمن معه
ومن للبيان ليستخلفنهم فى الارض اى ليجعلنهم خلفا متصرفين فى الارض تصرف الملوك
فى ممالكهم بدلا عن الكفار وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم
او الوعد فى تحققه منزل منزلة القسم وقيل نزلت فى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما قاله مالك
النقاش وهذا يتضمن خلافة الاربعة كما استخلف بالبنا للمفعول والفاعل الذين
من قبلهم يعنى بنى اسرائيل استخلفهم فى مصر والشام بعد الجبابرة وليمكنن لهم دينهم

الذى ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت كما قال ورضيت لكم الاسلام
دينا وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعدا امنا منهم وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة فوق عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا
يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده واظهرهم على العرب كلهم وفتح
لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار عن الغيب على ما هو به وخلا
الخلفا الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من
العذاب والامن منه فى الاخرة وقرى وليبدلنهم بالتخفيف من ابدل وبالتشديد
من بدل وهما لغتان النحاس وزعم احمد بن يحيى ان بين التخفيف والتشديد فرقا
وانه يقال بدلته غيرته وابدلته ازلته وجعلت غيرة مكانه قال النحاس وهذا
القول صحيح كما تقول ابدل لى هذا الدرهم اى ازله واعطنى غيره وتقول قد بدلت بعد
اى غيرت غير انه قد يستعمل احدهما موضع الاخر والذى ذكر اكثر يعبدوننى حال من
الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد واستيناف ببيان المقتضى للاستخلاف
والامن لا يشركون بى شيا حال من الواو اى يعبدوننى غير مشركين قيل لا يعبدون
الها غيرى وقيل لا يراؤن بعبادتى احدا وقيل لا يحبون غيرى ومن كفر اى ومن ارتد
او كفر هذه النعمة بعد ذلك اى بعد الوعد او بعد الخلافة فاولئك هم الفاسقون
اى الكاملون فى فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الايات او كفروا تلك النعمة
العظيمة واستمر الامر الى قتل عثمان والذين قتلوه اول من كفر النعمة فغير الله ما بهم
وادخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتلون انفسهم بعد ان كانوا امنا واقيموا الصلوة
واتوا الزكاة واطيعوا الرسول فى سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا
الله فان الفاصل وعد على المامور فيكون تكريرا للامر بطاعة الرسول صلى الله عليه
وسلم للتاكيد وتعليق الرحمة او بالمنذر جة هى فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق

به

به الهدى والتوقع راجع اليهم والمعنى افعلوا ذلك على رجا الرحمة لا تحسبن الذين
كفروا معجزين فى الارض قرى بالتا خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم اى لا تحسبن
يا محمد الذين كفروا معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفى الارض صلة معجزين وقرى
بالياء من تحت بمعنى لا يحسبن الذين كفروا انفسهم معجزين الله الفرا وابو على ويجوز
ان يكون الفعل للنبى صلى الله عليه وسلم اى لا تحسبن محمد الذين كفروا معجزين وماواهم
النار اى مرجعهم اليها ولبئس المصير المرجع هى يعنى بئس الماوى الذى يصيرون اليه
يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم من العبيد والاما وهو رجوع
الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من
الاحكام وغيره والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد خطاب الرجال والنسا
غلب فيه الرجال لما روى ان غلام اسما بنت ابى مرثد دخل عليها فى وقت كرهته فشق
وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلجا وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو
عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى ابنا
وابنا وخدما ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبى صلى الله
عليه وسلم فوجده قد انزلت عليه هذه الاية قال العلما هذه الاية خاصة والتى قبلها
عامة لانه قال يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا ثم خص
هنا بعض المستاذنين وفى الاولى يتناول القول جميع الاوقات عموما وفى هذه الاية
بعض الاوقات فلا يدخل فيها عبد ولا امة وعدا كان او ذا منظر الا بعد الاستيذان
وقيل الاية منسوخة وقيل انها للندب وقيل كان ذلك واجبا اذ لا غلق ولا ابواب
ولو عاد الحال لعاد الوجوب والاصح انها محكمة ثابتة على الرجال والنسا وبه قال الاكثر
والذين لم يبلغوا الحلم منكم اى والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار وعبر فوا
امر النسا عبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلالة والامر فى الحقيقة للاولياء ليؤدبوهم

والافهم غير مكلفين **ثلاث مرات** في ثلاثة اوقات في اليوم والليلة **من قبل صلاة الفجر** لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة **وحين تضعون ثيابكم** للقيلولة **من الظهيرة** اي وقت الظهر وهو بيان للحين وسميت ظهيرة لان النهار يظهر فيها اذا علا **ومن بعد صلاة العشآء** لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف فالتكشف غالب في هذه الاوقات **ثلاث عورات لكم** اي هي ثلاثة اوقات تختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدا وخبره ما بعده واصل العورة الخلل وقيل حقيقتها كل شئ لا مانع دونه ومنه ان بيوتنا عورة اي سهلة المدخل وقرئ ثلاث بالنصب بدلا من ثلاث مرات **ليس عليكم ولا عليهم** اي المماليك والصبيان **جناح** في الدخول عليكم **بعدهن** اي بعد هذه الاوقات في ترك الاستيذان وقيل التقدير بعد استيذانهم فيهن ثم حذف حرف الجر والفاعل فبقي بعد استيذانهن ثم حذف المصدر فصار بعدهن وليس في الاية ما ينافي اية الاستيذان فينسخها لانها في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين البكرى وهذه الاية لم تنسخ على الاصح فلابد من الاستيذان ولكن تهاون الناس فيها حلف علي ذلك ابن جبير والشعبي انتهى وتقدمها لحكمة على قول الاكثر **طوافون عليكم** اي هم طوافون للخدمة استيناف لبيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الثلاثة وغيرها بانها عورات **بعضكم على بعض** اي بعضكم طآئف على بعض او يطوف بعضكم على بعض والجملة موكدة لما قبلها **كذلك** اي مثل ذلك التبيين **يبين الله لكم الايات** اي الاحكام **والله عليم** بامورالكم **حكيم** فيما شرع لكم **واذا بلغ الاطفال منكم** ايها الاحرار الحلم **فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم** اي الذين من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استيذان العبد البالغ على سيدته

وجوابه

وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يدخلون فيهم وقال فليستاذنوا ولم يقل فليستاذنوكم كما قال في الاولى ليستاذنكم لان الاطفال غير مخاطبين ولا متعبدين **كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم** كرره تاكيدا ومبالغة في الامر بالاستيذان **والقواعد من النسآء** اي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل واحدتها قاعد بلا هآء ليدل حذفها على انه تعود الكبر كما قالوا المراة حامل وقالوا في غيرها قاعدة في بيتها وحاملة على ظهرها بالهاء وسميت قاعد لانها اذا بلغت هذا السن تكثر القعود وقال ربيعة هي التي اذا رايتها تستقذرها من كبرها **اللاتي لا يرجون نكاحا** اي لا يطمعن فيه لكبرهن **فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن** اي الثياب الظاهرة من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار والقاف فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي وانما خص القواعد بذلك لانصراف الانفس عنهن فابيح لهن ما لم يبح لغيرهن وازيل عنهن كلفة التحفظ المتعب لهن **غير متبرجات بزينة** اي غير مظهرات زينة مما امروا باخفآئه في قوله ولا يبدين زينتهن من قلادة وسوار وخلخال واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطآء عليها الا انه خص بكشف المراة زينتها ومحاسنها للرجال **وان يستعففن خير لهن** من الوضع لانه ابعد من التهمة **والله سميع** لمقالتهن للرجال **عليم** بمقصودهن **ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج** نفى لما كانوا يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم واكلهم من بيت من يد فع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك عن طيب قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت ابائهم او اولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا اكلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة وقال بعض اهل العلم اذنوا او لم ياذنوا فله ان ياكل لان القرابة التي بينهم هي اذن منهم وذلك لان في تلك القرابة عطفا تسمح النفوس

منهم بذلك العطف ان ياكل هذا من شيهم ويسر وابذلك اذا علموا ابن العربي
اباح لنا الاكل من جهة النسب من غير استيذان اذا كان الطعام مبذولا فان
كان محوزا لربكم لهم اخذه ولا يجوز ان يجاوزوا الى الادخار والى ما ليس مما كول وان
كان غير محوز عنهم الا باذن وقيل ان ذلك كان في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله
لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى الطعام غير ناظرين اناه ابن زيد هذا
شيء قد انقطع كانوا في اول الاسلام ليس على ابوابهم اغلاق فكانت الستور مرخاة
فربما جا الرجل فدخل البيت وهو جائع وليس فيه احد فسوغ الله عز وجل ان
ياكل منه ثم صارت الاغلاق على البيوت فلا يحل لاحد ان يفتحها فذهب وانقطع
وقيل بقي الحرج في القعود عن الجهاد وهو لايلائم ما قبله وما بعده ابن العربي المختار
ان يقال ان الله رفع الحرج عن الاعمى فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر
وعن الاعرج فيما يشترط في التكليف به المشي وما يتعذر من الافعال مع وجود
الحرج وعن المريض فيما يوثر المرض في اسقاطه كالصوم وشروط الصلاة واركانها
والجهاد ونحو ذلك ثم قال بعد ذلك مبينا ولا على انفسكم الى اخره فهذا معنى صحيح ولا
على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم اي من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم
فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه الصلاة والسلام انت
ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت
آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت
اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه
وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت
المماليك ابن عباس عني وكيل الرجل على ضيعته وخازنه على ماله فيجوز له ان ياكل
مما هو قيم عليه ابن العربي والخازن ان ياكل مما يختزن اجماعا وهذا اذا لم يكن له اجرة

فاما

فاما ان كانت حرم الاكل وقال ابن عباس نزلت الاية في الحارث بن عمرو خرج مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا وخلف مالك بن زيد على اهله فلما رجع وجده
مجهودا فساله عن حاله فقال تحرجت ان اكل من طعامك بغير اذنك فنزلت والمفاتح
جمع مفتح وهو ما يفتح به او صديقكم اي او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط في
اموالهم واسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط والصديق من يصدقك في مودته
وتصدقه في مودتك وقيل هو من استروحت اليه النفس واطمان اليه القلب هذا كله انما
يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هو لا فانه يعتاد التبسط
بينهم وكان صلى الله عليه وسلم يدخل حائط ابي طلحة ويشرب من مائها بغير اذنه واذا
جاز الشرب من مائها الصق بغير اذنه جاز الاكل من ثماره وطعامه اذا علم ان نفس
صاحبه تطيب به اما لتفاهته ويسير مونته واما لما بينهما من المودة فليس عليكم
جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا اي بجتمعين او متفرقين قيل نزلت في بني ليث
ابن بكر حي من بني كنانة كان الرجل منهم لا ياكل وحده ويمكث اياما جائعا حتى يجد
من ياكله ابن عطية وكانت هذه السيرة موروثة عندهم عن ابراهيم صلى الله على
نبينا وعليه وسلم فانه كان لا ياكل وحده وكان بعض العرب اذا كان له ضيف لا ياكل
الا ان ياكل مع ضيفه فنزلت الاية مبينة سنة الاكل ومذهبه كلما خالفها من
سيرة العرب وبهيمة ما كان عند العرب مكرما تحث به نحو كرم الاخلاق فافرطت
في الزامه وان احضار الاكيل الحسن ولكن بان لا تحرم الانفراد فاذا دخلتم بيوتا
من هذه البيوت وقيل المراد بالبيوت المساجد فسلموا على انفسكم اي على اهلها
الذين هم منكم دينا وقرابة فان لم يكن في المساجد احد فالسلام ان يقول السلام على
رسول الله او يقول السلام عليكم ويريد بالسلام الملائكة ثم يقول السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين ابن العربي القول بالعموم في البيوت هو الصحيح ويدخل في

ذلك البيوت غير المسكونة ويسلم المرفيها على نفسه كالمساجد تحية مصدر لان
قوله فسلموا معناه فحيوا من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه مباركة
وصفها بالبركة لان فيها الدعا واستجلاب مودة المسلم عليه طيبة لان سامعها
يستطيبها كذلك اي مثل بيان هذه السنن يبين الله لكم الايات اي يفصل الله لكم
معالم دينكم وكرره ثلاثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين
بما هو المقتضى لذلك وهذا هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون الحق والخير
في الامور انما المومنون اي الكاملون في الايمان الذين امنوا بالله ورسوله من
صميم قلوبهم واذا كانوا معه اي الرسول على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب
والمشاورة في الامور وكل ما هو لازم لجمع الناس فيه من اقامة سنة في الدين وترهيب
عدو وغير ذلك ووصف بالامر بالجمع للمبالغة لم يذهبوا لعروض عذر لهم حتى
يستاذنوه اي يستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فياذن لهم واعتباره في
كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز فيه فان ديدنه التسلل والفرار والتعظيم
الجرم عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه ولذلك اعاده موكدا على اسلوب
ابلغ فقال ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله
فانه يفيد ان المستاذن مومن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك قيل ونزلت
الاية في حفر الخندق حول المدينة فكان المنافقون يتسللون لواذا من العمل ويعتذرون
باعذار كاذبة وقيل نزلت في عمر استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
في الرجعة فقال عليه الصلاة والسلام انطلق فانت بمنافق يريد بذلك ان
يسمع المنافقين ابن عباس نزلت في عمر العمرة وقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا ابا حفص لا تنسنا في صالح دعائك القرطبي والصحيح الاول لتناوله
جميع الاقوال فاذا استاذنوك لبعض شانهم اي ما يعرض لهم من المهام وفيه

ايضا

ايضا مبالغة وتضييق للامر فاذن لمن شئت منهم في الانصراف وهو تفويض للامر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتخيير ان شا اذن وان شا منع واستدل به على ان بعض
الاحكام مفوضة الى رايه ومن منع ذلك قيد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه
فكان المعنى فاذن لمن علمت ان له عذرا وقال قتادة منسوخة بقوله عفا الله عنك
لم اذنت لهم واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور لانه تقدم
لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالستر عليهم لا تجعلوا
دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا اي لا تقيسوا دعاه اياكم على دعا بعضكم
بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته
واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا ندائه وتسميته كندا بعضكم بعضا
باسمه ورفع الصوت به والنداء من الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله
مع التوقير والتواضع وخفض الصوت وقيل المعنى لا تجعلوا دعاءه ربه كدعا صغيركم
كبيركم تجيبه مرة وبرده اخرى فان دعاءه مستجاب ودعاءكم مصدر يجوز ان يكون مضافا
الى المفعول اي دعاءكم الرسول وان يكون مضافا الى الفاعل اي دعاءه اياكم قد
يعلم الله الذين يتسللون منكم اي يخرجون قليلا قليلا من الجماعة او من المسجد
في الخطبة من غير استيذان خفية وقد للتحقيق وتظير تسلل تدرج وتدخل والتسلل
والانسلال الخروج ومعنى لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج مخالفة
اذ يراي او يلوذ بمن يلوذ فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال اي متلاوذين
استتارا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه لم يكن على المنافقين اثقل من يوم
الجمعة وحضور الخطبة الحسن فرارا من الجهاد فليحذر الذين يخالفون عن امره
اي يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته ودخلت عن لتضمن
الفعل معنى الاعراض او المعنى يصدون عن امره دون المومنين من خالفه عن

الامر اذا صدر عنه دونه فالامر محمول على المعنى وحذف المفعول لان المقصود بيان
المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود
بالذكر وقيل عن زائدة الخليل وسيبويه ليست بزائدة والمعنى يخالفون بعد امره ومنه
نفسوق عن امر ربه اي بعد امر ربه **ان تصيبهم فتنة** اي محنة وهي ها هنا القتل وقيل
الزلازل والاهوال وقيل جائر يسلط عليهم وقيل الطبع على القلوب بشوم مخالفة الرسو
او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على
ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على خشية المشر
بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب **الا ان لله ما في السموات والارض** ملكا
وخلقا **قد يعلم ما انتم عليه** ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص
فهو يجازيكم وانما اكد علمه بقد لتاكيد الوعيد ويعلم بمعنى علم **ويوم يرجعون اليه**
اي يرجع المنافقون اليه في الجزا والمعنى يعلم وقته متى يكون وبعد ما كان في خطاب
رجع الى الخبر ويسمى خطاب التلوين ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على
طريق الالتفات **فينبئهم** فيه **بما عملوا** من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه
والله بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية **سورة الفرقان** مكية الا قوله والذين
لا يدعون مع الله الها آخر ها مدنية **بسم الله الرحمن الرحيم**
تبارك الذي نزل الفرقان معنى تبارك تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير
او المعنى تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى
الزيادة وقيل المعنى دام وثبت انعامه وهي كلمة لا تستعمل الا لله بلفظ الماضي
وتوبيخه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه والفرقان
مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل
بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه من بعض في الانزال

على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ على عباده رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته
او الانبيا على ان المراد بالفرقان سائر الكتب السماوية **ليكون عبده** محمدا والفرقان **للعالمين**
نذيرا اي للانس والجن منذرا مخوفا من عذاب الله قيل والملائكة ورجح خلافه كما
صرح به الحليمي والبيهقي **الذي له ملك السموات والارض** بدل من الاول او مرفوع او
منصوب على المدح **ولم يتخذ ولدا** كزعم النصارى وغيرهم **ولم يكن له شريك في**
الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه ثم
نبه على ما يدل عليه فقال **وخلق كل شيء** من شانه ان يخلق اي احدثه احداثا مراعى
فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة
فقدره تقديرا اي هيأه وسواه بلا خلل ولا تفاوت كما اراده منه من الخصائص
والافعال كهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع
المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقا الى اجل مسمى **واتخذوا**
اي الكفار **من دونه** من غير الله **الهة** لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ
في الرد على المخالفين فيهما **لا يخلقون شيئا وهم يخلقون** يعني الالهة لان عبدتهم
ينحتونهم ويصورونهم **ولا يملكون** اي ولا يستطيعون **لانفسهم ضرا** اي دفع
ضر **ولا نفعا** اي جلب نفع فحذف المضاف **ولا يملكون موتا ولا حياة ولا**
نشورا اي ولا يملكون اماتة احد ولا احياءه اولا ولا بعثه ثانيا وفيه تنبيه
على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزا **وقال الذين كفروا ان هذا**
اي ما هذا القرآن **الا افك** اي كذب مصروف عن وجهه **افتراه** محمد اي اختلقه
ابن عباس القائل من قريش ذلك النضر بن الحارث **واعانه عليه قوم اخرون**
عنوا بهم اليهود اي يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته قاله مجاهد
ابن عباس وهم ابو فكيهة مولى الحضرمي وعداس وعن انس قال هم جبر ويسار

قال الله فقد جآء واظلما وزورا اي جآء وا بظلم وزور وقيل اتوا ظلما وزورا لجعلهم
الكلام المعجز افكا مختلقا من اليهود وقالوا ايضا هو اساطير الاولين اي ما سطره
المتقدمون من الاكاذيب اكتتبها اي كتبها لنفسه او استكتبها فهي تملى تقرا عليه
بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب ولا ان يكتب قل انزله
الذي يعلم السر اى الغيب في السموات والارض لانه اعجزكم عن اخركم بفصاحته وتضمن
اخبارا عن مغيبات مستقبله واشيا مكنونة لا يعلمها الا علام الاسرار فكيف تجعلونه
اساطير الاولين وذكر السر دون الجهر لان من علم السر فهو في الجهر اعلم ولو كان القران
ماخوذا من اهل الكتاب لما زاد على ما عندهم فليس ماخوذا منهم وايضا لو كان ماخوذا
لتمكن المشركون منه كما تمكن محمد صلى الله عليه وسلم فهلا عارضوه انه كان غفورا
لاوليآئه رحيما بهم وقيل غفورا رحيما فلذلك لم يعجل بعقوبتكم على ما تقولون مع كمال
قدرته عليها واستحقاقكم ان تصب عليكم صبا وقالوا مال هذا الرسول اي مال
هذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم ياكل الطعام كما ناكل ويمشي في
الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا
وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور
جثمانيه وانما هو باحوال نفسانيه والضمير في قالوا لقريش وذلك ان سادا تهم
اجتمعوا معه فقالوا يا محمد ان كنت تحب الرياسة وليناك علينا وان كنت تحب
المال جمعنا لك من اموالنا فلما ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك رجعوا
في باب الاحتجاج معه فقالوا ما بالك وانت رسول الله تاكل الطعام وتمشي في
الاسواق فعيروه باكل الطعام لانهم ارادوا ان يكون ملكا وبالمشي في الاسواق
حين راوا الاكاسره والقياصره وسائر الملوك يترفعون عن الاسواق وما قالوه فاسد
لان اكله لكونه بشرا ومشيه في الاسواق لتواضعه لولا انزل اليه ملك

اي هلا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ليعلم صدقه بتصديق الملك او يلقى اليه
كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش والمشي في الاسواق او تكون له جنة
ياكل منها هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل من ان يكون له بستان
كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرى ناكل بالنون اي نحن فيكون له فضل
بذلك علينا وقال الظالمون اى الكافرون للمومنين وضع الظالمون موضع ضميرهم
تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون اي ما تتبعون الا رجلا مسحورا اي
مخدوعا بسحر يغلب على عقله وقيل ذا سحر اي ريّة اي فهو بشر لا ملك قال الله تعالى
انظر كيف ضربوا لك الامثال اي الاشباه وقالوا فيك الاقوال الشاذة فتامل
هو مسحور وقائل هو محتاج للنفقة او الى ملك يقوم معه بالامر فضلوا بذلك
عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط
عشوا فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدي وكذبوا
من غير حجة تبارك الذي ان شا جعل لك في الدنيا خيرا من ذلك اي مما قالوا
ولكن اخره الى الاخرة لانه خير وابقى جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا
ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزا وقرى بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا
جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله، وان اتاه خليل يوم مسالة،
يقول لا غائب مالي ولا حرمي. ويجوز ان يكون استينافا بوعده له في الاخرة
مجاهد كانت قريش ترى البيت المبني من حجارة قصرا كائنا ما كان وسمى قصرا
لان من فيه مقصور عن ان يوصل اليه وروي ان هذه الاية نزل بها رضوان
خازن الجنان ثم قال يا محمد رب العزة يقرئك السلام وهذا سوط واذا سوط
من نور يتلا لا يقول لك ربك هذه مفاتيح خزائن الدنيا مع انه لا ينقص ملكك
في الاخرة مثل جناح بعوضة فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كالمستشير

له فضرب جبريل بيده الارض بشيرا ان تواضع فقال يا رضوان لاحاجة لى فيها الفقر
احب الىّ وان اكون عبدا صابرا شكورا فقال رضوان اصبت **بل كذبوا بالساعة**
يريد يوم القيامة اى قصرت ابصارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما
هى بالمال فطعنوا فيك لفقرك فلذلك كذبوك لانما تحملوا من المطاعن الفاسدة او
فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعدالله لك فى الاخرة او فلا تعجب
لتكذيبهم اياك فانه اعجب منه **واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا** اى نارا شديدة
الاشتعال وقيل اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان **اذا رأتهم** اى اذا كانت بمرأى
منهم والتانيث لانها بمعنى النار او جهنم **من مكان بعيد** هو اقصى ما يمكن ان يرى
منه وقيل من مسيرة خمسمائة عام **سمعوا لها تغيظا وزفيرا** اى صوت تغيظ
شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه قيل وفيه
دليل على ان جهنم ترى فهو على بابه اذ لا مانع منه وممكن ان يخلق الله فيها حياة فترى
وتتغيظ وتزفر وقد ورد انها تتكلم وهذا مثله وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب
اليها على حذف مضاف وذلك حرصا على عذابهم الكلبى سمعوا لها تغيظا كتغيظ
بنى ادم وصوتا كصوت الحمار وقيل فيه تقديم وتاخير اى اذا رأتهم سمعوا لها
زفيرا وعلموا لها تغيظا **واذا القوا منها مكانا** اى فى مكان ومنها بيان تقدم
فصار حالا لانه فى الاصل صفة له **ضيقا** لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق
والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض قال
قتادة ذكر لنا ان جهنم لتضيق على الكافر كتضييق الزج على الرمح وفى الخبر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى واذا القوا منها مكانا ضيقا قال والذى
نفسى بيده انهم ليستكرهون فى النار كما يستكره الوتد فى الحائط ومعنى **مقرنين**
مكتفين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل وقيل قرنوا مع الشياطين كل واحد

منهم الى شيطانه والتشديد للتكثير **دعوا هنالك** اى فى ذلك المكان **ثبورا** اى
هلاكا والمعنى يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثبورا له تعال فهذا حينك
ابن عباس ثبورا ويلا وهو مفعول به ويجوز ان يكون مصدرا من معنى دعوا
لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اى يقال لهم ذلك **وادعوا ثبورا كثيرا** لان عذابكم
انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته اولانه يتجدد لقوله كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب اولانه لا ينقطع فهو فى كل وقت ثبور **قل اذلك**
اى السعير او العذاب **خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون** الاستفهام والتفضيل
للتقريع مع التهكم والراجع الى الموصول محذوف فان قيل كيف قال اذلك خير ولا
خير فى النار فالجواب ان سيبويه حكى عن العرب الشقاء احب اليك ام السعادة
وقد علم ان السعادة احب اليه وقيل ليس هو من باب افعل منك وانما هو لقولك
عنده خير وقيل انما قال ذلك لان الجنة والنار قد دخلتا فى باب المنازل فقالوا ذلك
لتفاوت ما بين المنزلتين وقيل الاشارة الى الكنز والجنة وقيل غير ذلك واضافة الجنة الى
الخلد للدلالة على خلودها والتمييز عن جنات النعيم **كانت لهم** فى علم الله او فى اللوح
المحفوظ او لان ما وعد الله فى تحققه كالواقع **جزاء** على اعمالهم بالوعد **ومصيرا**
ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاءهم ان يتفضل بها على غيرهم مع جواز ان يراد
بالمتقين من يتقى الكفر والتكذيب لانهم فى مقابلتهم **لهم فيها ما يشاءون** اى
ما يشاءونه من النعيم وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا فى الجنة **خالدين**
حال من الضمير فى يشاءون او من الضمير فى لهم وهى حال لازمة لانهم لا يخرجون منها
ابدا **كان على ربك وعدا مسئولا** الضمير فى كان لما يشاءون والوعد الموعود
اى كان ذلك موعودا حقيقا بان يسال ويطلب او مسئولا يساله الناس فى
دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة يقولهم ربنا وادخلهم جنات

عدن وما فى معنى على بن بمعنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده ولا يلزم منه الالجاء
الى الايجاد فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للايجاد **ويوم**
نحشرهم بالنون للجزاء وقرئ بالياء **وما يعبدون من دون الله** يعم كل معبود سواه
واستعمال ما الان وصفه اعم ولذلك يطلق لكل شئ يرى ولا يعرف او لتغليب الاصنام
تحقيرا واعتبار الغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح لقرينة السوال والجواب
او يخص الاصنام لان الله ينطقها او تتكلم بلسان الحال **فيقول** بالياء اى يقول الله وبالنون
اى نحن على تلوين الخطاب للمعبودين **ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء** اى اوقعتموهم فى
الضلال بامركم اياهم بالعبادة **امهم ضلوا** اى اخطاوا **السبيل** طريق الحق بانفسهم
لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد الفصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة
واصله اضللتم امضلوا فغير النظم ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسوال وهو المتولى
للفعل دونه وحذف صلة ضل للمبالغة **قالوا** اى قال المعبودون من دون الله **سبحانك**
تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة او انبيا معصومون او جمادات لا تقدر على شئ واشعارا
بانهم المومنون بتنزيهه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله عن
الانداد **ما كان ينبغى لنا** اى ما يصح ولا يستقيم لنا **ان نتخذ من دونك من اولياء**
للعصمة او عدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى لحاد دونك ومن مزيدة
للتاكيد **ولكن متعتهم وابآءهم** من قبلهم بانواع النعم فى الدنيا من الصحة والغنا
وطول العمر بعد بعثة الرسل فاستغرقوا فى الشهوات **حتى نسوا الذكر** اى حتى
غفلوا عن ذكرك والتفكر فى آلائك والتدبر فى ايآتك او تركوا الموعظة والايمان بالقران
وهو مسبة للضلال اليهم من حيث انه تكسبهم واسناده الى ما فعل الله بهم فحملهم
عليه فلا تعارض بحجة المعتزلة **وكانوا** فى قضائك **قوما بورا** اى هالكين ناحوذين
البوار وهو الهلاك وبورا مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع وقيل

جمع

جمع بائر كعائذ وعوذ وقيل المعنى لا خير فيهم ماخوذ من بوار الارض وهو تعطلها
من الزرع وقيل من الكساد من قولهم بارت السلعة اذا كسدت **فقد كذبوكم** التفات
الى الغيبة للاحتجاج والالزام وهو على حذف القول والمعنى يقول الله تعالى عند تبرى
المعبودين فقد كذبكم المعبودون **بما تقولون** اى فى قولكم انهم آلهة او هو لا اضلونا
والباء بمعنى فى وقرئ بالياء اى كذبوا بكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا **فما يستطيعون**
اى المعبودون وقرئ بتآء الخطاب اى للعابدين **صرفا** اى دفعا للعذاب عنكم وقيل
حيلة **ولا نصرا** فيعينكم عليه وقيل المعنى فقد كذبوكم ايها المومنون هؤلاء الكفار
بما تقولون من الحق وهو ما جاكم به محمد فما يستطيعون صرفا لكم عن الحق الذى هداكم
الله اليه ولا نصرا لانفسهم مما ينزل بهم من العذاب بتكذيبهم اياكم **ومن يظلم** اى ومن يشرك
منكم ثم يمت عليه **نذقه عذابا كبيرا** شديدا فى الاخرة وهو النار **وما ارسلنا**
قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق اى الارسلا
انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا
له مقام معلوم وكسرت الهمزة لاجل اللام فى الخبر وقيل لعلم تكن اللام لكسرت ايضا لان
الجملة حالية اذ المعنى الا وهم ياكلون وترلت جوابا للمشركين حيث قالوا ما لهذا الرسول
ياكل الطعام الاية ابن عباس لما غير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
ما لهذا الرسول الاية حزن فنزلت تعزية له والمعنى انهم بشر متواضعون فانت مثلهم
وقد قيل لك ما قيل لهم فلا تحزن وذهب قوم الى ان توله ليا كلون الطعام كناية عن
الحدث القرطبى وهذا بليغ فى معناه ومثله ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من
قبله الرسل وامه صديقة كانا يا كلان الطعام **وجعلنا بعضكم** ايها الناس **لبعض**
فتنة اى ابتلآء وامتحانا فاراد سبحانه ان يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم
مومن وكافر فالصحيح فتنة للمريض والغنى فتنة للفقير والفقير الصابر فتنة للغنى

والمرسلين للمرسل اليهم بمناصبتهم لهم والعداوة والايذاء وهو تسليه للنبي صلى الله
عليه وسلم على ما قالوه له انصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض
فتنة ليعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا اوحث على الصبر على
الصبر على ما فتنوا به والمعنى اصبروا مثل فهل انتم منتهون وكان ربك بصيرا
بكل مرئي وبمن يصبر وبمن يجزع وقال الذين لا يرجون اي لا يأملون لقاءنا
بالجزم الكفرهم بالبعث او المعنى لا يخافون لقاءنا واصل اللقاء الوصول الى الشيء ومنه
الرؤية فانها وصول الى المرئي والمراد به الوصول لو لا اي هلا انزل علينا
الملائكة فيخبرونا بصدق محمد وقيل فيكونوا رسلا الينا او نرى ربنا فيامرنا
بتصديقه واتباعه لقد استكبروا في انفسهم اي في شانها حتى ارادوا ما لا يتفق
للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله وعتوا اي تجاوزوا الحد في الظلم عتوا
كبيرا حيث سالوا الله الشطط لان الملائكة لا ترى الا عند الموت او عند نزول
العذاب والله تعالى لا تدركه الابصار وقيل المعنى غلوا في القول واذا لم يكتفوا
بالمعجزات وهذا القرآن فكيف يكتفون بالملائكة وهم لا يميزون بينهم وبين الشياطين
ولا بد لهم من معجزة يقيمها من يدعي انه ملك وليس للقوم طلب معجزة بعد ان شاهدوا
معجزة يوم يرون الملائكة اي ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما
دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها
ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان وللمجرمين اما عام يتناوله
حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي
البشرى بالعفو والشفاعة في وقت اخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا
على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها والمعنى لا بشرى
للمجرمين اي الكافرين بخلاف المومنين فلهم البشرى بالجنة ويقولون حجرا محجورا

اي

اي تقول الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله واقام شرائعها
وقيل ان ذلك من قول الكفار اي قالوا لانفسهم وقيل من قولهم للملائكة وهي كلمة استعاذة
وكانت معروفة في الجاهلية فكان اذا لقي الرجل من يخافه قال حجرا محجورا اي حراما عليك
التعرض لي واشتقاقه على معنى حجرت عليك او حجر الله عليك وهو لا يتصرف فيه ولا
يظهر ناصبه وقيل حجرا من قول المجرمين ومحجورا من قول الملائكة اي قالوا للملائكة نعوذ
بالله منكم ان تتعرضوا لنا فتقول الملائكة محجورا ان تعاذ وا من شر هذا اليوم والحجر يقع
على حجر الكعبة وعلى الفرس الانثى وعلى العقل وعلى موضع لقوم صالح وحجر القميص ويجوز
في الاخير الفتح ايضا قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
اي وعمدنا وقصدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم وقرى الضيف وصلة الرحم والعتق
واغاثة الملهوف فاحبطناه لعدم ما هو شرط في اعتباره وهو الايمان لكن يجازون عليه
في الدنيا وقيل هو قدوم الملائكة اخبر به عن نفسه تعالى والهباء غبار يرى في شعاع الشمس
يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفة شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم
نفعه بالهباء المنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه وتفرقه خواء اضمهم التي كانوا
يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة
خاسئين اصحاب الجنة يومئذ اي يوم القيامة خير مستقرا اي مكانا يستقر فيه
في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا اي مكانا يووى اليه بالاستراحة
بالازواج والتمتع بهن يجوز له من مكان القيلولة على التشبيه واصله المقام وقت
القيلولة اذ لا نوم في الجنة والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين
في الدنيا قال التماسر والكوفيون يجيزون العسل احلى من الخل وهو قول مردود لان معنى
فلان خير من فلان انه اكثر خيرا منه ولا حلاوة في الخل واخذ من ذلك انقضاء الحساب
في نصف يوم كما روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة

واهل النار في النار **ويوم تشقق السما** اي كل سما واصله تتشقق فحذف التا
وقرى بالادغام **بالغمام** اي بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله
هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقيل الباء بمعنى عن اى
عن الغمام وروى ان السما تتشقق عن سحاب ابيض رقيق مثل الضبابة **ونزل الملائكة**
تنزيلا في ذلك والغمام يعجائب اعمال العباد لحساب الثقلين هو يوم القيامة
ونصبه باذكر مقدرا ابن عباس تتشقق سما الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر ممن في الارض
من الجن والانس ثم تتشقق السما الثانية فينزل اهلها وهم اكثر ممن في السما الدنيا
ثم كذلك حتى تتشقق السما السابعة ثم تنزل الكروبيون وحملة العرش فالمراد بالسما
الجنس وقرى تنزل بنونين ونصب الملائكة **الملك يومئذ الحق للرحمن** الثابت
له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه **وكان** ذلك اليوم **يوما على الكافرين**
عسيرا اي شديدا لما من الاهوال ويلحقهم من الجزع والهوان **وعلى المومنين** اخف
من صلاة مكتوبة **ويوم يعض الظالم على يديه** من فرط الحسرة وعض اليدين
واكل البنان ونحو ذلك كائن من العيظ والحسرة لانه من مراده فيها والمراد بالظالم
الجنس وقيل عقبة بن ابى معيط قال ابن عباس وغيره كان عقبة قد هم بالاسلام
فمنعه منه ابي بن خلف وكانا خذينين وروي ان عقبة صنع طعاما كما كان يصنع
اذا قدم من سفره ودعا الناس ودعا النبي صلى الله عليه وسلم الى ضيافته فابى
ان ياكل طعامه الا ان يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاجابه فاكل
النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ ابي بن خلف وكان صديقه فقال له اصبوت فقال
لا ولكن ابى ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له ثم ارتد
فقال لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطا قفاه وتبزق في وجهه فاتاه فوجده ساجدا
في دار الندوة فهم ان يبزق فعاد البزاق على وجهه فاحرق خده ولم يصب النبي

صلى الله عليه وسلم منه شي فقال صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت
راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا بقتله وطعن ابيا بالحربة في المبارزة فرجع الى
مكة ومات فقتلا عن الكفر ولم يسميا في الاية لانه ابلغ في الفائدة ليعلم ان هذا سبيل كل
ظالم قبل من غيره في معصية الله **يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول** يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم **سبيلا** اي طريقا الى الجنة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم اتشعب
في طرق الضلالة **يا ويلتى** الفه عوض عن يا الاضافة وقرى بالياء على الاصل **ليتني لم**
اتخذ فلانا خليلا يعني من اصله وهو امية وكني عنه ولم يصرح باسمه للا يكون
هذا الوعد مخصوصا به ولا مقصورا عليه وفلان كناية عن الاعلام كما ان هذا كناية عن
الاجناس دعا بالويل والهلاك على مخالة الكافر ومتابعته وقيل فلان الشيطان واحتج له
بان بعده وكان الشيطان للانسان خذولا **لقد اضلني عن الذكر** اى عن ذكر الله او كتابه
او موعظة الرسول او كلمة الشهادة **بعد اذ جاءني** اي وصل الي وتمكنت منه **وكان**
الشيطان للانسان الكافر **خذولا** قيل الشيطان الخليل المضل وقيل ابليس لانه حمله
على مخالفته ومخالفة الرسول وكل من تشيطن من جن وانس والخذلان الترك من الاعانة
اي تهويو اليه حتى يوديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه وقوله وكان الشيطان من كلام
الله وقيل من تتمة كلام الظالم **وقال الرسول** يعني محمد صلى الله عليه وسلم **يا رب**
ان قومي يعني قريشا **اتخذوا هذا القران مهجورا** بان تركوه وصدوا عنه وفي الحديث
انه عليه الصلاة والسلام قال من تعلم القران وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه
جا يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه
وقيل مهجورا اي هجروا ولغوا فيه وقالوا فيه غير الحق من انه سحر وشعر واساطير
الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار وفيه تخويف لان الانبيا اذا شكوا الى
الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب وقيل ان قول الرسول يا رب انما يقول يوم القيامة اي

هجروا القرآن وهجروني وكذبوني قال تعالى **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين** المشركين كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا والعدو يحتمل الواحد والجمع **وكفى بربك هاديا** لك الى الحق وموصلا لك اليه وقيل هاديا الى طريق قهرهم **ونصيرا** ناصرا لك على اعدائك **وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن** اي انزل الخبر بمعنى اخبر لبلاينا قض قوله **جملة واحدة** اي دفعة واحدة قيل القائل كفار قريش وقيل اليهود حين رأوا نزول القرآن مفرقا اي هلا انزل عليه جملة واحدة كما نزلت التوراة على موسى وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله تعالى **كذلك لنثبت به فؤادك** اي كذلك انزلناه لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا وكانوا يكتبون ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه اذا انزل منجما وهو يتحدى بعد كل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبريل حالا بعد حال تثبت به فؤاده ومنها ما هو جواب لمن سأل عن امور ومنها انضمام القرآن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صيغة مصدر نجم وفي والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا انزل عليه ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف **ورتلناه ترتيلا** اي وقرأناه عليك شيأ بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين او ثلاث وعشرين سنة ورسلناه ترسيلا **ولا يأتونك بمثل** اي سؤال عجيب في ابطال امرك **الا جئناك بالحق** الدامغ له في جوابه بقوله لو انزلنا عليك القرآن جملة واحدة ثم سألوك لم يكن عندك ما تجيب ولكن نمسك عليك فاذا سألوك اجبت وكان ذلك من علامات النبوة لانهم لا يسألون عن شيء

الا

الا جيبوا عنه وهذا لا يكون الا من نبي ولو نزل جملة بما فيه من الفرائض لثقل عليهم وعلم الله عز وجل ان الصلاح في انزاله مفرقا لانهم يبتهون به مرة بعد مرة ولو نزل جملة لزال معنى التنبيه وفيه ناسخ ومنسوخ وكانوا يتعبدون بالشيء الى وقت معين ثم ينزل الناسخ بعد ذلك فمحال ان ينزل جملة افعلوا الكذا ولا تفعلوه **واحسن تفسيرا** اي وبما هو احسن بيانا او المعنى احسن من مثلهم تفضيلا فحذف لعلم السامع وقيل كان المشركون يستمدون من اهل الكتاب وكان قد غلب على اهل الكتاب التحريف والتبديل وكان ما يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم احسن تفسيرا مما عندهم لان الحق المحض احسن من حق مختلط وقيل لا يأتونك بمثل كقولهم في صفة عيسى انه خلق من غير اب الا جئناك بالحق بما فيه نقض حجتهم كما دم اذ خلق من غير اب وام **الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم** اي مقلوبين او مسحوبين اليها وعنه عليه الصلاة والسلام تحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب او مبتدأ خبره **اولئك شر مكانا واضل سبيلا** لانهم في جهنم قيل وهو متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقيل المفضل عليه هو الرسول عليه الصلاة والسلام على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حالهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه بتضليل سبيله ولو علموا حالهم لعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة **ولقد آتينا موسى الكتاب** اي التوراة **وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا** معينا يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازران عليه **فقلنا اذهبا** الخطاب لهما قال القشيري وقوله في موضع اخر اذهب الى فرعون لا ينافي هذا لانهما اذا كانا مأمورين فكل واحد مأمور ويجوز

ان يقال امر موسى اولا تم لما قال واجعل لى وزيرا قال اذهبا الى فرعون الى
القوم الذين كذبوا بايانتا يريد فرعون وهامان والقبط فدمرناهم تدميرا
اهلكناهم اهلاكا وفى الكلام اضمار اى فذهبا اليهم فكذبوهما فاختصر على حاشيتى
القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجه ببعثة الرسل واستحقاق التدمير
بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقوم نوح فى نصبه اوجه قيل
بالعطف على الهاء والميم فى دمرناهم وقيل على اضمار اذكر وقيل باضمار فعل يفسره ما بعده
لما كذبوا الرسل اى كذبوا نوحا ومن قبله اونوحا وحده ولكن تكذيب واحد من
الرسل كتكذيب الكل اوكذبوا بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة اولطول لبثه فيهم فكانه
ارسل اغرقناهم بالطوفان جواب لما وجعلناهم اى اغراقهم وقصتهم للناس بعدهم اية
اى علامة ظاهرة على قدرتنا واعتدنا للظالمين فى الاخرة عذابا اليما مولما سوى
ما يحل بهم فى الدنيا وهو تحمل التعميم والتخصيص فيكون للظاهر موضع المضمر تعظيما
لامرهم وعادا قوم هود وثمودا قوم صالح عطفا على هم فى جعلناهم او فى دمرناهم
واصحاب الرس هم قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم
حول الرس وهى البير الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل بل بانطاكيه
قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان الذين ابتلاهم الله بطير
عظيم من كل لون وسموها عنقا لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم وتنقض على صبيانهم
فتخطفهم اذا عوزوها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه
فاهلكوا ابن عباس سالت كعبا عن بنى اصحاب الرس قال صاحب يس الذى قال
يا قوم اتبعوا المرسلين فقتلوه قومه ورسوه فى بيرهم يقال له الرس وعن على قال
هم قوم كانوا يعبدون شجرة صنوبر فدعا عليهم نبيهم وكان من ولد يهوذا فيبست
الشجرة فقتلوه ورسوه فى بير فاظلتهم سحابة فاحرقتهم وقيل هم اصحاب الاخدود

واختاره

واختاره ابن جرير وقرونا اى اهل اعصار بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها
الا الله وكلا ضربنا له الامثال فى اقامة الحجة عليهم وبينا لهم القصص العجيبه
من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال تعالى وكلا تبرنا تتبيرا
اى فتتنا تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما
دل عليه ضربنا كانذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ ولقد اتوا يعنى قريشا اى
مروا مرارا فى متاجرهم الى الشام على القرية التى امطرت مطر السوء مصدر سآء
يعنى سدوم وهى العظمى من قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة افلم يكونوا
يرونها فى مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من اثار عذاب الله تعالى بل كانوا
لا يرجون نشورا اى بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا اى بعثا ولا عاقبة فلذلك
لم ينظروا ولم يتفطنوا فمروا بها كما مرت ركابهم او المعنى لا يأملون نشورا كما يأمله
المومنون طمعا فى الثواب او لا يخافون على لغة تهامه واذا راوك ان يتخذونك
اى ما يتخذونك الا هزوا اى الا موضع هزو او مهزوا به وهو جواب اذا وقيل الجواب
يقولون او قالوا اهذا الذى وقوله ان يتخذونك الا هزوا معترض اهذا الذى بعث الله
رسولا محكى بالقول والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا فى معرض
التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولا ذلك لقالوا اهذا الذى
زعم انه بعثه الله رسولا قيل نزلت فى ابى جهل كان يقول ذلك ان مخففة من
الثقيلة واسمها محذوف اى انه كاد ليضلنا عن الهتنا اى ليصرفنا عن عبادتها
لفرط اجتهاده فى الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج
ومعجزات لولا ان صبرنا عليها اى حبسنا انفسنا واستمسكنا بعبادتها
لصرفنا عنها قال الله تعالى وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل
سبيلا اى من اضل دينا هم ام محمد وهو كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا وفيه وعيد

ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم وقدر اوه بوم بدر وقيل يرون العذاب
يوم القيامة عيانا **ارايت** اخبرني **من اتخذ الهه هواه** اي مهويه الذي يراده
عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من اصرارهم على الشرك مع اقرارهم بانه خالقهم
ورازقهم ثم يعمد احدهم الى حجر يعبده من غير حجة الطبي وغيره كانت العرب اذا
هوى الرجل منهم شيا عبده من دون الله فاذا راى احسن منه ترك الاول وعبد الثاني
ابن عباس الهوى اله يعبد وقيل المعنى اطاع هواه وبنى عليه دينه وقدم المفعول
الثاني وهو الهه لانه اهم لان المقام مقام ذم لعبادة غير الله فناسب تقديم
المقصود بالذم **افانت تكون عليه وكيلا** يعني حفيظا تمنعه من الشرك
والمعاصي وحاله هذا لا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجب والثاني للانكار **ام**
تحسب اي بل اتحسب **ان اكثرهم يسمعون او يعقلون** فتحدي بهم الايات
او الحجج فيهم فتطمع في ايمانهم ومعنى يسمعون سماع قبول او يعقلون يفكرون فيما
تقوله فيعقلونه اي هم بمنزلة من لا يسمع ولا يعقل وهو اشد مذمة مما قبله
حتى حق بالاضراب عنه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر
استكبارا او خوفا على الرياسة **ان هم الا كالانعام** في الاكل والشرب وعدم انتفاعهم
بقرع الايات اذانهم وعدم تدبرهم فيما يشاهدون من الدلائل والمعجزات **بل هم**
اضل سبيلا اي اخطأ طريقا من الانعام لانها تنقاد لمن يقودها وتميز بين
محسن اليها ممن يسيء اليها ويطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون
لربهم ولا يعرفون لاحسانه من اساءة الشيطان ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكسب
خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولانها لتهالتها لا تضر باحد
وجهالة هؤلاء تودي الى تهييج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة على
طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون مستحقون اعظم العقاب على

تقصيرهم **الم تر الى ربك** اي الم تنظر الى صفة صنعه **كيف مد الظل** كيف بسطه
وهو ما بين طلوع الفجر وقيل من غيبوبة الشمس الى طلوعها والاول اصح والدليل
على ذلك انه ليس من ساعة اطيب من تلك الساعة فان فيها يجد المريض راحته
والمسافر وكل ذي علة وفيها ترد نفوس الاموات الى الاجساد وتطيب نفوس الاحياء
فيها وهذه الصفة مفقودة بعد المغرب فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وشعاع
الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود وقال
ابو عبيدة الظل بالغداة والفي بالعشي لانه يرجع بعد زوال الشمس وسمي فيأ لانه
فاء من المشرق الى المغرب ابن السكيت الظل ما نسخته الشمس والفي ما نسخ الشمس **ولو**
شاء لجعله ساكنا اي ثابتا من السكنى مقيما لا يزول بطلوع الشمس او غير متقلص
من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ابن عباس صاكنا يريد الى يوم
القيامة وقيل المعنى لو شاء لمنع الشمس الطلوع **ثم جعلنا الشمس عليه** اي الظل
دليلا فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام ولا يوجد ولا
يتفاوت الا بسبب حركتها والمعنى انا جعلنا الشمس ينسخها الظل عند مجيئها دلالة
على ان الظل شيء ومعنى لان الاشياء تعرف باضدادها ولولا الشمس ما عرف الظل
ولولا النور ما عرفت الظلمة فالدليل فعيل بمعنى الفاعل وقيل بمعنى المفعول اي
دللنا الشمس على الظل حتى ذهبت به اي اتبعنا اياه فالشمس دليل اي حجة
وبرهان وهو الذي يكشف المشكل ويوضحه ولم يؤنث الدليل وهو صفة الشمس
لانه في معنى البرهان **ثم قبضناه** اي الظل الممدود **الينا قبضا يسيرا** اي يسيرا
قبضه علينا وكل امر على ربنا يسير والظل مكثه في هذا الجو بمقدار طلوع الفجر
الى طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس صار الظل مقبوضا وخلفه في هذا الجو شعاع
الشمس فاشرق على الارض وعلى الاشياء الى وقت غروبها فاذا غربت فليس هناك

ظل انما ذلك بقية نور النهار وقيل قبضا يسيرا اي قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس
لينتظم بذلك مصالح الكون وتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وقيل يسيرا شيا
فشيا الى ان تنتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه
من الاجرام المظلله والمظل عليها وقيل يسيرا سريعا وقيل خفيا اي اذا غابت الشمس
قبض الظل قبضا خفيا كلما قبض جزء منه جعل مكانه جزء من الظلمه وليس يزول دفعة
واحده **وهو الذي جعل لكم الليل لباسا** يعني ستر الخلق يقوم مقام اللباس في
ستر البدن شبه ظلامه باللباس في ستره **والنوم سباتا** اي راحة للابدان بقطع
المشاغل واصل السبت القطع وقيل الاقامة في المكان فالنوم سبات على معنى انه
سكون عن الاضطراب والحركة وقيل سباتا موتا لقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل لانه
قطع الحياة ومنه المسبوت للميت **وجعل النهار نشورا** اي ذا نشور وانتشار للمعاش
وفيه اشارة الى ان النوم واليقظه انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام
كما تنامون توقظ كذلك تموت وتنشر **وهو الذي ارسل الرياح** بالجمع وقري الريح بالتو
على ارادة الجنس **نشرا** اي ناشرات للسحاب جمع نشور وقري بالسكون على التخفيف
وبفتح النون على انه مصدر وصفه به وقري بالباء بمعنى مبشرة **بين يدي رحمته**
يعني قدام المطر **وانزلنا من السماء ماء طهورا** اي مطهرا لقوله ليطهركم به وهو
اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضا به ويوقد به قال عليه الصلاة والسلام
التراب طهور المومن طهور انا احدكم اذا ولغ فيه الكلب ان يغسل سبعا احداهن
بالتراب وقيل طهورا بليغ في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين ولكنه قد
جا للمفعول كالصبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب والمبالغة اقتضت
ان يكون ظاهرا مطهرا لان ما في الاية عام لوقوعه في سياق الامتنان فوجب حمل
قوله طهورا على معنى زائد وهو التطهير اما المستعمل فغير طهور عند الشافعي

وقيل طهورا بمعنى طاهر وهو قول ابي حنيفة وفي الاية تنبيه على ان ظواهرهم لما كانت
مما ينبغي ان يظهر وهما بواطنهم بذلك اولي **لنحيي به** اي بالمطر **بلدة ميتا** بالنبات
بعد الجدوبة والمحل قال كعب المطر روح الارض وقيل ميتا ولم يقل ميتة لان معنى
البلدة والبلد واحد وقيل اراد المكان **ونسقيه** اي الما **مما خلقنا انعاما** ابلا وبقرا
وغنما **واناسي كثيرا** يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام
والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقري يقيمون بقرب الانهار والنابع فيهم
ومما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السما وسائر الحيوانات تنفذ في طلب الماء فلا
يعودها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الايات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو
لتعداد النعمة والانعام فتنة الانسان وعامة منافعهم وغلبة معاشهم منوطة بها
ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احيا الارض فانه سبب لحياتها وتغيثها
ولان سقيا الارض بالمطر سابق في الوجود على سقي الاناسي والانعام وقري نسقيه
بفتح النون وضمها وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي جمع انسي
او انسان ثم يبدل من النون يا والاصل اناسين مثل سرحان وسراحين وقال كثير ولم
يقل كثيرين لان فعيلا قد يراد به الكثرة نحو وحسن اولئك رفيقا **ولقد صرفناه**
بينهم اي صرفنا هذا القول بين الناس في القران وسائر الكتب وقيل صرفنا المطر في
البلدان المختلفه والصفات المتفاوته من وابل وطل وطش ورذاذ ورهام والرهام
الامطار اللينة وعن ابن عباس ما من عام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده
على ما يشا وتلا هذه الاية فما زيد لبعض نقص من غيرهم وفي الحديث ما من سنة بامطر
من الاخرى ولكن اذا عمل قوم بالمعاصي صرف الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا
صرف ذلك الى الفيافي والبحار وقيل تصريفه تنويع الانتفاع به في الشرب والسقي
والطهارات وغير ذلك **ليذكروا** اي ليتفكروا ويعلموا كمال القدرة وحق النعمة

في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم **فابى اكثر** **الناس الا كفورا**
اي الا كفران النعمه وقلة الاكتراث لها وقال عكرمة هو قولهم في الانوا مطرنا بنوء
كذا فمن لا يرى الامطار الا من الانوا فهو كافر بخلاف من يرى انها من خلق الله والانوا
وسائط وامارات بجعله تعالى وقيل التصريف راجع الى الريح وقرى ليذكروا مخففا من الذكر
ومثقلا من التذكر والذكر قريب من التذكر على ان التذكر يطلق فيما يغفل عن القلب فيحتاج
الى التكلف **ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا** اي رسولا ينذرهم كما قسمنا المطر
ليخف عليك اعباء النبوة ولكنا لم نفعل بل قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما
لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل وجعلنا نذير الكل لتوقع درجتك فاشكر نعمه
عليك وقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوى واظهار الحق **فلا تطع الكافرين**
فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمومنين **وجاهدهم به** ابن عباس بالقران ابن زيد
بالاسلام وقيل بترك طاعتهم الذي تدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون في ابطال
حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم **جهادا كبيرا** لان مجاهدة النفس
بالحج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة
القرى **وهو الذي مرج البحرين** اي خلى وخلط وارسل بينهما فهما يلتقيان ويلتصقا
بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها ويقال مرجته اذا خلطته ومرج الدين
والامر اختلط واضطرب ومنه قوله تعالى في امر مريج وقوله عليه الصلاة والسلام
لعبد الله بن عمرو بن العاص اذا رايت الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا
هكذا وشبك اصابعه فقلت كيف اصنع جعلني الله فداك قال الزم بيتك وكف عليك
لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بخاصة امر نفسك ودع عنك امر
العامة **هذا عذب فرات** قامع للعطش بين فرط عذوبته **وهذا ملح اجاج**
بليغ الملوحة وقيل فيه ملوحة ومرارة **وجعل بينهما برزخا** اي حاجزا من قدرته

لا يغلب احدهما الاخر **وحجرا محجورا** اي ستر امستورا وقيل تنافر البليغا كان كلا
منهما يقول للاخر ما يقول المتعوذ للمتعوذ منه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة
تدخل البحر فتشقه فتجرى في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها ابن عباس بحر السماء وبحر الارض
وقيل غير ذلك **وهو الذي خلق من الماء بشرا** يعني الذي خمر طينة ادم وقيل النطفة
خلق منها انسانا **فجعله نسبا وصهرا** اي قسمه قسمين ذوي نسب اى ذكورا ينسب
اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر هن كقوله وجعل منه الزوجين الذكر والانثى
ابن العربي النسب عبارة عن خلط الماءين الذكر والانثى على وجه الشرع فان كان معصية
كان خلقا مطلقا ولم يكن نسبا محققا واذا لم يكن نسب شرعا فلا صهر شرعا فلا تحرم الزنا
وكان ربك قديرا قادرا على ما يشا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضا مختلفة
وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وزيما خلق من نطفة واحدة توعين ذكرا
وانثى **ويعبدون** اي الكفار **من دون الله ما لا ينفعهم** ان عبدوه **ولا يضرهم**
ان تركوه وقدم النفع موافقة لقوله هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وهي الاصنام
او كل ما يعبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر **وكان الكافر على**
ربه ظهيرا معينا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس وقيل
ابو جهل عكرمة الكافر هنا ليس ظهر على عداوة ربه وقيل وكان الكافر هينا ذليلا
لا قدر له ولا وزن عند ربه من قولهم ظهرت به اي جعلت خلف ظهرك ولم تلتفت
اليه وقيل المعنى وكان الكافر على ربه الذي يعبده وهو الصنم ظهيرا قويا غالبا يعمل
فيه ما يشا لان الجماد لا قدرة له على نفع ودفع **وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا**
بخوفا من النار لمن عصى **قل ما اسلكم عليه** اي على تبليغ الرسالة الذي يدل
عليه الا مبشرا ونذيرا **من اجر الا من شا** اي لكن من شا **ان يتخذ الى ربه**
سبيلا طريقا بانفاقه من ماله في سبيل الله ويجوز ان يكون متصلا ويقدر حذف

مضاف اي الاجر من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا بابتاع دينى حتى ينال كرامة التنا
والاخرة وفيه اشعار بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته **وتو**
على الحى الذي لايموت فى استكفاء شرورهم والاستغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل
عليه دون الاحيآء الذي يموتون والتوكل اعتماد القلب على الله تعالى فى كل الامور وان
الاسباب وسآئط امرها من غير اعتماد عليها وعلى هنا بمعنى الاضافة والاسناد اي
اصف توكلك واسنده اليه كذا قيل قال الجلال السيوطى وعندي انها فيه بمعنى الاستعا
وسبح بحمده اي سبح الله عما يضيفه هؤلآء الكفار اليه من الشرك وقيل سبح صل وقيل
نزهه عن صفات النقصان مثنيا اليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام او المعنى
قل سبحان الله والحمد لله او سبحان الله وبحمده اي سبح متلبسا بحمده **وكفى به بذنو**
عباده ماظهر منها وما بطن **خبيرا** مطلعا عالما تتعلق به بذنوب فلا عليك
ان امنوا وكفروا الذي خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام من
ايام الدنيا او الاخرة اي فى قدرها لانه لم يكن ثم شمس ولو شآء لخلقها فى لمحة لكن
اريد به تعليم الخلق التانى **ثم استوى على العرش** هو فى اللغة سرير الملك اي
استوى استواء يليق به وقد مر الكلام فيه ولعله ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا
بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه **الرحمن** خبر للذى ان جعلته
مبتدا والمحذوف ان جعلته صفة للحى او بدل من المستكن فى استوى وقرى بالجر صفة
للحى **فاسال** اي الانسان **به** اي عما ذكر من الخلق والاستوآء **خبيرا** عالما يخبرك
بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا الطلاقة
على الله تعالى فاسال عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا انى يرادفه فى
كتبهم وعلى هذا يكون الرحمن مبتدا والخبر ما بعده والسوال كما يعدى بعن لتضمنه
معنى التفتيش يعدى بالبا لتضمنه معنى الاعتنآء وقيل انه صلة خبيرا **واذا قيل**

لهم لكفار مكة **اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن** على جهة الانكار والتعجب لانهم
ماكانوا يطلقونه على الله اولانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا **انسجد لما تامرنا**
اي للذى تامرنا يعنى تامرنا بالسجود له اولامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان بمعنا
لم يسمعوه وقرى بالبا اي لما يامرنا به محمد ولا نعرفه **لا وزادهم** الامر بالسجود للرحمن
نفورا عن الايمان **تبارك** تعظم **الذي جعل فى السمآء بروجا** يعنى البروج الاثنى عشر
الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبله والميزان والعقرب والقوس
والجدى والدلو والحوت وهى منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل
والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزا والسنبله والقمر
وله السرطان والشمس ولها الاسد والمشترى وله القوس والحوت وزحل وله
الجدي والدلو وسميت بروجا وهى القصور العاليه لانها للكواكب السيارة كالمنا
لسكانها واشتقاقها من التبرج لظهورها وقيل قصورا فيها الحرس **وجعل فيها** ايضا
سراجا يعنى الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرى سرجا وهى الشمس والكواكب
الكبار **وقمرا منيرا** مضيا بالليل **وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة**
اي ذوى خلفة تخلف كل منهما الاخر بقوم مقامه فيما ينبغى ان يعمل فيه او يان
يتعاقبا فى الضيا والظلام والزيادة والنقصان مجاهد خلفة من الخلاف هذا يبيض
وهذا اسود **لمن اراد ان يذكر** اي يتذكر فيعلم ان الله تعالى لم يجعله كذلك
عبثا فيعتبر فى مصنوعات الله ويعلم انه لابد لها من صانع حكيم واجب الذات
او اراد شكورا اي ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للمتذكرين
من فاته ورده فى احدهما انتا ركه فى الاخر قال معناه عمر وابن عباس والحسن
وعباد الرحمن مبتدا خبره اولئك يجزون الغرفة وما بين المبتدا والخبر اوصاف
لهم غير المعترض فيه او **الذين يمشون على الارض** واضافتهم للرحمن للتشريف

والتخصيص وهم افاضل العباد بسبب صفاتهم المذكوره **هونا** اي هنيين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع وقيل المشى عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم فذكر من ذلك المعظم لاسيما فى الانتقال فى الارض وفى التفسير يمشون على الارض فى اقتصاد حلما متواضعين قال الزهرى سرعة المشى تذهب بهاء الوجه ابن عطية يريد الاسراع الخبيث لانه يخل بالوقار والخير فى التوسط القشيرى لايمشون لافساد ومعصية بل فى طاعة الله والامور المباحة من غير هز **واذا خاطبهم الجاهلون** اي السفها بما يكرهونه **قالوا سلاما** اي قولا يسلمون فيه من الاثم النحاس ليس سلاما من التسليم انما هو من التسلم وقيل سلاما سدادا يقولـ للجاهل كلاما يدفعه برفق ولين ولا تنافيه اية القتال لتنسخه فان المراد الاعضا عن السفها وترك مقابلتهم فى الكلام الزمخشرى لاتجد اذل ممن سفيه لاتجد مشافها **والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما** فى الصلاة سجدا على وجوههم وهو جمع ساجد وقياما على اقدامهم ابن عباس ركعتين او اكثر بعد العشا فقد بات لله ساجدا وقائما الكلبى من قام بركعتين بعد المغرب واربع بعد العشا فقد بات ساجدا وقائما وتحصل فضيله قيام الليل بصلاة العشا والفجر فى جماعة وذكر البيوته لان العبادة بالليل احد وابعد عن الرياء **والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم** اي هم مع طاعتهم ومخالفتهم مع الخلق واجتهادهم فى رضى الحق لعدم اعتدادهم وتوقفهم على استمرار احوالهم مشفقون خائفون وجلون من عذاب الله ابن عباس يقولون ذلك فى سجودهم وقيامهم **ان عذابها كان غراما** اي لازما دائما غير مفارق ومنه سمى الغريم للملازمته قال الحسن قد علموا ان كل غريم يفارق غريمه الا غريم جهنم الزجاج الغرام اشد العذاب محمد بن كعب طالبهم الله تعالى بثمن النعيم فى الدنيا فلم يأتوا به فغرمهم ثمنه بادخالهم النار **انها ساءت** اي بئست **مستقرا ومقاما** اي بواضع استقرار

واقامة

واقامة وفيها ضميران مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان وكلا الجملتين تحتملان الحكايه والابتدا من الله **والذين اذا انفقوا** على عيالهم **لم يسرفوا** اي لم يجاوزوا حد الكرم **ولم يقتروا** بفتح اوله وضمه اي ولم يضيقوا تضييق الشحيح النحاس ومن احسن ما قيل فى معناه ان من انفق فى غير طاعة الله فهو الاسراف ومن امسك عن طاعة الله فهو الاقتار ومن انفق فى طاعة الله فهو القوام وقيل الاسراف ان تنفق مال غيرك النخعى هو الذي لايجيع ولايعرى ولاينفق نفقة يقول الناس قد اسرف وقيل هم الذين لايلبسون الثياب الجمال ولايأكلون طعاما للذة وقال عمر بن الخطاب كفى بالمرء سرفا ان لايشتهى شيا الا اشتراه فاكله وفى سنن ابن ماجة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من السرف ان تاكل كل ما اشتهيت قال بعضهم

اذا المرء اعطى نفسه كل ما اشتهت ، ولم ينهها ناقت الى كل باطل

وساقت اليه الاثم والعار بالذي ، دعته اليه من حلاوة عاجل

وقال عمر لابنه عاصم يابنى كل فى نصف بطنك ولاتطرح ثوبا حتى تستخلقه ولاتكن من قوم يجعلون ما رزقهم الله فى بطونهم وعلى ظهورهم ولحاتم طي

اذا انت قد اعطيت بطنك سوله ، وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

وكان بين ذلك قواما اي وسطا وعدلا سمى به لاستقامة الطرفين كما سمى سوا لاستوا ايهما واسم كان فيها مقدرا اى كان الانفاق بين الاسراف والاقتار واخرج احمد والطبرانى عن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فقه الرجل رفقه فى معيشته **والذين لايدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله** اي حرمها بمعنى حرم قتلها **الا بالحق** متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون **ولا يزنون** تفى عنهم امهات المعاصى بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفر باضداده ولذلك عقبه الوعيد تقريرا لهم فقال

ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من الثلاثة يلق اثاما الاثام في كلام العرب العقاب اي
جزاء اثم وعقوبته وقيل هو واد في جهنم وقيل جبل فيها يضاعف وفي قراءة بالتشديد
له العذاب يوم القيامة بدل من يلق سيبويه مضاعفة العذاب لقي الاثام كقوله
متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا. وقرئ بالرفع على الاستيناف
او الحال وكذلك يخلد فيه مهانا اي ذليلا ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية
الى الكفر الا من تاب من ذنبه وآمن بربه وعمل عملا صالحا على وفق ما امر به فاولئك
يبدل الله سيئاتهم المذكورة حسنات اي يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت
مكانها لواحق طاعتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بان
يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا النحاس من احسن
ما قيل فيه ان يكتب موضع كافر مومن وموضع عاص مطيع الزجاج ليس تجعل
مكان السيئة الحسنة ولكن تجعل مكان السيئة التوبة والحسنة مع التوبة وقيل
التبديل عبارة عن الغفران بان يغفر السيات لا ان يبدلها حسنات القرطبي ولا
يبعد في كرم الله تعالى اذا صحت التوبة ان يضع مكان كل سيئة حسنة وقد قال
صلى الله عليه وسلم لمعاذ واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن
وكان الله غفورا رحيما لم يزل متصفا بذلك فلذلك يعفو عن السيات ويثيب
على الحسنات ومن تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها غير من ذكر وعمل صالحا يتلافى
به ما فرط فانه يتوب الى الله اي يرجع اليه بذلك متابا مرضيا عند الله
ماحيا للعقاب محصلا للثواب او المعنى يتوب متابا الى الله الذي يحب التائبين
او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تتميم بعد تخصيص ان قيل
لا يقال من قام فانه يقوم فكيف قال من تاب فانه يتوب قال ابن عباس المعنى
من آمن من اهل مكة وهاجر ولم يكن قتل وزنى بل عمل صالحا وادى الفرائض

فانه

فانه يتوب الى الله متابا اي فانى فضلتهم وقدمتهم على من قاتل النبي صلى الله عليه وسلم
واستحل المحارم وقيل المعنى من اراد حقيقة التوبة فينبغي ان يريد الله تعالى بها ولا
يخلطها بما يفسدها كما تقول من اراد التجارة فليتجر في البز فيتوب خبر بمعنى الامر
والذين لا يشهدون الزور اي لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون مجالس
الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه والزور كل باطل زور وزخرف واعظمه
الشرك وتعظيم الانداد وبه فسر الضحاك وغيره وعن ابن عباس انه اعياد المشركين
مجاهد الغناء وقيل النوح وقيل مساعدة اهل الباطل وايناس الفساق والغناء
المحرم بسبب ما اقترن به من آلة محرمة وصوت امرد وامراة يخشى منهما الفتنة
واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا مروا بما يجب ان يلغى ويطرح مروا معرضين
عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش
والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بايات ربهم
بالوعظ او بالقرآن لم يخروا عليها صما وعميانا اي لم يقيموا عليها غير واعين لها
ولا مستبصرين فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بان اكبوا عليها سامعين باذان واعية
مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون نفي الفعل كقولك ولا يلقاني
زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو وقال ولم يخروا وليس ثم خرور
كما يقال قعد يبكي وان كان غير قاعد ابن عطية فكان المستمع للذكر قام القنا
قويم الامر فاذا اعرض وضل كان ذلك خرورا وهو السقوط على غير نظام وترتيب
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا بالجمع والافراد قرة اعين
بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المومن اذا شاركه اهله في طاعة الله سر
بهم قلبه وقرت به عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في
الجنة والمعنى هب لنا ازواجا واولادا ابرارا اتقيا فتقر اعيننا بذلك القرطبي

ليس شئ اقر لعين المومن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله عز وجل ومن
ابتدآ به او بيانيه كقولك رايت منك اسدا وفيه دليل على جواز الدعا بالولد
والذرية تكون واحدا وجمعا ووحد قرة لانه مصدر والمعنى قرة اعين لنا وهي
من القر اومن القر وهو البرد فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة واجعلنا
للمتقين اماما اي قدوة يقتدي بنا في الخير وهذا لا يكون الا ان تكون الداعي متقيا
قدوة وكان عمر يقول في دعآئه اللهم اجعلني من ايمة المتقين وقال اماما ولم يقل
ايمة لان الامام مصدر يقال امر اماما مثل الصيام والقيام ولمراعاة الفواصل وقيل
التقدير واجعل كل واحد منا اماما التحمي لم يطلبوا الرياسة اولئك يجزون
الغرفة الغرفة اعلى الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات امنون
وقرآ بها وقيل هي من اسما الجنة وقال عطا يريد غرف الدر والزبرجد والياقوت
في الجنة بما صبروا اي بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات
وتحمل المجاهدات وقيل بصبرهم على الفقر والفاقة في الدنيا واولئك خبر وعباد
الرحمن في قول الزجاج وما تخلل بين المبتدا والخبر اوصافهم من التخلي والتحلي وهي
احدى عشرة التواضع والحلم والتهجد والخوف وترك الاسراف والاقتار والتزاهة
عن الشرك والزنى والقتل والتوبه وتجنب الكذب والعفو عن المسي وقبول
المواعظ والابتهال الى الله تعالى ويلقون بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء
فيها في الغرفة تحية وسلاما دعآ بالتحية والسلامة اي تحييهم الملآئكة ويسلمون عليهم
او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقيل التحية من الله والسلام من الملآئكه وقيل
التحية البقآ الدآئم والملك العظيم خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت
مستقرا ومقاما منقابل بآت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبؤا بكم ربي
اي ما يصنع بكم من عبات الجيش اذا هيأته ويقال ما عبات بفلان اي ما باليت به

اي

اي ما كان له عندي وزن ولا قدر وما استفهاميه لولا دعآؤكم اي لولا عبادتكم
فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسآئر الحيوانات سوآ
ابن الشجري وحقيقة القول ان موضع ما نصب والتقدير اي عبؤ يعبا وه بكم
اي اي مبالاة يبالي ربي بكم لولا دعاؤكم اي لولا دعآؤه اياكم لتعبدوه فالمصدر
الذي هو الدعآ على هذا القول مضاف الى مفعوله وفاعله محذوف وجواب لولا محذوف
كما في قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال تقديره لما يعبا بكم ودليل هذا القول قوله
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فالخطاب لجميع الناس ثم قال لقريش فانتم قد
كذبتم ولم تعبدوه وقيل المعنى ما يصنع بعذابكم لولا دعآؤكم معه الهة فقد
كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتم وقال الوليد بن ابي الوليد بلغني ان ما خلقكم
وبي حاجة اليكم الا تسالوني فاغفر لكم واعطيكم وروي وهب بن منبه انه كان في
التورآة يا ابن ادم وعزتي ما خلقتك لاربح عليك وانما خلقتك لتربح علي فاخدمني بدلا
من كل شي فانا خير لك من كل شي وقيل ما نافيه ويعبا بكثر لولا دعآؤكم اياه في الشدائد
فيكشفها فقد اي فكيف يعبا بكم وقد كذبتم الرسول والقران فسوف يكون لزاما
اي يكون جزآ التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثر لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما
اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكيفه الوصف وقيل المراد يوم بدر فانه
لو زم بين القتلى لزاما وعن ابن مسعود اللزام التكذيب نفسه اي لا يعطون التوبة
منه وقيل لزاما فيصلا اي فسوف يكون فيصلا بينكم وبين المومنين الطبري لزاما
عذابا آيما لازما وهلاكا مفنيا سورة الشعرآ مكيه الا قوله والشعرآ يتبعهم
الغاوون الى آخرها فمدنيه بسم الله الرحمن الرحيم
طسم آلله اعلم بمراده بذلك وقال ابن عباس طسم قسم وهو اسم من اسما الله تعالى
والمقسم عليه ان نشا ننزل عليهم قتادة اسم من اسما القران مجاهد اسم السورة

الربيع حساب مدة قوم القرطبي اقسم الله بطوله وسنائه وملكه وقيل الطا طور سينا
والسين اسكندريه والميم وقيل الطا شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الطا من الطاهر والسين من القدوس او السميع او السلام
والميم من المجيد او من الملك او الرحيم وقيل غير ذلك **تلك** اي هذه الايات **ايات**
الكتاب الاضافة بمعنى من **المبين** اي الظاهر اعجازه والاشارة الى السورة او القرآن
على ما مر **لعلك** يا محمد **باخع نفسك** اي قاتلها وممكلها غما واصل البخع ان يصل
الذبح النخاع وهو عرق مستبطن القفا وذلك اقصى حد الذبح وقرى باخع نفسك
بالاضافه ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها وخفف على نفسك هذا
الامر **ان لا يكونوا مومنين** الضمير لاهل مكة اى لملا يومنوا او خيفة او من اجل
ان لا يومنوا **ان نشا ننزل عليهم من السما ايه** اي دلالة ظاهرة وقدرة باهرة
تلجيهم الى الايمان وتصير معارفهم ضرورية ولكن سبق القضا بان تكون المعارف
نظريه **فظلت** اي فتظل **اعناقهم لها خاضعين** اى منقادين واصله فظلوا لها
خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وقيل اراد اصحاب الاعناق فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فتادة المعنى لو نشا لانزلنا اية يذلون بها فلا
يلوى احد منهم عنقه الى المعصيه وخاضعين وخاضعة هنا سوا وقرى خاضعة
والمعنى اذا ذلت اعناقهم ذلوا فالاخبار عن الرقاب اخبار عن اصحابها ويسوغ في كلام
العرب ان تترك الخبر عن الاول وتخبر عن الثاني قال الراجز

طول الليالي اسرعت في نقضي ... طوين طولي وطوين عرضي

اهلال

وانما جاز ذلك لانه لو سقط طول ومر من الكلام لما فسد المعنى وكذا لو اسقط الاعناق
وقال فظلوا لها خاضعين لم يفسد الكلام وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلا
اجريت مجراهم وقيل المراد بالاعناق الرؤساء والكبرا قاله مجاهد وقيل المراد الجماعات

من

قولهم جاءنا عنق من الناس لنوع منهم **وما ياتيهم من ذكر** اى موعظة او طائفة من
القران **من الرحمن** يوحيه الى نبيه **محدث** اي مجدد انزاله للتكرير والتذكير وتوبيخ
التقرير **الا كانوا عنه معرضين** اى الاجدد والاعراض عنه واصرارا على ما كانوا عليه
فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزا
به كما تضمنه قوله **فسيا تيهم** اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة **انبا**
ما كانوا به يستهزون من انه كان حقا او بانه كان حقيقا بان يصدق ويعظم
قدره او يكذب مستخف امره وقيل فسوف ياتيهم عاقبة ما كذبوا وما استهزوا به
اولم يروا الى الارض اي ولم ينظروا الى عجايبها **كم** اي كثيرا **انبتنا فيها من كل**
زوج اي صنف ونوع **كريم** اي محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى به
واصل الكرم في اللغة الشرف والفضيله فنخلة كريمة اي فاضله كثيرة التمر وعن
الشعبي ان الناس من نبات الارض فمن صار منهم الى الجنة فهو كريم ومن صار منهم الى
النار فهو لئيم **ان في ذلك** اي انبات تلك الاصناف في كل واحد **لاية** على ان مبتدئها تام
القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة **وما كان اكثرهم مومنين** في علم الله فلذلك
لم ينفعهم امثال هذه الايات العظام وكان قال سيبويه الهاء آتدة **وان ربك**
لهو العزيز اي الغالب القادر على الانتقام من الكفرة **الرحيم** حيث امهلهم او
العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وامن وقد كررت هذه الاية ثمان
مرات كل مرة عقب قصة والاشارة في كل واحدة بذلك الى قصة النبي المذكور
قبلها وما اشتملت عليه من الايات والعبر وبقوله وما كان اكثرهم مومنين الى
قومه خاصة ولما كان المفهوم ان الاقل من قومه امنوا اتى بوصفي العزيز الرحيم
للاشارة الى ان العزة على من لم يومن والرحمة لمن امن **واذ نادى ربك موسى**
معمول باذكر اي اذكر يا محمد لقومك واذ الدعا بيا اي قال ربك يا موسى ليلة

راي النار والشجرة ان ايت اي بان ايت رسولا القوم الظالمين بالكفر واستعبادهم
بني اسرايل وذبح ابنايهم قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان ولعل الاقتصار
لان فرعون اولى بذلك الا يتقون استيناف اتبعه ارساله اليهم تعجيبا من اقرارهم
في الظلم واجترآيهم عليه وقرى بالتآ على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم
وان كانوا غيبا حينئذ لجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه
اليهم وقيل المعنى قل لهم الا تتقون ومعنى يتقون يخافون وقرى بكسر النون الكتفا
بها عن الاضافة قال موسى رب اني اخاف ان يكذبون في الرسالة والنبوة ويضيق
صدري لتكذيبهم اياي وهو بالرفع على الاستيناف اي وانا يضيق صدري ولا
ينطلق لساني في المحاجة على ما احب وكان في لسانه عقدة فارسل الى اخي هارون
اي ارسل اليه جبريل بالوحي واجعله رسولا معي ولم يذكرهنا ليعينني لان المعنى
معلوم وقد صرح به في القصص فقال ارسله معي ردءا يصدقني وكان موسى اذن
له في السوال ولم يكن استعفاء من الرسالة بل طلب من يعينه ولهم علي ذنب اي
تبعة ذنب فحذف المضاف او سمي باسمه والمراد قتل القبطي وانما سماه ذنبا
على زعمهم فاخاف ان يقتلون به قبل آدآ الرسالة قال تعالى كلا ردع وزجر
عن هذا الظن وامر بالثقة بالله اي كلا لن يقتلوك فاذهبا اي انت واخوك
فقد جعلته رسولا معك وضم اخيه اليه في الارسال بالخطاب في اذهبا على
تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قال ارتدع يا موسى
عما تظن فاذهب انت والذي طلبته انا معكم يعني موسى وهارون وفرعون
وقيل موسى وهارون فاجراهما مجرى الجمع لان الاثنين جماعة مستمعون
اي سامعون لما يجري بينكما وبينه وانما اراد بذلك تقوية قلبهما والاستماع
انما يكون بالاصغاء ولا يوصف الباري سبحانه بذلك وقد وصف سبحانه بانه السميع

البصير وقال في طه اسمع واري ولكن تجوز به للسمع الذي هو مطلق ادراك
الحروف والاصوات فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين اليك اوحد
الرسول لانه مصدر وصف به قال ابو عبيدة رسول بمعنى رسالة قال الشاعر
• لقد كذب الواشون ما بحت عندهم • بسر ولا ارسلتهم برسول • والتقدير
على هذا انا ذو رسالة قال ابو عبيدة ويجوز ان يكون الرسول في معنى الاثنين
والجمع تقول العرب هذا رسولي وهذان رسولي وهولا رسولي ومنه قوله فانهم
عدو لي وقيل المعنى ان كل واحد منا رسول او وحد لوحدة المرسل به ان ارسل
اي بان ارسل معنا بني اسرايل اي اطلقهم وخل سبيلهم حتى يسيروا معنا الى الشام
ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم اربعمائة سنة وكانوا في ذلك الوقت
ستمائة الف وثلاثين الفا قال اي قال فرعون بعد ما اتياه فقالا له ذلك الم
نربك فينا اي في منازلنا وليدا اي طفلا سمي به لقربه من الولادة قال له ذلك
على جهة المن عليه والاحتقار اي ربيناك صغيرا ولم نقتلك في جملة من قتلنا
ولبثت فينا من عمرك سنين ثمان عشرة سنة وقيل ثلاثين سنة وكان فيها
يركب ويلبس من مراكب وملابس فرعون ويدعى ابنه اي فمتى كان هذا الذي تدعيه
وقيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله
ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وقيل غير ذلك ثم قرره فرعون بقتل القبطي
بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت قرى بفتح الفآ بمعنى المرة وقرى بالكسر بمعنى الهيئة
لانها كانت قتلة بالوكز اي فكيف تدعي مع علمنا بحالك بان الله ارسلك وانت من
الكافرين الجاحدين لنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي او ممن تكفرهم الآن وقال الضحاك
من الكافرين في قتلك القبطي اذ هو نفس لا يحل قتله الحسن من الكافرين اني الهك
السدي من الكافرين بالله لانك كنت معنا على ديننا هذا الذي تعيبه قال موسى

فعلتها اذا وانا من الضالين اي من الجاهلين عما يودي اليه الوكز لانه اراد
التاديب او من الناسين من قوله ان تضل احداهما وقيل من الضالين عن النبوة
ولم ياتني عن الله فيه شيء فليس علي فيما فعلته من تلك الحالة توبيخ وبين لهذا
ان التربية فيهم والقتل خطا او في وقت لم يكن فيه شرع لا ينافي النبوة ففررت منكم
لما خفتكم اي خرجت من بينكم الى مدين فوهب لي ربي حكما يعني النبوة وقيل حكمة
وقيل علما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي اصله تمن بها علي ان
عبدت بني اسرائيل قيل كان هذا الكلام من موسى على جهة الاقرار بالنعمة كانه يقول
نعم وتربيتك نعمة علي من حيث عبدت غيري وتركتني ولكن لا يدفع ذلك رسالتي
وقيل هو من موسى على جهة الانكار اي اتمن علي بان ربيتني وليدا وانت قد استعبدت
بني اسرائيل وذبحت ابناءهم اي ليست بنعمة وكان الواجب ان لا تقتلهم ولا يستعبدهم
فانهم قومي وفيه تقدير استفهام اي او تلك نعمة وقيل المعنى كيف تمن علي بالتربية
وقد اهنت قومي وسبيت ابناءهم قومه ذل وقيل ان الكلام خرج مخرج التبكيت والمعنى
لو لم تقتل بني اسرائيل لربانني ابواي فاي نعمة لك فانت تمن علي بما لا يجب ان يمن به
وان عبدت بني اسرائيل في موضع رفع على انه خبر محذوف او على البدل من نعمة
ويجوز ان يكون في موضع نصب بمعنى لان عبدت وقيل تلك اشارة الى جملة
مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد
الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه
ومن ملائكته قال فرعون لموسى وما رب العالمين لما غلب موسى فرعون
بالحجة رجع الى معاوضة موسى في قوله رسول رب العالمين فاستفهم استفهاما
عن مجهول من الاشياء قال مكي كما يستفهم عن الاجناس فلذلك استفهم بما قال مكي
وقد ورد استفهام بمن في موضع اخر ويشبه انهما مواطن ولما لم يكن سبيل للخلق الى

معرفة حقيقته تعالى وانما يعرفونه بصفاته اتى موسى ببعض الصفات الدالة
على الله من مخلوقاته التي لا يشاركه فيها مخلوق قال رب اي خالق السموات
والارض وما بينهما فعرفه باظهر خواصه ان كنتم موقنين الاشياء تحققين لها
علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركيبها وتعددها وتغير احوالها فلها
مبدئ واجب لذاته وذلك المبدئ لا بد وان يكون مبدئا لسائر الممكنات ما يمكن
ان يحس بها وما لا يحس والا لزم تعدد الواجب او استغنا بعض الممكنات وكلاهما
محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجة لامتناع التعريف بنفسه
وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته قال بعضهم لما كان هذا السؤال في حق
الباري تعالى خطا لانه لا جنس له فيذكر ولا تدرك ذاته عدل موسى الى الجواب بالصواب
وهذا تعجب فرعون من عدم مطابقته للسؤال قال لمن حوله من اشراف قومه
الا تستمعون جوابه الذي لم يطابق السؤال حيث سالته عن حقيقته وهو يذكر
افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية
وفيه معنى الاغراء والتعجيب ان كانت عقيدة القوم ان فرعون ربهم ومعبودهم والفرا
قبله كذلك فراد موسى في البيان بقوله قال ربكم ورب اباءكم الاولين عدولا
الى ما لا يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر
واوضح عند المتامل فيجادل بما لا يفهمونه عنه لانهم يعلمون انه قد كان لهم اباء
وقد فنوا وانه لا بد من مفن وانهم قد كانوا بعد ان لم يكونوا وانه لا بد لهم من يكون
فقال فرعون حينئذ على جهة الاستخفاف ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
اساله عن شيء وتجيبني عن اخر وسماه رسولا على السخرية فراد موسى فقال رب
المشرق والمغرب وما بينهما اي ليس ملكه كملكك لانك انما تملك ملكا ضعيفا في
بلد واحد لا يجوز امرك في غيره ويموت فيه من لا تحب ان يموت والذي ارسلني يملك

المشرق والمغرب وما بينهما وانتم تشاهدونه كل يوم انه ياتي بالشمس من
المشرق ويحركها على مدار غير اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه
نافع تنتظم به امور الكائنات ان كنتم تعقلون اي ان كان لكم عقل علمتم
انه لا جواب لكم فوق ذلك لا يتهم اولا ثم لما راى شدة شكيمتهم خاشنهم
وعارضهم بمثل مقالهم ثم لما انقطع فرعون في باب الحجه رجع الى الاستعلا
والتغلب فتوعد موسى بالسجن فقال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين عدولا الى التهديد بعد الانقطاع وذلك ديدن المعاند
المحجوج ولم يقل ما دليلك على ان هذا الاله ارسلك لان فيه الاعتراف بان ثم
الها غيره واللام في من المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني وروي
ان سجنه كان اشد من القتل وكان سجنه تحت الارض لا يبصر المسجون فيه احدا
ولا يسمع لانه كان في هوية عميقة ولا يخرج منه احد حتى يموت ومن ثم كان قوله
من المسجونين ابلغ من لاسجننك ثم لما كان عند موسى من امر الله تعالى ما لا يروعه
توعد فرعون قال له على جهة اللطف به والطمع في ايمانه اولو جئتك بشئ مبين
يتضح لك به صدقي اي اتفعل ذلك ولو جئتك بشئ برهان على رسالتي فلما سمع
فرعون ذلك طمع ان يجد في اثنائه موضع معارضة قال فات به ان كنت
من الصادقين في ان لك بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لابد له من حجة
ولم يجئ الشرط الى الجواب عند سيبويه لان ما تقدم يكفي منه فالقى موسى عصاه
فاذا هي ثعبان مبين حية عظيمة ونزع يده اخرجها من جيبه فاذا هي
بيضاء ذات شعاع للناظرين بخلاف ما كانت عليه من الادمة روي ان فرعون
لما راى الاية الاولى قال فهل من غيرها فاخرج يده قال فما فيها فادخلها في
ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق قال فرعون للملا

حوله

حوله حوله ظرف وقع موقع الحال اي كائنين او مستقرين حوله ان هذا لساحر عليم
اي فائق في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم اي ارض مصر بسحره فماذا تامرون
قهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وايتمارهم وتغييرهم
عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلايه على ملكه قالوا ارجه واخاه
هارون اي لخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين شرطا يحشرون
السحرة ياتوك بكل سحار عليم يفضل موسى في علم السحر فجمع السحرة لميقات
يوم معلوم وقت الضحى من يوم الزينة وقيل للناس هل انتم مجتمعون لننظر افعل
الفريقين ومن نغلب والاستفهام لاستبطائهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقوله
هل انت باعث دينار لحاجتنا. او عبد رب اخا عون بن مخراق. اي ابعث احدهما
الينا سريعا لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لموسى اي لعلنا نتبعهم
في ديننا ان غلبوا والترجي على تقدير الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلي
ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوه
لم يتبعوا موسى فلما جا السحرة قالوا لفرعون ائن تحقيق الهمزتين وتسهيل
الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم
وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا
فاذا على ما يقتضيه من الجواب والجزا قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون
اي بعد ما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر
والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق والامر
للاحتقار اذ ما يلقون من السحر وان عظم محتقر بالنظر الى معجزة موسى فالقوا
حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته
على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم وانيانهم باقصى ما يمكن ان يوتى به

فكون
من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف تحذف احدى التاءين اى تبتلع مايا
اى مايقلبونه عن وجهه بتمويهاتهم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات
تسعى او افكهم تسمية للمافوك به مبالغة فالقى السحرة ساجدين لعلمهم بان
لايتاتى بالسحر وفيه دليل ان منتهى السحر تمويه وانما يدل الخرور بالالقاء ليشاكل ماقبله
ويدل على انهم لما راوا ما راوا لم يتمالكوا انفسهم وكانهم اخذوا وطرحوا على وجوههم وانه
تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون
ابدال للتوضيح ودفع التوهم واشعار بان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما قال فرعو
ا امنتم له لموسى قبل ان اذن انا لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فعلمكم شياطون وا
شى ولذلك غلبكم او فواد عكم ذلك وتواطاتم عليه اراد التلبيس على قومه كى لايعتقد
انهم امنوا على بصيرة وظهور حق فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف ولاوصلبنكم اجمعين بيان له قالوا لاضير اى
لاضرر علينا فيما يلحقنا من عذاب الدنيا انما عذابك ساعة فنصبرها ولقد لقينا ا لله
مومنين وهذا يدل على شدة استبصارهم وقوة ايمانهم قال مالك دعا موسى عليه السلام
فرعون اربعين سنة الى الاسلام وان السحرة امنوا فى يوم واحد انا الى ربنا منقلبو ن
بما توعدنا به او بسبب من اسباب الموت وقتلك انفعها وارجاها والمعنى تنقلب الى
رب كريم رحيم انا نطمع نرجو ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اى لان كنا اول
المومنين من اتباع فرعون او من اهل المشهد او اول المومنين فى زماننا والجملة تعليل
فى المعنى تعليل ثانا النفى الضير وقرى ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالجزا
واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي بنى اسرائيل وقرى بكسر النون ووصل همزة
اسر من سرى لغة فى اسرى اى سر بهم ليلا الى البحر وذلك بعد سنين اقاموا بين
اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الايات لم يزيدوا الا عتوا وفسادا انكم متبعون

يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسرا اى سر بهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان
لكم تقدم عليهم بحيث لايدركونكم قبل وصولكم الى البحر ليكونوا على اثركم حين تلجون
البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم ولما كان من سنته تعالى فى عباده انجا
المومنين المصدقين من اولبائه المقربين برسالة رسله وانبيائه واهلاك الكافرين المكذبين
لهم من اعدائه امر موسى عليه السلام ان يخرج ببنى اسرائيل ليلا وسماهم عباده لانهم امنوا بموسى
فخرج موسى ببنى اسرائيل سحرا فترك الطريق الى الشام على يساره وتوجه نحو البحر وكان
الرجل من بنى اسرائيل يقول له فى ترك الطريق فيقول هكذا امرت فلما اصبح فرعون وعلم
باسرا موسى ببنى اسرائيل خرج فى اثرهم وبعث الى مدائن مصر ليلحقوهم فذلك قوله فارسل
فرعون فى المدائن حاشرين العساكر قيل كان الف مدينة واثنا عشرة الف قرية
ان هولا لشرذمة قليلون على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين
الفا بالاضافة الى جنوده وروى انه خرج ومعه مائة الف ادهم من الخيل حاشا سائر
الالوان ابن عباس كان مع فرعون الف جبار كلهم عليه تاج وكلهم امير وقال قليلون
فجمع على المعنى لان الشرذمة جماعة وانهم لنا لغائظون اى لفاعلون مايغيظنا لخا
دينا وذهابهم باموالنا التى استعاروها وانا لجميع حذرون اى من عادتنا
الحذر واستعمال الحزم فى الامور وقرى حاذرون وهو بمعناه وقيل حاذرون علينا
السلاح او مستعدون ومحذرون فرقون خائفون قال تعالى فاخرجناهم فرعو
وجنوده من جنات وعيون يعنى من ارض مصر قيل كانت الجنان بحافتى النيل
فى الشقين جميعا من اسوان الى رشيد وبين الجنات زروع والنيل سبعة خلجان
خليج الاسكندريه وخليج سخا وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج منف
وخليج الفيوم وخليج المنهى وكانت ارض مصر تروى من ستة عشر ذراعا بما
قدروا وادبروا من قناطرها وجسورها وخلجانها وذلك كان يجب الخراج على اهل مصر

ويكسر خليج مصر والجمهور على ان المراد بالعيون عيون الماء والانهار وكانت جارية في
منازلهم من النيل وقيل عيون الذهب **وكنوز** المراد به هنا الخزائن من الذهب والفضة
وسميت كنوزا لانه لم يعط حق الله منها وقيل الدفائن **ومقام كريم** اي المنازل الحسنة
والمجالس البهية وقيل هي المنابر وكانت الف منبر للالف جبار يعظمون عليها فرعون
وقيل المقام الكريم الغيوم **كذلك** اي مثل ذلك الاخراج اخرجنا فهو مصدر او مثل
ذلك المقام الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر كما وصفنا **واورثناها بني اسرائيل**
يريد ان جميع ما ذكر من الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم اورثه الله بني اسرائيل
اي جعلها ملكا لهم فانهم لم يرجعوا اليها لان مساكنهم بالشام وقيل رجعوا الى مصر
فاتبعوهم اي لحقوهم **مشرقين** اي داخلين في وقت شروق الشمس وتاخر فرعون
وقومه عن موسى وبني اسرائيل قيل لاشتغالهم بدفن ابكارهم وقيل ان سحابة اظلتهم
وظلمة تقاولنا بعد في الليل وقيل مشرقين ناحية المشرق ومعنى الكلام قدرنا ان يرثها
بنو اسرائيل فاتبع قوم فرعون بني اسرائيل فهلكوا وورث بنو اسرائيل بلادهم **فلما تراءى**
الجمعان تقابلا وتقاربا بحيث راى كل منهم الاخر **قال اصحاب موسى انا لمدركون**
اي للحقون وقد قرب منا العدو ولا طاقة لنا بهم **قال** موسى **كلا** لن يدركوكم فان
الله وعدكم الخلاص منهم **ان معي ربي** بالحفظ والنصرة **سيهدين** طريق النجاة منهم
وروي ان مومن ال فرعون كان بين يدي موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد
غشيك ال فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع قال تعالى **فاوحينا الى موسى**
ان اضرب بعصاك البحر اي بحر القلزم وقيل النيل **فانفلق** في الكلام اضمار
اي فضربه فانفلق وذلك انه لما عظم البلا على بني اسرائيل وراوا من الجيوش ما لا طاقة
لهم به امر الله تعالى موسى ان يضرب البحر بعصاه وذلك انه عز وجل اراد ان تكون
الاية متصلة بموسى ومتعلقة بفعله والا فضرب العصا ليس بغارق للبحر ولا

معين

معين على ذلك بذاته الا بما اقترن به من قدرة الله تعالى واختراعه ولما انفلق صار فيه
اثنا عشر طريقا على عدد اسباط بني اسرائيل ووقف الماء بينهما **فكان كل فرق كالطود** اي
الجبل **العظيم** المنيف الثابت فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب رووى انهم سلكوها
لم يبتل منها سرج الراكب ولا لبده **وازلفنا ثم الاخرين** اي قربناهم بعني فرعون وقومه
حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وقيل الاشارة الى اصحاب موسى **وانجينا موسى ومن معه**
اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا **ثم اغرقنا الاخرين** باطباق البحر عليهم
لما تمت دخولهم البحر وخروج بني اسرائيل منه **ان في ذلك لاية** وايّة اية **وما كان اكثرهم**
مومنين فانه لم يومن منهم غير اسية امراة فرعون وحزقيل مومن ال فرعون ومريم
بنت ناموس التي دلت على يوسف في بحر النيل وما تنبه اكثرهم عليها فان بني اسرائيل
بعد ما نجوا سالوا ببقرة يعبدوها واتخذوا العجل وقالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة
وان ربك لهو العزيز الرحيم باوليائه **واتل عليهم** اي على مشركي العرب **نبا ابراهيم**
اي خبره ويبدل منه قوله **اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون** اي اي شي تعبدون
وانما سالهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة **قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين**
ليعطفوا عليه اي فنقيم على عبادتها وليس المراد وقتا معينا
بل هو اخبار عما هم فيه وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وبالليل يعبدون
الكواكب يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا واراد
في الجواب عن السوال اظهار الابتهاج بعبادتها والاستمرار على مواظبتها ليزداد
غيظ السائل قيل كانت اصنامهم من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب **قال**
هل يسمعونكم اذ تدعون اي يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون محذوف
ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وبجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية
استحضارا لها **او ينفعونكم** على عبادتكم لها **او يضرون** من اعرض عنها **قالوا**

وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اي مثل فعلنا اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر او نفع والتجاوا الى التقليد من غير حجة ولا دليل قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وابآؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب الباطل به حقا فانهم عدو لي اي لا اعبدهم وعدو والحد يودي عن جماعة اي اعداء وانما افرد على النسب اي ذو عداوة ولذلك يقال في المونث هي عدو اي هم اعداء العابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المعنى بعادتهم اعداء اعدائهم اي الشياطين لكنه صور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع في النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدا بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وقيل هذا من باب المقلوب مجازه فاني عدو لهم لان من عاديته عاداك الا رب العالمين فاني اعبده وهو استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبده وكان من اباءهم من عبد الله الكلي المعنى الا من عبد رب العالمين فحذف المضاف الجرجاني تقدير الكلام افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون الا رب العالمين فانهم عدو لي والا بمعنى دون وسوى الذي خلقني فهو يهدين لانه يهدي كل مخلوق لما خلق له من امر المعاش والمعاد كما قال الذي قدر فهدى هداية مدرجة من مبدا الايجاد الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدوها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذاتها والفا للسببية ان جعل الموصول مبتدا والعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستقرار الهداية وقوله والذي هو يطعمني ويسقين على الاول مبتدا محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا الاتيان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحد من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم ودخلت الفا على الخبر على مذهب الاخفش

في جواز دخولها في خبر المبتدا وقيل دخلت لما تضمنه المبتدا من معنى الشرط لكونه موصولا ورد بان الموصول هنا معين واتى بالماضي في الخلق وبالمضارع في الهداية والاطعام والاسقاء والشفاء لان الخلق مفروغ منه وبالمذكورات بعد ومعنى يطعمني ويسقين يرزقني وخولف هو تنبيه على ان غيره لا يطعم ولا يسقي على الحقيقة ولانهما يصدران من الانسان عادة يقال زيد يطعم ويسقي فناسب ان يذكر تاكيدا كما تقول زيد هو الذي فعل كذا اي لم يفعله غيره واذا مرضت فهو يشفين عطفه على يطعمني ويسقين لانه من رواد فهما من حيث ان الصحة والمرض في الاغلب يتبعان الماكول وانما نسب المرض الى الله تعالى رعاية للادب والا فالمرض والشفاء من الله عز وجل جميعا ولان مقصوده تعديد النعم ولا يناقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه ثم انه هل لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التي تستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض في غالب الاحوال انما يحصل بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه ولما بين الاخلاط والاركان من التنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحيين يريد البعث في الاخرة وكانوا ينسبون الموت الى الاسباب قيل وانما ذكر الموت وان كانوا لا ينكرونه ليستدل على البعث واتى بثم هنا للتراخي اذ الموت في الدنيا والاخرة والذي اطمع ارجو ان يغفر لي خطيتي يوم الدين اي يوم الجزاء ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واراد بالخطيئة الجنس فيدخل فيها قوله اني سقيم وقيل فعله كبيرهم وقوله عن سارة لما اراد الظالم اخذها منه هي اختي اي في الدين وقيل حمله على هذه الثلاث ضعيف لانها معاريض وليست خطايا رب هب لي حكما اي كمالا في العلم والعمل او معرفة الحدود والله واحكامه والحقني بالصالحين

اي الانبيا قيل في الدرجة والمنزلة **واجعل لي لسان صدق في الاخرين** اي جاها
وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين والمعنى ثنا حسنا وذكرا جميلا فيمن
بعدي الى يوم القيامة ولذلك ما من امة الا وهم يحبون له مثنون عليه ووضع اللسان
موضع القول لانه يكون الا به وقيل المعنى واجعل لي صادقا من ذريتي يجدد اصل
ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم **واجعلني**
من ورثة جنة النعيم اي ممن يعطاها **واغفر لابي** بالهداية والتوفيق للايمان
انه كان من الضالين طريق الحق وان كان هذا الدعا بعد موته فلعله كان يظن
انه كان يخفي الايمان ثقة من نمرود ولذلك وعده في الظاهر ان يومن به او لانه لم يمنع
بعد من الاستغفار للكفار وهذا ما بان انه لم يف بما قال تبرا منه كما قال في سورة براة
فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه **ولا تخزني** بمعاتبتي على ما فرطت او لا تنقص رتبتي
عن رتبة بعض الورثة او المعنى لا تخزني لا تبعدني لخفا العاقبة وجواز التعذيب
عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان
او من الخزاية بمعنى الحيا **يوم يبعثون** الضمير للعباد لانهم معلومون او للضالين
قال الله تعالى فيه **يوم لا ينفع مال ولا بنون** احدا **الا من اتى الله بقلب**
سليم اي مخلصا سليم القلب عن الكفر وقيل عن المعاصي وسائر آفاته وقيل المعنى
لا ينفع مال ولا بنون الا مال من هذا شانه وبنوه حيث انفق ماله في سبيل البر وارشد
بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعا له
يوم القيامة وقيل الاستثنا منقطع والمعنى لكن سلامة من اتى الله بقلب سليم
تنفعه وخص القلب بالذكر لانه اذا سلم سلمت جميع الجوارح واذا فسد فسدت
سائر الجوارح والقلب السليم قيل من الشرك والشك فاما الذنوب فليس يسلم
منها احد وقيل هو الصحيح وهو قلب المومن فاما قلب الكافر والمنافق فمريض

وقيل

وقيل الخالي عن البدعة وقيل اللديغ اي انه قلب لدغ من خوف الله وقيل غير ذلك
وازلفت الجنة للمتقين اي قربت وادنيت بحيث يرونها من الموقف **وبرزت الجحيم**
اي ظهرت مكشوفة **للغاوين** اي الكافرين الذين ضلوا عن الهدي وفي اختلاف الفعلين
ترجيح لجانب الوعد **وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله** اي اين الهتكم
الذين تزعمون انهم شفعاء وكم **هل ينصرونكم** برفع العذاب عنكم **او ينتصرون**
بدفعه عن انفسهم لا وذلك لانهم واله تهم يدخلون النار كما قال **فكبكبوا فيها** قلبوا
على رؤوسهم وقيل جمعوا اما خوذ من الكبكبه وهي الجماعة **هم والغاوون** اي الاله
وعبدتهم والكبكبة ايضا تكرير الكب لتكرير معناه كان من القي في النار ينكب مرة
بعد اخرى حتى يستقر في قعرها **وجنود ابليس اجمعون** تاكيد للجنود والمراد متبعو
من عصاة الثقلين وقيل شياطينه وذريته **قالوا وهم فيها يختصمون** يعني
الانس والشياطين والغاوين والمعبودين على ان الاصنام تنطق فتخاصم العبدة **تالله**
حلفوا بالله **ان** مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اي انه **كنا لفي ضلال مبين**
اي في خسارة وحيرة عن الحق بينه **اذ نسويكم** اي نعدلكم **برب العالمين**
في استحقاق العباده وانتم لا تستطيعون الآن نصرنا ولا نصر انفسكم والعامل في اذ
مبين او فعل محذوف دل عليه ضلال ولا يجوز ان يعمل فيه ضلال لانه قد وصف
وما اضلنا عن الهدي **الا المجرمون** يعني الشياطين الذين زينوا لنا عبادة الاصنام
وقيل اسلافنا الذين قلدناهم وقيل ابليس وابن ادم القاتل فانهما اول من سن القتل
والكفر وانواع المعاصي **فما لنا من شافعين** يشفعون لنا من الانبيا والملائكة
كما للمومنين **ولا صديق حميم** اي صديق مشفق يهمه امرنا اذ الاخلا يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين او المعنى فما لنا من شافعين ولا صديق من بعدهم
شفعا او اصدقا وجمع الشافعين و وحد الصديق الزمخشري لكثرة الشفعا

وقلة الاصدقا الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهض جماعة وافرة من اهل
بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم تسبق له باكثرهم معرفة واما الصديق فهو الصادق
في وداد ك الذي تهمه ما اهمك فاعزز من بيض الانوق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر
مما يسعى الشفعا اولاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالصهيل
والحميم القريب الخاص فلو ان لنا كرة هذا تمن للرجعه واقيم فيه مقام ليت لتلاقيهما
في معنى فنكون من المومنين جواب التمني او عطف على كرة اي لو ان لنا ان نكر
فنكون والمعنى لو وقع لنا رجوع الى الدنيا لآمنا حتى يكون لنا شفعا تمنوا حينئذ لا ينفعهم
التمني ان في ذلك اي ما ذكر من قصة ابراهيم وقومه لاية لحجة وعظة لمن اراد
ان يعتبر بها فانها جآت على انظم ترتيب واحسن تقدير وتيقظ المتامل لما فيها من
الاشارة الى اصول العلوم الدينيه والتنبيه على دلآلها وحسن دعوة القوم وحسن
مخالفته معهم وكمال اشفاقه عليهم وقصور الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد
على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول وما كان
اكثرهم اي اكثر قومه مومنين به وان ربك لهو العزيز اي القادر على تعجيل
العقوبة الرحيم بالامهال لكي يومنوا او احد من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين
القوم مونثه ولذلك تصغر على قويمه وقيل المعنى كذبت جماعة قوم نوح وقال
المرسلين لان من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل لاشتراكهم في المجئ بالتوحيد
اولانه لطول مكثه فيهم كانه رسل اذ قال لهم نوح لانه كان منهم فهي اخوة نسب
لا اخوة دين الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره اني لكم رسول امين مشهور
بالامانة فيكم فانهم كانوا عرفوا صدقه وامانته فيهم من قبل كمحمد صلى الله عليه وسلم
في قريش وقيل امين اي صادق فيما ابلغكم عن الله فاتقوا الله واطيعون
فيما امركم به من التوحيد والطاعه له وما اسالكم عليه اي على ما انا عليه من

الدعآ والنصح من اجر اي جعل فلا طمع لي في مالكم ان اجري اي ما ثوابي الا على رب
العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من
امانته وحسم طمعه لوجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا قالوا انومن
لك نصدق قولك واتبعك الارذلون اي الاقلون جاها وما الجمع الارذل
قيل كانوا حاكه واساكفه والواو للحال وفيه اضمار اي وقد اتبعك الارذلون وقري
واتباعك جمع تابع والمعنى انستوي نحن وهم وهذا من سخافة عقلهم وقصور رايهم
على الحطام الدنيويه حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم
اليه واشار وابذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة
ولذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون اي انهم عملوه اخلاصا اوطمعا وانما الي
ظاهرهم والاعتماد على الظاهر وقيل المعنى لم اكلف العلم باعمالهم انما كلفت ان ادعوهم
الى الايمان والاعتبار بالايمان لا بالحرف والصنايع وقيل المعنى انى لم اعلم ان الله يهديهم
ويضلكم ويرشدهم ويغويكم ويوفقهم ويخذلكم ان حسابهم الا على ربي اي ما حساب
بواطنهم الا على الله تعالى فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون
فتقولون ما لا تعلمون وقيل لو تشعرون ان حسابهم على الله لما عبتموهم بصنايعهم وما
انا بطارد المومنين لحساسة احوالهم واشتغالهم فكانهم طلبوا طرد الضعفا كما
طلبه قريش فكان جوابا لما اوهم قولهم من استدعآ طردهم وتوقف ايمانهم عليه حيث
جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رجل
مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سوا كانوا اعزا او اذلا فكيف يليق بي طرد
الفقرا لاستتباع الاغنيا فمن اطاعني فذلك السعيد عند الله وان كان فقيرا قالوا
لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين بالحجارة او المشتومين
قال نوح رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم اي فاحكم بيني وبينهم من

الفتاحة فتحا مصدر مؤكد ويجوز ان مفعولا به بمعنى المفتوح وبغى ومن معى
من المومنين من قصدهم او سوء عملهم قال ذلك لما يئس من ايمانهم قال تعالى
فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون يريد السفينة والمشحون المملوء من
الناس وغيرهم من سائر الحيوانات ولم يونث الفلك هنا لانه هنا واحد لاجمع
ثم اغرقنا بعد اي بعد انجائه ومن معه الباقين من قومه ان فى ذلك لاية
شاعت وتواترت وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون
انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسلكم عليه من اجران
اجرى الا على رب العالمين تصدير القصص بهذا دلالة على ان البعثة مقصورة على
الدعا الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان
الانبيا متفقين على ذلك وان اختلفوا فى بعض التفاريع اتبنون بكل ريع اي
بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها وهو جمع ريعة وقيل الريع الطريق
وقيل الجبل اية علما للمارة تعبثون بنيانها عكرمة ومقاتل كانوا يهتدون بالنجوم
اذا سافروا فبنوا على الطريق اميالا طواعا عبثا ليهتدوا بها وقيل الريع بنيان يروح
الحمام وليله قوله تعبثون اي تلعبون بها وقيل تعبثون بمن يمر على الطريق وقيل
عبث العشارين باموال من يمر بهم وقيل قصورا يفتخرون بها والجملة حال من ضمير
تبنون وتتخذون مصانع اي منازل وقيل حصونا وقيل مصانع المآتح الارض
لعلكم تخلدون اي كانكم خالدون فتحكمون بنيانها وقيل المعنى كى تخلدوا وقيل هو
استفهام بمعنى التوبيخ اي فهل تخلدون واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم
جبارين اي متسلطين غاشمين بلا رافة ولا قصد تاديب ونظر فى العاقبة
والبطش السطوة والاخذ بالعنف وقيل هو المواخذة على العمد والخطا من غير عفو ولا

ابقآ فاتقوا الله بترك هذه الاشيا واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم
واتقوا الذى امدكم بما تعلمون كرره مرتبا عليه امداد الله اياهم بما يعرفونه
من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد بدوام الامداد والوعيد على تركه
بالانقطاع ثم فصل تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار
فى الاتتقون مبالغة فى الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم بانعام وبنين
وجنات بساتين وعيون انهار تسخر ذلك لكم وتفضل بها عليكم فهو الذى يجب
ان يعبد منكم وعدهم فقال انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فى الدنيا والاخرة
ان كفرتم فانه كما قدر على الانعام يقدر على الانتقام قالوا سواء علينا اوعظت
ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوى عما نحن عليه وتغيير شق النفى عما
تقتضيه المقابلة للمبالغة فى قلة اعتدادهم بوعظه والوعظ مالين القلب من
الكلام بذكر الوعد والوعيد ان هذا الا خلق الاولين اي ما هذا الذى جئتنا به
الا كذب الاولين واختلاقهم وافتراهم اي مثل افترائهم او المعنى ما خلقنا هذا الا خلقهم
نحيى ونموت مثلهم ولا نبعث ولا نحاسب وقرى خلق بضمتين اي وما هذا الذى جئت به
الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذى نحن عليه من الدين الا عادة الاولين
ونحن بهم مقتدون وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه فكذبوه بالعذاب
فاهلكناهم بسبب التكذيب بزخ صرصر عاتية ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم
مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم
اخوهم صالح الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسلكم عليه من اجران اجرى الا على رب العالمين اتتركون فيما ها هنا
من الخير امنين من الموت والعذاب انكارا لان يتركوا كذلك او تذكيرا بالنعمة
فى تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم امنين ثم فسره بقوله فى جنات وعيون

وزروع ونخل طلعها هضيم اي لطيف ابن عباس لطيف ما دام في كفراه وقيل
هو المنضم في وعائه قبل ان يظهر الماوردي وفيه اثنا عشر قولا قيل انه الرطب
اللين او المذنب من الرطب او الذي ليس فيه نوي او المتهشم المتفتت او اليابس
او الذي ضم بركوب بعضه على بعض او المتلاصق او الطلع حين يتفرق وينضر
او اليانع النضيج او الرخو او الرخص او المرئي من انهضام الطعام وتنحتون من
الجبال بيوتا فارهين اي بطرين وحاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق
يعمل بنشاط وطيب قلب وقيل معجبين او فرحين وقال ابن زيد اقويا وقرئ فارهين
باالف قال ابن عباس كانوا معمرين لا يبقى البنيان مع اعمارهم كما دل عليه قوله
واستعمركم فيها فاتقوا الله واطيعون فيما امرتكم به ولا تطيعوا امر
المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الامر لامتثال الامر والمراد الذين عقروا
الناقة او التسعة رهط الذين يفسدون في الارض بالعصيان وهو وصف موضح
لاسرافهم ولذلك عطف عليه قوله ولا يصلحون اي بالطاعة دلالة على خلوص
فسادهم قالوا انما انت من المسحرين اي الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقولهم
او من ذوي السحر وهي الرية اي من البشر تاكل وتشرب والاول قول ابن مجاهد
ما انت الا بشر مثلنا تاكيد فات باية ان كنت من الصادقين في دعواك
قال هذه ناقة اي بعدما اخرجها الله من الصخرة بدعائه لما اقترحوها لها شرب
اي نصيب من الماء ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في
شربها ابن عباس قالوا ان كنت صادقا فادع الله يخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمراء
عشراء فتضع فنحن ننظر وترد هذا الماء فنشربه ونتغذ وعلينا بمثله لبنا وفعلا
وفعل الله ذلك فقال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها
بسوء كضرب وعقر فيا خذكم عذاب يوم عظيم نعت لليوم لعظم ما يحل

فيه

فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اضيف العقر الى كلهم لان عاقرها انما
عقرها برضاهم ولذلك اخذ واجميعا فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من
حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب وذلك لا ينفعهم فاخذهم العذاب
اي العذاب الموعود به وذلك انه انظرهم العذاب ثلاثا فظهرت العلامة كل يوم
وندموا حيث لم ينفعهم وقيل بل طلبوا صالحا ليقتلوه مع الناقة فاهلكوا ان
في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم تقدم
كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على
رب العالمين تقدم اتاتون الذكران من العالمين اي اتاتون من بين من
عداكم من العالمين الذكران لا يشاركهم فيه غيرهم او المعنى اتاتون الذكران من ولد
ادم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كالظهر قد اعوزتكم فالمراد بالعالمين على الاول كل
من ينكح وعلى الثاني الناس قيل وكانوا يفعلون ذلك بالغرباء وتذرون ما خلق
لكم ربكم لاجل استمتاعكم من ازواجكم بيان ما ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض
ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم
ايضا بل انتم قوم عادون اي متجاوزون حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس
بالحيوانات او المتجاوزون الحلال الى الحرام او المفرطون في المعاصي او امتقابان
يوصفوا بالعدوان لارتكابهم هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه
او عن نهينا او تقبيح امرنا لتكونن من المخرجين اي من المنفيين من بين اظهرنا
ولعلهم كانوا يخرجون من يخرجونه على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين
اي من المبغضين غاية البغض وهو ابلغ من اني لعملكم قال لدلالته على انه معدود
في زمرتهم مشهور بانه من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون اي من شومه وغذا

فنجيناه واهله اجمعين اي اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجه من بينهم
وقت حلول العذاب بهم قيل ولم يكن الا ابنتاه الا عجوزا هي امراة لوط في الغابرين
اي مقدرة في الباقين في العذاب اذ اصابها حجر في الطريق فاهلكها لانه كانت
مايلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانه فيمن بقي في القرية فانهم لم يخرج مع
لوط فتاده عبرت في عذاب الله اي بقيت ثم دمرنا الاخرين اي اهلكناهم
بالخسف والحصب وامطرنا عليهم مطرا من جملة الاهلاك قيل امطر الله عليهم
على تعداد القوم حجارة فاهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام للجنس حتى يصح وقوع
المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم قيل وكانت الحجارة من
كبريت ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة تنبت ناعم الشجر وهي غيضة بقرب
مدين يسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا
فلذلك قال اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم وقيل الايكة شجر يلتف
وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرى ليكة على انها اسم بلدهم اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسلكم عليه من اجران اجري الا على رب العالمين
تقدم اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين الناقصين حقوق الناس بالتطفيف في
الكيل والوزن وزنوا بالقسطاس المستقيم اي بالميزان السوي اي اعطوا الحق
ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي ولا تنقصوا شيا من حقوقهم ولا تعثوا في الارض
مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق وهي من عثي بكسر المثلثة افسد ومفسدين
حال موكدة لمعنى عامله تعثوا واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين من الامم
الماضين مجاهد الجبلة الخليقة وجبل فلان على كذا اي خلق والجبلة عطف على
الكاف والميم وهو العدد الكثير ومنه قوله تعالى ولقد اضل منكم جبلا كثيرا اي خلقا

كثيرا

كثيرا قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين
انه جمع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه وان مخففة من الثقيلة واسمها
محذوف اي انه نظنك لمن الكاذبين في دعواك فاسقط علينا كسفا من السما
بسكون الفاء وفتحها اي قطعه منها وجانبا فننظر اليه وقيل اراد وا انزل علينا العذاب
وهو مبالغة في التكذيب ان كنت من الصادقين في دعواك قال ربي اعلم بما تعملون
فيجازيكم فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا ابن عباس اصابهم حر
شديد فارسل الله سحابة فهربوا اليها ليستظلوا بها فلما صاروا تحتها صيح بهم فهلكوا
وقيل اقامها الله فوق رووسهم والهبها عليهم حرا حتى ماتوا وقيل بعث الله عليهم سموما
فخرجوا الى الايكة يستظلون بها فاضرمها الله عليهم نارا فاحترقوا ويقال ان الله فتح
عليهم بابا من ابواب جهنم وارسل عليهم هدة وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا
بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا هاربا الى البرية فبعث الله سحابة
فاظلتهم فوجدوا بردها فنادي بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة القيها
الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي فصاروا رمادا
انه كان عذاب يوم عظيم اي من اعظم يوم في الدنيا عذابا ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا اخر القصص المذكوره
على الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للمكذبين به واطراد
نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم
مبالاة به بعد ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكيه او كان ابتلاهم لامر اخته
على تكذيبهم وانه لتنزيل رب العالمين الهاء ضمير القران ولم يجر له ذكر والتنزيل
بمعنى المنزل نزل به الروح الامين جبريل لانه امين على الوحي على قلبك خص
القلب لانه محل الحفظ والعلم والفهم وهو تقرير لحقيقة تلك القصص وتنبيه على

اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن لم تبلغه لا يكون
الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اريد به الروح فذاك وان اريد به العضو
فتخصيصه لان المعارف الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب
لما بينهما من التعلق ثم تصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح التخييلية وقرئ
نزل بالتشديد ونصب الروح والفاعل الله تعالى لتكون من المنذرين للناس
عما يودي الى عذاب من فعل او ترك بلسان عربي مبين اي واضح المعنى لئلا يقولوا
ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون
ممن انذر بلغة العرب وهم هود وصالح واسماعيل وشعيب ومحمد صلى الله عليه
وسلم وانه لفي زبر الاولين اي وان ذكر القرآن او معناه لفي الكتب المتقدمة
وقيل ان ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في كتب الاولين كما قال نجده ونه مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل اولم يكن لهم اي كفار مكة اية على صحة القرآن او نبوة محمد عليه
الصلاة والسلام ان يعلمه علماء بني اسرائيل اي يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم
وهو تقرير لكونه دليلا قال مجاهد علماء بني اسرائيل يعني عبد الله بن سلام وسلمان
وغيرهما ممن اسلم ابن عباس بعث اهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة يسلونهم عن
محمد فقالوا ان هذا زمانه وانا نجد في التوراة نعته وصفته فيرجع لفظ العلماء الى
كل من كان له علم بكتبهم اسلم او لم يسلم وانما صارت شهادة اهل الكتاب حجة على
المشركين لانهم كانوا يرجعون في اشياء من الدين اليهم وقرئ اية بالنصب خبر يكن
واسمها ان يعلمه علماء بني اسرائيل اي ان يكن علم علماء بني اسرائيل اية وقرئ برفعها
اسم يكن والخبر ان يعلمه ولو نزلناه على بعض الاعجمين اي على رجل ليس
بعربي وبلغة العجم فقراه عليهم اي كفار مكة بغير لغة العرب ما كانوا به
مومنين اي لما امنوا انفة وكبرا فرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فرط فهمهم

واستنكافهم من اتباع العجم يقال رجل اعجم واعجمي اذا كان غير فصيح وان كان
عربيا ورجل عجمي وان كان فصيحا ينسب الى اصله والاعجمين جمع اعجم وفيه بعد
لان ما كان من الصفات الذي مونثه فعلاء لا يجمع بالواو والنون وقيل اصله
الاعجميين ثم حذفت يا النسب وجعل جمعه بالياء والنون دليلا عليها قال
ابن جني وهو مذهب سيبويه كذلك سلكناه اي مثل ادخالنا التكذيب به
بقرآة الاعجم ادخلنا التكذيب والضمير للقرآن في قلوب المجرمين اي كفار مكة
والمراد الكفر به المدلول عليه بقوله ما كانوا به مومنين ودلت الاية انه خلق
الله تعالى وقيل المعنى ادخلنا القرآن في قلوبهم فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يومنوا
به عنادا لا يومنون به حتى يروا العذاب الاليم الملجي للايمان قيل هو الموت
فيا تيهم بغتة اي فجاءة وهم لا يشعرون بانيانه وقرئ بالتاء من فوق والمراد
الساعة واضمرت لدلالة العذاب الواقع فيها فيقولوا هل نحن منظرون اي
موخرون تحسرا وتاسفا او منظرون لنومن فيقال لهم لادل على ذلك سياق الاية
فلما استعجلوا العذاب قال الله تعالى افبعذابنا يستعجلون قيل هو قولهم
اسقط علينا حجارة من السماء او ائتنا بما تعدنا وقيل المعنى افبعذابنا يستعجلون
وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة افرايت اخبرني ان متعناهم سنين
يعني في الدنيا والمراد اهل مكة في قول الضحاك وغيره ثم جاءهم ما كانوا يوعدون
من العذاب والهلاك ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون اي لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول
في دفع العذاب او تخفيفه ويجوز ان تكون ما الاولى للاستفهام اي اي شي اغنى عنهم
فهي في موضع نصب باغنى وما الثانية في موضع رفع ويجوز ان تكون ما الثانية
للنفي لا موضع لها وما اهلكنا من قرية اي اهلها ومن صلة الا لها منذرون
اي رسل انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى اي تذكرة ومحله النصب على العلة او

المصدر لانها في معنى الانذار او صفة لمنذرون باضمار ذووا او خبر محذوف
والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار وما
تنزلت به الشياطين كما زعم المشركون انه من قبيل ما يلقى الشيطان على الكهنة
وما ينبغي لهم اي وما يصح لهم ان ينزلوا به وما يستطيعون اي وما يقدرون
انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط في صفا الذات وقبول
فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذا
لا تقبل ذلك والقران مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة
ولان الشياطين معزولون برمي الشهب فلا تدع مع الله الها آخر فتكون
من المعذبين ان فعلت الذي دعوك اليه وهو تهييج لازدياد الاخلاص وقيل
الخطاب له والمراد غيره وقيل المعنى قل لمن كفر هذا وانذر عشيرتك الاقربين
الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشانهم لهم وروي انه لما نزلت صعد الصفا
وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم
مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد واخفض جناحك
لمن اتبعك من المومنين اي الن جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه
اذا اراد ان يحط ومن للتبيين او للتبعيض على ان المراد من المومنين المشارفين او
المصدقين باللسان فان عصوك اي العشيرة ولم يتبعوك فقل لهم اني بري
مما تعملون اي مما تعملونه من عبادة غير الله او من عملكم وتوكل على العزيز الرحيم
اي فوض امرك اليه فانه العزيز الذي لا يغالب الرحيم الذي لا يخذل اولياءه يكفيك
شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرى فتوكل على الابدال من جواب الشرط الذي
يراك حين تقوم الى التهجد وتقلبك بالقيام والركوع والسجود في الساجدين
اي في المصلين وقيل المعنى وتردد في تصفح احوال المجتهدين كما روي انه لما نسخ

فرض

فرض قيام الليل كان يتردد الى بيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة
طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع من دويهم بذكر الله والتلاوة ابن عباس
تقلبك في اصلاب الآباء ادم ونوح وابراهيم حتى اخرجك نبيا انه هو السميع
لما تقوله العليم بما تشير به هل انبئكم يا كفار اهل مكة على من تنزل الشياطين
تنزل على كل افاك اثيم لما بين ان القران لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين
اكد ذلك بان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصلح ان يتنزلوا عليه وانما يكون على شرير
كذاب كثير الاثم كمسيلمة وغيره من الكهنة لما بينهما من التناسب والتوادد وحال
محمد صلى الله عليه وسلم على خلاف ذلك يلقون السمع اي الافاكون يلقون السمع
الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا واماراة لنقصان عقلهم فيضمون اليها على
حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء في الحديث الكلمة تخطفها الجني فيقرها
في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فانه
اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك
والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هو لا قل من يصدق منهم فيما
يحكي عن الجني وقيل الضمائر للشياطين اي يلقون السمع الى الملا الاعلى فيحفظون
منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم وهذا قبل ان حجبت الشياطين
عن السماء والكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت
به الملائكة اما لشرارهم او لقصور افهامهم وقلة ضبطهم وانما قال تنزل الان
الشياطين اكثر ما تكون في الهوي والافاك المختلق والاثيم الفاجر والشعرا
يتبعهم الغاوون في شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم فهم مذمومون واتباع
محمد صلى الله عليه ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقو
المر تر انهم في كل واد من اودية الكلام وفنونه يهيمون لان الكثر مقدماتهم

خيالات لاحقيقة لها والكثر كلمانهم فى التشبب والغزل والاسهاب وتمزيق الاعراض
والقدح فى الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لايستحق المدح والاطرا
فيه واليه الاشارة بقوله وانهم يقولون مالا يفعلون ابن عباس الشعراء هم الكفار
يتبعهم ضلال الانس والجن والغاوون الزائلون عن الحق ودل بهذا ان الشعر ايضا
غاوون لانهم لو لم يكونوا غاوين بما كان تباعهم كذلك الضحاك تهاجى رجلان احدهما
انصارى والاخر مهاجري على عهد النبى صلى الله عليه وسلم مع كل واحد غواة قومه
وهم السفهاء فنزلت وقيل هم الرواة للشعر وقيل فى كل واد يهيمون فى كل لغو خوضون
ولا يتبعون سنن الحق لان من اتبع الحق وعلم انه يكتب عليه ما يقوله ثبت ولم يكن هاجيا
يذهب على وجهه لا يبالى ما قال وقيل فى كل طريق مدح او هجو يجارون الحد مدحا وهجا
وانهم يقولون مالا يفعلون يعنى يدلون بكلامهم على الكرم والخير ولا يفعلونه وقيل
نزلت فى ابى عزة الجمحى حيث قال الا ابلغا عنى النبى محمدا بانك حق والمليك حميد
ولكن اذا ذكرت بدرا واهلها تاوه منى اعظم وجلود وانما جاء بذكر اية الشعراء عقب
ما قبلها للرد من قال ان القرآن مفترى فنزه الله القرآن العظيم عن صفتى الكهانة
والشعر ثم استثنى شعراء المسلمين حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن
مالك وكعب بن زهير ومن كان على طريقتهم من القول الحق فقال الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا فى كلامهم وكان اكثر اشعارهم فى التوحيد والثنا
على الله والحث على طاعته وانتصروا من بعد ما ظلموا وانما يكون الانتصار بالحق
وبما حد الله عز وجل ولو قالوا هجوا الراد وابه الانتصار بمن هجاهم ومكافاة هجا
المسلمين فليسوا مذمومين قال تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان
عليه الصلاة والسلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وقال لكعب بن مالك
اهجهم فوالذي نفسى بيده لهو اشد عليهم من النبل فان نجا وزذلك فقد انتصر

با

بالباطل وسيعلم الذين ظلموا من الشعراء وغيرهم اى منقلب ينقلبون تهديد
شديد لما فى سيعلم من الوعد البليغ وفى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى اى
منقلب ينقلبون اى بعد الموت من الايهام والتهويل وقد تلاها ابو بكر لعمر رضى الله
عنهما حين عهد اليه وقال سترى سيعلم الظالمون كيف يخلصون من بين يدى الله فالظالم
ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصرة ومعنى اى منقلب اى مصير يصيرون واى مرجع
يرجعون لان مصيرهم الى النار والفرق بين المنقلب والمرجع ان المنقلب الانتقال
الى ما هو فيه والمرجع العود من حال هو فيها الى حال كان عليها واى منصوب بينقلبون
وهو بمعنى المصدر اى ينقلبون انقلابا اى منقلب

سورة النمل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم طس الله اعلم بمراده بذلك
تلك اى هذه السورة ايات القرآن وايات كتاب مبين قيل الكتاب اللوح المحفوظ
وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو بينة للناظرين فيه وتاخيره هنا باعتبار تعلق
علمنا به وتقديمه فى سورة الحجر باعتبار الوجود وقيل القرآن وابانته لما اودع
فيه من الحكم والاحكام او لصحة باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين
على الاخرى بزيادة صفة وتنكيره للتعظيم هدى وبشرى حالان من الايات والعامل
فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران لمحذوف للمؤمنين المصدقين بالجنة الذين
يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة على وجهها وهم بالاخرة هم يوقنون اى
يعلمونها بالاستدلال والواو للحال وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته
وانهم الاوحدون فيه وتكرير الضمير للاختصاص ان الذين لا يؤمنون بالاخرة
اى لا يصدقون بالبعث زينا لهم اعمالهم قيل اعمالهم القبيحة بان جعلناها مشتهاة
للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التى وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات
عليها فلم يعملوها الزجاج جعلنا جزاءهم على كفرهم ان زينا لهم ما هم فيه فهم يعمهون

عنها مايدركون ماينتجها من ضر او نفع وقيل يتردد ون فى اعمالهم وقيل يتحيرون
فيها لقبحها عندنا اولئك الذين لهم سوء العذاب اشده كالقتل والاسر يوم بدر
وقيل جهنم وهم فى الاخرة هم الاخسرون اى اشد الناس خسرانا لفوات المثوبة واستحقاق
العقوبة وانك لتلقى القران لتؤتاه اويلقى عليك بشدة فتلقاه وتعلمه من لدن
عند حكيم عليم حكيم فيما انزل وخلق عليم بمصالح العباد ولحوالهم وجمع بينهما
مع ان العلم داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان
علوم القران منها ماهو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ماهو علم كالقصص والاخبار
عن المغيبات ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم بقوله اذ قال موسى لاهله زوجته
عند مسيره من مدين الى مصر انى انست نارا اى اذكر قصته اذ قال وانست نارا
ابصرتها من بعد والاصل رايت نارا فآنستنى فنقل فعل الايناس الى نفسه على معنى
وجدت النار مونسة والايناس الاحساس بالشى مع سكون النفس اليه سآتيكم
منها بخبر اى عن حال الطريق لانه قد ضله واراد امكنوا مكانكم وجمع الضمير مع انه لم يكن
معه غير امراته لما كنى عنها بالاهل وفى السير دلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان
وان ابطا او اتيكم بشهاب قبس اى شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه
لانه بمعنى المقبوس والشهاب كل ذى نور كالكوكب والعود الموقد والمعنى بشهاب
من قبس ابو عبيدة الشهاب لنار احدبن يحيى اصل الشهاب عود فى احد طرفيه جمرة
والاخر لا نار فيه والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجى فى طه
الترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احداهما تبنا على ظاهر الامر وثقة بعادة
الله انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لعلكم تصطلون اى رجاء ان تستدفئوا
بها من البرد والبعد لا النار العظيمة فلما جاءها اى جاء موسى الذى ظن انه نار وهى نور
نودى ان بورك من النار ومن حولها الزجاج ان فى موضع نصب اى بان الخبر

قال بورك من فى النار ولم يقل بورك على النار على لغة من يقول باركك الله ويقال
باركه الله وبارك له وبارك عليه وبارك فيه بمعنى فهو متعد بنفسه وبالحرف
والمعنى بورك على من فى النار وهو موسى اى على من فى قرب النار لانه كان فى وسطها
السدى كان فى النار ملآئكة فالتبريك عآئد على موسى والملآئكة اى بورك فيك يا موسى
وفى الملآئكة الذين هم حولها وهذا تحية من الله لموسى وتكرمة وتصدير الخطاب بذلك
بشارة بانه قد قضى له امر عظيم تنتشر بركته فى اقطار الشام وقيل المعنى من فى
مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة فى قوله تعالى بوادى من شاطئ الوادى الايمن
فى البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عآم فى كل من فى ذلك الوادى وحواليه
من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبيآء وبقاياهم احيآء واموآتا وخصوصا
تلك البقعة التى كلم الله فيها موسى وسبحان الله رب العالمين من تمام مانودى به ومعناه
تنزيه الله تعالى اياتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة ذلك الامر يا موسى
انه انا الله العآلى الشان وانا الله جملة مفسرة له العزيز الحكيم مفتاذ نبه مهدتان
لما اراد ان يظهره يريد انا القوى القادر على مايبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفآعل
لكل مايفعله لحكمة وتدبير والق عصاك عطف على بورك اى نودى ان بورك
وان الق فالقاها فلما راها تهتز اى تتحرك باضطراب كانها جآن حية خفيفة
سريعة وقيل الفا قلبت اولا حية صغيرة فلما انتبهت قلبت حية كبيرة وقيل
قلبت مرة حية صغيرة ومرة حية تسعى ومرة ثعبانا وهو الذكر الكبير من
الحيات ولى مدبرا خآئفا على عادة البشر ولم يعقب اى ولم يرجع من عقب
المقاتل اذا كر بعد الفر وانما رعب لظنه ان ذلك اريد به ويدل عليه قوله
تعالى يا موسى لا تخف اى من غيرى ثقة بى او مطلقا لقوله انى لا يخاف
لدى المرسلون حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق اولا يكون لهم عندى

سوء عاقبة فنجا فوا منه وتم الكلام ثم استثنى استثناء منقطعا فقال الا من ظلم ثم
بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم استدرك به ما يختلج فى الصدور من نفى
الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة ويستحقون من الله مغفرة ورحمة وقصد
تعريض موسى بوكزه القبطى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا يخاف لدى المرسلون
وانما يخاف غيرهم ممن ظلم الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانه لا يخاف وقيل الاستثناء
متصل والمعنى الا من ظلم من المرسلين بإتيان الصغائر التى تحاسب عليها من عصى منهم فاستثنى
فقال الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء اى فانه يخاف اى وان كنت قد غفرت له لا ترتخشى
كالذى فرط من آدم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف وموسى بوكزه القبطى فان
قيل فما معنى الخوف بعد التوبة والمغفرة فالجواب ان الخوف سبيل العلماء بالله ان يكونوا
على انفس ما صدر منهم وجليل البكرى لا يخاف لدى المرسلون اى عندى والمراد لا يخافون
من المخلوقات اما الخوف منه الذى هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم انا اعلمكم بالله واخوفكم منه ثم الطبع البشرى داع للخوف فالمراد بنفيه عدم
الالتفات لما يرد فى الخاطر منه وخص المرسلين لان الكلام مع موسى وهو من اجلهم
والافكل نبى كذلك الا اى لكن من ظلم نفسه من الناس ثم بدل حسنا اتاه بعد سوء
بان تاب بعد العصيان فانى غفور رحيم اغفر له وارحمه وقيل الا بمعنى الواو اى
لا يخاف لدى المرسلون ولا من ظلم نفسه ثم بدل حسنا بعد سوء اى فاذا كان كذلك
فلا يخاف واد خل يدك فى جيبك طوق القميص لانه كان مدرعة صوف لا كم
له وقيل الجيب القميص لانه يجاب اى يقطع تخرج بيضا لها شعاع يغشى البصر
من غير سوء اى آفة كبرص وفى الاية احتباك والتقدير واد خل يدك تدخل غير
بيضا واخرجها تخرج بيضا فحذف من الاول تدخل غير بيضا ومن الثانى واخرجها
فى تسع ايات اى فى جملتها او معها على ان التسع هى فلق البحر والطوفان والجراد

والقمل

والضفادع والدم والطمس والجدب فى بواديهم والنقصان فى ثمارهم ولمن
عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدة ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به
الى فرعون المهدوى المعنى التى عصاك وادخل يدك فى جيبك فهما اثنتان من تسع
ايات ففى بمعنى من لقربها منها الى فرعون وقومه متعلق بنحو مبعوثا او مرسلا
انهم كانوا قوما فاسقين كان صلة فلما جاءتهم اياتنا بان جاءهم بها مبصرة اى واضحة
بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر
نفسها لو كانت مما تبصر او ذات بصر او مبصرة كل من نظر اليها وتامل فيها قالوا هذا
سحر مبين اى واضح سحريته وجحدوا بها اى كذبوا بها والفرق بين الجحد والنفى
ان النافى ان كان صادقا سمى كلامه نفيا ولا يسمى جحدا وان كان كاذبا سمى جحدا ونفيا
فكل جحد نفى وليس كل نفى جحدا واستيقنتها انفسهم اى تيقنوا انها من عند الله
وانها ليست سحرا والواو للحال وقد مقدرة ظلما لانفسهم وعلوا اى ترفعا عن الايمان
وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المفسدين التى
علمتها من اهلاكهم وهو الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الاخرة ولقد اتينا داود وسليمان
ابنه علما اى طائفة من العلم والشرائع وقيل فهما وقيل النبوة والزبور وغيرهما
وقالا الحمد لله عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتياه فى مقابلة هذه النعمة
كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله الذى فضلنا بالنبوة على كثير من
عباده المومنين فيه دليل على فضل العلم وشكر اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه
اساس الفضل ولم يعتبرا ما دونه من الملك الذى لم يونته غيرهما وتحريض للعالم ان
يحمد الله على ما اتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد
فضل عليه كثير وورث سليمان داود النبوة والعلم وقيل الملك الكلى
كان لداود تسعة عشر ولدا ذكورا فورث سليمان من بينهم نبوته وملكه ولو

كان وراثة المال لكانوا فيه سواء وقال يا ايها الناس اي قال سليمان لبني اسرائيل
على جهة الشكر لنعم الله علمنا منطق الطير اي تفضل الله علينا على ما ورثنا من داود
من النبوة والخلافة في الارض فهمنا من اصوات الطير المعاني التي في نفوسها وهو
دعا الناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير والنطق والمنطق في
التعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق كل ما يصوت به
على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد
ولعل سليمان عليه السلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي
صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال
بقوله اذا اكلت نصف تمرة فعلي الدنيا العفا وصاحت فاختة فقال انها تقول
ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة
عن مقاساة شدة وتالم قلب وقال كعب صاح ورشان عند سليمان فقال
اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول للموا للموت وابنوا للخراب وصاح عنده
طاووس فقال انه يقول كما تدين تدان وصاح عنده هدهد فقال انه يقول من لا يرحم
لا يرحم وصاحت عنده طيطوحه فقال انها تقول كل حي ميت وكل جديد بال
وصاحت خطافه فقال انها تقول قدموا خيرا تجدوه والحمامة تقول سبحان ربي الاعلى
عدد ما في سمواته وارضه والغراب يقول اللهم العن العشار والقطاة تقول من
سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه وفي الحديث الديكة تقول اذكروا الله
يا غافلين وعن الحسن بن علي النسر اذا صاح يقول يا ابن ادم عش ما شئت فآخرك
الموت والعقاب يقول في البعد عن الناس الراحة والخطاف اذا صاح يقر الحمد
لله رب العالمين الى آخرها ثم يقول ولا الضالين ويمد بها صوته كما يمد القاري
واوتينا من كل شئ اي من كل شئ نبا اليه حاجه من النبوة والعلم والحكمة

والمال وتسخير الجن والانس والطير والرياح والوحش والدواب وغير ذلك من
عظائم ما اوتيه والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه اوله وحده على عاده الملوك
لمراعاة قواعد السياسة ان هذا لهو الفضل المبين الذي لا تخفى على احد
وحشر اي وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم
يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا قيل كان معسكره مائة فرسخ في
مائة وخمسة وعشرون من الجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير
وخمسة وعشرون للوحش قتادة كان لكل صنف وزعة في رتبتهم ومواضعهم
من الكراسي ومن الارض وروي ان الشياطين نسجت له بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا
في ابريسم وكان يوضع له كرسي من ذهب وحوله ثلاثة الاف كرسي من ذهب و فضه
فتقعد الانبيا على كراسي الذهب والعلما على كراسي الفضه وكان له الف بيت من
قوارير على الخشب فيها ثلثمائة سرية وسبعمائة سرية ابن عطيه اختلف في
عسكره ومقدار جنده اختلافا شديدا غير ان الصحيح ان ملكه كان عظيما ملا الارض
وانقادت له المعمورة كلها حتى اذا اتوا على وادي النمل وادبا بالشام كثير النمل
وقيل بالطائف وتعدية الفعل بعلى اما لان اتيانهم كان على اولان المراد
قطعه من قولهم اتى على الشئ اذا تعداه وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا الخبر
الوادي قالت نملة ملكة النمل قال للشعبي كان للنملة جناحان فهي من الطير فلذلك
علم منطقها وقال كعب مر سليمان بوادي السدين من اودية الطائف فاتى على
وادي النمل فقالت نملة وهي تمشي وكانت عرجا اسمها شكاوس مثل الذئب في
العظم فنادت يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم اتى بضمير من يعقل لانه وصفها
بصفة من يعقل مع انه لا يمتنع خلق الله فيها العقل والنطق الزمخشري
سمع سليمان كلامها من ثلاثة اميال وقيل اسمها وقيل ان الله كان امر الريح

طاجيه

ان لا يتكلم احد الا تقلته اليه فحبس جنده حين اشرف على واديهم ودخلوا بيوتهم وكملوا
ركبانا ومشاة فى هذا المسير ويقال ان النملة قالت لقومها هل عندكم من شئ
نهديه الى نبى الله سليمان قالوا وما قدر ما يهدى له ما عندنا الا نبقة واحدة
قالت حسنه ايتونى بها فحملتها بفيها وانطلقت بخرها واقبلت تشق الجن والانس
والانبيا والعلما على البساط حتى وقفت بين يديه ووضعتها من فيها وقالت

الم ترنا نهدى الى الله ماله وان كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان نهدى للجليل بقدره لاقصر عنك البحر يوما وساحله
ولكنا نهدي الى من نحبه فيرضى به عنا ويشكر فاعله
وماذاك الا من كريم فعاله والا فما فى ملكنا ما يشاكله

لا يحطمنكم يكسرنكم سليمان وجنوده نهى لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف
بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك ها هنا فهو استيناف او بدل من الامر لا جواب له
فان النون لا تدخله فى الاختيار وكانها لما رات انهم متوجهين الى الوادى فزعت عنهم
مخافة حطمهم وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها
شعرت عصمة الانبيا من الظلم والايذا وقيل استيناف اى والقوم وسليمان لا يشعرون
ويجوز ان يكون حالا من سليمان وجنوده والعامل فيه يحطمنكم او حالا من النمل
والعامل قالت ذلك فى حين غفلة الجنود التعلبى ورايت فى بعض الكتب ان سليمان
قال لهامم حذرت النمل اخفت ظلمى فقالت يا نبى الله اما سمعت قولى وهم لا يشعرون
مع انى لم ارد حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب خشيت ان يتمنين مثل
ما اعطيت او يفتتن بالدنيا او يشتغلن بالنظر الى ملكك عن التسبيح والذكر فقال
لها سليمان عظينى فقالت هل علمت لم سمى ابوك داود قال لا قالت لانه داوى
جرحه فودا هل علمت لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم الناحية على

ما اوتيت لسلامة صدرك وان لك ان تلحقى بابيك اتدرى لم سخر الله لك الريح قال
لا قالت اخبرك ان الدنيا كلها ريح وقد جمعت هذه الايه احد عشر نوعا من الكلام
نادت وكنت وبنيت وسمت وامرت ونصت وحذرت وخصت وعممت واشارت
وعذرت فالندا والكناية اى والتنبيه ها والتسمية النمل والامر دخلوا
ولعل النص مساكنكم والتحذير لا يحطمنكم والتخصيص سليمان والتعميم جنوده
والاشارة هم والعذر لا يشعرون فادت خمس حقوق حق الله وحق رسوله
وحقها وحق رعيتها وحق جنود سليمان فتبسم سليمان ابتدا ضاحكا انتها
من قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما
خصه الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سال الله توفيق شكره وقال
رب اوزعنى ان اشكر نعمتك اى اجعلنى اذع شكر نعمتك اى الفه وارتبطه
بحيث لا انفك عنه التى انعمت بها علىّ وعلى والدىّ ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا
للنعمة او تتميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه وقيل المعنى الهمنى شكر نعمتك وا
من وزع فكانه قال كفنى عما يسخطك وان اعمل صالحا ترضاه تماما للشكر وا
للنعمة وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين اى فى عدادهم الجنة وهم الانبيا وتفقد
الطير اى وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد والتفقد تطلب ما غاب عنك وتفقد
الطير كان بحسب ما تقتضيه العنايه بامور الملك والاهتمام بكل خرد منه وقيل ان
تفقد الطير لان الشمس دخلت من بوضح الهدهد حين غاب وقيل لانه احتاج الى
معرفة الما على كم هو من وجه الارض لان الهدهد كان يرى باطن الارض وكان يخبر
سليمان بموضع الما ثم كانت الجن تخرجه فى ساعة تسلح عنه وجه الارض فقال
مالى لا ارى الهدهد اى ما للهدهد لا اراه فهو من العقلب الذى يعرف معناه
وقيل لانه اعتبر حال نفسه اذ علم انه اوتى الملك العظيم وسخر الخلق فقد لزمه حق

الشكر باقامة الطاعة وادامة العدل فلما فقد نعمة الهدهد توقع ان يكون
قصر في حق الشكر فلاجله سلبها فجعل يتفقد نفسه فقال تعالى ام كان من الغائبين
كانه لم ير ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال تعالى لا ارى ثم لاح له انه
غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسال عن صحة ما لاح
له وقيل الاستفهام للتعجب لانه كان لا يغيب عن سليمان الا باذنه فلما لم
يبصره فكانه تعجب من حال نفسه في عدم ابصاره فلما تحقق غيبته قال
لاعذبنه عذابا اي لعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه ليعتبر به اقرانه جنسه وفيه
دليل على ان الحد على قدر الذنب لا على قدر الجسد روي ان تعذيبه له بان ينتف
ريشه اجمع ويرميه في الشمس فلا يمتنع على الهوام وكان الله اباح له ذلك كما
اباح ذبح الطير للاكل وقيل تعذيبه بان يجعله مع اضداده وقيل يلزمه خدمة
اقرانه وقيل ايداعه القفص وقيل يبعده عن خدمته والملوك يودبون بالهجران
وقيل بتفريق الفه وروي انما صرف الله عنه شر سليمان لانه كان بارا بابويه
او ليأتيني بسلطان مبين اي بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد
الاولين بتقدير عدم الثالث وليست اللام في ليأتيني لام القسم لان سليمان
لا يقسم على فعل الهدهد ولكن لما جاء في اثر قوله لاعذبنه وهو مما جاز به القسم
اجراه مجراه فمكث بضم الكاف وفتحها غير بعيد اي زمانا غير مديد يريد
به الدلالة على السرعة وجوده حوفا منه ويحتمل ان يكون الضمير لسليمان
والمعنى بقي بعد التفقد والوعيد غير طويل وذكر في القصة ان سليمان ارسل
بعض الطيور في طلب الهدهد فقال له ويلك ان نبي الله قد توعدك فقال
اما استثنى فقال نعم فنتف ريشه وصار كانه قطعة لحم ثم قال لهم ادخلوني عليه
فلما وقف بين يدي سليمان وهو بتلك الحالة قال يا نبي الله اذكروفي بين

يديك وتوفك عذابين يدي الله فبكى سليمان ثم سأله عما لقي في غيبته فقال
احطت بما لم تحط به اي علمت ما لم تعلمه من الامر ففي الكلام حذف اي فجاء
فقال احطت بما لم تحط به يعني حال سبا وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على
ان في ادنى خلق الله من احاط علما بما لم يحط به لتحاقر اليه نفسه وجئتك من سبا
قرئ مصروفا على انه اسم رجل نسب اليه قوم وانكره الزجاج وقال سبا اسم
مدينة بينها وبين صنعاء ثلاثة ايام وقرئ غير مصروف على انه تاويل القبيلة
او البلدة بنبإ يقين اي بخبر محقق اني وجدت امرأة تملكهم اي ملكتهم
يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لاهل سبا وروي ان احد
ابويها كان من الجن واوتيت من كل شيء تحتاج اليه الملوك من الالات والعدد
ولها عرش سرير عظيم عظمته بالنسبة اليها او الى عروش امثالها قيل كان من
ذهب ابن عباس طوله ثمانون ذراعا وعرضه اربعون وارتفاعه في السماء ثلاثون
مكلل بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوائمه من الياقوت والزبرجد عليه
سبعة بيوت على كل بيت باب مغلق ابن اسحاق وكان يجذبها الشمال وكان لحذ مثلها
ستمائة امرأة وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله قيل كانت
هذه الامة ممن يعبد الشمس وقيل كانوا مجوسا يعبدون الانوار وزين لهم
الشيطان اعمالهم عبادة الشمس وغيرها من قبائح اعمالهم وما هم فيه من الكفر
فصدهم عن السبيل اي طريق الحق والصواب فهم لا يهتدون الى انه الا يسجدوا
اي فصدهم لان لا يسجدوا او فزين لهم الشيطان الا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم
او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة وقرئ الا يا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء
ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض
ويعلم ما يخفون في قلوبهم وما يعلنون بالسنتهم وصف له بما يوجب اختصاصه

باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدره والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد
لغيره والخب مصدر بمعنى المخبى وهو ما خفى فى غيره واخراجه اظهاره وهو يعم
اثرا والكواكب وانزال الامطار وانبات النبات واخراج الكنوز الله لا اله الا
هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها المحيط بجملتها بين العظمتين
بون عظيم وهو استينا فى جملة ثنا مشتمل على عرش الرحمن فى مقابلة عرش بلقيس
قال سليمان للهدهد سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين اى من هذا
النوع فهو ابلغ من ام كذبت والتغيير للمبالغه ومحافظة الفواصل وفيه من الدلالة
على العراقه فى الكذب ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبد الله سليمان بن داود الى
بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلو
على وائتونى مسلمين فلما كتبه طيبه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب
بكتابى هذا فالقه اليهم بلقيس وقومها ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب
تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون اى ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول او
يردون من الجواب وروى ان الهدهد اخذ الكتاب واتى به بلقيس وكانت بارض يقال
لها مأرب قريبة من صنعا فوجدها فى قصر داخل وقد غلقت الابواب فالقى الكتاب
على كوتها وقيل دخل من منقاره حتى وقف على راسها وحولها جنودها فالقاه اليها
وقيل كان لها كوة تبصر منها الشمس فجاء فسدها بجناحه فقامت لتبصر الشمس
فالقى اليها الكتاب فلما قرأته ارتعدت وقالت لاشراف قومها يا ايها الملا انى
القى اليى كتاب كريم لكثرة مضمونه من لين القول والموعظة فى الدعا الى عبادة الله تعالى وحسن
الاستعطاف اولان مرسله كريم او كان مختوما وكرامة الكتاب ختمه او لغرابة
شانه وقيل لانه بدا بنفسه ولا يفعل ذلك الا الجله انه من سليمان استيناف

كانه

كانه قيل لها من هو وما هو فقالت انه اى الكتاب او العنوان من سليمان وانه
اى المكتوب او المضمون وقرئا بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه بسم
الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا على اى ان مفسرة او مصدريه فتكون بصلتها خبر
محذوف اى هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل من كتاب وائتونى مسلمين اى
مومنين او منقادين وهذا كلام فى غاية الوجازه مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله
على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا والتزاما والنهى عن الترفع
الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع للمهات الفضائل قيل وانما قدم سليمان
اسمه على اسم الله لانه عرف ان بلقيس تعرف اسمه دون اسم الله فخاف انها تستخف
باسم الله قالت يا ايها الملا افتونى فى امرى اى بينوا لى ما افعل واذكروا ماذا
تستصوبون فيه ما كنت قاطعة امرا اى ما اتيت امرا او امضيت الحكم فيه حتى
تشهدون اى الا بحضركم استعطفتهم بذلك ليميلوها على الاجابه فاشاروا الى
الحرب بقولهم نحن اولوا قوة بالاجساد والعدد واولوا باس شديد اى بجاده
وشجاعه والامر اليك اى موكول او منته اليك فانظرى ماذا تامرين من القتال
والصلح نطعك ونتبع رايك قالت بجيبة لهم عن تعرضهم للقتال ان الملوك اذا
دخلوا قرية اى عنوة افسدوها اى خربوها وهو تزييف لما احست منهم من
الميل الى المقاتله بادعائهم القوى الذاتيه والعرضيه واشعارها بانها ترى الصلح مخافة
ان يتخطى سليمان خططهم فيدعوا الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب
سجال لا تدرى عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اى اشرافهم اذلة بنهب اموالهم
وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون تاكيد لما
وصفت من جالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم الثابته المستمره او هو تصديق لها
من الله عز وجل وانى مرسلة اليهم بهدية بيان لما ترى تقديمه فى المصالحة والمعنى

انى مرسلة اليهم رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكى فناظرة ثم يرجع المرسلون
من حاله حتى اعمل بحسب ذلك من قبول الهدية او ردها ان كان ملكا قبلها
او نبيا لم يقبلها روى انها بعثت مسهر بن عمرو ذى وفد وارسلت معهم غلمانا
على زى الجوارى وجوارى على زى الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة
الثقب وقالت ان كان نبيا يميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستوى
وسلك فى الجزعة خيطا قيل وارسلت له ثلاث لبنات من ذهب كل لبنة مائة رطل
فلما وصلوا الى معسكره وراوا عظيم شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا
بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال امر ارضة فاخذت شعرة ونفذت فى الدرة
وامر دودة بيضا فاخذت الخيط ونفذت فى الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ
الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام ياخذ الماء بيديه يضرب
به وجهه ثم رد الهدية وقيل انها ارسلت خمسمائة لبنة من الذهب وتاجا مكللا
بالجوهر ومسكا وعنبرا وغير ذلك واسرع الهدهد الى سليمان يخبره بالخبر فامر
ان تضرب لبنات الذهب والفضة وان تبسط فى موضع الى تسعة فراسخ بيدانا
وان يبنوا حوله حائطا مشرفا من الذهب والفضة وان يوتى باحسن دواب البر
والبحر مع اولاد الجن عن يمين الميدان وشماله فلما جاء سليمان اى الرسول او
ما اهديت اليه قال اتمدونني بمال خطاب للرسول ومن معه فما اتانى الله من
النبوة والملك الذي لا مزيد عليه خير مما اتاكم من الدنيا فلا حاجة الى هديتكم
ولا وقع لها عندي بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من
الحياة الدنيا تفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا
على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتقليله الى بيان السبب الذي
حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم فى قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع اليهم

ايها الرسول الى بلقيس وقومها بما اتيت به من الهدية فلنا تينهم بجنود لا قبل
لهم بها اى لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها ولنخرجنهم منها اى من
سبا اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون اى اسرى مهانون اى
ان لم ياتوا مسلمين فلما رجع الرسول اليها بالهدية جعلت سريرها داخل سبعة
ابواب داخل قصرها وهو داخل سبع قصور واغلقت الابواب وجعلت عليها حراسا
وتحرزت للمسير الى سليمان لتنظر ما يامرها به وارتحلت فى اثنى عشر الفا قيل مع كل
قيل الوف كثيرة الى ان قربت منه على فرسخ وعلم بها قال يا ايها الملا ايكم ياتينى
بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله به من العجائب الدالة على عظيم القدرة
وصدقه فى دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها انه ذكر له انه عظيم فاراد اخذه
قبل ان يعصمها وقومها الاسلام ويدل على ذلك قوله قبل ان ياتونى مسلمين فانها
اذا اتت مسلمة لم يحل اخذ الا برضاها وقيل اراد ان يختبر صدق الهدهد فى قوله ولها
عرش عظيم قال عفريت اى جبيث مارد وقيل هو القوى الشديد من الجن بيان له
لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعقر اقرانه واسمه كودن وقيل ذكوان وعن ابن عباس
انه صخر الجنى انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك يعنى مجلسه الذي يحكم فيه
وكان يجلس للقضا الى نصف النهار وانى عليه اى على حمله لقوى امين على ما فيه
من الجواهر وغيرها لا اختزل منه شيا ولا ابدله قال سليمان اريد اسرع من ذلك قال
الذي عنده علم من الكتاب اكثر المفسرين على انه آصف بن برخيا من بنى اسرائيل
وكان وزيره وحفظ اسم الله الاعظم قالت عائشة رضى الله عنها قال النبى صلى الله عليه
وسلم ان اسم الله الاعظم الذي دعا به اصف يا حى يا قيوم قيل وهو بلسانهم اهيا
شراهيا الزهرى قال يا الهنا واله كل شى الها واحدا لا اله الا انت ايتنى بعرشها
قبل ان يرتد اليك بصرك قال بجاهد قال يا الهنا واله كل شى يا ذا الجلال والاكرام وقيل الذي

عنده علم من الكتاب الخضر وقيل جبريل او ملك وقيل سليمان نفسه فيكون
التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطا
في انا اتيك به **قبل ان يرتد اليك طرفك** للعفريت كانه استبطاه فقال له
ذلك اوراد اظهار معجزة في نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه ياتي له ما لا يتاتى
لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم وقيل دليل على انه اقتدر عليه بقوة العلم والمراد
بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه
والمعنى انك ترسل طرفك نحو شئ فقبل ان يرتد احضر عرشها بين يديك وهذا
غاية في الاسراع فلما راه اي راى العرش **مستقرا عنده** اي حاصلا بين يديه غير
متزلزل وليس بمعنى الحصول المطلق اذ لو كان كذلك لم يذكر **قال** تلقيا للنعمة بالشكر
على شاكلة المتخلصين من عباد الله **هذا** النصر والتمكن من احضار العرش في مدة ارتداد
الطرف من مسيرة شهرين **بفضل ربي** تفضل به علي من غير
استحقاق وروي انه قال يا نبي الله امدد بصرك نحو اليمن فمده فاذا بالعرش بين
يديه قال مالك كانت باليمن وسليمان بالشام فحملته الملائكة تخدون به الارض حتى
انخرقت بالسرير بين يدي سليمان وذلك غير مستحيل لان الاستحالة مدفوعة بما
ثبت عند علماء الهندسة من ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين كرة الارض
مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من
ثانية وقد برهن في علم الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله تعالى قادر
على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في عرش بلقيس او فيما يحمله
وقد مر مثله في اسراء صلى الله عليه وسلم بجسده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
الى سدرة المنتهى في اقل زمان **ليبلوني** ليختبرني **اشكر** بان اراه فضلا من الله تعالى
بلا حول مني ولا قوة واقوم بحقه **ام اكفر** اي احدث نفسي او اقصر في اداء واجبه

ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يستجلب لها دوام النعمة ويزيدها ويحيط عنها
الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران **ومن كفر** النعمة **فان ربي غني** عن الشكر **كريم**
بالانعام عليه ثانيا **قال نكروا لها عرشها** بتغيير هيئته وشكله الى حال تنكر اذا
رأته **ننظر** جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف **اتهتدي** ام **تكون من الذين**
لا يهتدون الى معرفته او الى الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رات تقدم
عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحرس الفرا انما انر تنكيره
لان الشياطين قالوا له ان في عقلها شيا فاراد ان يمتحنها فغيروه بزيادة او نقص
او غير ذلك **فلما جاءت** بلقيس **قيل لها اهكذا عرشك قالت كانه هو** شبهته
به ولم تقل هو هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها وقيل عرفته ولكن
شبهت عليهم كما شبهوا عليها ولو قيل لها اهذا عرشك لقالت نعم **واوتينا العلم**
من قبلها وكنا مسلمين قيل هو من تتمة كلام بلقيس كانت طنت انه اراد اختبار
عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه
الحالة او المعجزة بما تقدم من الايات وقيل انه كلام سليمان او قومه عطفوه على جوابها
لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها بتجويز
غالبا واحضاره ثم من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله تعالى ولا تظهر الا على ايدي الانبيا
اي واتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جا من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم تزل
على دينه ويكون غرضهم التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا له وقيل
المعنى واوتينا العلم باسلامها وبجيئها طائعة من قبل مجيئها **وصدها ما كانت**
تعبد من دون الله اي ومنعها عبادتها الشمس من التقدم الى الاسلام اي انها
عاقلة وانما صدها عن عبادة الله عبادتها الشمس لانها كانت عبادة اباءها فما على
هذا في موضع رفع او صدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان او صدها سليمان

عما كانت تعبده من دون الله اي حال بينها وبينه فحذفت عن وتعدى الفعل
ونظيره واختار موسى قومه اي من قومه **انها كانت من قوم كافرين**
وقرى بالفتح على الابدال من ها على الاول اي صدها نشأها بين اظهر الكافرين
او التعليل له **قيل لها ادخلي الصرح** اي القصر وقيل عرصة الدار والتقدير
عند سيبويه ادخلي الى الصرح قيل كان صحنا من زجاج ابيض شفاف واجرى
من تحته الماء والقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره وجلس عليه
ليريها ملكا اعظم من ملكها وقيل انما امر سليمان ببنا الصرح المذكور ليختبر بذلك
عقلها كما اختبرته بالغلمان والوصائف او قيل له ان ساقيها ورجليها كقدمي حمار
فلما رأته حسبته لجة من الماء **وكشفت عن ساقيها** وقرى بالهمز **قال انه**
اي ما تظنينه ماء **صرح ممرد** اي ملس **من قوارير** اي زجاج فلما راى سليمان
قدميها قال لناصحه من الشياطين كيف لي ان اقلع هذا الشعر من غير مضرة
بالجسد فدله على عمل النوره فكانت النوره والحمامات من يومئذ وروي ان
سليمان كان في صدر المجلس فلما كشفت عن ساقيها راى ساقيها وقدميها حسانا
قال انه صرح ممرد الى اخره ودعاها الى الاسلام **قالت رب اني ظلمت نفسي**
بعبادتي الشمس وبظني بسليمان فانها حسبت انه يغرقها في اللجه **واسلمت**
كائنة **مع سليمان لله رب العالمين** فيما امر به عباده وروي ان سليمان كان
تزوجها واسكنها الشام وقيل تزوجها وردها الى ملكها باليمن وكان يأتيها كل شهر
مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام فولدت له غلاما سماه داود مات في زمانه وهي
بلقيس بنت الشرح بن الهدهد بن شراحيل بن ادد بن الشرح بن قيس بن صيفي
ابن شبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن غابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام
ابن نوح وقيل بل زوجها من ذي رعين ملك همدان فالله اعلم وانقضى ملكها بانقضا

ملك

ملك سليمان وروي انه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنه ومات وهو ابن ثلاث وخمسين
سنه وسبحان من لا انقضا لدوامه ملكه **ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم** في النسب
صالحا ان اعبدوا الله اي بان اعبدوه وحده **فاذا هم فريقان يختصمون** مجاهد
مومن وكافر والخصومة ما قصه الله تعالى في قوله اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه
الى قوله كافرون والواو لمجموع الفريقين **قال** للمكذبين **يا قوم لم تستعجلون بالسيئة**
قبل الحسنة مجاهد بالعذاب قبل الرحمة والمعنى لم توخرون الايمان الذي يجلب
لكم الثواب وتقدمون الكفر الذي يوجب العقاب وكان الكفار يقولون لفرط الانكار
ائتنا بما تعدنا **لولا تستغفرون الله** اي هلا تتوبون الى الله من الشرك فلولا للتخضيض
وهو طلب بحث اي استغفروه ولابد **لعلكم ترحمون** قبل نزول العقاب بقبولها
قالوا اطيرنا بك وبمن معك من المومنين اي تشاءمنا او تتابعت علينا الشدايد
او وقع بيننا الافتراق مذ اخترعتم دينكم **قال طائركم** اي سببكم الذي جاء منه شومكم
عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده والشوم النحس ولا شي اضر بالراي ولا
افسد للتدبير من اعتقاد الطيره ومن ظن ان خوار بقره او نعيق غراب يرد قضا
او يدفع مقدورا فقد جهل قال الشاعر طيرة الدهر لا ترد قضا فاعذر الدهر لا تشنه
اي يوم تخصه بسعود والمنايا ينزلن في كل يوم ليس يوم الا وفيه سعود
ولخوس تجري لقوم وشوم وقد كانت العرب اكثر الناس طيرة وكانت اذا اراد احدهم
سفرا فنفرت طائرا فان طار يمنة سار وتيمن وان طار سانحة رجع وتشاءم
فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال اقروا الطير في وكناتها قال ابن الاثير
كان الرجل منهم اذا خرج مسافرا فمر بطائر وزجره فان مر سانحا تيمن وان مر
بارحا تشاءم والسانح ما مر من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك
الى يمينك والعرب تتيامن به لانه امكن للرمي والصيد والبارح ما مر بين يمينك

الى يسارك والعرب تتطير به لانه لا يمكنك ان ترميه حتى تنحرف انتهى ويقال انه لما
جاءهم صالح اصابتهم مجاعة فتشاءموا به **بل انتم قوم تفتنون** تختبرون بالتعاقب السراء
والضراء **وكان في المدينة تسعة رهط** اي مدينة صالح وهي الحجر تسعة نفر من
ابنا اشرافهم وهو اسم للجمع فلذلك اضيف تسعة اليه الضحاك كانوا عظما المدينة
وكانوا **يفسدون في الارض** بالمعاصي **ولا يصلحون** اي شانهم الافساد الخالص
عطا ابن ابي رباح بلغني انهم كانوا يقرضون الدنانير وذلك من الفساد وقيل كانوا
يتبعون عورات النساء ولا يستترون عليهم والرهط اسم الجماعة فكانهم كانوا رؤساء يتبع
كل واحد رهط واختلف في اسمائهم فقيل قدار بن سالف ومصدع واسلم ودهما ودهيم
ودعمي ودعيم وقبال وصداف قال ابن اسحاق وراسهم وقدار ومصدع واتبعهم
سبعة هويلع بن ميلع ودعين بن عيم ودواب بن مهرج واربعة لم تحفظ اسماؤهم
وكانوا بالحجر من ارض الشام **قالوا** اي قال بعضهم لبعض **تقاسموا بالله** يجوز ان
يكون تقاسموا فعلا مستقبلا وهو امر اي احلفوا وان يكون ماضيا في معنى كانه قال
قالوا متقاسمين بالله **لنبيتنه** اي لنبغتن صالحا واهله اي من آمن به ونقتلهم
ليلا وقرئ بالتاء من فوق على خطاب بعضهم لبعض **ثم لنقولن لوليه** اي ولي دمه
ما شهدنا ما حضرنا **مهلك اهله** فضلا عن ان نتولى اهلاكهم وهو يحتمل المصدر
والزمان والمكان وكذا في قراءة من كسر اللام كمرجع فانه جا مصدرا ومن فتح اللام
فهو مصدر **وانا لصادقون** في انكارنا لقتلهم **ومكروا مكرا** بهذه المواضعة
ومكرنا مكرا اي جازيناهم بتعجيل عقوبتهم بان جعلناها سببا لاهلاكهم **وهم**
لا يشعرون بذلك روي ان هؤلاء التسعة لما كان في صدر الليلة ايام بعد عقر
الناقة وقد اخبرهم صالح بمجيء العذاب اتفقوا واتحالفوا على ان يأتوا دار صالح ليلا
فيقتلوه واهله المختص به او من آمن معه قالوا فان كان كاذبا في وعيده اوقعنا

به ما يستحق وان كان صادقا كنا عجلناه قبلنا وشفينا نفوسنا ابن عباس ارسل الله
عليهم الملائكة تلك الليلة فامتلأت بهم دار صالح وابى التسعة الى داره شاهرين
سيوفهم فقتلهم الملائكة رضخا بالحجارة وقيل كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي
فيه فقالوا نرصد انه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فذهبوا الى
الشعب ليقتلوه فوقعت عليهم صخرة وسدت فم فهلكوا ثم وهلك الباقون في اماكنهم
بالصيحة كما اشار اليه قوله **فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم**
اجمعين وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استيناف او خبر
محذوف لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرئ انا على انه
خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبره وكيف حال **فتلك بيوتهم خاوية** اي
خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة او منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال
من البيوت عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف بما
ظلموا اي بسبب ظلمهم **ان في ذلك لاية لقوم يعلمون** يتعظون **وانجينا**
الذين امنوا صالحا ومن آمن معه وهم اربعة الاف **وكانوا يتقون** الكفر والمعاصي
فلذلك خصوا بالنجاة **ولوطا** اي واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة **ولقد**
ارسلنا عليه **اذ قال لقومه** اهل سدوم واذ بدل على الاول وظرف على الثاني
اتاتون الفاحشة اي اللواط **وانتم تبصرون** اي تعلمون قبحها من بصر
القلب وافتراف القبايح من العالم بقبحها اقبح او المعنى يبصر بعضكم بعضا لانهم كانوا يفعلون بها بلكون الفحش **انكم لتاتون الرجال شهوة** بيان
لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان
الحكمة في الموافقة طلب النسل لا قضاء الوطر **من دون النساء** اللاتي خلقن
لذلك **بل انتم قوم تجهلون** اي تفعلون فعل من يجهل قبحها او تجهلون

العاقبة والى بنا الخطاب تغليبا لجانب انتم على جانب القوم والقياس ان يوتى
بيا الغيب وحسن العدول عنه وقوع الموصوف خبرا عن ضمير المخاطبين فما كان
جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون
اي يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا يقولون ذلك استهزاء
منهم فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين اي قدرنا كونها من
الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا حجارة من سجيل فاهلكناهم فساء مطر
المنذرين من مثله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر به رسوله
صلى الله عليه وسلم بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظمة شانه
وما خص به رسله من الايات الكبرى والانتصار على العدا بتحميده والسلام على
المصطفين من عبيده شكرا على ما انعم عليهم اذ علمه من احوالهم وعرفانا لفضلهم
وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين وقيل الخطاب للوط اي قيل له قل الحمد لله على
هلاكهم وسلام على الذين اختارهم لرسالته وهم الانبيا عليهم الصلاة والسلام آلله
بتحقيق الهمزة وابدال الثانية الفا وتسهيلها خير أما يشركون الزامهم وتبكيت
بهم وتسفيه لرايهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه واساحتى يوازن بينه
وبين من هو مبتدا كل خير وقيل خير هنا ليس بمعنى افضل منك وانما هو كقول
الشاعر ، الهجوم ولست له بكفو . فشركما لخيركما الفدا . والمعنى فالذي
بيده الشر منكما للذي بيده الخير الفدا وقيل المعنى الخير في هذا لم في هذا الذي
تشركونه في العبادة وقيل قال ذلك لانهم كانوا يعتقدون انا في عبادة الاصنام
خيرا فخاطبهم على اعتقادهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرا هذه الاية يقول الله
خير وابقى واجل واكرم وقرى يشركون بالياء والتا اي اهل مكة امن اي بل امن
خلق السموات والارض التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع وانزل لكم

اي

اي لاجلكم من السما ما فانبتنا به حدائق ذات بهجة عدل به عن الغيبة الى التكلم
لتاكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان ابانات الحدائق البهية المختلفة الانواع
المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ما كان
لكم اي ما بانبتها لكم ولا يقع تحت قدرتكم ان تنبتوا شجرها اي شجر الحدائق وهي
البساتين المحوطة من الاحداق وهو الاحاطة والبهجة المنظر الحسن وقيل الحدائق النخل
اله مع الله اي اغيره تقرون به او تجعلون له شريكا اعانة على ذلك وهو المنفرد
بالخلق والتكوين بل هم قوم يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد ام من جعل الارض
قرارا بل من ام من خلق السموات وقرارا مستقرا لائقا بان يهيا لها وجعل خلالها انهارا
جارية وجعل لها رواسي اي جبالا ثوابت اثبت بها الارض فيكون فيها المعادن
وينبع من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب والملح او بحري فارس
والروم حاجزا برزخا لئلا يغلب احدهما على الاخر اله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق
فيشركون ام من يجيب المضطر اذا دعاه المضطر هو الذي احوجه شدة ما به الى
اللجا الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق
فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ابن عباس المضطر هو ذو الضرورة المجهود السدي
الذي لا حول له ولا قوة ذو النون هو الذي قطع العلائق عما دون الله سهل
ابن عبد الله هو الذي اذا رفع يديه الى الله واعيا لم تكن له وسيلة من طاعة
قدمها وفي مسند الطيالسي عن ابي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في دعا المضطر اللهم رحمتك ارجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني
كله لا اله الا انت ويكشف السوا اي يدفع عن الانسان ما يسوه من الضر ونحوه
وقيل الجوع ويجعلكم خلفا الارض الاضافة بمعنى في اي خلفا فيها بان ورثتم
سكناها ممن كان قبلكم والتصرف فيها وقيل خلفا تتناسلون ارضهم الله مع الله

الذي خصكم به من النعم الخاصة والعامة قليلا ما يذكرون بالياء والتاء اي تذكرون
الاله تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة ام من يهديكم اي يرشدكم
الطريق في ظلمات البر والبحر بالنجوم ليلا وبعلامات الارض نهارا او الظلمات
ظلمات الليالي اضافتها للبر والبحر للملابسة يقال طريقة ظلما او عميا للتي لا منار بها
ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته اي قدام المطر ولوضح ان السبب
الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبيعة الباردة لانكسار
حرها وتوجهها للهوا فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله
والفاعل للسبب فاعل المسبب اإله مع الله يقدر على شيء من ذلك تعالى الله عما
يشركون اي تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق ام من يبدأ الخلق
ثم يعيده بعد الموت والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها
ومن يرزقكم من السما والارض اي باسباب سماوية وارضية فكانوا يقرون بانه
الخالق الرازق فالزمهم الاعادة اي اذا قدر على الابتدا فمن ضرورته القدرة على الاعادة
اإله مع الله يفعل ذلك لا يفعل شيأ مما ذكر الا الله فلا اله معه قل هاتوا برهانكم
حجتكم على ان غيره يقدر على شيء من ذلك ان كنتم صادقين في اشراككم فان كمال
القدرة من لوازم الالوهية قل لا يعلم من في السموات والارض من الملائكة والانس
والجن الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة العامة اتبعه ما هو كاللازم
له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثنا منقطع ورفع المستثنى على البدل من من في
بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا البتة ايان احد من عبيده مكره
وقيل نزلت في المشركين حين سالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن قيام الساعة
وما يشعرون ايان يبعثون اي متى يبعثون وايان مركبة من اى وان
والضمير لمن وقيل للكفرة بل بمعنى هل ادرك وزيد لزوم علمهم في الاخرة وقرئ ادارك

لان
واصله تدارك ابدلت التا دالا وادغمت في الدال واجتلبت همزة الوصل وفي معناه قولان
احدهما ان المعنى بل تكامل علمهم في الاخرة لانهم راوا كلما وعدوا به معاينة فتكامل علمهم
به والثاني ان المعنى بل يتابع علمهم اليوم في الاخرة وفي القراءة الاولى قولان ايضا
الاول كمل في الاخرة مثل القول الاول وقال مجاهد بل معناه يدرك علمهم في الاخرة
ويعلمونها اذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم لانهم كانوا في الدنيا مكذبين والقول الثاني
انه على معنى الانكار اي تلاحق علمهم بالاخرة حتى سالوا عن وقت مجيئها ليس الامر كذلك
واستدل على صحة هذا القول بان بعده بل هم في شك منها بل هم منها عمون اي لم
يدرك علمهم علم الاخرة وقيل بل ضل وغاب فليس لهم فيها علم وقال ابن قتيبة المعنى
تدارك ظنهم وحدسهم في الحكم على الاخرة فتارة يقولون تكون وتارة يقولون لا تكون
وعمون من عما القلب وهو ابلغ مما قبله وقال الذين كفروا يعني مشركي مكة ائذا
متنا وكنا ترابا وابآؤنا انا لمخرجون هو كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل
عليه انا لمخرجون وهو نخرج لا لمخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من
عملها فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج من الاجداث او من
حال الفنا الى الحياة لقد وعدنا هذا نحن وابآؤنا من قبل اي من قبل وعد محمد
وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر البعث وجيء اخرا فالمقصود منه ان ما
هذا الا اساطير الاولين التي هي كالاسمار قل سيروا في الارض
اي قل لهؤلا الكفار سيروا في بلاد الشام والحجاز واليمن فانظروا بقلوبكم
وبصائركم كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان
ينزل بهم ما نزل بالمكذبين قبلهم ولا تحزن عليهم اي على تكذيبهم واعراضهم
ولا تكن في ضيق اي في حرج صدر مما يمكرون اي من مكرهم فان الله يعصمك
من الناس وقيل نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا اعقاب مكة تسلية له صلى الله

عليه وسلم اي لاتهتم بمكرهم عليك فانا ناصرك عليهم ويقولون متى هذا الوعد
اي العذاب الموعود ان كنتم صادقين فيه قل عسى ان يكون ردف لكم تستعجلون
ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل بضمن فعل تعدى باللام مثل دنا بعض
الذي تستعجلون حلوله وهو عذاب يوم بدر وياتيهم باقي العذاب بعد الموت
وعسى ولعل وسوف مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونها اظهارا لوقارهم
واشعارا بان الكناية منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده
وان ربك لذو فضل على الناس بتاخير عقوبتهم على المعاصي وادرار الرزق عليهم
ولكن اكثرهم لايشكرون اي لايعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرون بل يستعجلون
بجهلهم وقوعه والكفار لايشكرون تاخير العذاب لانكارهم وقوعه وان ربك
ليعلم ما تكن صدورهم اي تخفيه فهو من كننت وقرئ بفتح التاء من كننت بمعنى
سترت وما يعلنون اي يظهرون من عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة
في السماء والارض اي خافية فيهما الا في كتاب مبين اي بين وبين ما فيه
الحسن الغائبة هنا القيامة وقيل جميع ما غاب مما اخفى الله عن خلقه وغيبه عنهم
وانما دخلت الهاء اشارة الى الجمع اي ما من خصلة غائبة عن الخلق الا والله يعلمها
وقد اثبتها في ام الكتاب عنده ومنه تعذيب الكفار وقيل للمبالغة اي في غاية
الخفاء كما في رواية ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل الموجودين في زمان
محمد صلى الله عليه وسلم اكثر الذي هم فيه يختلفون اي يبيان يذكر على وجهه
الرافع للاختلاف بينهم كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير
والمسيح وذلك انهم اختلفوا في ذلك وكثير من الاشياء حتى لعن بعضهم بعضا
او المعنى ان هذا القرآن يبين لهم ما اختلفوا فيه لو اخذوا به ما حرفوه من التوراة
والانجيل وما سقط من كتبهم من الاحكام وانه اي القرآن لهدى من الضلالة

ورحمة للمومنين من العذاب لانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم اي
بين بني اسرائيل بحكمه اي بما يحكم به وهو الحق او بحكمته فيما اختلفوا فيه في الاخرة
وبين غيرهم بمجازاة المحق والمبطل وقيل يقضي بينهم في الدنيا فيظهر ما حرفوه وتجوز
عن العدل بالحكم والا فالقضاء والحكم واحد وهو العزيز فلا يرد قضاءه العليم
بحقيقة ما يقضي فيه وحكمته فلا يتمكن احد من مخالفته كما خالف الكفار انبياءهم في
الدنيا فتوكل على الله اي ثق به ولا تبال بمعاداتهم فالعاقبة لك انك على الحق
المبين اي الدين الظاهر وقيل المظهر لمن تدبر وجه الصواب انك لا تسمع الموتى
تعليل للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن معاضدتهم راسا وانما شبههم
بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبههم بالصم في قوله ولا تسمع الصم
الدعاء اذا ولوا مدبرين فان سماعهم في هذه الحالة ابعد وما انت بهادي
العمي عن ضلالتهم اذ الهداية لا تحصل الا بالبصر قرئ بهادي على الاضافة وبالتنوين
والنصب على اعمال اسم الفاعل وتعدى على انه فعل وعن متعلق بتهدي وعداه
بعن لان معناه تصرف ان ما تسمع سماع قبول وانتفاع الا من يومن بآياتنا
القرآن اي من هو في علم الله كذلك فهم مسلمون اي مخلصون من اسلم وجهه
لله واذا وقع القول عليهم اي دنا وقوعه وهو ما وعد به من البعث والعذاب
وقيل المعنى حق عليهم القول بانهم لا يومنون وقيل وقع القول يكون بموت العلماء
وذهاب العلم ورفع القرآن اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة روي
ان طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان وتنسم في الارض
لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وقيل هي فصيل ناقة صالح وروي انها على
خلقة الادميين وهي في السحاب وقوائمها في الارض وانما جمعت من خلق كل
حيوان وانها تخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المومن بالعصا

وتختم انف الكافر بالخاتم فيعلم الكافر من المومن وينقطع بخروجها الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ولا يومن كافر كما اوحى الله الى نوح انه لن يومن من قبلك الامن
قد امن وروى انها تخرج من جبل الصفا وروى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن مخرجها
فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وقيل تخرج من تهامة وقيل
من مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح وقيل غير ذلك **تكلمهم** اي تكلم الموجودين
حين خروجها بالعربية قال السدي تكلمهم ببطلان الاديان سوى دين الاسلام وقيل بما
يسوءهم وقيل تكلمهم فتقول بصوت يسمعه من قرب ومن بعد **ان الناس كانوا**
بآياتنا لا يوقنون اي بخروجي لان خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على
الظالمين وقرئ ان الناس بالفتح على تقدير حرف الجر اي بان الناس وبالكسر على
جعله مستانفا من كلام الله او من كلام الدابة ويكون المعنى بآيات ربنا **واذكر**
يوم نحشر من كل امة فوجا يعني يوم القيامة زمرة وجماعة **ممن يكذب بآياتنا**
يعني القران او علامة الدالة على الحق وهو بيان للقوم اي فوجا مكذبين ومن
الاولى للتبعيض لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين **فهم**
يوزعون يحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا ثم يساقون وهو عبارة عن كثرة
عددهم وتباعد اطرافهم **حتى اذا جاءوا** الى المحشر **قال** تعالى **اكذبتم** انبيائي **بآياتي**
الاستفهام للتوبيخ والايات القران وقيل ما نصبه علامة على توحيده **ولم**
تحيطوا بها علما الواو للحال اي اكذبتم بها بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا
تحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف
اي جمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها **اما ذا كنتم تعملون**
اي اي شئ كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب
فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك **ووقع القول عليهم** اي حل عليهم

العذاب الموعود **بما ظلموا** اي بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله **فهم لا ينطقون**
باعتذار لشغلهم بالعذاب وقيل يختم على افواههم فلا ينطقون بشئ **اولم يروا**
ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل الى الليل والنهار لان
تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهر
وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحياة في
سوآد الابدان **انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه** بالنوم والقرار **والنهار مبصرا**
اي يبصر فيه واصله ليبصروا فيه فنوقع فيه بجعل الابصار حالا من اجوائه المخصوصة
عليها بحيث لا ينفك عنها **ان في ذلك لايات** دلالات على قدرته **لقوم يومنون**
لدلالتها على الامور المذكورة وخص المومنين لانتفاعهم بالايات بخلاف الكافرين
ويوم ينفخ في الصور اي واذكر يوم ينفخ في الصور وهو قرن من نور ينفخ فيه
اسرافيل كما جاء هو كهيئة البوق **ففزع من في السموات ومن في الارض**
من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل
فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يومر بالنفخة قلت
يا رسول الله ما الصور قال قرن والله عظيم والذي بعثني بالحق ان عظم دارة فيه
كعرض السماء والارض فينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة الاولى نفخة الفزع والثانية
نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث والقيام لرب العالمين الى الحزم ذكره الطبري
والثعلبي وصححه ابن العربي القرطبي والصحيح في النفخ في الصور نفختان لا ثلاث
وان نفخة الفزع اما ان تكون راجعة الى نفخة الصعق لان الامرين لا زمان لها اي
فزعوا فزعا ما تو امنه او الى نفخة البعث وهو اختيار القشيري وغيره وفي هذا
الفزع قولان احدهما انه الاسراع والاجابة الى النداء من قولهم فزعت اليك في كذا

اي اسرعت الى ندائك والثاني انه الفزع المعهود من الخوف والحذر لانهم ان نجوا من
قبورهم وخافوا فالصحيح انها نفختان وايضا فان الله تعالى قال ونفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن في الارض الا من شآء الله فاستثنى هناك كما استثنى هنا فدل
على انهما واحدة وقوله الا من شآء الله قيل هم الشهداء كما في حديث ابي هريرة لانهم
احيآء عند ربهم يرزقون قال القشيري والانبياء داخلون في جملتهم لان لهم الشهادة
مع النبوة وقيل الملائكة جبريل واسرافيل وميكائيل وملك الموت وقيل الحور العين
وقيل هم المؤمنون فانه قال بعد ذلك وهم من فزع يومئذ آمنون وكل تنوينه
عوض عن المضاف اليه اي كلهم بعد احيآئهم يوم القيامة اتوه بصيغة الفعل وباسم
الفاعل داخرين اي صاغرين وترى الجبال تبصرها يوم القيامة تحسبها تظنها
جامدة اي ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار
اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها فهي تجمع وتسير وهي رؤية العين
كالقائمة القشيري وهذا يوم القيامة اي هي لكثرتها كانها جامدة وان كانت في
انفسها تسير سير السحاب والسحاب المتراكم يظن انه واقف ويقال ان الله وصف
الجبال بصفات مختلفة ترجع كلها الى تفريغ الارض منها وابرازها كانت توارية منها
فاول الصفات الاندكاك وذلك قبل الزلزلة ثم تنتثر كالعهن المنفوش ثم تصير
كالهبآء ثم تنسف وهي مع الاحوال الثلاثة المتقدمة قارة في مواضعها والارض
تحتها غير بارزة فتنسف عنها لتبرز ثم ترفعها الرياح على وجه الارض فتطيرها
شعاعا في الهوآء كانها غبار فمن ينظر اليها من بعد يحسبها لتكاثفها اجسادا جامدة
وهي في الحقيقة مارة ثم تكون سرابا يعني لا شيء ثم قيل ان الاية ضرب مثل قال
الماوردي وفيما ضرب له ثلاثة اقاويل احدها انه مثل ضربه الله للدنيا يظن الناظر
اليها انها واقفة كالجبال وهي آخذة نحظها من الزوال كالسحاب قاله سهل بن عبد الله

الثاني

الثاني انه مثل ضربه للايمان تحسبه ثابتا في القلب وعمله صاعدا الى السمآء الثالث
انه مثل ضرب للنفس عند خروج الروح وهي تسير الى العرش صنع الله مصدر
مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة اضيف الى فاعله بعد حذف عامله
اي صنع الله ذلك صنعا كقوله وعد الله ويجوز ان يكون منصوبا على الاغراء الذي
اتقن كل شيء اي احكم خلقه وسواه على ما ينبغي والاتقان الاحكام يقال رجل تقن
حاذق بالاشيا الزهري اصله من ابن تقن رجل من عاد يقال لم يكن يسقط له
سهم فضرب به المثل يقال الرمي من ابن تقن انه خبير بما يفعلون بالياء والتآء
اي عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جآء بالحسنة فله خير
منها اذ اثيب بالشريف عن الخسيس وبالباقي عن الفاني وسبعمائة عن واحد وقيل
خير منها اي خير حاصل من جهتها وهو الجنة ابن مسعود وابن عباس الحسنة
لا اله الا الله قتادة الحسنة الاخلاص والتوحيد ابن عباس فله خير منها اي وصل اليه
الخير منها عكرمة وابن جريج اما ان يكون له خير منها يعني من الايمان فلانه ليس
شيء خير من لا اله الا الله ولكن له منها خير وهم الجاؤن بها من فزع يومئذ
بالاضافة وكسر الميم وبفتحها وفزع منونا وفتح الميم آمنون يعني به خوف عذاب
يوم القيامة والفزع الاول ما يلحق الانسان من الترهيب لما يرى من الاهوال والعظائم
ولذلك يعم المؤمن والكافر ومن جآء بالسيئة اي بالشرك فكبت وجوههم في النار
اي فكبوا فيها على وجوههم وذكرت الوجوه لانها موضع الشرف من الجوارح فغيرها
من باب اولى ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدي في قوله ولا تلقوا
بايديكم هل ما تجزون الا ما كنتم اي جزآء ما كنتم تعملون على الالتفات او باضمار القول
اي قيل لهم ذلك تبكيتا انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة مكة الذي حرمها
امر الرسول ان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدا والمعاد بشرح احوال القيامة

اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشانه والاستغراق
في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريفا لها وتعظيما لشانها ومعنى
حرمها جعلها حرما امنا لا يصاد صيدها ولا يعضد شجرها ولا يظلم فيها احد وذلك
من النعم على قريش اهلها في رفع الله عن بلدهم العذاب والفتن الشائعة في جميع بلاد
العرب والذي صفة لرب وقرئ التي صفة للبلدة وله تعالى كل شيء خلقا وملكا
وامرت ان اكون من المسلمين اي المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام وان
اتلو القرآن اي وان اواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه في تلاوته شيأ فشيأ
او اتباعه او ان اتلوه عليكم للدعوة الى الايمان فمن اهتدى باتباعه اياي في ذلك
فانما يهتدي لنفسه فان منافعه عائدة اليه ومن ضل بمخالفتي فقل انما انا
من المنذرين اي فليس علي الا التبليغ وقد بلغت قيل ونسختها اية القتال
وقل الحمد لله على نعمة النبوة او على ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم اياته القاهرة
في الدنيا كوقعة بدر فاراهم الله فيها القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم
وادبارهم وعجلهم الله الى النار او خروج الدابة او في الاخرة فتعرفونها اي فتعرفون
انها ايات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة وما ربك بغافل عما يعملون فلا تحسبوا
ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ بالياء والتاء

سورة القصص

مكية الا قوله ان الذي فرض عليك القرآن نزلت بالجحفة والا الذين اتيناهم الكتاب
الى قوله نبتغي الجاهلين مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم الله اعلم بمراده بذلك تلك هذه ايات الكتاب المبين نتلو عليك نقص
اونقرا بقراءة جبريل ويجوز ان يكون بمعنى تنزله مجازا ومفعوله محذوف دلت عليه
صفته تقديره شيأ من نبأ موسى وفرعون اي نقص عليك خبرهما وقال
الاخفش من زائدة بالحق اي بحقين وبالصدق لقوم يومنون اي لاجلهم لانهم

هم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض اي تكبر وتجبر وقيل علا في نفسه
عن عبادة ربه بكفره وادعاء الربوبية والارض ارض مصر وجعل اهلها شيعا
اي فرقا واصنافا في الخدمة بان استعمل كل صنف في عمل وقيل شيعا احزابا بان
اغرى بينهم العداوة كي لا يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل
حال من فاعل اوصفة شيعا او استيناف يذبح ابناءهم المولودين ويستحيي
نساءهم بدل منها وسبب الذبح اليه وهو فعل الاعوان لانه امر به وذلك لان كاهنا
قال له يولد في بني اسرائيل مولود يذهب ملكك على يديه او قال ذلك المنجمون او راى
رويا فعبرت كذلك الزجاج العجب من حمقه لان الكاهن ان صدق فالقتل لا ينفع وان
كذب فلا معنى للقتل انه كان من المفسدين فلذلك اجترا على قتل خلق كثير من اولاد
الانبياء بتخييل فاسد ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض اي نتفضل
عليهم بانقاذهم من ياسه ونريد حكاية حال ماضيه معطوفة على ان فرعون علا
من حيث انهما واقعان او حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف
مقارنة المراد له ويجوز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان
منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان يجري مجرى المقارنة ونجعلهم
ائمة بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ياء مقدمين في الدين ابن عباس قادة في الخير
قتادة ولاة وملوكا ونجعلهم الوارثين لما كان في ملك فرعون وقومه ونمكن لهم في
الارض ارض مصر والشام اي نجعلهم متمكنين على الارض واهلها حتى يتبوئوا اعلاها
واصل التمكن ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ونري
بالنون فرعون وهامان وزير فرعون وكان من القبط وجنودهما منهم من بني اسرائيل
ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وكانوا على وجل
منه فاراهم الله ما كانوا يحذرون وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع

واوحينا الى ام موسى بالهام او رويا وقيل كان بملك تمثل لها واجمعوا على انها
ليست بنبيه وانما ارسال الملك اليها على نحو تكليم الاقرع والابرص والاعمى في
الحديث المشهور وقد سلمت الملائكة على عمران بن حصين ولم يكن بنيا واسمها
يوخابذ بالياء التحتيه وبالخاء المهملة وكسر الموحدة وبالذال المعجمة وقيل اياوخابذ قيل
اياذخت بنت هاذن بن لاوى بن يعقوب ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه ولم
يشعر بولادته غير اخته مجاهد كان الوحي بالارضاع قبل الولادة وقيل بعدها
وفائدة الوحي بالارضاع مع انها ترضعه طبعا اليالف لبنها فلا يقبل لبن غيرها
بعد وقوعه في يد فرعون فلو لم يامرها به ربما كانت تسترضع له مرضعة فيفوت
المقصود فاذا خفت عليه بان يحس به فالقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي
عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك عن قريب وجاعلوه
من المرسلين الى اهل مصر والفرق بين الخوف والحزن ان الخوف غم يصيبه لامر
لا يوقعه في المستقبل والحزن غم يصيبه لامر وقع ومضى وروي ان ام موسى لما
ضربها الطلق وعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى
فلما وقع موسى على الارض هالها النور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه
في قلبها بحيث منعها من السعايه فارضعته ثلاثة اشهر لا يبكي ثم ان فرعون لج
في طلب المواليد واجهد العيون في الفحص عنها فاتخذت له تابوتا مطليا بالقار
من داخل ممهد له فيه طوله خمسة اشبار وجعلت المفتاح مع التابوت وطرحته
في اليم ليلا وحكى انه لما فرغ من النجار من صنعة التابوت ثم الى فرعون فخبره
فبعث معه من ياخذه فطمس الله عينيه فلم يعرف الطريق فايقن انه المولود الذي
تخوف منه فرعون فآمن وهو من آل فرعون ابن العزيز وهذه الاية من اعظم
آي في القرآن فصاحة اذ فيها امران ونهيان وخبران وبشارتان فالتقطه بالتابوت

صبيحة

صبيحة الليل آل فرعون اي اعوانه قيل كان اسم الملتقط طابوث فوضعه بين
يدي فرعون وفتحه واخرج موسى منه وهو يمص من ابهامه لبنا ليكون لهم
عدوا وحزنا تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته واللام قيل لام العاقبة ولام
الصيرورة كما قال الشاعر فللموت ما تزني كل مرضعة، وودورنا لخراب الدهر نبنيها،
فهذا غاية التقاطهم لا علته اذ هو التبني وقال ابو حيان الذي عندي انها للتعليل
حقيقة وانهم التقطوه ليكون لهم عدوا وذلك على حذف مضاف تقديره لمخافة ان
يكون كقوله يبين الله لكم ان تضلوا والالتقاط وجود الشيء من غير طلب ولا ارادة
وقرئ حزنا بضم الحاء وسكون الزاي وبفتحهما لغتان في المصدر وهما هنا بمعنى اسم
الفاعل ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شيء فليس ببدع منهم
ان يقتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ويفعل بهم ما كانوا يحذرون فعاقبهم الله
بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتاكيد خطاياهم وقالت امراة فرعون لفرعون
حين اخرج من التابوت قرة عين لي ولك اي هو قرة عين لنا يروى ان اسية
امراة فرعون رات التابوت يعوم في اليم فامرت بسوقه وفتحته فرات فيه صبيا
صغيرا فرحمته واحبته فقالت قرة عين لي ولك وروى انه كان لفرعون ابنة برصا
وذكر الاطبا ان علاجها بريق حيوان بحري يشبه الانسان فلما راته لطخت برصها
بريقه فبرات وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال ولي كما هو لك لهداه الله كما هداها
لا تقتلوه خطاب لفرعون بلفظ الجمع للتعظيم وقيل لفرعون واعوانه لما اراد وا
قتله عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رات من نور عينيه
وارتضاعه ابهامه لبنا وبرى البرصا بريقه ولما قالت ذلك نفعها الله به او
نتخذه ولدا اي نتبناه فانه اهل له فاطاعوها وهم لا يشعرون قيل هو ابتدا
كلام من الله اي وهم لا يشعرون ان هلاكهم بسببه وقيل من كلام المراة وبنو اسرائيل

لايدرون انا التقطناهم وهم لايشعرون الا انه ولدنا واصبح فواد ام
موسى فارغا اي صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت
بوقوعه في يد فرعون كقوله وافئدتهم هوا اي خلا لا عقول فيها او فارغا
من الهم لفرط وثوقها بوعد الله ولسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان
هي ان المخففة ولذلك دخلت اللام في لتبدي واسمها محذوف كادت لتبدي
به اي انها كادت لتظهر موسى اي بامره وقصته من فرط الضجر او الفرح بتبينه
لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر او النبات وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله
اي لابدت ابن عباس كادت تقول وابناه وقيل لما شب سمعت الناس يقولون
موسى ابن فرعون فشق عليها وضاق صدرها وكادت تقول هو ابني وقيل الهاء في
به عائدة الى الوحي اي ان كادت لتبدي بالوحي الذي اوحيناه اليها ومعنى اصبح صار
لتكون من المومنين من المصدقين بوعد الله وقالت ام موسى لاخته مريم قصيه
اي اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به ابصرته عن جنب عن بعد وجانب وقيل
عن شوق وهم لايشعرون انها اخته وانها تقص وحرمنا عليه المراضع اي
ومنعناه ان يرتضع من المرضعات من قبل اي من قبل مجيء امه واخته وهذا
تحريم منع لانحريم شرع فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة والمراضع جمع
مُرضع وقيل جمع مَرضع وهو الثدي نفسه فقالت اخته هل ادلكم على
اهل بيت يكفلونه لكم اي لاجلكم وهم له ناصحون اي لايقصرون في ارضاعه
وتربيته والنصح ضد الغش وهو تصفية العمل من شوائب الفساد وروي ان
هامان لما سمعها قالت انها لتعرفه واهله خذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما
اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتي من يكفله فاتت بامها وموسى
على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استاس والتقم ثديها فقال لها

من

من اين لك هذا فقالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها في اجرة ارضاعه كل
يوم دينارا واخذتها لانها مال حربي ورجعت في يومها به وذلك قوله فرددناه
الى امه كي تقر عينها بلقاء ولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله اليها
حق اي علم مشاهدة فانها كانت عالمة بان رده عليها سيكون ولكن اكثرهم لايعلمون
اي ان موعده حق فيرتابون فيه او بان هذه اخته وهذه امه فمكث عندها الى
ان فطمته ثم اتت به فرعون فتربى عنده كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعرا
الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين فلما بلغ اشده اي مبلغه الذي
لايزيد عليه نشوء وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي
انه لم يبعث نبي الا على راس الاربعين واستوى قوة وعقلا اتيناه حكما
اي حكمة وعلما فقها في الدين مع النبوة او علم العلما والحكما وسمتهم قبل استنباه
فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لان استنباه بعد
الهجرة وكذلك اي ومثل ذلك الذي فعلناه من الجزا بموسى وامه نجزي
المحسنين بالطاعة الجزا الحسن ودخل موسى المدينة مصر آتيا من قصر
فرعون وقيل من منف على حين غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد دخولها
ولا يتوقعونه فيه كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين وقيل كان فرعون
نابذ موسى واخرجه من المدينة وغاب عنها سنين وجاو الناس على غفلة
وكان يوم عيد فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من
عدوه احدهما من اتباعه على دين موسى من بني اسرائيل والآخر من مخالفيه من
القبط قد سخر الاسرائيلي ليحمل له حطبا الى مطبخ فرعون والاشارة على الحكاية والاول
قيل هو السامري والثاني اسمه فاتون فاستغاثه الذي من شيعته على الذي

من عدوه اي ساله ان يعينه بالاغاثة ولذلك عدى بعلى فقال له موسى خل
سبيله فقيل انه قال لموسى لقد هممت ان احمله عليك فوكزه موسى اى ضرب
القبطى بجمع كفه وقيل بعصاة واللكز والوكز والهذ واللهز بمعنى فقضى
عليه اي فقتله واصله انهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر ولم يرد
موسى عليه السلام قتله وانما قصد دفعه فكانت فيه نفسه ودفنه فى الرمل
قال هذا اي قتله من عمل الشيطان لانه لم يومر بقتل الكفار لانه كان مامونا
فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطاوانما عده من عمل
الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه على عاداتهم فى استعظام مافرط منهم انه
عدو لابن ادم مضل له مبين اى ظاهر العداوة قال ناديا رب انى ظلمت
نفسى بقتله فاغفر لى اى بنى فغفر له باستغفاره فوراى الدلالة القاطعة انه
هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم وهو المتصف بهما ازلا وابدا قال قتادة
عرف والله المخرج فاستغفر قال رب بما انعمت علىّ فلن اكون ظهيرا للمجرمين
اي بما انعمت على من المعرفة والحكمة والتوحيد فلن اكون عونا للكافرين بعدهذه
ان عصمتنى وقيل بما انعمت على من المغفرة فلم تعاقبنى والمعنى بما انعمت حق
انعامك على بالمغفرة اعصمنى واراد بمظاهرة المجرمين اباصحبة فرعون وانتظامه
فى جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون
واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى المجرم كمظاهرة الاسرائيلى الموديه الى القتل وقيل
اراد انى وان اسات فى هذا القتل الذي لم اومر به فلا اترك نصرة المسلمين على المجرم
فعلى هذا كان الاسرائيلى مومنا ونصر المومن واجب فى جميع الشرايع وقيل ليس هذا
خبر ابل هود عما اي فلا اكون بعد هذا ظهيرا والمعنى فلا تجعلنى يارب ظهيرا للمجرمين
وعن ابن عباس انه لم يستثن فابتلى به مرة اخرى فاصبح فى المدينة خائفا قيل

من

فاصبح فى المدينة خائفا قيل من قتل النفس ان يوخذ بها
يترقب اى يتلفت من الخوف وقيل ينتظر الطلب فاذا
الذى استنصره بالامس يستصرخه اى فاذا صاحبه الاسرائيلى
الذى خلصه امس يقاتل قبطيا اخر اراد ان يسخره يستغيثه
من الصراخ قال له موسى انك لغوى مبين اى بين الغوايه
فانك تشاجر من لا تطيقه قتلت بسببك امس رجلا
وتدعونى اليوم لاخر فلما ان اراد ان يبطش ان موكده
زايده بالذى هو عدو لهما اى لموسى والاسرائيلى المستغيث
به لانه لم يكن على دينهما اولان القبط كانوا اعداء
لبنى اسرائيل قال يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا
بالامس قاله الاسرائيلى لانه لما سماه غويا ظن انه
يبطش به او القبطى وكانه توهم انه الذى قتل القبطى
بالامس ان تريد اى ما تريد الا ان تكون جبارا
فى الارض اى قتالا لاعلامه والشعبى لا يكون الانسان جبارا
حتى يقتل نفسين بغير حق وقيل الجبار الذى يفعل
ما يريد من الضرب والقتل بظلم وقيل المتعظم الذى
يتطاول على الناس ولا ينظر العواقب وما تريد ان
تكون من المصلحين بين الناس قد فرغ التخاصم بالتى هى
احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون
وملايه فهموا بقتله وامر فرعون الذباحين بقتل
موسى واخذوا فى الطريق اليه وجاء رجل التشكير للافراد

من اقصى المدينه اخرها يسعى صفة لرجل او حال منه
اذ اجعل من اقصى المدينة صفة له لاصلة لجاز لان تخصيصه
بها يلحقه بالمعارف ومعنى يسعى يسرع فى مشيه من طريق
غير طريقهم اقرب منها واكثر المفسرين ان هذا الرجل
هو خرقيل بن صبورا مومن آل فرعون وكان ابن عم فرعون
وانه لما سمع بقتل موسى سبق بالخبر قال يا موسى ان الملا
قوم فرعون يا تمرون بك ليقتلوك اى يتشاورون فى
قتلك بالقبطى الذى قتلته وانما سمى التشاور ايتمارا لان
كلا من المتشاورين يامر الاخر ويامر فاخرج من المدينه
انى لك من الناصحين اللام للبيان وليس صله للناصحين
لان معمول الصله لايتقدم الموصول فخرج منها اى من
المدينه خايفا يترقب لحوق طالب وعوث الله اياه قال
رب نجنى من القوم الظالمين قوم فرعون اى خلصنى منهم
واحفظنى من لحوقهم ولما توجه اى قصد بوجهه تلقاء
مدين اى قبالتها وهى قرية شعيب سميت باسم مدين بن
ابرهيم ولم تكن فى سلطان فرعون وكان بينها وبين
مصر ثمان مراحل او ايام فلما خرج موسى فارا بنفسه فاذا
منفردا خايفا لاشى معه من زاد ولا راحلة ولى حفاة
نحو مدين للنسب الذى بينه وبينهم وراى حاله وعدم
معرفته بالطريق اسند امره الى الله تعالى يقوله
عسى ربى ان يهدينى الى سواء السبيل اى قصد الطريق

الوسط

الوسط توكلا على الله وحسن ظن به وهذه حالة المضطرين
فعن له ثلاث طرق فاخذ فى اوسطها وجا الطلاب
عقبه فاخذوا فى الاخرين وروى انه كان يتقوت
ورق الشجر وما وصل حتى سقط خف قدميه وروى
ان الله تعالى ارسل اليه ملكا بيده عنزه فانطلق به اليها
ولما ورد ماء مدين اى وصل اليه وهو بير كانوا يستقون
منها ووجد عليه اى وجد فوق شفيرها امة من الناس اى
جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم
اى سواهم او فى مكان اسفل من مكانهم امراتين تذودان
اى تمنعان اغنامهما عن الماء لئلا تختلط باغنامهم وحذف
المفعول اما لانهما ما على المخاطب واما استغناء لعلمه قتاده
تذودان الناس عن غنمهما وروى انه وصل اليهما قبل وصوله
الامه قال موسى لهما ما خطبكما اى ما شانكما تذودان قالتا
لا نسقى حتى يصدر الرعاء يضم الياء اى يصرف الرعاء مواشيهم
عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض
بيان ما يدل على عفتهما وقرى يصدر بفتح الياء اى يتصرف
والرعاء جمع راع وابونا شيخ كبير اى كبير السن لا يستطيع
ان يخرج للسقى فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما
رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على راس البير حجرا
لا يقله الا سبعة رجال وقيل اربعون فاقله وحده
مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم

وقيل كانت بيرا اخرى عليها صخرة اخرى فرفعها واستقى منها
ثم تولى الى الظل اى ظل سمرة فقال رب تعرض للسوال بقوله
انى لما انزلت الى اى لاى شى انزلت الى من خير قليل او كثير
وحمله الاكثرون على الطعام فقير اى محتاج سايل ولذا عدى
باللام وكان لم يذق طعاما سبعة ايام حتى كانت ترى خضرة
البقل فى بطنه من الهزال فجاءته احداهما تمشى على استحياء
وفى الكلام اختصار قدره ابو اسحق فذهبتا الى ابيهما
سريعتين وكانت عادتهما الابطاء فى السقى فحدثتاه بما كان
من الرجل الذى سقى لهما فامر الكبرى من بنتيه وقيل
الصغرى ان تدعوه له فجاءته وروى ان اسم احداهما ليا
والاخرى صفوريا ويقال انهما اللتان تزوجهما موسى ومعنى
على استحياء مستحييه واضعة كم درعها على وجهها حياء منه
قالت ان ابى يدعوك ليجزيك اى ليكافيك اجر
ما سقيت لنا اى جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها
ليتبرك بزيارة الشيخ ويستظهر لمعرفته لاطمعا فى الاجر
فمشت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف
ساقها فقال لها امشى خلفى ودلينى على الطريق ففعلت
الى ان جاء اباها وهو شعيب عليه السلام وروى انه
لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت
لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع
كل من يقيل الينا قال تعالى فلما جاءه وقص عليه القصص

اى

اى اخبره بامره من حين ولد الى حين جاء قال لا تخف نجوت
من القوم الظالمين يعنى فرعون وقومه اذ لا سلطان لهم على
مدين قالت احداهما يعنى التى استدعته يا ابت استاجره
لرعى الغنم بدلنا ان خير من استاجرت القوى الامين تعليل
جامع يجرى مجرى المتامل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة
فيه حيث جعل خيرا اسما وذلك الفعل بلفظ الماضى للدلالة
على انه امر مجرب معروف وروى ان شعيبا قال لها وما
اعلمك بامانته وقوته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب
راسه حين بلغته رسالته وامرها بالمشى خلفه ليلا يراها
فرغب فى انكاحه قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين
على ان تاجرنى اى تاجر نفسك نفسى او تكون لى اجيرا فى رعى
غنمى ثمانى حجج اى ثمانى سنين فان اتممت عشرا اى عملت رعى
عشر حجج فمن عندك اتمامه تفضلا لا الزاما عليك وهذا
استدعاء للعقد لا نفسه فلعله جرى على معينة وبمهر اخر
او يرعيه الاجل ووعده ان يوفى الاخير ان تيسر له قبل
العقد وقيل كانت الاقامة للمروءة مع انه يمكن اختلاف
الشرايع فى ذلك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر
او المناقشة فى مراعات الاوقات واستيفاء الاعمال
ستجدنى ان شاء الله من الصالحين فى حسن المعاملة ولين
الجانب والوفاء بالمعاهدة والاستثناء للتبرك قال موسى
ذلك بينى وبينك اى ذلك الذى عاهدتنى فيه قايم بيننا

لا تخرج عنه ايما الاجلين اطولهما او اقصرهما قضيت وفيتك
اياه فلا عدوان علي اى لا تعتدى علي بطلب الزياده
وكما لا اطالب بالزياده على العشر لا اطالب بالزياده
على الثمان والله على ما نقول من المشارطه وكيل شاهد
وحفيظ فتم العقد بذلك وامر شعيب ابنته ان تغطى
موسى عصايد فع بها السباع عن غنمه وكانت عصى الانبيا
عنده فوقع فى يدها عصى ادم وكانت من آس الجنه فاخذها
موسى بعلم شعيب فلما قضى موسى الاجل العشر سنين وسار
باهله بامراته نحو مصر باذن ابيها وروى انه اقام عنده
عشرا اخر ثم عزم على الرجوع انس من جانب الطور اسم جبل
نارا اى ابصر من بعيد من الجهة التى تلى الطور قال لاهله
امكثوا انى انست نارا لعلى اتيكم منها بخبر اى بخبر الطريق
وكان قد اخطاها او جذوة من النار الجذوه بكسر الجيم
وضمها وفتحها الجمره مجاهد قطعة من الجمر لعلكم تصطلون
تستدفئون بها فلما اتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن
اى اتاه النداء من الجانب الايمن لموسى وقيل يمين الجبل بالنسبة
البقعة المباركه متصل بالشاطئ او صلة لنودى من الشجرة
بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ
وشاطئ الوادى جانبه ومعنى من الشجرة من ناحيتها قيل
كانت سمره وقيل عوسجا ومنها كانت عصاه ذكره الزمخشرى
وقيل عناب وقيل غير ذلك ان يا موسى ان مفسره انى

انا

انا الله رب العالمين هذا وان خالف ما فى طه والنمل لفظا
فهو طبقه فى المقصود قال المهدوى وكلم الله موسى من فوق
عرشه واسمعه كلامه على ما شاء ولا يجوز ان يوصف الله تعالى
بالانتقال والزوال واجمعت الامة على ان الرب تعالى خصص
موسى عليه السلام وغيره من المصطفين من الملائكه بكلامه
وقال الاستاذ ابو اسحق اتفق اهل الحق على ان الله تعالى خلق
فى موسى معنى من المعانى ادرك به كلامه وانه قادر على مثله
فى جميع خلقه فاجده الكلام النفسى فى الازل يسمى خطابا
حقيقة بتنزيل المعدوم الذى سيوجد منزلة الموجود
وقيل الايسماه حقيقة لعدم من يخاطب اذ ذاك وانما
يسماه حقيقة فيما لا يزال عند وجود من يفهم واسماعه اياه
باللفظ كالقران او بلا لفظ كما وقع لموسى عليه السلام
كما اختاره الغزالى خرقا للعاده وقيل سمعه بلفظ من
جميع الجهات على خلاف ما هو العاده وعلى كل اختص
بانه كليم وصان بهذا من اصغى الله تعالى لامن رسله
لانه لا يصير الا بعد امره بالرساله والامر بها انما كان بعد
هذا الكلام واد القى عصاك فلما راها تهتز اى فالقاها
فصارت ثعبانا واهتزت اى تحركت فلما راها تهتز كانها
جان وهى الحيه الصغيره فى الهيئه والجثه او فى السرعه ولى
مدبرا من الخوف ولم يعقب اى ولم يرجع يا موسى اى نودى
يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين من الخاوف فانه لا يخاف

لدى المرسلون اسلك يدك اليمنى في جيبك اى ادخلها في طوق
القميص واخرجهما تخرج بيضا من غير سوء اى عيب واضمم
اليك جناحك اى يديك المبسوطتين تتقي بهما الحيه
كالفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او
بادخالها في الجيب فيكون تكريرا لغرض اخر وهو ان يكون
ذلك في وجه العدو واظهار جراه ومبتدا الظهور معجزه
ويجوز ان يراد التجلد والثبات عند انقلاب العصا حيه
استعارة من حال الطاير فانه اذا خاف نشر جناحيه
واذا امن واطمان ضمهما اليه من الرهب من اجل الرهب
اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك
ابن عباس ليس من احد يدخله رعب بعد موسى شديد خلك
يده فيضعها على صدره الا ذهب عنه الرعب وقيل
المعنى اذا هالك امر يدك وشعاعها فادخلها في جيبك
وارددها اليه تعد كما كانت فذانك اشاره الى العصا
واليد وقرى بالتشديد والتخفيف وانما ذكرهما للتذكير
خبرهما برهانان اى مرسلان من ربك الى فرعون
وملايه انهم كانوا قوما فاسقين وكانوا القبط ابان يرسل
اليهم قال رب اني قتلت منهم نفسا هو القبطي السابق
قاخاف ان يقتلون به واخي هرون هو افصح ابين
مني لسانا فارسله معي ردا اى معينا وهو في الاصل اسم
ما يعان به كالدف وفي قراة بفتح الدال بلا همز يصدقني

بتخليص

بتخليص الحق وتقرير الحجه وتزييف الشبهه اني اخاف ان
يكذبون ولساني لا ينطاوعني عند المحاجه قال سنشد
عضدك باخيك اى تقويتك به والعضد المعين الناصر
قاله ابن عباس رضي الله عنهما قال نابغة
في ذمة من ابى قابوس منقذة للخايفين ومن ليست له عضد
ونجعل لكما سلطانا اى غلبة او حجة عليه فلا يصلون اليكما
باسنيلا او حجاج بايانتا متعلق بمحذوف اى اذهبا بايانتا
او بنجعل اى نسلطكما او بمعنى لا يصلون اى تمتنعون منهم
او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون في قوله انتما
ومن اتبعكما الغالبون او صلة على ان اللام فيه للتعريف
لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى بايانتا بينات واضحات
قالوا ما هذا الا سحر مفترى اى مختلق لم نسمع بمثله اوسحر
تعلمه ثم يفتريه على الله وما سمعنا بهذا يعنون ادعاء
النبوة في اباينا الاولين كاينا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم
اى عالم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم اني محق وانتم مبطلون
وقرى بغير واو لانه جواب لمقالهم ووجه العطف ان
المراد حكاية القولين ليميز الناظر بين الصحيح والفاسد
منهما ومن عطف على من تكون له عاقبة الدار اى العاقبة
المحموده وهو انا في الشقين والمقصود بالدار الدنيا وعاقبتها
الاصليه هي الجنه لانها خلقت مجازا الى الاخره والمقصود
منها بالذات هو الثواب انه لا يفلح الظالمون الكافرون

اى فلا يفوز بالهدى فى الدنيا وحسن العاقبة فى العقبى والها
ضمير الامر والشان وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت
لكم من اله غيرى نفى علمه باله غيره دون وجوده قال
ابن عباس كان بينهما وبين قوله انا ربكم الاعلى اربعين سنة
وكذب عدو الله ان تمة ربا هو خالقه وخالق قومه
فاوقد لى يا هامان على الطين اى اطبخ لى الاجر فتاده
هو اول من صنع الاجر وبنا به فاجعل لى صرحا قصرا عاليا
لعلى اطلع الى اله موسى انظر اليه كانه توهمه جسما يمكن الترقى
اليه واتى لاظنه من الكاذبين فى ادعايه الها اخر وانه
رسوله واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق اى بالعدوا
وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالبنا للفاعل والمفعول اى
توهموا انه لا معاد ولا بعث فاخذناه وجنوده وكانوا الفى
الف وستماية الف فنبذناهم فى اليم اى طرحناهم فى البحر
الملح فغرقوا السدى المكان الذى اغرقهم الله فيه ناحية القلزم
يقال له بطن مريره وهو الى اليوم غضبان مفاتل نهر النيل
والمشهور الاول وفى قوله فنبذناهم فخامة وتعظيم لشان
الآخذ واستحقار المآخوذين كانه اخذهم مع كثرتهم فى كف
وطرحهم فى اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا قبضته الاية فانظر يا محمد كيف كان عاقبة
الظالمين اى اخر امرهم حين صاروا الى الهلاك وحذر قومك
عن مثلها وجعلناهم فى الدنيا ايمة اى زعما وقدوة للضلال

ينبعون

ينبعون على الكفر فيكون لهم وزرهم ووزر من اتبعهم
حتى يكون عقابهم اكثر وقيل جعل الله الملا من قومه
روسا السفلة متبوعهم وقيل ايمة يامتهم ذوو العبر
ويتعظ بهم اهل البصاير يدعون الى النار اى الى موجباتها
من الكفر والمعاصى ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب
عنهم واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة اى طردا عن الرحمة
اولعن اللاعنين من الملايكة والمومنين ويوم القيمة هم من
المقبوحين اى من المطرودين او ممن قبح وجهه ابن عباس من
المشوهين الخلقة بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل
لعنة اخرى يوم القيمة ولقد اتينا موسى الكتاب اى التوراة
قال يحيى بن سلام هو اول كتاب نزل فيه الفرايض والحدود
والاحكام من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اقوام نوح
وهود وصالح ولوط بصاير للناس حال من الكتاب جمع بصيرة
وهى نور القلب اى انوار القلوب بهم يتبصر بها الحقايق ويميز
بين الحق والباطل وهدى من الضلالة لمن عمل بها ورحمة لمن
امن بها لعلهم يتذكرون اى ليتذكروا هذه النعمة فيقيموا
على ايمانهم فى الدنيا ويثقوا ثوابهم فى الاخرة وما كنت يا محمد
حاضرا بجانب الغربى اى بجانب الجبل الغربى او الوادى
والطور فانه فى شق الغرب من مقام موسى حين المناجاة اذ قضينا
الى موسى الامر اى كلفناه امرنا ونهينا والزمناه عهدنا وارسلناه
الى فرعون وقيل اذ قضينا الى موسى امرك وذكرناك بخبر ذكر

ابن عباس اخبرناه ان امتك خير الامم وما كنت من الشاهدين
للوحي اليه فتعرفه فتخبر به او على الوحي وهم السبعون
المختارون للميقات والمراد الدلالة ان اخباره عن ذلك
من قبل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك
استدرك عنه بقوله ولكنا انشانا قرونا امما من بعد موسى
فتطاول عليهم العمر اى ولكنا اوحينا اليك لانا انشانا قرونا
مختلفة فتطاول عليهم المدد فتغيرت الشرايع واندرست
العلوم ونسوا عهد الله وامره فجيتنا بك رسولا واوحينا
اليك خبر موسى وغيره وظاهر هذا انه جرى لنبينا
صلى الله عليه وسلم ذكر في ذلك الوقت وان الله تعالى
سيبعثه ولكن طالت المدة وغلبت القسوة فنسي القوم ذلك
وما كنت ثاويا اى مقيما في اهل مدين شعيب والمؤمنين به
تتلو عليهم اى تقرأ عليهم ايا تنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا
مرسلين اياك اى ارسلناك في اهل مكة واتيناك كتابا فيه
هذه الاخبار ولولا ذلك لما علمتها وما كنت بجانب الطور
للجبل اذ حين نادينا لعل المراد به وقت اعطائه التوراة اى
كما لم تحضر جانب المكان الغربي فكذلك لم تحضر جانب الطور
اذ نادينا موسى اخرج ابن مردويه وابو نعيم في الدلايل
وابو نصر في الابانة والديلمي عن عمر بن عبسة قال سالت النبي
صلى الله عليه وسلم عن قوله وما كنت بجانب الطور اذ
نادينا ما كان النداء وما كانت الرحمة قال كتاب كتبه الله
قبل

قبل ان يخلق خلقه بالفي عام ثم وضعه على عرشه ثم نادى
يا امة محمد سبقت رحمتي غضبي اعطيتكم قبل ان تسالوني
وغفرت لكم قبل ان تستغفروني فمن لقيني منكم يشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا عبدي ورسولي صادقا ادخلته
الجنة وقال وهب ان موسى لما ذكر الله له فضل محمد وامته
قال يا رب اريتهم فقال الله انك لن تدركهم وان شئت
نادينهم فاسمعك صوتهم فقال بلى يا رب فقال الله تعالى
يا امة محمد فاجابوا من اصلاب ابائهم فقال قد اجبتكم
قبل ان تدعوني ومعنى الاية على هذا وما كنت بجانب الطور
اذ كلمنا موسى فنادينا امتك واخبرناه بما كتبنا لك ولامتك
من الرحمة ولكن فعلنا ذلك رحمة من ربك منا او علمناك رحمة
الكسائي رحمة خبر كان اى ولكن كان رحمة وقيل المعنى وما
كنت بجانب الطور اذ نادينا موسى ان خذ الكتاب بقوة ولكن
ارسلناك رحمة او رحمناك رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل
المحذوف ما اتاهم من نذير من قبلك يعني العرب لو قوم
في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمايه وخمسون سنة او
بينك وبين اسماعيل على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة
ببني اسرايل وما حولهم لعلهم يتذكرون اى يتعظون ولولا
ان تصيبهم يريد قريشا وقيل اليهود مصيبة من عقوبة
ونقمة بما قدمت ايديهم من الكفر والمعاصي وخص الايدي بالذكر
لان الغالب من الكسب وقوعه بها فيقولوا ربنا لولا ارسلت

الينا رسولا لولا الاولى امتناعيه والثانيه تحضيضيه
واقعة فى سياقها وجواب لولا محذوف والمعنى لولا قولهم
اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا
ارسلت الينا رسولا يبلغنا اياتك فنتبعها ونكون من
المصدقين ما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم
اخرج ابن مردويه عن ابى سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الهالك فى الفترة يقول يا رب لم
يأتنى كتاب ولا رسول وقرا هذه الايه ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا الايه فنتبع نصب على جواب التحضيض ايأتك
المرسل بها ونكون من المؤمنين اى المصدقين فلما جاءهم الحق
من عندنا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل القران قالوا
يعنى كفار مكه لولا اى هلا اوتى محمد مثل ما اوتى موسى من
العصا واليد او انزل عليه القران جمله واحدة كالتوراة
اقترحوا وتعنتا وكان بلغهم ذلك من امر موسى قبل محمد
قال تعالى اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل يعنى اليهود جحدوا
فى الرأى والمذهب وهم كفرة زمان موسى فان فرعون كان
غريبا من اولاد عاد حيث قالوا ساحران بالالف تظاهرا
يعنون موسى وهرون او موسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم
اى تعاونا وتظاهرا تلك للخوارق او يتوافق الكتابين وفرى
سحران بغير الف اى الانجيل والقران وقيل التوراة والقران
وقيل التوراة والانجيل وقيل على تقدير مضاف اى ذو سحر

وقالوا

وقالوا انا بكل كافرون اى بكل منهما قيل موسى ومحمد
وهذا قول مشركى العرب وقيل موسى وهرون وهذا
قول اليهود لهما فى ابتداء الرساله وقيل عيسى ومحمد
وهذا قول اليهود اليوم قل فاتوا بكتاب من عند الله
هو اهدى منهما اى قل يا محمد اذ كفرتم معاشر المشركين
بهذين الكتابين فاتوا بكتاب اهدى منهما ليكون ذلك
عذرا لكم فى الكفر اتبعه ان كنتم صادقين فى انهما سحران
والمراد مما انزل على موسى ومحمد فان لم يستجيبوا لك اى لم
يأتوا بكتاب من عند الله فاعلم انما يتبعون اهواءهم اى ادراء
قلوبهم وما يستحسنونه وتجيبه لهم الشيطان ومن اضل
استفهام فى معنى النفى اى لا احد اضل ممن اتبع هواه بغير هدى
من الله ان الله لا يهدى اى لا يوصل الى الخير القوم الظالمين
اى الكافرين وهو فى قوم علم الله عدم ايمانهم ولقد
وصلنا لهم القول اى اتبعنا بعضه بعضا وبعثنا رسولا بعد
رسول وقيل القول القران ومعنى وصلنا بينا وفصلنا
والضمير فى لهم لقريش وقيل لليهود وقيل لهم جميعا لعلهم
يتذكرون محمدا فيؤمنوا به وقيل لعلهم يتذكرون فيخافون
ان ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم الذين اتيناهم الكتاب كعبد الله
ابن سلام وسلمان ويدخل فيه من اسلم من علماء النصارى
وهم اربعون رجلا قدموا مع جعفر بن ابى طالب المدينة
اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانيه من الشام وكانوا ايمة النصارى

منهم نجيرا وابرهة والاشرف وعامر وابين وادريس
ونافع وانزل الله فيهم هذه الاية والتى بعدها وقيل
نزلت فى تميم الدارى وعبد الله بن سلام وسلمان لما اسلموا
وقيل فى النجاشى واصحابه **من قبله** اى من قبل نزول القران
وقيل من قبل محمد صلى الله عليه وسلم **هم به يومنون**
واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا اى اذا قرئ
عليهم القران قالوا صدقنا بما فيه **انا كنا من قبله** اى من
قبل نزوله او من قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم **مسلمين**
اى موحدين او مومنين بانه سيبعث وينزل عليه القران
اولئك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا على ملتهم ثم
على هذه او بصبرهم على الاذى الذى يلقونه من الكفار
وقيل بصبرهم على الزهد فى الدنيا او بايمانهم بالكتابين
وصبرهم على العمل بهما **ويدرؤن بالحسنة السيئة** اى
يدفعون بالاحتمال والكلام الحسن الاذى وقيل يدفعون
بالتوبة والاستغفار الذنوب وقيل يدفعون بلا اله الا
الله الشرك **ومما رزقناهم ينفقون** من اموالهم فى الطاعات
وفى سبل الشرع وقد يكون الانفاق من الابدان بالصوم
والصلوات **واذا سمعوا اللغو** اى سمعوا ما قال لهم المشركون
من الاذى والشتم ويدخل فى ذلك الغيبة والكذب واللعن
والفحش فى القول **اعرضوا عنه** اى لم يشتغلوا به **وقالوا لنا**
اعمالنا اى دينا **ولكم اعمالكم** اى دينكم **سلام عليكم** اى سلام
متاركة

متاركه وليس من التحية فى شئ **لا نبتغى الجاهلين** اى لا نطلبهم
للجدال والمراجعة ولا نصحبهم **انك لا تهدى** اولا توصل
للخير **من احببت** هدايته نزلت فى حرص النبى صلى الله عليه
وسلم على ايمان عمه ابى طالب **ولكن الله يهدى من يشاء** قال
ابو روق اشارة الى العباس **وهو اعلم** اى عالم **بالمهتدين**
ممن قدر له ان يهتدى وقيل المعنى من احببت ان يهتدى
وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا هذا
قول مشركى قريش ابن عباس قايل ذلك الحارث بن عثمان بن
نوفل بن عبد مناف قال للنبى صلى الله عليه وسلم انا
لنعلم ان قولك حق ولكن يمنعنا ان نتبع الهدى معك
ونومن بك مخافة ان تتخطفنا العرب من ارضنا يعنى مكة
لاجتماعهم على خلافنا ولا طاقة لنا بهم ونسب لهم لرضاهم
به فاجاب الله عما اعتل به فقال **اولم نمكن لهم حرما امنا**
اى ذا امن من الخسف وقصد الجبابره وذلك ان العرب
كانت فى الجاهليه يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا
واهل مكة امنون حيث كانوا لحرمة الحرم وقال يحيى بن سلام
يقول كنتم امنين فى حرمى تاكلون رزقى وتعبدون غيرى
افتخافون اذا عبدتموني وامنتم بى وعدى **يجبى** بالتحتانيه
والفوقانيه **اليه ثمرات كل شئ** اى تجمع اليه ثمرات كل ارض

وبلد رزقا من لدنا اى من عندنا ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان ذلك مما تفضل الله به عليهم وقيل المعنى لا يعقلون
اى هم غافلون عن الاستدلال وان من رزقهم وآمنهم فيما
مضى حال كفرهم يرزقهم لو اسلموا ويمنع الكفار عنهم ورزقا
نصب على المصدر لان معنى يجبى يرزق او على المفعول من
اجله وكم اهلكنا من قريه اى اهلها بطرت معيشتها اى
فى معيشتها وقيل انتصب ببطرت ومعنى بطرت جهلت اى
جهلت شكر معيشتها والاشر والبطر مجاوزة الحد بالاستعانه
برزق الله على معاصيه كالكفار قريش اكلوا رزقه وعبدوا غيره
فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم اى من بعد هلاك اهلها
الا قليلا من المساكن واكثرها خراب فالاستثنا يرجع الى
المساكن قاله الفراء واعترض عليه بانه لو كان الاستثنا
من المساكن لقال الا قليلا لانك تقول القوم لم يضرب الا قليل
اذا كان المضروب قليلا واذا نصبت كان القليل صفة
للضرب اى لم يضرب الا ضربا قليلا فالمعنى اذا قلت مساكنهم
لم يسكنها الا المسافرون ومن يمر بالطريق يوما او بعض يوم
اولم تسكن من بعدهم الا سكونا قليلا وكنا نحن الوارثين
اى لما خلفوا بعد هلاكهم وما كان ربك مهلك القرى اى
القرى الكافره والمراد اهلها حتى يبعث فى امها يعنى مكة
رسولا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل فى امها اعظمها
رسولا ينذرهم وخص الام ببعثة الرسول لانها مسكن الاشراف

يتلوا

يتلوا عليهم ايا تنا فى موضع الصفه اى تاليا والمراد بالتلاوة
الانذار اى يخبرهم ان العذاب ينزل بهم ان لم يومنوا وما
كنا مهلكى القرى سقطت النون للاضافه الا واهلها
ظالمون اى كافرون بتكذيب الرسل وما اوتيتم من شى يا اهل
مكه فمتاع اى فهو متاع الحياة الدنيا وزينتها اى تمتعون بها
وتتزينون مدة حياتكم او مدة فى حياتكم فاما ان تزولوا عنها
او تزول عنكم وما عند الله خير وابقى اى افضل واد وم يريد
الدار الاخرة وهى الجنه افلا يعقلون افضل وقرى بالياء والتا
افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه مصيبه يعنى الجنة وما
فيها من النعيم كمن متعناه متاع الحياة الدنيا فاعطى منها
يقدر ما اردنا ويزول عن قريب ثم هو يوم القيمة من المحضرين
فى النار ابن عباس نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وابى جهل بن
هشام مجاهد نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وابى جهل
والصحيح انها عامة فى كل مومن وكافر والهمزة لانكار استوآيهما
وبيان ان المومن خير واذكر يوم ينا ديهم اى يوم القيمة
ينادى الله هولا المشركين فيقول اين شركاى الذين كنتم
تزعمون اى تزعمونهم شركاى انهم ينصرونكم ويشفعون لكم
قال الذين حق عليهم القول اى حقت عليهم كلمة العذاب وهم
الروساء قتادة هم الشياطين ربنا هولا الذين اغوينا اى
دعوناهم الى الغى يعنى الاتباع فقبلوا هم اغويتوهم قالوا اغويناهم
كما غوينا يعنون اضللناهم كما كنا ضالين تبرانا اليك اى تبرا

بعضنا من بعض فالروساء يتبرؤون ممن قبل منهم والشياطين
ممن اطاعهم **ما كانوا ايانا يعبدون** ما نافيه وتقدم المفعول
للفاصلة وقيل مصدرية والتقدير من عبادتهم ايانا **وقيل**
للكفار **ادعوا شركاءكم** اى استغيثوا بالهتكم التى عبدتموها فى
الدنيا لتنصركم وتدفع عنكم وقال شركاءكم لانهم جعلوا لهم
نصيبا من اموالهم **فدعوهم** اى استغاثوا بهم **فلم يستجيبوا لهم**
اى فلم يجيبوهم ولا انتفعوا بهم **ورأوا العذاب** ابصروه **لو انهم**
كانوا يهتدون الزجاج جواب لو محذوف والمعنى لو انهم كانوا
يهتدون فى الدنيا لانجاهم الهدى ولما صاروا الى العذاب
وقيل لو انهم كانوا يهتدون لما دعوهم وقيل لما اتبعوهم
وقيل لما راوا العذاب فى الاخرة **واذكر يوم ينادبهم فيقول**
ماذا اجبتم المرسلين اى يقول الله ما كان جوابكم لمن ارسل اليكم
من النبيين لما بلغوكم رسالاتى **فعميت عليهم الانبا يومئذ**
اى خفيت عليهم الحجج وقيل عموا عن الحجج اولم يجدوا خبرا لهم فيه
نجاة والانبا الاخبار سمى حججهم انبا لانها اخبار بخير وغيره
فهم لا يتساءلون اى لا يسال بعضهم بعضا ابن عباس لا يتساءلون
لا ينطقون بحجة وقيل لا يتساءلون فى تلك الساعة ولا يدرون
ما يجيبون به من هول الساعة ثم يجيبون بعد ذلك مجاهد
لا يتساءلون بالانساب **فاما من تاب** من الشرك **وامن** صدق
وعمل صالحا ادى الفرايض واكثر من النوافل **فعسى ان يكون من**
المفلحين اى الفايزين بالسعادة بوعد الله وعسى من الله واجبه

وربك

وربك يخلق ما يشآء من خلقه **ويختار** من يشا لطاعته نجى بن
سلام ويختار من يشا لنبوته قال على بن سليمان ويختار وقف
التمام ولا يجوز ان تكون ما فى موضع نصب يختار والنحاس
التمام ويختار اى ويختار الرسل وتزلت لما قال المشركون
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم **ما كان لهم**
الخيرة اى ليس برسل من اختاروه هم المهدوى وما نفى عام
لجميع الاشيا ان يكون للعبد فيها شى سوى اكتسابه يقدر الله
عز وجل والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق
باختيار الله شرط بدواعى لا اختيار لهم فيها **سبحان الله**
تنزيها له ان ينازعه احد او يزاحم اختياره **وتعالى عما يشركون**
اى عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه به **وربك يعلم ما تكن**
صدورهم اى تخفيه من معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحقده وغير ذلك من الشرك **وما يعلنون** كالطعن فيه **وهو**
الله المستحق للعبادة **لا اله الا هو** لا احد يستحقها الا هو **له الحمد**
فى الاولى والاخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها واجلها بحمده
المومنون فى الاخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى
اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده انتها جا
بفضله والتذاذ الحمد **وله الحكم** اى القضآء النافذ فى كل شى
واليه ترجعون بالنشور فيجازيكم باعمالكم **قل** لاهل مكة **ارايتم**
اخبرونى **ان جعل الله عليكم الليل سرمدا** اى دايما **الى يوم القيمة**
باسكان الشمس تحت الارض وتحريكها حول الافق **الغير من اله**

غير الله يأتيكم بضياء اى بنور تطلبون فيه المعيشه وقيل
بنهار تتصرفون فيه فى معايشكم وتصلح فيه الثمار والنبات
وكان مقتضى الظاهر هل اله لكن ذكر من على زعمهم ان غيره الهة
افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار وقبول قل ارايتم ان
جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة باسكان الشمس
فى وسط السما او تحريكها فوق الافق من اله غير الله يأتيكم
بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشغال افلا
تبصرون ما انتم فيه من الخطا فى عبادة غيره ولم يصف الضيا
كما وصف مقابله لان الضوء نعمة فى ذاته مقصود بنفسه
ولا كذلك الليل ولان منافع الضو اكثر مما يقابله وذكر
مع الاول السمع لان الليل اذا لم يزل لم يبق ابصار فناسب
السماع ومع الثانى الابصار لان النهار اذا دام فهو شامل
باعتبار انه اظهر فناسبه الابصار ومن رحمته تعالى
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اى فى الليل ولتبتغوا
من فضله اى فى النهار بانواع المكاسب وفى الاية لف ونشر
مرتب ومزج اعتمادا على فهم المعنى وقيل الضمير للزمان
وهو الليل والنهار ولعلكم تشكرون اى لكى تعرفوا نعمة الله
فى ذلك وتشكروه عليها ويوم نناديهم فيقول اين شركائي
الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار بانه
لا شئ اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاول للتقرير
فساد رايهم والثانى لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان

محض تشهى وهوى وقيل اعاده لاختلاف الحالين فينادون
مرة فيقال لهم اين شركائى فيدعون الاصنام فلا يجيبونهم
فيظهر خزيهم ثم ينادون مرة اخرى فيسكتون والمناداة
هنا قيل ليست من الله لان الله لا يكلم الكفار لقوله تعالى
لا يكلمهم الله يوم القيمة لكن يأمر من يوبخهم ويحتمل ان يكون
من الله ومعنى لا يكلمهم حينئذ لهم اخسيوا فيها ولا تكلمون
وقيل كرره ليبنى عليه قوله ونزعنا اى اخرجنا من كل امة
شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم
هاتوا برهانكم اى بحجتكم على صحة ما تدينون به فعلموا
حينئذ ان الحق لله فى الالهية لا يشاركه فيها احد وعلموا
صدق ما جاءت به الانبيا وضل عنهم اى غاب عنهم غيبة الضا يع
ما كانوا يفترون اى يختلقونه من الباطل والكذب على الله
تعالى اذ قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن
قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل
ابن اسحق كان قارون عم موسى ولم يكن من بنى اسرايل اقرأ
للتوراة منه ولكنه نافق كما نافق السامرى وكان اول
من امن بموسى ولما قال الله وما اوتيتم من شئ فمتاع الحياة
الدنيا ذكر قصة قارون وبين انه اوتيها واغتر بها ولم
تعصمه من عذاب الله كما لم تعصم فرعون ولستمر ايها المشركون
باكثر مالا وعددا من قارون وفرعون فلم ينفع فرعون ملكه
وجنوده ولا قارون قرابته من موسى ولا كنوزه فبغى عليهم

اى طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او بغى عليهم
بالكفر والعلو وكثرة المال او تكبر عليهم او ظلمهم وذلك
حين ملكه فرعون على بنى اسرايل او حسدهم لما روى انه
قال لموسى لك الرساله ولهرون الجوره واتانى غير شى الى
متى اصبر وقيل بغيه انه زاد فى طول ثيابه شبرا وقيل
بغيه نسبته ما اتاه الله من الكنوز الى نفسه بعلمه وحيلته
واتيناه من الكنوز قال عطا اصاب كنزا من كنوز يوسف وقيل
كان يعمل الكيميا ما ان مفاتحه اى مفاتيح صناديقه جمع مفتح
بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزاينه فواحدها مفتح بالفتح
لتنوء بالعصبة اولى القوه الجمله صلة ما وهو ثانى مفعولى
اتينا ومعنى لتنوء لتثقل يقال ناى به الحمل اذا اثقله قال امرؤ القيس

• تمشى فتثقلها عجيزتها • مشى الضعيف ينوء بالوسق •

واحسن ما قيل فيه لتنى العصبة اى تميلهم بثقلها فلما انقحت
التاء دخلت الباء كما قال هو يذهب بالبوس ويذهب البوس
والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة الذين يتعصب بعضهم
لبعض قيل من ثلاثه الى عشره وقيل ما بين العشره الى الاربعين
وقيل اربعون وقيل سبعون وقيل غير ذلك قال خيثمه
وجدت فى الانجيل ان مفاتح خزاين قارون وقر مئتين بغلا
غر المحمله وانها لتنوء بها من ثقلها ما يزيد مفتح منها على اصبع
كل مفتح للكنز قال ولو قسم ذلك الكنز على اهل البصرة لكفاهم
مجاهد كانت المفاتيح من جلود الابل وقيل من جلود البقر

لينخف حملها فكانت تحمل معه اذا ركب على سبعين بغلا وقيل
غير ذلك وفى الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كانت ارض دارقارون من فضه واساسها من ذهب
اذ قال له قومه منصوب بتنو وقومه المومنون من بنى اسرايل
وقيل موسى وهو جمع اريد به الواحد لا تفرح اى لا تبطر
والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها
والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذه مفارقه
لا محاله يوجب الترح كما قال •

• اشد الغم عندى فى سرور • متقل عنه صاحبه انتقالا •

ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما اتاكم وعلل النهى بكونه
مانعا من محبة الله تعالى فقال ان الله لا يحب الفرحين
اى بزخارف الدنيا الزجاج المعنى لا تفرح بالمال فان الفرح
بالمال لا يودى حقه وقيل لا تفرح لا تفسد ولا تفرح فرح
بطر وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخره اى اطلب فيما اعطاك
من الدنيا الجنه بالزكاة والانفاق فى الخير فان المقصود منه
ان يكون وصلة اليها ولا تنس اى ولا تترك ترك المنسى نصيبك
من الدنيا وهو ان تحصل اخرتك او تاخذ منها ما يكفيك
ابن عباس لم تضيع عمرك فى ان لا تعمل صالحا فى دنياك اذ الاخره
انما يعمل لها فنصيب الانسان عمره وعمله الصالح وقال على
لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الاخره
وعن الحسن قدم الفضل وامسك ما يبلغ وقال مالك هو الاكل

والشرب بلا سرف وقيل اراد بنصيبه الكفن فكانه قيل
لا تنس انك تترك جميع مالك الا نصيبك هذا الذى هو
الكفن **واحسن** الى عباد الله **كما احسن الله اليك** فيما انعم عليك
وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام **ان**
الله لا يحب المفسدين لسوء اعمالهم والمعنى انه يعاقبهم **قال**
انما اوتيته على علم عندى فضلت به الناس واستوجبت به
التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم فى موضع الحال وهو
علم التوراة وكان اعلمهم بها وكان لاحد السبعين الذين
اختارهم موسى للميقات وقيل المعنى انما اوتيته لعلمه
بفضلى ورضاه عنى فقوله عندى معناه ان عندى ان الله
اتانى هذه الكنوز على علم منه باستحقاقى اياها وقيل
علم الكيميا وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب
وقيل علم كنوز يوسف قال تعالى **اولم يعلم ان الله قد**
اهلك من قبله بالعذاب **من هو اشد منه قوة واكثر جمعا**
للمال ولو كان المال يدل على فضل لما اهلكهم وفيه تعجيب
وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه
قرأ فى التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ اورد لما ادعاه
العلم وتعظيمه به بنفى هذا العلم منه اى اعنده مثل ذلك
العلم الذى ادعى ولم يعلم هذا حتى يقيه نقمه مصارع
الهالكين **ولا يسال** ببنائه للمفعول **عن ذنوبهم المجرمون**
سوال استعلام فانه تعالى مطلع عليها وقيل لا يسالون

سوال

سوال استعتاب وانما يسالون سوال تقريع وتوبيخ وقيل
يعذبون من غير سوال قال مجاهد لا تسال الملائكة غدا
عن المجرمين لانهم يعرفونهم بسيماهم فانهم يحشرون سود الوجوه
زرق العيون وقال قتادة لا يسال المجرمون عن ذنوبهم
لظهورها وكثرتها بل يدخلون النار بلا حساب وقرئ ولا
يسال ببنائه للفاعل اى لا يسال المجرمون غيرهم عن عقوبة
ذنوبهم لاعترافهم بها **فخرج قارون على قومه فى زينته** اى
خرج على بنى اسرائيل فيما رآه زينة من متاع الدنيا من الثياب
والدواب والتجمل فى يوم عيد فى يوم السبت قيل انه خرج
على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه
اربعة الاف على زيه وقيل خرج فى سبعين الفا من اتباعه عليهم
المعصفرات وقال السدى خرج ومعه الف جارية بيضاء على
بغال بيض بسروج من ذهب على قطف ارجوان ابن عباس
خرج على البغال الشهب وقال الكلبى خرج فى ثوب اخضر كان
لموسى من لحنه فسرقه منه قارون وقيل غير ذلك **قال**
الذين يريدون الحياة الدنيا على ما هو عادة الناس من
الرغبة فى الدنيا **يا** للتنبيه **ليت لنا مثل ما اوتى قارون**
تمنوا مثله لاعينه حذرا من الحسد **انه لذو حظ عظيم** اى
نصيب وافر من الدنيا **وقال الذين اوتوا العلم** باحوال الاخرة
للمتمنين **ويلكم** دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى وهو
مفعول فعل محذوف اى الزموا امر الله ويلكم **ثواب الله** فى الاخرة

خير لمن امن صدق وعمل صالحا مما اوتى قارون بل من الدنيا
وما فيها ولا يلقاها الا الصابرون الضمير للكلمة التى تكلم
بها العلما او للثواب فانه بمعنى المثوبه او الجنه او الايمان
والعمل الصالح فانهما فى معنى السيره والطريقة والمعنى لا يوفق
لهذه الكلمه او الخصله الا الصابرون على طاعة الله وعن
المعاصى فخسفنا به بقارون وبداره الارض ابن عباس خسف
به الى الارض السفلى وروى انه كان يوذى موسى كل وقت
وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل الف
على واحد فحسبه واستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بنى
اسرايل ليرفضوه فبرطل بغيّة لترميه بنفسها فلما كان يوم
العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنا
غير محصن جلدناه ومن زنا محصنا رجمناه فقال قارون ولو
كنت انت قال ولو كنت انا قال ان بنى اسرايل يزعمون
انك فجرت بفلانه فاحضرت فناشدها موسى بالذى فلق
البحر لموسى لبنى اسرايل وانزل التوراة الا صدقت فتداركها
الله بالتوفيق فقالت جعل لى قارون جعلا على ان ارميك
بنفسى فشكى عند ذلك موسى الى ربه وقال اللهم ان كنت
رسولك فاغضب لى فاوحى الله اليه ان مر الارض بما
شئت فقال يا ارض خذيه فخسف به وكان قارون يتضرع
اليه فاخذته الى ركبتيه ثم الى وسطه ثم الى عنقه كل ذلك
وقارون يتضرع اليه فلم يرحمه الى ان خسف به فاوحى الله

اليه

اليه استرحمك قارون مرارا فلم ترحمه لو دعانى مرة
لاجبته ثم قال بنو اسرايل انما فعل به ذلك ليرثه
فدعا الله فخسف بداره وامواله بعده بثلاثة ايام فما
كان له من فئة اى اعوان ينصرونه من دون الله من غيره
فيدفعون عنه عذابه وما كان من المنتصرين اى الممتنعين
منه من قومهم نصره من عدوه فانتصر اذا امتنع منه فامتنع
ويروى ان قارون يسفل كل يوم بقدر قامة حتى اذا
بلغ قرار الارض السفلى نفخ اسرافيل فى الصور واصبح الذين
تمنوا مكانه اى منزلته بالامس منذ زمان قريب يندمون
على ذلك التمنى يقولون ويك ان الله يبسط الرزق لمن يشا
من عباده ويقدر له اى يوسع ويضيق بمقتضى مشيئته
لا الكرامة تقتضى البسط ولا الهوان يوجب القبض لولا ان
من الله علينا لخسف بنا بالبنا للفاعل والمفعول وويكان
عند البصريين مركب من وى للتعجب وكان للتشبيه وكان
القوم تنبهوا فانتبهوا فقالوا وى كان الامر كذا وكذا ولذلك
فتحت الهمزة من ان والمتندم يقول فى خلال ندمه وى
ويقال ويك ووى لعبد الله الفراهى كلمة تقريرية كقولك الم
تر الى صنع الله واحسانه قطربا تماهو ويلك فاسقطت
لامه وضمت الكاف التى هى للخطاب الى وى ويكانه لا يفلح
الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله وبما اعد الله لهم
من ثواب الاخرة كقارون تلك الدار الاخرة الاشارة

للتعظيم كانه قال تلك سمعت بخبرها وبلغك وصفها والمراد
الجنة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
اى غلبة وقهرا ورفعة وتكبرا على الايمان والمومنين ولا
فسادا عملا بالمعاصى وقيل الفساد ظلم الناس كما اراد فرعون
وقارون وقيل هو الدعا الى غير عبادة الله وقد جمع الله
بين ارادة العلو والفساد وبين ان الدار الاخرة للتخالى عن
الارادتين وليس من طلب العلو والفساد حب نظافة الثياب
وحسنها ونحو ذلك من غير معصية فيه كما شهدت به
السنة الصحيحة على مشرعها افضل الصلاة والسلام والعاقبة
للمتقين ما لا يرضاه الله من جآ بالحسنة فله خير منها ذاتا
وقدرا ووصفا وقيل من جآ بالايمان فله خير منه بسببه
ومن جآ بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيات وضع
الظاهر فيه موضع المضمر تهجينا لحالهم بتكرير اسناد
السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اى مثل ما كانوا يعملون
وحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة فى
المماثلة والمعنى لا يجزا ان الذى فرض عليك القران اى
اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه او انزله
عليك لرادك الى معاد اى معادك وهو المقام المحمود الذى
وعدك ان يبعثك فيه او مكة التى اعتدت بها على انه
من العاده وقد رده اليها يوم الفتح وختم السوره ببشارة نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم بذلك فدخلها قاهر الاعدا

وروى

وروى انه صلى الله عليه وسلم لما وصل الى الجحفة فى مهاجرته
اشتاق الى مكة فنزلت وقال ابن عباس الى معاد الى الموت
الحسن الى يوم القيمة قل ربى اعلم من جآ بالهدى وما
يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم
ومن هو فى ضلال مبين وما يستحقه من العذاب والاذلال
يعنى نفسه والمشركين او نزلت جوابا لقول كفار مكة انك
لفى ضلال مبين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله
وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اى سيردك الى
معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه والمعنى
ما علمت انا نرسلك الى الخلق وننزل عليك القران الا رحمة
من ربك اى ولكن القاه رحمة ويجوز ان يكون محمولا على
المعنى كانه يقول وما القى اليك الكتاب الا رحمة اى لاجل
الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين اى عونا لهم ومساعدا
بالتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك اصله
يصدوننك حذفت نون الرفع للجازم والواو الفاعل
لالتقايهما مع النون الساكنة عن ايات الله عن قرائتها
والعمل بعد اذ انزلت اليك فلا تلتفت الى اقوالهم وكذبهم
واذاهم وامض لامرك وشانك وادع الناس الى ربك اى
الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولم
يوثر الجازم فى الفعل لبنايه ولا تدع تعبد مع الله الها اخر
هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم

لا اله الا هو نفي لكل معبود واثبات لعبادته تعالى كل شئ
هالك الا وجهه اى الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك فى حد
ذاته معدوم مجاهد الا هو الصادق دينه وقيل الا ما اريد
به وجهه اى ما يقصد اليه بالقربه له الحكم اى القضا النافذ
فى الخلق واليه ترجعون بالنشور للجزا فيجازيكم باعمالكم
سورة العنكبوت مكيه بسم الله الرحمن الرحيم
الم سبق القول فيه والله اعلم بمراده بذلك ووقوع ٥
الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه او بما يضم معه
احسب الناس استفهام اريد به التقرير والتوبيخ ان يتركوا
ان وما عملت فيه سدت مسد المفعولين ان يقولوا امنا
وهم لا يفتنون اى لا يختبرون ولا يمتحنون والمعنى احسبوا
تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك اول مفعولى حسب
وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثانى كقولك حسبت
ضربه للتاديب او انفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم امنا
بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة
ورفض الشهوات ووظايف الطاعات وانواع المصايب
فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت فى
الدين من المضطرب فيه ولينا لوا بالصبر عليها علو الدرجه
فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص
من الخلود فى العذاب روى انها نزلت فى ناس من الصحابه
جزعوا من اذى المشركين كانوا بمكة وكان الكفار يعذبونهم

على الاسلام وكانت صدورهم تضيق لذلك وربما استكرهوا
ان يمكن ابدا الكفرة من المومنين قال مجاهد وغيره فنزلت
هذه مسليه ومعلمه ان هذه سيرة الله فى عباده اختبارا
للمومنين وفتنة ابن عطيه وهذه الاية وان كانت نزلت
بهذا السبب وما فى معناه فهى باقية فى هذه الامة موجود
حكمها بقية الدهر وقيل نزلت فى مجمع مولى عمر بن الخطاب
قتل يوم بدر وهو اول قتيل من المسلمين وفى الحديث
سيد الشهدا مجمع وهو اول من يدعى الى باب الجنه من هذه
الامه فجزع عليه ابواه وامراته فنزلت ولقد فتنا الذين
من قبلهم اى ابتلينا الماضين كالخليل القى فى النار وكقوم
نشروا بالمناشير فى دين الله والمعنى ان ذلك سنة قديمة
جارية فى الامم كلها فلا ينبغى ان يتوقع خلافه فليعلمن الله
الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين اى فليتعلقن علمه
بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا فى الايمان
والذين كذبوا به وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك
قيل المعنى وليميزن او ليجازين قال الزجاج ليعلم صدق
الصادق بوقوع صدقه منه وقد علم الصادق من الكاذب
قبل ان يخلقهما ولكن القصد وقوع العلم بما يجازى عليه
وقرى فليعلمن من الاعلام اى وليعرفنهم الناس او يسمنهم
سمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها
ام حسب الذين يعملون السيات الكفر والمعاصى فان العمل

يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا اى يفوتونا فلا
نقدر ان نجازيهم على مساويهم ابن عباس يريد المغيرة
وابا جهل والاسود والعاصى بن هشام وشيبة وعتبه
وعقبة والعاصى بن وايل وهو ساد مسد مفعولى حسب
وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل
من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون اى بيس الذى
يحكمونه حكمهم هذا من كان يرجوا لقاء الله فى الجنه
وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من
الموت والحساب والجزاء ويرجوا بمعنى يخاف واجمع المفسرون
ان المعنى من كان يخاف الموت فليعمل عملا صالحا فانه
لابد ان ياتيه ذكره النحاس فان اجل الله اى الوقت المضروب
للقايه لآت اى لجاء واذا كان وقت اللقاء اتيا كان اللقاء
كائنا لامحالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه
او ما يستوجب القربة والرضا وهو السميع لاقوال العباد
العليم بعقايدهم وافعالهم ومن جاهد جهاد حرب او
نفس بالصبر على مض الطاعة والكف عن الشهوات فانما
يجاهد لنفسه لان منفعته لها ولا يرجع الى الله نفع من ذلك
ان الله لغنى عن العالمين الانس والجن والملايكه فلا حاجة
به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم والذين امنوا
وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيأتهم اى لنغطينها عنهم
بالمغفرة لهم ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون اى باحسن

اعمالهم

اعمالهم وهو الطاعات ثم قيل يحتمل ان يكفر عنهم كل معصية
عملوها فى الشرك ويثابوا على ما عملوا من حسنة فى الاسلام
ويحتمل ان يكفر عنهم سيأتهم فى الكفر والاسلام ويثابوا على
حسنا تهم فى الكفر والاسلام ووصينا الانسان بوالديه
حسنا نزلت الاية فى سعد بن ابى وقاص لما اسلم فقالت له
امه قد امرالله بالبر والله لا اطعم طعاما ولا اشرب شرابا
حتى اموت او تكفر قال فكانوا اذا اراد وا ان يطعموها فغروا
فاها وروى انها قالت لتدعن دينك او لا اكل ولا اشرب
حتى اموت فتعير بى ويقال يا قاتل امه وبقيت يوما ثم يوما
فقال يا اماه لو كانت لك مايه نفس فخرجت نفسا نفسا
ما تركت دينى فان شئت فكلى او لا تاكلى وحسنا منصوب
بوصينا وقيل هو محمول على المعنى والتقدير الزمناه حسنا
وقيل التقدير ايضا واذ احسن بان يبرهما ووصى يجرى مجرى
امر معنى ونصرفا وقيل على معنى قلنا اى وقلنا له احسن
بوالديك او لهما او افعل بهما حسنا وان جاهداك لتشرك
بى ما ليس لك به علم بالهيئته عبر عن نفيها بنفى العلم اشعارا
بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا
عما علم بطلانه فلا تطعهما فى ذلك فانه لا طاعة لمخلوق فى
معصية الخالق وعن ابن عباس ان الاية نزلت فى جميع الامة
ان لا يصبر على بلاء الله الا صديق الى مرجعكم اى مرجع من
آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم

تعملون بالجزا عليه والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم
في الصالحين اى في جملتهم والكمال في الصالحين منتهى درجات
المومنين ومنتهى انبيا الله المرسلين او في مدخلهم وهو الجنه
ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله بان
عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس ما يصيبهم
من اذيتهم والصرف عن الايمان كعذاب الله في الصرف عن
الكفر فيخاف منهم فيطيعهم فيما فتق ولين جا نصر من ربك
اى فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في الدين اى على دينكم
فاشركونا فيه اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين اى
قلوبهم من الايمان والنفاق والمراد المنافقون او قوم
ضعيف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركون ويويد الاول
وليعلمن الله الذين امنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين ٥
فيجازي الفريقين واللام في التعلين لام قسم قيل نزلت
في عياش بن ابي ربيعة اسلم وهاجر ثم اوذي وضرب
فارتد وانما عذبه ابو جهل والحارث وكانا اخويه لامه
قال ابن عباس ثم عاش بعد ذلك بدهر وحسن اسلامه
وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا طريقتنا
الذي تسلكه في ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك خطيئة
او كان بعث ومواخذة مجاهد قال المشركون من قريش نحن
وانتم لا نبعث فان كان علينا وزر فعلينا ان نحمل عنكم
ما يلزمكم والحمل هنا بمعنى الحمالة لا الحمل على الظهر وقيل

القايل

القايل ذلك الوليد بن المغيره وانما امروا انفسهم بالحمل لما فيه
من المبالغه في الالتزام والتشجيع لهم عليه وبهذا الاعتبار رد الله
عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء
انهم لكاذبون في ذلك ومن الاولى للتبيين والثانية مزيده
والتقدير وما هم بحاملين شيا من خطاياهم وليحملن اثقالهم اى
اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم اى واثقالا اخر
معها لما تسببوا بالاضلال والحمل على المعاصي من غير ان ينقص
من اثامهم شي وليسالن يوم القيمة سوال تقريع وتبكيت
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا
خمسين عاما بعد البعث اذ روى انه بعث على راس اربعين
ودعا قومه تسعمايه وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين
حتى كثر الناس وفشوا وعن ابن عباس بعث وهو ابن مايتي
سنه وخمسين سنه ولبث في قومه الفا الا خمسين عاما ٥
وعاش بعد الطوفان مايتي سنه وقيل غير ذلك وهو نوح
ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس وهو خنوخ بن برد بن مهلايل
ابن قينان بن انوش بن شيث بن ادم وولد له سام وحام
ويافث فولد سام العرب وفارس والروم وولد حام القبط
والسودان وبربر وولد يافث الترك والسقالبه وياجوج
وماجوج وكان له ولد رابع وهو كنعان الذي غرق وسمي
نوحا الطول نوحه على قومه وقال الف سنة الا خمسين عاما
ولم يقل تسعمايه وخمسين فلعل اختيار هذه العباره للدلالة

على كمال العدد فان تسعمايه وخمسين يطلق على ما يقرب منها
ولما فى ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود
من القصة تسلية النبى صلى الله عليه وسلم وتثبيته
على ما يكابد من الكفرة واختلاف المميزين لما فى التكرير
من البشاعه وقيل انه اعطى من العمر الف سنه فوهب من
عمره خمسين سنه ليعيش ولده فلما حضرته الوفاة رجع فى
استكمال الالف فذكر الله سبحانه ذلك تنبيها على ان
النقيصة كانت من جهته **فاخذهم الطوفان** اى طوفان الما
فغرقوا لما كذبوا وهو لما طاف بكثرة من سيل او طلام او نحوهما
وهم ظالمون اى مشركون **فانجيناه** اى نوحا **واصحاب السفينه**
اى ومن ركب معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل
ثمانية وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث **وجعلناها**
اى السفينه او الحادثه **اية للعالمين** من بعدهم يتعظون
ويستدلون بها **وابرهيم** عطف على نوحا او نصب باضمار
اذكر **اذ قال لقومه اعبدوا الله** اى افردوه بالعباده واذ
ظرف لارسلنا اى ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث
عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر
باذكر **واتقوه** اى اتقوا عقابه **ذلكم خير لكم** مما انتم عليه
ان كنتم تعلمون الخير والشر او تميزون ما هو خير مما
هو شر او ان كنتم تنظرون فى الامور بنظر العلم دون نظر الجهل
انما تعبدون من دون الله اى غيره **اوثانا** اصناما **وتخلقون**

افكا

افكا اى وتكذبون كذبا فى تسميتها الهة او ادعاء شفاعتها
عند الله الحسن تعملونها وتنحتونها للافك والمعنى انما
تعبدون اوثانا وانتم تصنعونها **ان الذين تعبدون**
من دون الله لا يملكون لكم رزقا يحتمل المصدر بمعنى
لا يستطيعون ان يرزقوكم رزقا وان يراد المرزوق
وتنكيره للتعميم **فابتغوا عند الله الرزق** كله فانه المالك
له والمعنى اصرفوا رغبتكم فى ارزاقكم الى الله فاياه فاسئلوا
واعبدوه واشكروا له متوسلين الى مطالبكم بعبادته
مقيدين لما منعكم من النعم بشكره **اليه ترجعون** فيجازيكم
وان تكذبوا اى وان تكذبونى **فقد كذب امم من قبلكم** اى من
قبلى من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم **وما**
على الرسول الا البلاغ المبين الذى زال معه الشك وما
عليه ان يصدق او يكذب فالاية وما بعد من جملة قصة
ابرهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان يكون
اعتراضا بذكر شان النبى صلى الله عليه وسلم وتقرير وهد
مذهبهم والوعيد على سوء صنعهم توسط بين طرفى قصته
من حيث ان مساقها التسلية الرسول صلى الله عليه وسلم
والمعنى وان تكذبوا يا اهل مكة رسولكم **اولم يروا كيف**
يبدئ الله الخلق قرئ بالتاء على تقدير القول وقرئ بالياء
على الخبر والتوبيخ اى اولم يروا الامر **ثم يعيده** اى ثم هو يعيده
يعنى الخلق والبعث وقيل معطوف على اولم يروا والاعلى يبد

فان الروية غير واقعة عليه وقيل المعنى اولم يروا كيف
بيدئ الله النبات وساير الثمار فجعني ثم تفنى ثم يعيدها ابدا
ان ذلك الاشارة الى الاعاده او الى ما ذكر من الامرين على الله
يسير فلا يفتقر في فعله الى شي فكيف تنكرون الثاني قل سيروا
في الارض حكاية كلام الله لابرهيم او محمد صلى الله عليهما وسلم
فانظروا كيف بدا الخلق على اختلافها في الاجناس والاحوال
وتفاوت الطبايع والهيات ممن كان قبلكم ثم اماتهم ثم الله
ينشئ النشاة بالمد الاخرة بعد النشاة الاولى التي هي الابدا
فانه والاعادة نشاتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من
العدم والاقصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدا بعد اضماره
في بدا والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود
بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابدا ينبغي ان
يحكم له بالقدرة على الاعادة لانه اهون والكلام في العطف
كما مر وقرى النشاة كالرافة ان الله على كل شي قدير لان
قدرته لذاته ونسبة ذاته الى ذات الممكنات على سواء
فيقدر على النشاة الاخرى كما قدر على النشاة الاولى يعذب
من يشا تعذيبه يعدله ويرحم من يشا رحمته بفضله
واليه تقلبون اي تردون وترجعون وما انتم بمعجزين
ربكم عن ادراككم في الارض ولا في السما ان فررتم من قضايه
بالتواري في الارض او الهبوط في مهاويها والتحصن في السما
والقلاع الذاهبة فيها الفرا معناه ولا من في السما بمعجز الله

والمعن

والمعنى ان الله لا يعجزه اهل الارض في الارض ولا اهل السما
ان عصوه وما لكم من دون الله من ولي يمنعكم منه ولا نصير
ينصركم من عذابه والذين كفروا بايات الله بدلايل وحدانيته
وبكتبه ولقايه هو البعث اولئك يئسوا من رحمتي اي من
الجنة ونسب اليأس اليهم والمعنى او يئسوا وعبر بالماضي وهو
انما يكون يوم القيمة للتحقيق والمبالغة او المعنى يئسوا في الدنيا
لانكارهم البعث والجزا واولئك لهم عذاب اليم مولم يكفرهم
فما كان جواب قومه اي قوم ابرهيم له وقرى بالرفع على انه
الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول
بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون اسند الى كلهم فانجاه
الله من النار اي فقذفوه في النار فانجاه الله منها بان جعلها عليه
بردا وسلاما فانجاه الله من النار ان في ذلك اي في انجايه
من النار العظيمة حتى لم تحرقه بعد ما القي فيها واخمادها في
زمن يسير وانشار وضع مكانها لايات لقوم يومنون يصدقون
لانهم هم المنتفعون بالفحص عنها والتاويل فيها وقال ابرهيم
انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا
اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وفي ما
أوجه لعدها هي بمعنى الذي والعايد محذوف اي ان الذي
اتخذتموه وهو المفعول الاول واوثانا مفعول ثان ومودة
للخبر على قراة من رفع والتقدير ذو مودة والثاني هي كافة
واوثانا مفعول ومودة بالنصب مفعول له وبالرفع على اضمار

مبتدا وتكون الجملة نعتا لاوثانا والثالث ان تكون مصدرية
ومودة بالرفع لخبر ولاحذف فى هذا الوجه والتقدير انّ
سبب اتخاذكم مودة ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن
بعضكم بعضا اى يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم
وبين الاوثان على تغليب المخاطبين لقوله ويكونون عليهم ضدا
وقيل المعنى تتبرا القادة من الاتباع ويلعن الاتباع القادة
وماواكم النار هو خطاب لعبدة الاوثان الرؤسا منهم
والاتباع وقيل يدخل فيه الاوثان كما قال انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها
فامن له لوط هو اول من صدق ابرهيم حين راى النار عليه
بردا وسلاما ابن اسحق امن لوط بابرهيم وكان ابن اخيه
وامنت به سارة وكانت بنت عمه وقال انى مهاجر من قومى
الى ربى الى حيث امرنى ربى انه هو العزيز الذى يمنعنى من
اعدائى الحكيم الذى لا يامر الا بما فيه صلاحى والقابل هو
ابرهيم هاجر من كوثى قرية من سواد الكوفه الى حران ثم
الى الشام ومعه ابن اخيه لوط بن هاران بن تارخ وامراته
ساره فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم وقيل القابل لوط
ووهبنا له بعد اسمعيل اسحق ويعقوب ولدونافلة
حين ايس عن الولاده من عجوز عاقر وجعلنا فى ذريته النبوة
فكثر منهم الانبيا فكل الانبيا بعد ابرهيم من ذرية يعقوب
والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعه واتيناه

اجره على هجرته فى الدنيا عطآ الولد فى غير اوانه والذرية
الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتما اهل الملل اليه والثناء
والصلاة عليه اخر الدهر وانه فى الاخرة لمن الصالحين اى
لفى عداد الكاملين فى الصلاح ولوطا عطف على ابرهيم او على ما
عطف عليه او منصوب باذكر اذ قال لقومه اينكم لتاتون
الفاحشة اى الفعلة البالغة فى القبح يعنى ادبار الرجال قرى
بهمزة مكسورة على الخبر وقرى على الاستفهام واجمعوا على
الاستفهام فى الثانى ما سبقكم بها من احد من العالمين الانس
والجن استيناف مقرر لفحشها من حيث انها مما استمرت منه
الطباع وتخاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث
طينتهم اينكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل اى
تتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى
انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسا بالاعراض عن
النسل الحرث واتيان ما ليس بحرث وتاتون فى ناديكم المنكر
النادى المجلس ولا يقال الا لما فيه اهله والمنكر قيل الخماع
والضراط وحل الازار وغيرها من القبايح مع عدم مبالاة
بها وفى الخبر ان قوم لوط كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند
كل رجل قصعة فيها الحصا للحذف فاذا مر بهم عابر طريق
قذفوه فايهم اصابه كان اولى به يعنى يذهب به للفاحشة
وقيل كانوا ياتون الفاحشة فى مجالسهم وبعضهم يرى
بعضا وقيل هو اللعب بالحمام ونتريف الاصابع بالحنا

والصفير والحذف ونبذ الحيا في جميع امورهم ابن عباس ان
قوم لوط كان فيهم ذنوب غير الفاحشة منها انهم
يتظالمون فيما بينهم ويشتم بعضهم بعضا ويتضاربون
في مجالسهم ويحذفون ويلعبون بالنرد والشطرنج ويلبسون
المصبغات ويتناقرون بالديكة ويتناطحون بالكباش
ويطرقون اصابعهم ويتشبه الرجال بالنساء والنساء
بالرجال في اللباس ويضربون الكوس على كل عابر
ومع هذا كانوا يشركون بالله وهو اول من ظهر على ايديهم
اللوطية والسحاق فما كان جواب قومه الا ان قالوا
ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين في استفتاح ذلك
او في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ ولم يقولوا هذا
الا وهم مصممون على اعتقاد كذبه وليس يصح في الفطرة
ان يكون معاند يقول هذا قال رب انصرني بانزال العذاب
على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم
وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العقاب واشعارا
بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب فاستجاب الله دعاءه ولما
جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى اي بالبشارة بالولد والنافلة
قالوا انا مهلكو اهل هذه القرية سدوم قرية لوط
والاضافة لفظية لان المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا
ظالمين تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو
الكفر وانواع المعاصي قال ابرهيم ان فيها لوطا اعتراض

عليهم

علیهم بان فیها من لم یظلم او معارضة للموجب بالمانع
وهو کون النبی بین اظهرهم قالوا ای الرسل نحن اعلم بمن
فیها لننجینه واهله تسلیم لقوله مع ادعاء مزید العلم
به الا امراته کانت من الغابرین الباقین في العذاب او
القریه ولما ان جاءت رسلنا لوطا سیء بهم ای جائته المساءة
والغم بسببهم مخافة ان یقصدهم قومه بسوء لاتهم حسان
الوجوه في صورة اضیاف وضاق بهم ذرعا ای وضاق بشانهم
وتدبیر امرهم ذرعه ای طاقته کقولهم ضاقت یده وبازایه
رحب ذرعه بکذا اذا کان مطیقا له وذلک لان طویل
الذراع ینال ما لا ینال قصیر الذراع والمعنی ضاق صدره
وقالوا لما راوا فیه اثر الضجر لا تخف ولا تحزن علی تمکنهم
منا انا منجوک واهلک الا امراتک کانت من الغابرین
موضع الکاف جر علی المختار ونصب اهلک باضمار فعل ای
وننجی اهلک او بالعطف علی محلها باعتبار الاصل لان
الاضافة في تقدیر الانفصال کما لو کان المضاف الیه ظاهرا
وسیبویه یفرق بین المضمر والمظهر فیقول لا یجوز اثبات
النون في التثنیة والجمع مع المضمر کما في التنوین ویجوز
ذلک کله في المظهر انا منزلون بالتخفیف والتشدید علی
اهل هذه القریة رجزا من السماء عذابا فیها یسمی بذلک لانه
یقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا اضطرب ویعنی بالرجز
الحصب والخسف بما کانوا یفسقون ای بسبب فسقهم

وهو الخروج عن الطاعه ولقد تركنا منها اية بينة واضحة
اى من الفعلة وهى العقوبة التى فعلت بهم وقيل خراب
القرية الآن وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية
بعد وقيل الماء الاسود الذى على وجه الارض فى موضع
القريه لقوم يعقلون اى يستعملون عقولهم فى الاستبصار
والاعتبار وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم
اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر اى افعلوا ما ترجون به
ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء
بمعنى الخوف والفا فى فقال عاطفة على ارسلنا المقدره
ولا تعثوا فى الارض مفسدين حال اى لا تكفروا فانه اصل
كل فساد والعثو اشد الفساد فكذبوه فاخذتهم الرجفة
اى الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل لان القلوب
ترجف لها فاصبحوا فى دارهم اى بلدهم او دورهم ولم يجمع
لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود ا
منصوبان باضمار اذكروا وفعل دل عليه ما قبل مثل اهلكنا
وقرى وثمود غير مصروف على تاويل القبلة وقد تبين لكم من
مساكنهم اى تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة
مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها بالاحقاف والحجر
وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصى فصدهم
عن السبيل اى عن طريق الحق وكانوا مستبصرين اى متمكنين
من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان

العذاب

العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا
وقيل قد عرفوا الحق من الباطل بظهور البراهين وقيل
كانوا مستبصرين فى الضلاله وقارون وفرعون وهامان
معطوفون على عادا وتقدير قارون لشرف نسبه ولقد
جاءهم من قبل موسى بالبينات بالحجج الظاهرات فاستكبروا
فى الارض عن عبادة الله وما كانوا سابقين اى فائتين بل
ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته وقيل وما كانوا
سابقين فى الكفر بل قد سبقهم الكفروون كثيرة فكلا من
المذكورين اخذنا بذنبه اى عاقبناه بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا ريحا عاصفا فيها حصبا وهى الحصا الصغار
ويستعمل فى كل عذاب او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم
من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض
كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما
كان الله ليظلمهم اى يعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير
جرم اذ ليس ذلك من عادته ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بالتعرض للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء
يعنى الاصنام فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت
اتخذت بيتا فى ما نسجته فى الوهن والخور بل ذاك اوهن
فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما اى مثلهم بالاضافة الى
الموحدين كمثله بالاضافة الى رجل بنا بيتا من حجر وجص
والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمونث

وتجمع على عناكيب وقيل غير ذلك الفرا هو مثل ضربه الله ق
سبحانه لمن اتخذ من دون الله الهة لا تنفعه كما ان بيت العنكبو
لا يقيها حرا ولا بردا وان اوهن البيوت اى اضعفها لبيت
العنكبوت فلا بيت اوهن واقل وقاية منه لو كانوا يعلمون
يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم وان دينهم اوهن من ذلك
ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا
للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به فى الدين دينهم
ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ على اضمار القول
اى قل للكفرة ان الله يعلم وقرئ بالياء حملا على ما قبله
وما استفهامية منصوبة بيدعون ويعلم معلقة عنها
ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشئ مفعول تدعون او
مصدرية وشئ مصدر او موصول مفعول ليعلم ومفعول
تدعون عابده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم
وتوكيد للمثل وعلى الاخرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم
تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد
بمن هذا شانه وان من هذا صفته قدر على مجازاتهم ش
وتلك الامثال يعنى هذا المثل ونظايره نضربها نجعلها للنا
تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها اى ما يعقل حسنها
وفايدتها الا العالمون بالله الذين يتدبرون الاشيا
على ما ينبغى وعنه عليه الصلاة والسلام انه تلى هذه
الاية فقال العالم من عقل عن الله وعمل بطاعته واجتنب

لخ

سخطه خلق الله السموات والارض بالحق اى محقا غير قاصد
به باطلا فان المقصود بالذات من خلقها افاضة الخير
والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان فى ذلك
لاية للمومنين وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون بها فى الايمان
بخلاف الكافرين اتل ما اوحى اليك من الكتاب القران تقربا
الى الله بقرائته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان
القارئ المتامل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول
ما قرع سمعه واقم الصلاة ادها فى اوقاتها بقرائتها وركوعها
وسجودها وجميع شروطها ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصى حال الاشتغال بها
وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه
روى ان فتى من الانصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيا من الفواحش الا ركبه
فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب
والفحشا ما قبح من الاعمال والمنكر ما لا يعرف شرعا وفى
الخبر من لم تنهه صلاته عن الفحشا والمنكر لم تزده من الله
الا بعدا وقيل الصلاة القران اى الذى تتلى فى الصلاة
ينهى عن الفحشا والمنكر ولذكر الله اكبر اى والصلاة اكبر من
سائر الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل فان اشتمالها
على ذكره هى العبرة فى كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن
السيات وقيل المعنى ذكر الله لكم بالثواب والثنا عليكم

اكبر من ذكركم له فى عبادتكم وصلواتكم وفى الحديث ذكر الله
اياكم اكبر من ذكركم اياه وقيل ذكركم الله فى صلاتكم وفى
قراءتكم القران افضل من كل شى الضحاك ولذكر الله عند
ما يحرم فتركه اجل الذكر والله يعلم ما تصنعون فيجازيكم
به ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن اى الا بالخصلة
التى هى احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم
قال مجاهد وهى محكمة فيجوز مجادلة اهل الكتاب
بالتى هى احسن على معنى الدعاء لهم الى الله عز وجل والتنبيه
على حجته وايانه رجاء اجابتهم الى الايمان لا على طريق الاعلاء
والمخاشنة وقوله على هذا الا الذين ظلموا منهم معناه
ظلموكم والا فكلهم ظلمة على الاطلاق والمعنى الا من افرط
منهم فى الاعتداء او العناد او باثبات الولد وقولهم يد الله
مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية وهو استثناء من الجنس
وفى المعنى وجهان احدهما الا الذين ظلموا فلا تجادلوهم
بالحسنى بل بالغلظة لانهم يغلظون لكم فيكون مستثنى من
التى هى احسن لا من الجدال والثانى لا تجادلوهم البتة فلك
حكموا فيهم السيف لفرط عنادهم اى ان حاربوا او ابوا الجزية
الى ان يسلموا او يعطوا الجزية وقيل لا تجادلوا من امن من محمد
صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام الا بالتى
هى احسن اى بالموافقة بما حدثوكم من اخبار اوايلهم وقوله
على هذا التاويل الا الذين ظلموا يريد به من بقى على كفره منهم
وقيل

وقيل منسوخة باية القتال وقولوا امنا بالذى انزل الينا
وانزل اليكم هو من المجادلة بالتى هى احسن وعنه عليه الصلاة
والسلام لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا
بالله وبكتبه وبرسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان
قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون
اى مطيعون له خاضعون وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك اى ومثل ذلك الانزال
انزلنا اليك الكتاب وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية
وهو تحقيق لقوله فالذين اتيناهم الكتاب يعنى التوراة ٥
كعبد الله بن سلام واصحابه يومنون به اى بالقران ومن هؤلاء
اى من العرب واهل مكة او من كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم
من اهل الكتابين من يومن به اى بالقران وما يجحد بايتنا بعد
ظهورها وقيام الحجة عليها الا الكافرون اى المتوغلون فى
الكفر وهم اليهود فان حسدهم يمنعهم من التامل فيما يفيد
لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه
وسلم كما اشار اليه بقوله وما كنت تتلو من قبله اى القران
من كتاب ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب
الجامع لانواع العلوم الشريفة على امى لم يعرف بالقراءة والتعليم
خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تقرير للمنفى ونفى للتجوز فى
الاسناد اذا لارتاب المبطلون اى لو كنت ممن يقرا او تخط
لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم

مبطلون لكفرهم اولارتيابهم بانتفاء وجه اخر من وجوه الاعجاز
المتكاثرة وقيل لا ارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على
خلاف ما فى كتبهم فيكونون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر
بل هو اى القران الذى جيت به ايات بينات فى صدور الذين
اوتوا العلم يحفظونه فلا يقدر احد تحريفه وقيل المعنى
ليس هذا القران كما يقوله المبطلون من انه سحر او شعر ولكنه
علامات ودلايل يعرف بها دين الله واحكامه وهى كذلك
فى صدور الذين اوتوا العلم وهم اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم والمومنون به يحفظونه ويقرونه ووصفهم بالعلم
لانهم ميزوا بافهامهم بين كلام الله وكلام البشر والشياطين
ابن عباس بل هو اى محمد صلى الله عليه وسلم ايات بينات فى
صدور الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب تجدونه فى
كتبهم بهذه الصفة اميا لا يقرا ولا يكتب ولكنهم ظلموا
انفسهم وكتموا وقيل المعنى ذو ايات بينات فحذف المضاف
وما يجحد بايانتا الا الظالمون اى المتوغلون فى الظلم
بالمكابرة بعد وضوح دلايل اعجازها وهم اليهود حتى لم
يعتدوا بها وقالوا ولا انزل عليه محمد ايات من ربه هذا
قول المشركين من اهل مكة اى هلا انزل عليه ايات كايات
الانبيا كما جا صالح بالناقة وموسى بالعصا وعيسى باحيا
الموتى وقرى اية قل لهم انما الايات عند الله يترلها كما يشا
لست ملكها فاتيكم بما تقترحونه وانما انا نذير مبين اى

ليس

ليس من شانى الا الانذار وابانته بما اعطيته من الايات
اولم يكفهم اية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم اى تدوم تلاوته عليهم متحديين به بان ياتوا
بمثله او بسورة منه فعجزوا ولو اتيتهم باياة موسى وعيسى
لقالوا هذا سحر ونحن لا نعرف السحر والكلام مقدور لهم
ومع ذلك عجزوا عن معارضته وهو لا يزال معهم اية ثابتة
لا يضمحل بخلاف سايرالايات او المعنى يتلى عليهم يعنى اليهود
بتحقيق ما فى ايديهم من نعتك ونعت دينك ان فى ذلك اى
فى ذلك الكتاب الذى هو اية مستمرة وحجة مبينة لرحمة
لنعمة عظيمة فى الدنيا والاخرة وقيل رحمة فى الدنيا باستنقاذهم
من الضلالة وذكرى لقوم يومنون اى وتذكرة لمن همه
الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود
فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاهم به نبيهم الى
ما جا به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا
بصدقى وقد صدقنى بالمعجزات او بتبليغى ما ارسلت به
اليكم وتصحى لكم او انها مكم ايای بالتكذيب والتعنت يعلم
ما فى السموات والارض فلا يخفى عليه حالى وحالكم وهذا
احتجاج عليهم فى صحة شهادته عليهم لانهم قد اقروا بعلمه
فلزمهم ان يقروا بشهادته والذين امنوا بالباطل وهو
ما يعبد من دون الله وقال يحيى بن سلام بالبليس وكفروا بالله

اى لتكذيبهم رسله وجحدهم لكتابه اولئك هم الخاسرون
فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان فخسروا انفسهم واعمالهم
فى الاخرة ويستعجلونك بالعذاب لما انذرهم بالعذاب قالوا
لفرط الانكار عجل لنا هذا العذاب وقيل نزلت فى النضر
ابن الحارث اذ قال فامطر علينا حجارة من السما ولولا اجل
مسمى لكل عذاب وقوم ابن عباس يعنى هوما وعدتك ان لا اعذب
قومك واوخرهم الى يوم القيمة وقيل المراد بالاجل المسمى
النفخة الاولى وقيل القتل ببدر لجاءهم العذاب عاجلا
وليأتينهم بغتة اى فجاة فى الدنيا كوقعة بدر والاخرة
عند نزول الموت بهم وهم لا يشعرون بأتيانه يستعجلونك
بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين اى تحيط بهم يوم
القيمة يأتيهم العذاب فى القيمة لا محالة فما معنى الاستعجال او
هى كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصى التى توجبها
بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على موجب الاحاطة او للجنس فيكون اشد لاشعاره بالحكم الجنس
على حكمهم يوم يغشاهم العذاب ظرف لمحيطة او مقدر
مثل كبت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم اى من جميع
جوانبهم وانما قال ومن تحت ارجلهم للمقارنة والا فالغشيان
من فوقهم ويقول الله او بعض ملائكته بامره وقرئ بالنون
ذوقوا ما كنتم تعملون اى جزاوه فلا تفوتونا يا عبادى
الذين امنوا ان ارضى واسعة فلا تجاوروا الظلمة فايای
فاعبدون

فاعبدون هذه الاية نزلت فى تحريض المومنين الذين كانوا
بمكة على الهجرة فاخبرهم تعالى بسعة ارضه وان البقاء فى
بقعة على اذى الكفار ليس بصواب بل الصواب ان تلتمس عبادة
الله فى ارضه مع صالحى عباده فاذا لم تتسهل لكم العبادة
فى بلدة ولم تتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتيسر
لكم ذلك وقيل المعنى ان رحمتى واسعة وقيل ان رزقى
لكم واسع فابتغوه فى الارض قال سفيان الثورى اذا كنت
بارض غالية فانتقل الى ارض غيرها تملا جوابك خبزا بدرهم
وقيل ان ارضى التى هى ارض الجنة واسعة فاعبدون حتى
اورثكموها والفا جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضى واسعة
ان لم تخلصوا العبادة لى فى ارض فاخلصوها فى غيرها كل نفس
ذائقة الموت اى تنال مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق
فهو كائن لا محالة ثم الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته
ينبغى ان يجتهد فى الاستعداد فان الموت اذا كان واقعا
بكم بكل مكان ولا بد لكم من فراق الاوطان ففى الحياة اولى
لاكتساب الذكر الجميل والاجر الجزيل وقرئ يا ايا والذين امنوا
وعملوا الصالحات لنبوئنهم اى لننزلنهم من الجنة غرفا
اى علالى مشرفة وقرئ بالمثلثة من الثوى اى الاقامة
وتعديته الى غرفا يحذف فى نحو من تحتها الانهار خالدين
فيها نعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف دل عليه
ما قبله اى هذا الاجر الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة

والمحن والمشاق وعلى الطاعات **وعلى ربهم يتوكلون** لا على غيره
فيرزقهم من حيث لا يحتسبون **وكاين من دآبة لا تحمل رزقها**
اى لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة
عندها **الله يرزقها واياكم** ابن عباس الدواب كل ما دب من
الحيوان فكل لا يحمل رزقه ولا يدخر الا ابن ادم والنمل والفار
ثم ان الدابة مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم
سواء فى انه لا يرزقها واياكم الا الله لان الرزق الكلى باسباب
هو المسبب لها وحده ولا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانتم
لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها
معيشة فنزلت فالله يسوى بين الحريص والمتوكل فى رزقه
وبين الراغب والقانع وبين الحيوان والعاجز حتى لا يغتر
المجلد انه مرزوق بجلده ولا يتصور العاجز انه ممنوع بعجزه
وهو السميع لقولكم **العليم** بنياتكم **ولين** لام قسم **سالتهم**
من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسيول
اهل مكة **ليقولن الله** المنفرد بالايجاد لما تقرر فى العقول
وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود **فانى**
يوفكون اى فمن اين يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك
الله يبسط اى يوسع **الرزق لمن يشاء من عباده** امتحانا
ويقدر له اى يضيق الرزق على من يشاء ابتلاء والمعنى لا يختلف
امر الرزق بالايمان والكفر ويحتمل ان يكون الموسع له
والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب

وان

وان يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء
مبهم **ان الله بكل شىء عليم** من احوالكم وامورهم وقيل عليم بما
يصلحكم من اقتار وتوسع **ولين** لام قسم **سالتهم من نزل من**
السماء اى من السحاب **ماء فاحيا به الارض من بعد موتها**
اى جدبها وفحط اهلها **ليقولن الله** معترفين بانه الموجد للممكنات
باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته
الذى لا يقدر على شىء من ذلك **قل الحمد لله** على ما عصمك من هذه
الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك **بل اكثرهم لا يعقلون**
فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدى لكل ما عداه ثم انهم
يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تزيد بتحميدك عند
مقالهم **وما هذه الحياة الدنيا** الاشارة للتحقير وكيف لا وهى
لا تزن عند الله جناح بعوضة **الا لهو ولعب** اى الا كما يلهى
ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويتنهبون به ساعة ثم
يفترقون فالدنيا كاللعب الذى لا حقيقة له ولا ثبات قال
بعضهم الدنيا ان بقيت لك لن تبقى لها اما القرب فمن امور
الاخرة لظهور ثمراتها فيها **وان الدار الاخرة لهى الحيوان**
اى لهى دار الحياة لامتناع طريان الموت عليها او هى فى ذاتها
حياة للمبالغة والحيوان مصدر حيى سمى به ذو الحياة واصله
حيايان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحياة لما فى
بنائه فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة وحيوان
عين فى الجنة **لو كانوا يعلمون** انها كذلك لما اثروا عليها

التى اصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال
فاذا ركبوا فى الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم اى هم على
ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا السفن وخافوا الغرق
دعوا الله مخلصين له الدين اى صادقين فى نياتهم وتركوا
عبادة الاصنام ودعاها او المعنى كائنين فى صورة من اخلص
فيه من المومنين حيث لا يذكرون الا الله تعالى ولا يدعون سواه
لعلمهم بانه لا يكشف الشدايد الا هو فلما نجاهم الى البر
اذا هم يشركون به اى يدعون معه غيره وقيل اشراكهم
ان يقولوا بايمانهم لولا الله والرايس او الملاح غرقنا فيجعلون
ما فعل الله لهم من النجاة قسمة بينه وبين خلقه ليكفروا بما
اتيناهم اللام فيه لام كى اى يشركون ليكونوا كافرين بشركهم
نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام او اللام
لام الامر على التهديد كقوله اعملوا ما شيتم ويويده قراءة
وليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين
يعاقبون اولم يروا يعنى اهل مكة انا جعلنا حرما امنا اى
جعلنا بلدهم مصونا عن التهيب والتعدى امنا اهله عن
القتل والسبى ويتخطف الناس من حولهم اى يختلسون قتلا
وسبيا اذ كانت العرب حوله فى تغاور وتهيب فبالباطل
يومنون افيعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر
عليه الا الله بالصنم او الشيطان يومنون وبنعمة الله يكفرون
حيث اشركوا به غيره ابن سلام بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم

ق

من الهدى وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق
المبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له
شريكا اى لا احد اظلم ممن جعل لله شريكا او ولدا واذا فعل
فاحشة قال وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها او كذب بالحق
لما جاءه يعنى الرسول والكتاب وفى لما تشفيه لهم بان لم
يتوقفوا ولم يتاملوا فط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب
اول ما سمعوه اليس فى جهنم مثوى اى مستقر للكافرين تقرير
لثوائهم كقوله ءالستم خير من ركب المطايا اى الا تستوجبون
الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق
مثل هذا التكذيب والمعنى الم يعلموا ان فى جهنم مثوى
للكافرين حتى اجترءوا هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا
اى فى حقنا فاطلق والمجاهدة لبعد جهاد الاعادى الظاهرة
والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا اى سبل ثوابنا والوصول
الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا كقوله
والذين اهتدوا زادهم هدى ابرهيم بن ادهم هى فى الذين
يعملون بما يعلمون قال عمر بن عبد العزيز انما قصرنا عن علم
ما جهلنا تقصيرنا فى العمل بما علمنا ولو عملنا ببعض ما علمنا
لاورثنا الله علما لا تقوم به ابداننا وفى الحديث من عمل بما
علم ورثه الله علم ما لم يعلم وسئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن افضل الجهاد فقال كلمة عدل عند سلطان جائر
وقال ابو على الدقاق من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله

سرابره بالمشاهدة وان الله لمع المحسنين بالنصر والاعانه
والحفظ والهداية ومع لجميع بالعلم والقدرة فبين المعنيين
بون ودخلت اللام على مع لانها اما اسم ولام التوكيد تدخل
على الاسماء اما حرف فتدخل عليها لان فيها معنى الاستقرار
كما تقول ان زيدا لفى الدار واذا سكنت فهى حرف لا غير واذا
فتحت جاز ان تكون اسما وان تكون حرفا بكثرة سورة الروم
مكيه الا قوله فسبحان الله الاية بسم الله الرحمن الرحيم
الم الله اعلم بمراده بذلك وتقدم غلبت الروم فى ادنى
الارض اى ارض الشام عكرمه باذرعات وهى ما بين بلاد العرب
والشام مجاهد بالجزيره وهو موضع بين العراق والشام وادنى
اقرب لانها اقرب الارض من العرب اى الارض المعهودة عندهم
او فى ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافه وهم من
بعد غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول سيغلبون فى بضع
سنين البضع ما دون العشره قاله ابو سعيد قال سفيان
سمعت انهم ظهروا عليهم يوم بدر وعن ابى سعيد الخدرى
لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فاعجب ذلك المومنين
وروى ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وقيل
بالجزيرة وهى ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ
الخبر مكة ففرح بذلك المشركون وشمتوا بالمسلمين وكانوا يحبون
ان يظهر فارس على الروم لانهم واياهم اهل اوثان وكان المسلمون
يحبون ان تظهر الروم على فارس لانهم اهل كتاب فذكره ابو بكر

للنبى

للنبى صلى الله عليه وسلم فقال اما انهم سيغلبون وروى
القشيرى وابن عطية لما نزلت الايات خرج بها ابو بكر الى
المشركين فقال استركم ان غلبت الروم فان نبينا اخبرنا عن
الله تعالى انهم سيغلبون فى بضع سنين فقال له ابى بن خلف
وامية اخوه وقيل ابو سفيان يا ابا فصيل يعرضون بكنيته
يا ابكر فلنكتاحبا اى نتراهن فى ذلك فراهنهم ابو بكر قال
قتادة وذلك قبل ان يحرم القمار وجعلوا الرهان خمس قلائص
والاجل ثلاث سنين ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره
فقال هلا احطت فان البضع ما بين الثلاث والتسع ولكن
ارجع فزدهم فى الرهان واستزدهم فى الاجل ففعل ابو بكر فجعلوا
القلائص مايه والاجل تسعة اعوام فغلبت الروم فى اثنا الاجل
القشيرى والمشهور ان ظهور الروم كان فى السنة السابعة
من غلبة فارس وحكى النقاش وغيره ان ابا بكر رضى الله عنه لما
اراد الهجرة مع النبى صلى الله عليه وسلم تعلق به ابى بن خلف
وقال له اعطنى كفيلا بالخطر ان غلبت فكفل به ابنه عبد الرحمن
فلما اراد ابى الخروج الى احد طلبه عبد الرحمن بالكفل فاعطاه
كفيلا ثم مات ابى بمكة وظهرت الروم على فارس يوم الحديبيه
فقمر ابو بكر ابيا واخذ مال الخطر من ورثته فقال له النبى صلى
الله عليه وسلم تصدق به فتصدق به واستدل به الحنفية
على جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب واجيب بانه كان
قبل تحريم القمار والاية من دلايل النبوة لانها اخبار عن الغيب

يص

لله الامر من قبل ومن بعد اى من قبل كونهم غالبين وهو وقت
كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم
غالبين اوله الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما
الا بقضايه وقبل وبعد مبنيان على الضم لقطعهما عن الاضافه
ويومئذ اى ويوم يغلب الروم يفرح المومنون بنصر الله
اى مزله كتاب على من لا كتاب له لانهم اقرب من اهل الاوثان
وقيل انما كان فرحهم لانجاز وعد الله جل وعز اذ كان فيه
دليل على النبوة لانه عز وجل اخبر انه يكون في بضع سنين
فكان فيه وقد فرحوا وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول
جبريل بذلك فيه مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه ينصر
من يشا فينصر هولا تارة وهولا اخرى وقيل المعنى ينصر من
يشا من اوليايه لان نصره مختص بعلية اوليايه لاعدايه
فاما غلبة اعدايه لاوليايه فليس بنصر وانما هو ابتلا وقد
يسمى ظفرا وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم
تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر
موكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد لا يخلف الله وعده
لان كلامه صدق ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعده ولا
صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم وهم الكفار وهم الاكثر
او كفار مكة يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا اى ما يشاهدونه
منها والتمتع بزخارفها ومتى يزرعون ومتى يحصدون
وكيف يغرسون وكيف يبنون قال الحسن بلغ والله من علم

احدهم

احدهم بالدنيا انه ينقد الدرهم فيحترك بوزنه ولا يحسن
ان يصلي وهم عن الاخرة التي هي غايتها والمقصود منها هم
غافلون لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او
مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين
يدل على تمكن غفلتهم عن الاخره المحققه لمقتضى الجملة المتقدمه
المبدله من قوله لا يعلمون تقريرا لجهلهم لتهمو تشبيها لهم
بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها
فان من العلم ظاهرها معرفة حقايقها وصفاتها وخصوصا
وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منه وكيفيه
التصرف فيها ولذلك تكر ظاهرها واما باطنها انها مجاز
الى الاخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعار
بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهرها
اولم يتفكروا في انفسهم اى اولم يجدوا التفكر فيها فانفسهم
ظرف للتفكر وليس بمفعول تعدى اليه يتفكروا بحرف جر
لانهم لم يومروا ان يتفكروا فيها انما امروا ان يستعملوا التفكر
في خلق السموات فقوله ما خلق الله السموات والارض
متعلق بقوله اولم يتفكروا او علم محذوف دل عليه ما قبله
والنفي لا يمنع ذلك كما لم يمنع في قوله وظنوا ما لهم من محيص
وقيل ما خلق الله مستانف لا موضع له والكلام تام قبله
والم يتفكروا امثل اولم ينظروا في ملكوت السموات ومعنى
الا بالحق الا اقامة الحق وقيل بالعدل وقيل بالحكمة

وقال الفراء اللحوق يعني الثواب والعقاب **واجل مسمى** ينتهي عنده
ولا تبقى بعده وهو يوم القيمة وقيل خلق ما خلق في وقت
سماه لان يخلق ذلك الشيء فيه **وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم**
اي بلقاء جزايه عند انقضاء الاجل المسمى **لكافرون** اي لجاحدون
يحسبون ان الدنيا لما تبيد وان الاخرة لا تكون **أولم**
يسيروا في الارض فينظروا بابصارهم وقلوبهم **كيف كان**
عاقبة الذين من قبلهم من الامم وهي اهلاكهم بتكذيبهم
رسلهم وهو تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى اثار
المدمرين **كانوا اشد منهم قوة** كعاد وثمود **واثاروا الارض**
اي قلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن
وزرع البزور وغيرها لان اهل مكة لم يكونوا اهل حرث
وعمروها اي عمروا الارض **اكثر مما عمروها** اي من عمارة
اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في
غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون
بها وهم اضعف حالا من اهلها او مدار امرها التبسط في البلاد
والتسلط على العباد والتصرف فيها في اقطار الارض وهم ضعفا
ملجوون الى واد لا تنبت فيه **وجاءتهم رسلهم بالبينات** اي
بالمعجزات او الايات الواضحات فكفروا ولم يؤمنوا فما كان
الله ليظلمهم اي ليفعل بهم ما يفعله الظلمة بقيد مرهم من غير
جرم ولا تذكير **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** حيث عملوا
ما ادى الى تدميرهم **ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى**

اى

اى ثم كان عاقبتهم العقوبة او الخصلة السوأى تانيث الاسوأ
وهو الافتح كما ان الحسنى تانيث الاحسن او مصدر كالبشرى
نعت بها وقيل يعني بها هنا النار ومعنى اساؤا اشركوا
فالسوأى اسم جهنم كما ان الحسنى اسم الجنة **ان كذبوا**
بايات الله وكانوا بها يستهزؤن علة اي لان كذبوا او بدل
او عطف بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا
وقيل غير ذلك وقرئ عاقبة بالرفع اسم كان وذكرت لان
تانيثها غير حقيقي والسوأى خبرها وقرئ عاقبة بالنصب
على الخبر والسوأى الاسم النحاس السوء اشتد الشر والسوأى
الفعلى منه ومعنى بايات الله قيل بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقران وقيل بالعذاب ان ينزل بهم **الله يبدؤا الخلق** اى
ينشيهم **ثم يعيده** اى يبعثهم **ثم اليه ترجعون** بالتاء للجزاء
والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرئ بالياء على
الاصل **ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون** اي يسكتون متحيرين
ايسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج **ولم**
يكن لهم اي ولا يكون لهم **من شركائهم** اي ما عبدوه من دون الله
شفعاء يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه
وكانوا بشركائهم كافرين اي يكفرون بالهتهم وتبيرؤن
منهم حين يسوءهم منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم
ويوم تقوم الساعة يومئذ تاكيد **يتفرقون** اي المؤمنون
والكافرون لقوله **فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات**

فهم فى روضة ارض ذات ازهار وانهار التى بلغت الغاية
فى الحسن يحبرون اى يسيرون سرورا تهللت له وجوههم وقيل
ينعمون ويكرمون وقيل هو السماع فى الجنه اخرج ابن ابى الدنيا
والضيا المقدسى عن ابن عباس قال فى الجنة شجرة على ساق م
قدر ما يسير الراكب المجد فى ظلها مائة عام يخرج اهل الجنة
اهل الغرف وغيرهم يتحدثون فى ظلها فيرسل الله ريحا من الجنه
فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا واما الذين كفروا
وكذبوا بايانتا القران ولقا الاخرة البعث فاولئك فى
العذاب محضرون اى مقيمون وقيل مدخلون لا يغيبون
عنه وقيل نازلون فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اخبارا
فى معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثنا عليه فى هذه الاوقات
التى تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته او دلالة على ان
ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه
الحمد منزله تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح
بالمسا والصباح لان اثار القدرة والعظمة فيها اظهر وتخصيص
الحمد بالعشى الذى هو اخر النهار من عشى العين اذا نقص نورها
والظهيره التى هى وسطه لان تجدد النعم فيها اكثر ويجوز
ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد فى
السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس الاية جامعة
للصلوات الخمس تمسون صلاة المغرب والعشا وتصبحون

صلاة

صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر
وبدا بصلاة المغرب لان الليل يتقدم النهار وفى سورة
سبحان بدا بصلاة الظهر اذ هى اول صلاة صلاها جبريل
بالنبى صلى الله عليه وسلم الما ورد وخص صلاة الليل
بالتسبيح وصلاة النهار بالحمد لان الانسان فى النهار متقلب
فى احواله توجب حمد الله عليها وفى الليل على خلوة توجب
تنزيه الله قال والفرق بين المسا والعشا ان المسا بدو الظلام
بعد المغيب والعشا اخر النهار عند ميل الشمس للمغيب لنقص
نور الشمس والاكثر على ان الصلاة فرضت بمكة وعن الحسن انها
مدنيه وكان يقول كان الواجب بمكة ركعتين فى اى وقت
اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينه وعنه صلى الله عليه وسلم
من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك
تخرجون ادرك ما فاته فى ليلته ومن قالها حين يمسى ادرك
ما فاته فى يومه يخرج الحى من الميت كالانسان من النطفة
والطاير من البيضة ويخرج الميت من الحى كالنطفة والبيضه
وتقدم ويحيى الارض بالنبات بعد موتها يعد يبسها وكذلك
اى ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه تعقيب الحياة
بالموت وقرى تخرجون بالبنا للفاعل والمفعول ومن اياته اى
من علاماته وبوبيته ودلايل وحدانيته تعالى ان خلقكم من
تراب اى اصل الانشا لانه خلق اصلهم ادم منه والفرع كالاصل
ثم اذا انتم بشر تنتشرون اى ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا من لحم

ودم منتشرين في الارض وقيل المعنى ثم انتم عقلاء ناطقون
تتصرفون فيما هو قوام معايشكم ومن اياته ان خلق لكم
من انفسكم ازواجا لان حوا خلقت من ضلع ادم وسائر
النسا خلقن من نطفة الرجال ولانهن من جنسهم لا من جنس
اخر لتسكنوا اليها اى لتميلوا اليها وتالفوها فان الجنسية
علة للضم والاختلاف سبب للتنافر وجعل بينكم اى بين
الرجال والنسا او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة
الزواج بخلاف سائر الحيوان نظما لامر المعاش وقيل
المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كقوله ورحمة منا
وقيل المودة المحبة والرحمة الشفقة ان في ذلك المذكور
لايات لقوم يتفكرون فيعلمون ان ذلك من الحكمة ومن
اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم اى
لغاتكم من العربية والتركية والعجمية وغيرها بان علم كل
صنف لغة والهمه وضعها واقدره عليها او لجبابن نطقكم
واشكاله فانه لايكاد يسمع منطقين متساويين في الكيفية
والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضا وهيانتها
والوانها وحلاها بحيث وقع التباين والتعارف حتى ان
التوءمين مع توافق موادهما واسبابهما يختلفان في شي من
ذلك ولست ترى احدا الا وانت تفرق بينه وبين الاخر
وليس هذه الاشيا من النطفة ولا من فعل الابوين فلا بد
من فاعل مختار ان في ذلك لايات للعالمين لايكاد يخفى على

عاقل

عاقل من انس وجن وملك وقرئ بكسر اللام اى ذوى العقول
واولى العلم ويويده قوله وما يعقلها الا العالمون ومن
اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله اى
منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانيه وقوة
القوى الطبيعيه وطلب معاشكم فيهما او المعنى منامكم بالليل
وابتغاؤكم من فضله بالنهار فلف وضم بين الزمانين
والطلبين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص
باحدهما فهو صالح للاخر عند الحاجة ويويده سائر الايات
الواردة فيه ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تفهم
واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة وجعل النوم بالليل دليلا
على الموت والتصرف بالنهار دليلا على البعث وقيل المعنى
يسمعون الحق فيتبعونه او القران فيصدقونه ومن اياته
يريكم البرق مقدرا بان كقوله

الا ايهذا الزاجري احضر الوغا ... وان اشهد اللذات هل مخلد

او الفعل فيه ينزل منزلة المصدر كقولهم

تسمع بالمعيدي خير من ان تراه ... او صفة لمحذوف تقديره
اية يريكم بها البرق كقوله

فما الدهر الا تارتان فمنهما ... اموت واخرى ابتغي العيش اكدح

خوفا من الصاعقة للمسافر وطمعا في الغيث للمقيم ونصبهما
على العلة لفعل يلزم المذكور فان ارائتهم يستلزم رويتهم او
له على تقدير مضاف نحو اراءة خوف وطمع او تاويل الخوف

والطمع بالاخافة والاطماع كقوله عملته رعما للشيطان
او على الحال نحو كلمته شفاها وينزل من السماء ما قرئ بالتشديد
والتخفيف فيحيى به الارض بالنبات بعد موتها بعد يبسها
بان تنبت ان فى ذلك المذكور لايات لقوم يعقلون اى
يستعملون عقولهم فى استنباط اسبابها وكيفية تكونها
ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ومن ايآته ان تقوم
السماء والارض بامره قيامهما باقامته لهما وارادته
لقيامهما فى حيزهما المعين من غير مقيم محسوس والتعبير
بالامر للمبالغة فى كمال القدرة ثم اذا دعاكم دعوة من
الارض بان ينفخ اسرافيل فى الصور للبعث من القبور اذا
انتم تخرجون احياء اى الذى فعل هذه الاشياء قادر على ان
يبعثكم من قبوركم والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف
وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثر لعظم
ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول
يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والاخرين
الا قامت تنظر واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجاة وهى
تنوب مناب الفا فى جواب الشرط وله من فى السموات
والارض خلقا وملكا وعبيدا كل له قانتون اى منقادون
لفعله فيهم لا يمتنعون عليه وعنه عليه الصلاة والسلام
كل قنوت فى القرآن فهو طاعة وقيل معناه مقرون
بالعبودية إما قالة وإما دلالة وقيل مخلصون وهو

الذى

الذى يبدؤ الخلق الناس ثم يعيده اى بعد موتهم وهو اهون
عليه اى هين لانه ليس شى اهون على الله من شى وقيل
المعنى اهون عليه فيما تظنون او على طريق التمثيل لان من قدر
على الاختراع كانت الاعادة عليه فى العادة اسهل وايسر
فهو باعتبار عادة المخاطبين والا فالكل سواء عنده سبحانه
وذكر الضمير فيه مع انه راجع الى الاعادة المأخوذة من
لفظ يعيده نظرا الى المعنى دون اللفظ وهو مرجعه اورده
وله المثل اى الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة
والحكمة التامة ومن فسره بقوله لا اله الا الله اراد به
الوصف بالوحدانية الاعلى الذى ليس لغيره ما يساويه
او يدانيه وقيل المثل الاعلى ما اراده جل وعز كان فى
السموات والارض يصفه به ما فيهما دلالة ونطقا وهو
العزيز القادر الذى لا يعجز عن ايجاد ممكن واعادته الحكيم
الذى تخرج الافعال على مقتضى حكمته ضرب اى جعل لكم
ايها المشركون مثلا من انفسكم اى منتزعا من احوالها التى
هى اقرب الامور اليكم وهو هل لكم مما ملكت ايمانكم اى من
مماليككم من شركاء لكم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فانتم
فيه سواء فتكونون انتم وهم فيه سواء يتصرفون فيه
تصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها مغايرة لكم ومن الاولى
للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة للتاكيد والاستفهام
بمعنى النفى تخافونهم اى يستبدوا بالتصرف فيه كخيفتكم انفسكم

اى كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض اى ليس مما اليكم شركا الى
آخره كذلك اى مثل ذلك التفصيل نفصل الايات اى نبينها
لقوم يعقلون يستعملون عقولهم فى تدبر الامثال والاية نزلت
فى كفار قريش كانوا يقولون فى التلبية لبيك لا شريك لك الا
شريكا هو لك تملكه وما ملك وقيل المعنى هل يرضى احدكم
ان يكون مملوكه فى ماله ونفسه مثله فاذا لم ترضوا بهذا
لانفسكم فكيف جعلتم لله شركا بل اتبع الذين ظلموا
بالاشراك اهواهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شئ لان العالم
اذا اتبع هواه ربما رده علمه فمن يهدى من اضل الله اى
فمن يقدر على هدايته اى لا احد وما لهم من ناصرين يخلصونهم
من الضلالة ويحفظونهم عن افاتها او ما نعين لهم من
عذاب الله فاقم يا محمد وجهك للدين اى دين الاسلام
واقامه الوجه تقويم القصد اى اخلص دينك لله وخص
الوجه لانه جامع حواس الانسان واشرفه حنيفا مائلا
اليه فطرة الله اى خلقته وهو نصب على الاغراء اى
الزموها او المصدر لما دل عليه ما بعدها التى فطر الناس
عليها اى خلقهم عليها وهى قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه
وفى الصحيح عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة وابواه يهودانه
وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون
فيها من جدعاء وقيل الفطرة الاسلام وقيل هى البداءة

التى

التى ابتداهم لها من الحياة والموت والسعادة والشقاوة
وقيل هى الفقر والفاقة وقيل العهد الماخوذ على آدم
وذريته لا تبديل لخلق الله اى هذه الفطرة لا تبديل لها
من جهة الخالق ولا يجرى الامر على خلاف هذا بوجه فلا يشقى
من خلقه سعيدا ولا يسعد من خلقه شقيا وقيل المعنى
لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغى ان يغير او المعنى لا تبديل
لدين الله فلفظه لفظ النفى ومعناه النهى اى لا تبدلوا وقيل
المعنى لا تغيير لخلق الله من انها يراد ان تخصى فحولها فيكون
معناه النهى عن خصاء الفحول من الحيوان ذلك اشارة
الى الدين المامور باقامة الوجه اليه او الفطرة ان فسرت
بالملة الدين القيم المستوى الذى لا عوج فيه ولكن اكثر الناس
قيل كفار مكة لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين
اى راجعين اليه من ناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل
مقبلين وقيل مطيعين وهو نصب على الحال من الضمير لان
معنى اقم وجهك اقيموا وجوهكم منيبين وقيل المعنى فاقم
وجهك ومن معك منيبين واتقوه اى خافوا وامتثلوا
ما امركم به واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين
وصدرت بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيما له
من الذين فارقوا دينهم بدل من المشركين باعادة حرف الجر
اى تركوا دينهم الذى امروا به وقرئ فرقوا اى باختلافهم فيما
يعبدون قال الربيع بن انس الذين فرقوا دينهم اهل الكتاب

من اليهود والنصارى وتاوله غيره انه لاهل القبلة من اهل
الاهوا والبدع وكانوا شيعا اى فرقا تشايع كل فرقة اماما
الذى هو اصل دينها كل حزب منهم بما لديهم عندهم فرحون
اى مسرورون ظنا بانه الحق واذا مس الناس قيل كفار مكة
ضر اى شدة دعوا ربهم ان يرفع ذلك عنهم منيبين اليه
اى راجعين اليه من دعا غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة اى
خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون اى
فاجا فريق منهم بالاشراك بربهم الذى عافاهم ليكفروا بما
اتيناهم اللام للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله
فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة فسوف تعلمون عاقبة
تمتعكم وقرى بالتا على ان تمتعوا اماض ام انزلنا عليهم سلطانا
حجة وقيل ذا سلطان اى ملكا معه برهان وهو استفهام
فيه معنى التوقيف الضحاك سلطانا يعنى كتابا فهو يتكلم
تكلم دلالة واضاف الكلام الى الكتاب توسعا كقوله كتابنا
ينطق عليكم بالحق والسلطان ما يدفع به الانسان عن نفسه
امر ابيستوجب عقوبة وهو يذكر لانه بمعنى الدليل ويو
لانه بمعنى الحجة وقيل هو جمع سليط كرغيف ورغفان بما
كانوا به يشركون اى يخبر باشراكهم وصحته والمعنى لم يكن شئ
من ذلك واذا اذقنا الناس رحمة اى نعمة من صحة وسعة
وقيل الدعة والامن فرحوا بها اى بطروا والفرح هنا البطر
الذى لا شكر فيه وهو حرام واما الفرح لشكر النعمة فهو محمود

وان

وان تصبهم سيئة اى بلا وعقوبة وقيل قحط المطر بما
قدمت ايديهم اى بشوم ما عملوا من المعاصى اذا هم يقنطون
اى فاجوا القنوط من رحمته واذا للمفاجاه ونابت عن الفا
فى جواب الشرط لان المفاجاة تعقيب ولا يكون اول الكلام
كما ان الفا كذلك وقد دخلت الفا عليها فى بعض المواضع
زايده ومعنى يقنطون ييا سون من الرحمة والفرج ومن
شان المومن ان يشكر عند النعمة ويرجو اربه عند الشدة
وقيل القنوط ترك فرايض الله سبحانه فى السر اولم يروا
ان الله يبسط الرزق اى يوسعه لمن يشا ويقدر اى يضيقه
لمن يشا ان فى ذلك لايات لقوم يومنون بها وخصهم
بالذكر لانهم المنتفعون وقال ههنا اولم يروا والان بسط الرزق
مما يرى وقال فى الزمر اولم يعلموا لتقدم قوله او يقول
على علم فناسب ذكر العلم فيها والروية فيما قبلها فآت
ذا القربى حقه كصلة الرحم والخطاب له صلى الله عليه وسلم
والمراد هو وامته وقيل الاية منسوخة باية المواريث
والمسكين وابن السبيل المسافر ما وجب لهما من الزكاة
ذلك خير للذين يريدون وجه الله اى ذاته تعالى او
جهته والمعنى يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة
التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون اى الفايزون
بما بسط لهم من النعيم المقيم حيث خلصوا وما اتيتم من
ربا بزيادة محرمة فى المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد

مكافاة قرئ بالمد بمعنى اعطيتم وبالقصر بمعنى جيتم وقد مضى
حكم الربا فى البقرة **ليربو فى اموال الناس** اى ليزيد ويزكو
فى اموالهم قال عكرمة فى هذه الاية الربا ربا ان ربا حلال
وربا حرام فاما الربا الحلال فهو الذى يهدى يلتمس ما هو
افضل منه وكذا قال الضحاك وقال ليس فيه اجر ولا عليه
وزر ابن عباس نزلت هذه الاية فى هبة الثواب ابن عطية
وما جرى مجراها مما يصنعه الانسان ليجازى عليه كالسلام
وغيره فهو وان كان لا اثم فيه فهو لا اجر فيه ولا زيادة
عند الله وذلك قوله **فلا يربو اعند الله** اى فلا يزكو ولا يبارك
فيه وقيل انه الربا المحرم فمعنى لا يربو اعلى هذا لا يحكم به
لاخذه بل هو للماخوذ منه **وما اتيتم من زكاة** ابن عباس اى
من صدقة **تريدون وجه الله** اى تبتغون به وجهه خالصا
فاولئك هم المضعفون اى ذوو الاضعاف من الثواب
كما يقال فلان مقو وموسر اى ذو قوة ويسار وقال
فاولئك هم المضعفون ولم يقل فانتم المضعفون رجوعا
من المخاطبة الى الغيبة للتعظيم كانه خاطب به الملايكة
وخواص الخلق تعريفا للحاضر او للتعميم كانه قال فمن فعل
ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف
ان جعلت ما موصوله وتقديره المضعفون به وفى
معنى المضعفين قولان احدهما تضاعف الحسنات الحسنة
بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف او اكثر والاخر انهم قد

اضعف

اضعف لهم الخير والنعيم **الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم
ثم يحييكم هل من شركائكم** ممن اشركتم بالله **من يفعل من ذلكم
من شىء** لا اثبت له لوازم الالوهية ونفاها عنه راسا
عما اتخذوه شركا له من الاصنام وغيرها موكدا بالانكار
على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم
استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركا فقال **سبحانه
وتعالى عما يشركون** به ويجوز ان يكون الموصول صفة
والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم **ظهر الفساد فى البر
والبحر** قتادة الفساد الشرك وهو اعظم الفساد ابن عباس
وغيره فساد البر قتل ابن ادم الاول وفى البحر الذى ياخذ
كل سفينة غصبا وقيل هو القحط وقلة النبات وذهاب
البركة ونحوه وعن ابن عباس ايضا هو نقصان البركة
باعمال العباد كى يتوبوا النخاس وهذا احسن ما قيل فى الاية
وعنه ايضا ان الفساد فى البر انقطاع صيده بذنوب
بنى ادم وقيل كساد الاسعار وقلة المعاش وقيل قطع
السبيل والظلم اى صار هذا العمل مانعا من الزرع والعمارات
والتجارات فالبر والبحر هما المعروفان وقال بعض الصوفية
البر اللسان والبحر القلب لظهور ما فى اللسان وخفاء ما فى
القلب وقيل البر القياس فى الفقار والبحر القرى التى تعرف
الانهار والعرب تسمى الامصار البحار وقيل غير ذلك **بما
كسبت ايدى الناس** اى بشوم معاصيهم او بكسبهم **ليذيقهم**

بعض الذى عملوا اى بعض جزآيه فان تمامه فى الاخرة واللام
للعلة او للعاقبة لعلهم يرجعون اى يتوبون قل للكفار مكة
سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل
من كذب الرسل فشاهدوا مصداق ذلك وتحققوا صدقه
كان اكثرهم مشركين استيناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم
كان لفشو الشرك وغلبته فيهم اوكان الشرك فى اكثرهم ولما
دونه من المعاصى فى قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم اى
البليغ الاستقامة الزجاج المعنى اقم قصدك واجعل جهتك
اتباع الدين القيم يعنى الاسلام وقيل المعنى اوضح الحق
وبالغ فى الاعذار واحتفل بما انت فيه ولا تحزن عليهم من
قبل ان يأتى يوم لا مرد له اى لا يقدر ان يرده احد وقوله
من الله متعلق بيأتى ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر
على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ
يصدعون يتصدعون اى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق
فى السعير كما قال من كفر فعليه كفره اى وباله وهو النار
الموقدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اى يسوون
مترلا فى الجنة وعن مجاهد يسوون المضاجع فى القبور
وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على الاختصاص
ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون
او ليصدعون والاقتصار على جزآ المومنين للاشعار بانه
المقصود بالذات والاكتفاء على نحوى قوله انه لا يحب الكافرين
فان

فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمومنين ومن فضله دال
على ان الاقامة تفضل محض ومن اياته ان يرسل الرياح
مبشرات اى ومن اعلام كمال قدرته ارسال الرياح الشمال
والصبا والجنوب مبشرات بالمطر فانها رياح الرحمة اما
الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام
اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرى الريح على ارادة
الجنس وليذيقكم من رحمته يعنى المنافع التابعة لها وقيل
للخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذى هو
مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات
اى لتبشركم او عليها باعتبار المعنى ولتجرى الفلك السفن
بامره عند هبوبها وانما اراد بامره لان الرياح قد تهب ولا
تكون مواتيه فلا بد من ارسال السفر والاحتيال لحبسها وربما
عصفت فاغرقت السفن بامره ولتبتغوا اى تطلبوا من فضله
يعنى الرزق والتجارة فى البحر ولعلكم تشكرون اى ولتشكروا
نعمة الله فيها بالتوحيد والطاعة ولقد ارسلنا من قبلك
رسلا الى قومهم فجاوهم بالبينات اى المعجزات والحجج النيرات
فانتقمنا من الذين اجرموا اى فكفروا فانتقمنا ممن كفر بالتدمير
وكان حقا علينا نصر المومنين بانجائهم من عدوهم بصدق
الوعد فضلا ففيه بشرى له صلى الله عليه وسلم بالظفر
والعاقبة الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا اى تزعجه
وتنشره فيبسطه فى السما يمده فيها متسعا سايرا ووافقا

كيف يشآء على ما اراد من قلة وكثرة متصلا تارة وتجعله
كسفا بفتح السين قطعا تارة اخرى وقرئ بالسكون على انه
مخفف او جمع كسفه او مصدر وصف به فترى الودق اى
المطر يخرج من خلاله اى خلال الكسف لان كل جمع بينه
وبين واحدة الها لا غير فالتذكير فيه حسن فاذا اصاب
به اى بالمطر من يشآء من عباده يعنى بلادهم واراضيهم اذا
هم يستبشرون اى يفرحون بنزول المطر عليهم لمجى الخصب
منه وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير
للتاكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم
وقيل الضمير للسحاب والانزال وقال قطرب قبل الاولى للانزال
والثانية للمطر اى وان كانوا من قبل الانزال من قبل المطر وقيل
من قبل تنزيل الغيث عليهم من قبل الزرع ودل عليه المطر اد
بسببه يكون وقيل غير ذلك لمبلسين لايسين مكتئبين قد
ظهر عليهم الحزن لاحتباس المطر عنهم فانظر الى اثر رحمة الله
اى اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك
قرئ بالجمع كيف يحيى الارض بعد موتها بعد يبسها وقرئ بالتا
على اسناد الفعل الى ضمير الرحمة وقرئ بالتذكير اى يحيى الله
عز وجل او المطر او الاثر ان ذلك يعنى الذى قدر على احيآء الارض
بعد موتها لمحيى الموتى اى لقادر على احيآئهم وهو على كل شئ
قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سوآء ولئن ارسلنا
ريحا فراوه مصفرا اى فراوا الاثر او الزرع مصفرا بعد الخضرة

لفساده بان ضربته الريح لانه مدلول عليه بما تقدم وقيل
السحاب لانه اذا كان مصفر الم يمطر وقيل الريح وتجوز
تذكيره واللام موطية للقسم دخلت على حرف الشرط لظلوا
من بعده يكفرون جواب سد مسد الجزآء ولذلك فسر بالاستقبال
اى ليظلن وحسن وقوع الماضى فى موضع المستقبل لما فى الكلام
من معنى المجازاة ومعنى يكفرون يجحدون ما سلف من النعم
فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مسامعهم
ولا تسمع الصم الدعآء اذا بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية
بينها وبين الفا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة
فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام قد يفطن منه بواسطة
الحركات شيئا والمعنى قد وضحت الحجج لكنهم لما لفهم تقليد
الاسلاف فى الكفر ماتت عقولهم وعميت بصايرهم فلا يتهيا
لك اسماعهم وهدايتهم ان ما تسمع سماع افهام وقبول
الا من يومن بايتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقى اللفظ وتدبر
المعنى ويجوز ان يراد بالمومن المشارف للايمان فهم مسلمون
اى منقادون لما تامرهم به وقيل مخلصون الله الذى خلقكم
من ضعف اى ابتدا كم ضعفا وجعل الضعف اساس امركم
كقوله خلق الانسان ضعيفا او المعنى خلقكم من اصل ضعيف
وهو النطفه ثم جعل من بعد ضعف اخر وهو ضعف الطفوليه
قوة يعنى الشبيه ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يعنى
الهرم اذ الخذ احدكم السن قرئ بفتح الضاد فى جميعها وبالضم

وهما لغتان وقيل بالفتح فى الراى وبالضم فى الجسد **نجلو** ما بآشا
من قوة وضعف وشيبة **وهو العليم** بتدبير خلقه **القدير**
على ما يريده **ويوم تقوم الساعة** يعنى القيمة سميت بها
فانها تقوم فى اخر ساعة من ساعات الدنيا اولانها تقع بغتة
وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة **يقسم المجرمون**
اى يحلف المشركون **ما لبثوا** فى الدنيا او فى القبور او فيما بين فنا
الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام
والاعوام وليس فى هذا رد لعذاب القبر اذ صح عنه صلى الله
عليه وسلم انه تعوذ منه فمعنى ذلك قولان احدهما
انه لابد من خمدة قبل يوم القيمة والثانى انهم يعنون الدنيا
لزوالها وانقطاعها فاستقلوا مدة لبثهم الى مدة عذابهم
فى الاخرة قال تعالى **كذلك** اى مثل ذلك الصرف عن الصدق
والتحقيق لمدة اللبث **كانوا يؤفكون** اى يصرفون فى الدنيا
عن الحق بالبعث يقال افك الرجل اذا صرف عن الصدق
والخير وارض مأفوكة اى ممنوعة من المطر **وقال الذين**
اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس وقيل الانبيا
وقيل علما الامم وقيل مومنو اهذه الامة اى يقولون
للكفار ردا عليهم **لقد لبثتم فى كتاب الله** اى فى علمه وقضائه
او ما كتبه لكم او اوحيه او اللوح المحفوظ او القران وهو
قوله ومن ورائهم برزخ **الى يوم البعث فهذا يوم البعث**
الذى انكرتموه **ولكنكم كنتم لا تعلمون** انه حق لتفريطكم

فى

وانقطاع عمر غير ساعة وفى الحديث ما لبثنا فى الدنيا والبعث

فى النظر والعناد جواب شرط محذوف تقديره ان كنتم
منكرين البعث فهذا يومه اى فقد تبين بطلان انكاركم
فيومئذ لا تنفع بالتا **الذين ظلموا معذرتهم** وقرى بالياء
لان المعذرة بمعنى العذر اولان تانيثها غير حقيقى وقد
فصل بينهما والمعنى لا ينفعهم العلم بالقيمة او الاعتذار
يومئذ **ولا هم يستعتبون** اى لا يدعون الى ما يقتضى ازالة
عتبهم من التندم والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم
استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته **ولقد**
ضربنا جعلنا **للناس فى هذا القران من كل مثل** اى ولقد
وصفنا لهم فيه بانواع الصفات التى هى فى الغرابة كالامثال
مثل صفة المبعوثين يوم القيمة وما يقولون وما يقال لهم
وما لا يكون من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب وبينا لهم
من كل مثل يتيهم على التوحيد والبعث وصدق الرسول
ويدلهم على ما يحتاجون اليه **ولئن** لام قسم **جيتهم بآية**
من القران **ليقولن الذين كفروا** من فرط عنادهم وقساوة
قلوبهم **ان** ما **انتم** يا محمد والمومنين **الا مبطلون**
اى مزورون وقيل المعنى ولئن جيتهم بمعجزة كفلق البحر
والعصا وغيرهما ليقولن ان انتم الا متبعون الباطل والسحر
كذلك اى مثل ذلك الطبع **يطبع الله على قلوب الذين**
لا يعلمون اى لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها
فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب الحق

فاصبر على اذاهم ان وعد الله حق بنصرك واظهار دينك على
الدين كله ولا يستخفنك اى ولا يحملنك على الخفة والقلق
ولا يستفزنك الذين لا يوقنون بالبعث والحساب والمراد
لا تترك الصبر والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد
امته سورة لقمان مكيه الا ولو ان ما فى الارض الايتان
فمدنيتان بسم الله الرحمن الرحيم الم الله اعلم
بمراده بذلك وتقدم تلك ايات الكتاب الحكيم اى هذه
ايات القران المحكم الذى لا خلل فيه ولا تناقض وقيل
ذو الحكمة وقيل الحاكم والاضافة بمعنى من هدى ورحمة
للمحسنين حالان من الايات فالعامل فيهما معنى الاشارة
وقرئ بالرفع فيهما على الخبر والمحسنين جمع المحسن وهو الذى
يعبد الله كانه يراه فان لم يكن يراه فهو يراه الذين يقيمون
الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم يوقنون بيان
لاحسانهم وتخصيص هذه الثلاثة لفضل اعتقادها
وتكرير الضمير للتوكيد ولما جعل بينه وبين خبره اولئك
على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون اى الفايزون
لاستجماعهم المغفرة والعمل الصالح ومن الناس من يشترى
لهو الحديث اى ما يلهى عما يعنى كالاحاديث التى لا اصل لها
والاساطير التى لا اعتبار بها والمضاحك وفضول الكلام
ابن مسعود لهو الحديث الغنا وكذا قال ابن عباس الحسن هو
المعازف والغنا وعنه ايضا هو الكفر والشرك وقيل

الاية

الاية فى النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم رستم
واسفنديار فكان يجلس بمكة فاذا قالت قريش ان محمدا قال
كذا ضحك منه وحدثهم باحاديث ملوك الفرس ويقول
حديثى هذا احسن من حديث محمد فانه يحدثكم بحديث
عاد وثمود وانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار
والاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون سماع القران
وقيل كان يشترى المغنيات فلا يظفر باحد يريد
الاسلام الا اوطأ به الى قينة فيقول اطعميه واسقيه
وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلاة
والصيام وان تقاتل بين يديه ليضل بفتح الياء وضمها
عن سبيل الله اى عن دينه او قراءة كتابه بغير علم لحال من ايشترى به
او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القران ويتخذها هزوا
اى ويتخذ السبيل سخرية قرئ بالنصب عطفا على ليضل
وبالرفع عطفا على يشترى اولئك لهم عذاب مهين اى ذو
اهانة لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه
اياتنا اى القران ولى اى اعرض مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها
كان لم يسمعها مشبها حاله حال من لم يسمعها كان فى اذنيه
وقرا اى صمما وثقلا وجملتا التشبيه حالان من ضمير ولى او
الثانية بيان للاولى فبشره اى اعلمه بعذاب اليم مولم
وذكر البشارة للتهكم ان قيل انها لا تستعمل الا فى الخير
والراجح خلافه ومنهم من قال لا تستعمل فى غيره الا مقيدا

وعليه فلا يحتاج الى ذلك ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات النعيم اى لهم بغير جنات فعكس للمبالغة خالدين
فيها حال مقدرة من الضمير فى لهم او من جنات والعامل ما تعلق
به اللام وعد الله حقا مصدر ان موكدان الاول لنفسه
والثانى لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا
وهو العزيز الذى لا يغلبه شى فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده
الحكيم الذى لا يفعل الا ما فيه حكمة خلق السموات بغير عمد
جمع عماد وهو الاصطوانة ترونها استيناف وقد سبق
نظيره والقى فى الارض رواسى اى جبالا شوامخ ان تميد بكم
اى كراهة ان تتحرك بكم وبث اى فرق فيها من كل دابة وانزلنا
فيه التفات عن الغيبة من السما من السحاب او الجرم المعهود
ما فانبتنا فيها من كل زوج كريم اى من كل صنف كثير المنفعة
وكانه استدل بذلك على عزته التى هى كمال القدرة وحكمته
التى هى كمال العلم هذا خلق الله خلق بمعنى مخلوق كقولهم
درهم ضرب الامير فاروني ماذا خلق الذين من دونه يعنى
الاصنام اى هذا الذى ذكر مخلوقه فماذا خلق الهتكم حتى
استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلقوا وما مر تنفع بالابتدا
وذا بصلته خبره واروني معلق عنه وما بعده سد مسد
المفعولين بل الظالمون فى ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم الى
التسجيل عليهم بالضلال الذى لا يخفى على ناظر وقيل للانتقال
ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم

ومن

ومعنى فى ضلال مبين خسران ظاهر ولقد اتينا لقمان الحكمة
هو لقمان بن باعورا بن ناحور بن تارح وهو آزر بن اخت ايوب
او ابن خالته وكان نوبيا وعاش حتى ادرك داود واخذ عنه
العلم وكان يفتى قبل مبعثه فلما بعث ترك الفتيا وقال
الا اكتفى اذا كفيت ويقال عاش الف سنة قال الواحدى وكان
قاضيا فى بنى اسرايل واعطاه الله الحكمة والجمهور على انه كان
حكيما ولم يكن نبيا وقال بنبوته عكرمة والشعبى والحكمة
فى عرف العلما استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم
النظريه واكتساب الملكة التامه على الافعال الفاضله
على قدر طاقتها وقيل الحكمة العلم والعمل والاصابة فى
القول روى انه قيل له اى الناس شر قال الذى لا يبالى ان يراه
الناس مسيئا ومن حكمته انه صحب داود شهرا وكان يسرد
الدرع فلم يسأل عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب
انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله وان داود قال له
يوما كيف اصبحت فقال فى يد غيرى فتفكر داود فيه
فصعق صعقة وانه امره بان يذبح شاة ويأتيه باطيب
مضغتين فيها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره ان
يأتيه باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فساله عن ذلك
فقال هما اطيب شى اذا طابا واخبث شى اذا خبثا ان اشكر
اى بان اشكر لله الذى انعم عليك وعلى غيرك بفضله العظيم
او المعنى وقلنا له اشكر ومن يشكر فانما يشكر لنفسه اذ ثواب

شكره له لان نفعه عايد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق
مزيدها بحكم الوعد ومن كفر النعمة فان الله غنى عن خلقه
حميد اى محمود فى افعاله واذكر اذ قال لقمان لابنه قال
السهيلى اسمه باران بالموحدة وقيل داران وقيل انعم
وقيل غير ذلك وهو يعظه يا بنى تصغير اشفاق لا تشرك
بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ان الشرك بالله
لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة
منه ووصينا الانسان بوالديه امرناه ان يبرهما حملته
امه وهنا على وهن اى حملته فى بطنها تزداد كل يوم ضعفا
على ضعف وقيل ان المراة ضعيفة الخلقة ثم يزيدها
الحمل ضعفا ووهنا مصدر حال اى ذات وهن او موهونة
وقيل التقدير فى وهن وفصاله فى عامين اى فطامه فى
انقضاء عامين وكانت ترضعه فى تلك المدة وفيه دليل
على ان اقصى مدة الرضاع حولان ان اشكر لى ولوالديك
تفسير لوصينا او علة او بدل من والديك بدل الاشتمال
او على ارادة القول وذكر الحمل والفصال اعتراض مؤكد
للوصية ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام لمن قال له
من أبر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الى المصير
فاحاسبك على شكرك وكفرك قيل الشكر لله على نعمة الايمان
وللوالدين على نعمة التربية ومن صلى الصلوات الخمس فقد
شكر الله ومن دعى لوالديه فى ادبار الصلوات فقد شكرهما

وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم باستحقاقه
الاشراك تقليدهما وقيل اراد بنفى العلم به نفيه موافقة
للواقع فلا تطعهما فى ذلك وصاحبهما فى الدنيا معروفا
اى مصاحبا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع
فى الدين سبيل طريق من اناب الى اى رجع ومال بالتوحيد
والاخلاص فى الطاعة وهى سبيل الانبيا والصالحين ثم الى
مرجعكم اى مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون
فى الدنيا فاجازيكم عليه والى هنا تم الاعتراض ثم اتم ما يتعلق
بلقمان فقال يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل اى
ان الخصلة من الاساءة والاحسان ان تك مثلا فى الصغر
كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على ان الها ضمير القصة
وكان تامة وتانيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقوله
كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد الحسنة او
السيئة فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض اى فى اخفى
مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كحدب السموات او
اسفله كمقعر الارض يات بها الله اى يحضرها ويحاسب عليها
ومعنى الكلام المبالغة والانتهاء فى التفهيم ويقال ان الحس
لا يدرك الخردلة ثقلا اذ لا تزن ميزانا فهو عبارة تصلح
للجواهر اى قدر حبة وتصلح للاعمال اى ما يزنه على جهة
المماثلة قدر حبة وقيل المعنى لو كان للانسان رزق مثقال
حبة خردل فى هذه المواضع لجا بها الله حتى يسوقها الى

من هي رزقه اى لا تهتم للرزق حتى تشتغل به عن اداء الفرايض
وعن ابتاع سبيل من اناب الى الله وروى ان ابن لقمان سال
اباه عن الحبة تقع فى سفل البحر يعلمها الله فراجعه لقمان
بهذه الايه وقال ابن عباس الصخرة تحت الارضين السبع
وعليها الارض يكتب عليها اعمال الفجار وقيل هى التى على
ظهر الحوت ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفى خبيرا اى
عالم بكنهه وقيل لطيف باستخراج الحبة عالم بمكانها
يابنى اقم الصلوة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن
المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك بسبب الامر
والنهى او من الشدايد كالامراض وغيرها وان لا تخرج من الجزع
الى معصية الله جل وعز ان ذلك اشاره الى الصبر او الى
كل ما امره من عزم الامور اى مما عزمه الله من الامور اى
قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون
بمعنى الفاعل كقوله اذا عزم الامراى جد ابن عباس من عزم
الامور من حقيقة الايمان الصبر على المكاره ولا تصاعر
خدك للناس وقرى تصعر والصعر الميل اى لا تملله عنهم
ولا تتوهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون وقيل هو
ان تلوى شدقك اذا ذكر الرجل عندك كانك تحتقره
فالمعنى اقبل عليهم متواضعا موشسا واذا حدثك اصغر هم
فاصغ اليه حتى يكمل حديثه وقيل المعنى ولا تذل نفسك من
غير حاجة وفى الحديث ليس للانسان ان يذل نفسه ولا تمش

ف

فى الارض مرحا اى متبخترا متكبرا وهو النشاط والمشى فرحا
فى غير شغل ومرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا
او لاجل المرح وهو البطر ان الله لا يحب كل مختال فخور
علة للنهى وتاخير فخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال
للماشى مرحا لتوافق رؤس الاى والفخور الذى يعدد ما اعطى
ولا يشكر الله واقصد فى مشيك اى توسط فيه والقصد
ما بين الاسراع والبطو واغضض من صوتك اى وانقص منه
فلا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما يحتاج اليه وقال
الاخفش من زايدة والمراد بذلك كله التواضع ان انكر الاصوات
اى اقبحها واوحشها لصوت الحمير اوله زفير واخره شهيق
والحمار مثل فى الذم سيما نهيقه ولذلك يكنى عنه فيقال
طويل الاذنين وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه
مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد
تفصيل الجنس فى النكير دون الاحاد ولانه مصدر فى الاصل
الم تروا تعلموا يا مخاطبين ان الله سخر لكم ما فى السموات
من شمس وقمر ونجوم وملايكة وما فى الارض من جبال واشجار
وثمار وانهار مما لا يحصى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة اى اتمها واكملها محسوسة ومعقولة ما تعرفونه
وما لا تعرفونه وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم
قال لابن عباس وقد ساله عن هذه الايه الظاهرة الاسلام
وما حسن من خلقك والباطنه ما ستر عليك من سيى عملك

وقيل الظاهرة الصحة وكمال الخلق من حسن الصورة وتسوية
الاعضاء وغير ذلك والباطنة المعرفة والعقل وقيل
نعم الدنيا ونعم العقبى وقيل تسوية للخلق والخلق وقرئ
نعمه بالافراد وقرئ بالجمع والاضافة ومن الناس قيل
اهل مكة من يجادل في الله اى يخاصم في توحيده وصفاته
بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى الرسول ولا
كتاب منير انزله الله بل بالتقليد كما قال واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا
وهو منع صريح من التقليد في الاصول ولو كان الشيطان
يدعوهم يحتمل ان يكون الضمير لهم ولابائهم الى عذاب السعير
اى الى موجبات ذلك من التقليد والاشراك وجواب لو
محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجيب
او المعنى ايتبعونه ولو كان كذا وهو توبيخ واعلام بانهم
لا يطيعون من يدعوهم ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض
امره اليه واقبل بسره عليه من اسلمت المتاع وبوجهه
القراءة بالتشديد وحيث عدى باللام فلتضمن معنى الاخلاص
وهو محسن في عمله وقيل بالتوحيد لان العبادة من غير
احسان ولا معرفة القلب لا تنفع والاحسان كما في حديث
جبريل ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
فقد استمسك اى اعتصم بالعروة الوثقى اى باوثق ما يتعلق
به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يرتقى

شاهق

شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الجبل المتدلى منه ابن عباس
العروة الوثقى لا اله الا الله والى الله عاقبة الامور مرجعها
اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك
في الدنيا والاخرة والمعنى لا تمتثر به الينا مرجعهم في الدارين
فنتيئهم بما عملوا اى نجازيهم بالاهلاك والتعذيب ان الله
عليم بذات الصدور بما فيها من خير وشر فيجازى عليه نمتعهم
قليلا اى نمتعهم تمتعا او زمانا قليلا في الدنيا فان ما يزول
بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم اى نلجؤهم ونسوقهم
الى عذاب غليظ اى دايم وهو عذاب جهنم او المعنى نضم الى الاحراق
الضغط او نثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ ولين لام قسم
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح
الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى
اذعانه وليقولن حذف منه النون لتوالى النونات وواو
الضمير لالتقاء الساكنين قل الحمد لله على الزامهم والجائهم
الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون
ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض ملكا لا يستحق
العبادة فيهما غيره ان الله هو الغنى عن حمد الحامدين
الحميد المستحق للحمد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام اى
ولو ثبت كون الاشجار اقلاما والبحر المحيط بسعته وهو
بالنصب عطفا على اسم ان او بفعل مضمر يفسره ما بعده
وبالرفع عطفا على محل ان يمده من بعده سبعة ابحر كلها

مداد وذكر السبعة ليس للحصر بل للمبالغة واغنى عن ذكر المداد
يمده لانه من مد الدواة وامدها ما نفدت كلمات الله ه
المعبر بها عن معلوماته اى ما فرغت بكتابتها بتلك الاقلام
وذلك المداد وعلم مما ذكر انه ضرب مثل لعدم ضبطها اذ
معلومات الله غير متناهية واتى برجع القلة للاشعار
بان ذلك لا يفى بالقليل فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه
شى حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر والاية جواب لليهود
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اوامروا وقد
قريش ان يسالوه عن قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا
وقد انزل التوراة وفيها علم كل شى ما خلقكم ولا بعثكم الا
كنفس واحدة اى الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان عن شان
لانه يكفى لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته
الذاتيه كما قال تعالى انما امرنا لشى اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر
كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض وكذلك لخلق الم
تر تعلم يا مخاطب ان الله يولج يدخل الليل فى النهار
ويولج النهار يدخله فى الليل فيزيد كل منهما بما نقص
من الاخر وسخر الشمس والقمر كل يجرى اى كل من النيرين
يجرى فى فلكه الى اجل مسمى اى منتهى معلوم الشمس الى اخر
السنه والقمر الى اخر الشهر وقيل الى يوم القيمه وان
الله بما تعملون خبير اى عالم بكنهه ذلك اشارة الى الذى

ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجايب الصنع واختصاص
البارى بها بان الله هو الحق اى بسبب انه الثابت فى ذاته
الواجب الوجود او الثابت الهيته وان ما يدعون
يعبدون من دونه الباطل اى المعدوم فى حد ذاته
لا يوجد ولا يتصرف ولا يتصف الا بجعله او الباطل الهيته
وان الله هو العلى الكبير اى المترفع على كل شى المتسلط عليه
الم تر ان الفلك السفن تجرى فى البحر بنعمة الله اى بلطفه
بكم وبرحمته لكم فى خلاصكم منه وهو استشهاد اخر
على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة
او للحال ليريكم بما مخاطبين بذلك من ايا ته اى دلايله ومن
للتبعيض اذ بعض ما يشاهد ونه من قدرة الله تعالى
فيه لحسن مفتاح البحار السفن ومفتاح الارض الطرق ه
ومفتاح السما الدعا ان فى ذلك لايات لعبر لكل صبار
على المشاق فيتعب نفسه فى التفكر فى الافاق والانفس ه
شكور يعرف النعم ويتعرف ما تحتها او المعنى للمومنين
فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر واذا غشيهم
اى علاهم الكفار وغطاهم موج كالظلل اى ما يظل من جبل
او سحاب او غيرها دعوا الله الذى لا يدعى فى الشدايد
غيره مخلصين له الدين لزوال ما يتازع الفطره من الهوا
والتقليد بان يخيبهم فلما نجاهم يعنى من البحر الى البر فمنهم
مقتصد اى مقيم على الطريق القصد الذى هو التوحيد

او متوسط فى الكفر لا تزجاره بعض الانزجار وقيل مقتصد فى
القول مضمر للكفر وقيل فى الكلام حذف والمعنى فمنهم مقتصد
ومنهم كافر ودل على المحذوف **وما يجحد بايتنا الا كل ختار**
اى غدار فانه نقض العهد الفطرى او لما كان فى البحر والختر
اسوأ الغدر وقيل الجاحد وبجحد الايات انكارا عيانها
او انكارد لايلها **كفور** للنعم **يايها الناس اتقوا ربكم**
يعنى الكافر والمومن وقيل اهل مكة اى خافوه ووحدوه
واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده اى لا يغنى عنه شيا
والراجع الى الموصوف محذوف اى لا يجزى فيه **ولا مولود**
عطف على والدا ومبتدا خبره **هو جاز عن والده** فيه لة
شيا فكل امرء يهمه فيه نفسه فقط وتغيير النظم للدلالة
على ان المولود اولى بان لا يجزى وقطع طمع من توقع من
المومنين ان ينفع اباه الكافر فى الاخرة **ان وعد الله** بالثواب
والعقاب **حق** لا يمكن خلفه **فلا تغرنكم الحيوة الدنيا**
اى لا تخدعنكم بزينتها وما تدعوا اليه **ولا يغرنكم بالله**
الغرور اى الشيطان بان يرجيكم بالتوبة والمغفرة
فيجرئكم على المعاصى ويقول افعلوا ما شيتم فربكم كريم
لا يعذب احدا ولا يعاجل بالعقوبة وغير ذلك والدلالة
على كثرة كرم الله تستدعى الجد فى طاعته لا الانهماك
فى عصيانه اغترارا بكرمه **ان الله عنده علم الساعة**
اى علم وقت قيامها لما روى ان الحارث بن عمرو اتى النبى

صلى

صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة ومتى تمطر السما
وحمل امراتى ذكرا او انثى وما اعمل فى غد وابن اموت فنزلت
وعنه عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلى
هذه الاية **وينزل الغيث** فى اباته المقدر والمحل المعين له
فى علمه وقرى بالتشديد **ويعلم ما فى الارحام** اذكرا ام انثى
ام مختنث وكامل ام ناقص **وما تدرى نفس ما ذا تكسب غدا** من
خير او شر وربما تعزم على شى وتفعل خلافه **وما تدرى**
نفس باى ارض تموت كما لا تدرى فى اى وقت تموت مع
ان كلا غير معلوم لغيره تعالى لان علم المكان اقرب من علم
الزمان وروى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل
ينظر الى رجل من جلسايه فقال الرجل من هذا فقال
ملك الموت فقال كانه يريد نى فمر الريح ان تحملنى وتلقينى
بالهند ففعل فقال له الملك كان دوام نظرى اليه تعجبا
منه لانى امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك
واضافة العلم الى نفسه تعالى فى الثلاثة الاول ونفى العلم
عن العباد فى الاخيرين منها مع ان الخمسة سواء فى الاختصاص
الله تعالى بعلمها وانتفاء علم العباد لان الثلاثة الاول امرها
اعظم والخبر فخصت بالاضافة اليه تعالى والاخيرين من
صفات العباد فخصا بالاضافة اليهم مع انه اذا انتفى عنهم
علمها كان انتفاء علم ما عداها من الخمسة اولى وانما جعل العلم
لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق

صلى

بين العلمين ويدل على انه ان اعمل حيلته وابعد فيها وسعه
لم يفرق بين ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف
بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه ان الله عليم يعلم
كل شئ خبير بباطن كل شئ سورة السجده مكيه
صح عند الحاكم وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
لا ينام حتى يقرا الم السجده وتبارك الذى بيده الملك
واخرج ابن مردويه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قال تبارك الذى بيده الملك والم
السجدة بين المغرب والعشا الاخيره فكانما قام ليلة القدر
وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا الم تنزيل فى بيته لم يدخل
الشيطان بيته ثلاثة ايام لبسم الله الرحمن الرحيم
الم الله اعلم بمراده بذلك وان جعل اسما للسورة او القران
مبتدا خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل
ويجوز ان يكون تنزيل مبتدا والخبر لا ريب فيه ويكون
من رب العالمين حال من الضمير فى فيه لان المصدر
لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون لا ريب فيه حالا
من الكتاب واعتراضا والضمير فى فيه لمضمون الجمله
ويويده قوله ام يقولون افتراه فانه انكار لكونه من
رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك فانه تقرير
له ويجوز ان يكون تنزيل مبتدا ولا ريب فيه خبرا ول
ومن رب العالمين خبرا ثان ومعنى لا ريب فيه لا شك فيه

انه

انه من عند الله فليس بسحر ولا شعر ولا اساطير الاولين ام
يقولون افتراه ام هنا منقطعة اى بل يقولون افتراه اى
اقتعله محمد واختلقه لا بل هو الحق من ربك كذبهم فى دعوى
الافتراء لتنذر به قوما ما اتاهم من نذير من قبلك ما
نافيه والكلام صفة لقوم قال قتاده يعنى قريشا كانوا
امة امية لم ياتهم نذير من قبل محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل لانهم كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك
اياهم الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة
ايام من يوم الاحد الى يوم الجمعة المحسن من ايام الدنيا وقيل
فى ستة الاف سنة اى فى مدة ستة ايام من ايام الاخرة
ثم استوى على العرش استوا يليق به ومن بيانه وليست
ثم للترتيب وانما هى بمعنى الواو ما لكم يا كفار مكة من
دونه اى غيره من ولى ولا شفيع اى ما لكم اذا جاوز تم
رضى الله احد ينصركم ويشفع لكم يدفع العذاب عنكم افلا
تتذكرون بمواعظ الله تعالى يدبر الامر من السما الى الارض
اى يدبر امر الدنيا باسباب سماويه كالملك وبكة وغيرها
نازل اثارها الى الارض ثم عباس يتنزل القضا والقدر
وقيل يدبر امر الدنيا اربعة جبريل موكل بالرياح والجنود
وميكايل بالقطر والنبات وملك الموت يقبض الارواح
واسرافيل ينزل الامر عليهم وقيل ان العرش موضع
التدبير والسموات موضع التصريف ثم يعرج اليه

اى ثم يصعد اليه ويثبت فى علمه **فى يوم كان مقداره الف سنة**
مما تعدون اى فى برهة من الزمان متطاولة تتقدر بالف
سنة من سنى العالم وليس يوم يستوعب نهارا بين ليلتين ٥
لان ذلك ليس عند الله ويعنى بذلك استطالة ما بين التدبير
والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره فى اللوح المحفوظ
فينزل به الملك ثم يعرج اليه فى زمان هو كالف سنة لان
مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السما
والارض مسيرة خمسماية وقيل يقضى قضا الف سنه فينزل
به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف اخر ثم كذلك ايضا قاله
مجاهد وقيل ان اخبار اهل الارض تصعد مع حملتها من
الملايكة فى يوم مقداره الف سنه وقيل غير ذلك ٥
والكناية فى يعرج عن الملك ولم يجر له ذكر لانه مفهوم من
المعنى وقد جاء مثله فى قوله تعرج الملايكة والضمير فى اليه
يعود على السما على لغة من يذكرها او على مكان الملك الذى
يرجع اليه او على امر الله تعالى والمراد الى الموضع الذى امره
فيه وهو سدرة المنتهى فان اليها يرتفع ما يصعد به من
الارض ومنها ينزل ما يهبط به اليها ثبت معنى ذلك فى صحيح
مسلم والهاء فى مقداره راجعة الى التدبير وقيل الى
العروج واما قوله فى سورة سال فى يوم كان مقداره ٥
خمسين الف سنه فهو اشارة الى يوم القيمه لشدة اهواله
بالنسبة الى الكافر واما المومن فيكون اخف عليه من صلاة

مكتوبة

مكتوبة يصليها فى الدنيا كما جا فى الحديث وقيل فى يوم
كان مقداره خمسين الف سنه ما بين اسفل الارض الى العرش
وقيل غير ذلك **ذلك** الخالق المدبر **عالم الغيب والشهادة**
ما غاب عن الخلق وما حضر فيدبر امرهما على وفق الحكمة
العزيز الغالب على امره المنيع فى ملكه **الرحيم** على العباد
فى تدبيره وفيه ايما بانه يفعل المصالح تفضلا واحسانا
الذى احسن كل شى خلقه قرى بفتح اللام فعل ماض فى
موضع خفض نعت لشى او لكل فهو فى موضع نصب اى احكم
كل شى خلقه وجا به على ما اراد فلم يتغير عن ارادته
وقرى بسكون اللام مصدر لان قوله احسن كل شى بمعنى
خلق كل شى فهو مثل صنع الله وكتاب الله ويجوز ان يكون
بدل من كل شى بدل اشتمال والمعنى احسن خلق كل شى موفرا
عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة ومعنى احسن
اتقن واحكم من جهة ما هو لمقاصده التى اريدها من هذا
المعنى ابن عباس والمستقبح من الصور كالكلب والحية ونحو
ذلك كله حسن لان الخالق لا يحسن شيا منه **وبدا خلق**
الانسان يعنى ادم **من طين ثم جعل نسله** ذريته سميت به
لانها تنسل منه اى تنفصل **من سلالة من ماء مهين** من ماء
ضعيف وقيل لا خطر له عند الناس وهو النطفة **ثم سواه**
قومه بتصوير اعضايه على ما ينبغى **ونفخ فيه من روحه**
فجعله حيا بعد ان كان جمادا واضافه الى نفسه تشريفا

واظهار ابانه خلق عجيب وان له شانا وجعل لكم السمع ٥
والابصار والافئدة لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا وقيل
ونفخ فيه من روحه ورجوع الى ادم اى سوى خلقه ونفخ فيه
من روحه ثم رجع الى ذريته فقال وجعل لكم السمع الى
اخره قليلا ما تشكرون اى ثم انتم لا تشكرون بل تكفرون
وقيل تشكرون شكرا قليلا فما زايده موكدة للقلة
وقالوا ايذا ضللنا فى الارض اى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض
لا تتميز منه او غبنا فيها واصله من قول العرب ضل الماء فى
اللبن اذا ذهب فيه والعامل فى اذا معنى الجملة التى فى
اولها ان اى اذا هلكنا نبعث او يجدد خلقنا ولا يعمل فيه
جديد لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وهو استفهام انكار
وهذا قول ابى بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به
قال تعالى بل هم بلقاء ربهم بالبعث كافرون قل
يتوفاكم اى يستوفى نفوسكم لا يترك منها شيا ولا يبقى منكم
احدا ملك الموت الذى وكل بكم يقبض ارواحكم واحصاها
اجالكم قيل وهو عزرايل ومعناه عبد الله وفى الحديث
ان البهايم كلها يتوفى الله ارواحها دون ملك كان الله
يعدم حياتها ذكره ابن عطيه القرطبى وقد روى خلاف
ذلك وان ملكا يتوفى جميع ارواح الخلايق حتى البرغوث
والبعوضة وروى جعفر بن محمد عن ابيه قال نظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى ملك الموت عند راس رجل من الانصار

فقال

فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارفق بصاحبى فانه مومن
فقال ملك الموت يا محمد طب نفسا وقر عينا فانى بكل
مومن رفيق واعلم ان ما من اهل بيت مدر ولا شعر
فى بر ولا بحر الا وانا اتصفحهم فى كل يوم خمس مرات حتى
لانا اعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله يا محمد
لو انى اردت ان اقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك
حتى يكون الله هو الامر بها وسيل مالك بن انس عن
البراغيث ايقبض ملك الموت ارواحها فاطرق طويلا
ثم قال ألها نفس قيل نعم قال ملك الموت يقبض ارواحها
قال ابن عطيه بعد ذكره للحديث وكذلك الامر فى بنى ادم
الا انه نوع شرف بتصرف ملك ومعه ملايكة فى
قبض ارواحهم فخلق الله ملك الموت وخلق على يديه
قبض الارواح وانسلالها من الاجسام واخراجها
منها وخلق جندا يعاونون عمله بامره قال تعالى توفته
رسلنا والبارى تعالى خالق الكل الفاعل حقيقة لكل
فعل قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الذى خلق
الموت والحياة فملك الموت يقبض الارواح والاعوان
يعالجون والله تعالى يزهق الروح وهذا هو الجمع بين
الاى والاحاديث لكن لما كان ملك الموت متولى ذلك
بالمباشرة اضيف التوفى اليه وروى عن مجاهد ان الدنيا
بين يديه كالطست بين يدى الانسان ياخذ من حيث شا

ثم الى ربكم ترجعون احيا للحساب والجزا ولو ترى اذ المجرمون
ناكسوا رؤسهم عند ربهم مطاطوها من الحيا والخزى اى
ولو ترى يا محمد منكرى البعث يوم القيمة لرايت العجب امرا
عظيما قاله الزجاج وقيل المعنى قل يا محمد للمجرم ولو ترى
اذ المجرمون الكافرون ناكسوا رؤسهم لندمت على ما كان
منك ومعنى عند ربهم عند محاسبته وترى من رؤية
العين والمفعول المحذوف واغنى عن ذكره المبتدا واذ ها هنا
يراد بها المستقبل ويجوز ان تكون للتمنى والماضى فى اذ لان
الثابت فى علم الله بمنزلة الواقع ربنا اى قايلين ربنا
ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك وقيل
ابصرنا ما كنا نكذب وسمعنا ما كنا ننكر فارجعنا الى الدنيا
نعمل صالحا انا موقنون الآن اذ لم ينفعنا ما شاهدنا
فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون قال تعالى ولو شيئنا لاتينا
كل نفس هداها اى رشدها وتوفيقها وهو الايمان بان
تهتدى له باختيارها وقال النحاس فى معناه قولان احدهما
انه فى الدنيا والاخر ان سياق الكلام يدل على انه فى الاخرة
اى لو شيئنا الرددناهم الى الدنيا كما سالوا ولكن حق القول منى
اى ثبت قضائى وسبق وعيدى وهو لاملان جهنم من
الجنة والجن والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم
المشيئة المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا بد فعهم
جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة والتفكر فيها

بقوله

بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من الوسايط
والاسباب المقتضية له انا نسيناكم اى تركناكم من الرحمة
او فى العذاب ترك المنسى وفى استيناقه وبنا الفعل على
ان واسمها تشديد فى الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد
اى الدايم الذى لا انقطاع له بما كنتم تعملون كرر الامر
للتاكيد ولما ينطوى به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم
السيئة من التكذيب والمعاصى كما علله بتركهم تدبر امر
العاقبة والتفكر فيها على ان كلا منهما يقتضى ذلك وقد
يعبر بالذوق عما يطرا على النفس وان لم يكن مطعوما
لاحساسها به كاحساسها بذوق المطعوم انما يؤمن
بآياتنا القران الذين اذا ذكروا بها اى وعظوا بها وهذه
تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم اى لانهم لا تفهم الكفر
لا يؤمنون بك انما يؤمن بك وبالقران المتدبرون له
والمتعظون به وهم الذين اذا قرى عليهم القران خروا
سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا تنزهوا عما لا يليق به
كالعجز عن البعث بحمد ربهم اى حامدين له شكرا على ما وفقهم
للاسلام واتاهم الهدى وقيل المعنى قالوا فى سجودهم
سبحان الله وبحمده سبحان ربى الاعلى وقال سفيان المعنى
صلوا بامر ربهم وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة
كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم عن المضاجع اى ترتفع
وتنتو عن مواضع الاضطجاع والمضاجع جمع مضجع وهى

مواضع النوم ابن عباس تتجافى لذكر الله اما فى صلاة واما
فى غيرها والجمهور على انه التنفل بالليل وقيل صلاة العشا
وقيل التنفل بين المغرب والعشا قال انس نزلت فينا
معاشر الانصار كنا نصلى المغرب فلا نرجع الى رحالنا
حتى نصلى العشا مع الجماعة مع النبى صلى الله عليه وسلم
وفى الحديث ان الملايكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب
والعشا وقيل صلاة العشا والصبح فى جماعه وقيل
غير ذلك ويحصل قيام الليل بركعتين ومن كثر كثر الله له
يدعون ربهم اى داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا
فى رحمته وفى الحديث اذا جمع الله الاولين والاخرين
جا منادى ينادى بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم
اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ليقم الذين كانت تتجافى
جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم ينادى
ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى الباساا والضرا فيقومون
وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنه ثم يحاسب سايرين
الناس ومما رزقناهم ينفقون تتصدقون فى وجوه
الخير وهو عام فى الواجب والتطوع فلا تعلم نفس
ما اخفى لهم خبى لهم لا ملك مقرب ولا نبى مرسل من قرة
اعين اى مما تقر به عيونهم وعنه عليه الصلاة والسلام
يقول الله اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين راات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قرا هذه الايه

ابن

ابن سيرين المراد به النظر الى الله تعالى وعن ابن عباس
الامر فى هذا اجل واعظم من ان يعرف تفسيره وقال
الحسن اخفى القوم اعمالهم فاخفى الله لهم ما لا عين راات
ولا اذن سمعت وقرى اخفى بسكون الياء على انه مضارع
وقرى قرات بالجمع لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفه
وما موصوله او استفهاميه معلق عنها الفعل جزاء
بما كانوا يعملون اى يجوز واجزاوا واخفى للجزا لفان اخفاه
لعلو شانه افمن كان مومنا كمن كان فاسقا خارجا
عن الايمان لا يستوون فى الشرف والمثوبه وهو تاكيد
وتصريح والجمع للحمل على المعنى قيل ان الايه نزلت فى على
ابن ابى طالب والوليد بن عقبه وذلك انهما تلاحيا فقال
الوليد لعلى انا اذرب منك لسانا واحد سنانا واملى
فى الكتيبة جسدا فقال له على اسكت فانك فاسق فانزل
فنزلت الايه بتصديقه فاما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فلهم جنات الماوى فانها الماوى الحقيقى
والدنيا منزل مرتحل عنه لا محاله وقيل الماوى جنة
من الجنات نزلا هو ما يعد للنازل والضيف من طعام
وشراب وصله وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها
الظرف وقيل مصدر موكد والتقدير انزلوها نزلا بما
كانوا يعملون اى بسبب عملهم واما الذين فسقوا
خرجوا عن الايمان فماواهم النار اى مقيلهم مكان جنة الماوى

للمومنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها عبارة
عن خلودهم فيها وقيل اذا ادوعهم لهيب النار الى اعلاها
ردوا الى موضعهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار
الذى كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة فى غيظهم ٥
ولنذيقنهم من العذاب الادنى عذاب الدنيا ومصايبها
واسقامها وقيل الحدود وقيل القتل بالسيف يوم بدر
وقيل الجوع سبع سنين بمكة حتى اكلوا الجيف وقيل
عذاب القبر دون اى قبل العذاب الاكبر عذاب الاخره
لعلهم اى من بقى منهم يرجعون اى يتوبون عن الكفر وعن
جعفر بن محمد العذاب الاكبر خروج المهدى بالسيف والادنى
غلاء السعر ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه القران ثم
اعرض عنها فلم يومن به ولم يتفكر فيها وثم لاستبعاد
الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب
السعاده اى لا احد اظلم منه انا من المجرمين منتقمون فكيف
بمن كان اظلم من كل ظالم ولقد اتينا موسى الكتاب التوراة
كما اتيناك فلا تكن فى مرية اى شك من لقايه اى من لقايك
الكتاب لقوله وانك لتلقى القران والمعنى من لقا موسى
الكتاب فاودى وكذب فلا تك فى شك من انه سيلقاك
ما لقيه من التكذيب والاذى فالها عايدة على محذوف
والمعنى من لقا ما لاقى او من لقايك موسى وعنه صلى الله
عليه وسلم رايت ليلة اسرى بى موسى عليه السلام رجلا

ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوه وجعلناه اى المنزل
على موسى وقيل موسى نفسه هدى لبنى اسراييل وجعلنا
منهم ايمة اى قادة وقدوة يقتدى بهم فى دينهم يهدون
الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم به اوبتوفيقنا له
لما صبروا اى حين صبروا عن الدنيا او على الطاعة وقرئ
لما صبروا اى لصبرهم جعلناهم ايمة قال ابن عيينة
لما اخذوا راس الامر جعلنا هم روسا قال الخواص الصبر
على الثبات على احكام الكتاب والسنه وكانوا بايتنا الدالة
على قدرتنا ووحدانيتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر
ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيميز الحق من الباطل
بتمييز الحق من المبطل وقيل يقضى ويحكم بين المومنين والكفار
فيجازى كلا بما يستحق فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين
اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون اى كثرة من
اهلكناهم من الامم الماضيه والضمير يدل له القراة بالنون
والمعنى اولم يتبين لاهل مكة اهلاكنا القرون الكافره
وقيل الضمير للهدى المدلول عليه بيهدى والمعنى اولم يهد
الهدى يمشون حال من ضمير لهم فى مساكنهم يعنى اهل مكة
يمرون فى متاجرهم على ديارهم ان فى ذلك لايات دلالات
على قدرتنا افلا يسمعون سماع تدبر وايقاظ اولم يروا انا
نسوق الماء الى الارض الجرز اى اليابسه لنحييها وقيل
التى جرز نباتها اى قطع وازيل الا التى لا تنبت لقوله فنخرج به

اى بالمآ زرعا ابن عباس هى ارض باليمن وقد روى ان هذه الارض
لا انهار فيها وهى بعيدة من البحر وانما ياتيها فى كل عام وادیان
فيزرعون ثلاث مرات فى كل عام مجاهد هى ارض النيل تاكل
منه انعامهم من الكلا والحشيش والتبن وانفسهم من الحب
والخضر والفواكه افلا يبصرون فيستدلون به على كمال
قدرتنا وفضلنا فيعلمون انا نقدر على اعادتهم ولما كان
الاول مما يسمع ذكر معه يسمعون والثانى مما يبصر ذكر
معه يبصرون للمناسبة ويقولون متى هذا الفتح اى النصر
او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا ان كنتم
صادقين فى الوعد به وقيل المراد بالفتح فتح مكة وروى ان
المومنين قالوا سيحكم الله عز وجل بيننا يوم القيمة فيثيب
المحسن ويعاقب المسئ فقال الكفار على التهزى متى يوم الفتح
قل يوم الفتح بانزال العذاب بهم لا ينفع الذين كفروا ايمانهم
ولا هم ينظرون يمهلون لتوبة او معذرة وهو يوم القيمة
فانه يوم نصر المسلمين على الكفار والفصل بينهم وقيل
يوم بدر والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانه
لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا
على سوالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من عرفهم فانهم
لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزا اجيبوا بما يمنع
الاستعجال فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم ولا تجبهم الا بما
امرت به وقيل منسوخ باية السيف وانتظر النصر عليهم

وانزال

وانزال العذاب بهم انهم منتظرون الغلبة عليك او
حوادث الزمان بك من قتل او موت فيستريحون منك وقرى
بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملايكة
ينتظرونه وقيل منتظرون القيمة فان قيل كيف ينتظرونها
وهم لا يومنون بها فعنه جوابان احدهما ينتظرون الموت
وهو من اسبابها فيكون مجازا والثانى ان فيهم من يشك فيها
ومنهم من يوقن بها فيكون هذا جوابا لهذين الصنفين
سورة الاحزاب مدنية بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها النبى اتق الله ناداه بالنبى ولم يقل يا محمد كما قال فى
نداء غيره يا موسى يا عيسى اجلالا وتعظيما وامره بالتقوى
تفخيما لشان التقوى والمراد الثبات عليها كما يقال للقايم
قم اى اثبت على قيامك او الخطاب له والمراد امته ولا تطع
الكافرين والمنافقين فيما يعود ضرره فى الدين قيل
نزلت فى ابى سفيان بن حرب وعكرمة بن ابى جهل وابى الاعور
نزلوا المدينة على عبد الله بن ابى بعد احد وقد اعطاهم
النبى صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقام
معهم عبد الله بن ابى سرح وطعمة بن ابيرق وعبد الله بن
ابى وغيرهم فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم وعنده
عمر بن الخطاب ارفض ذكر الهتنا وقل ان لها شفاعة
ومنعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبى صلى الله
عليه وسلم ما قالوا فقال عمر يا رسول الله ايذن لنا فى قتلهم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني قد اعطيتهم الامان
فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فامر صلى الله عليه
وسلم ان يخرجوا من المدينة فنزلت وقيل غير ذلك ان الله
كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما يفعل ما فيه الحكمة وقيل
عليما بكفرهم حكيما فيما يفعل فيهم واتبع ما يوحى اليك من
ربك يعني القرآن وفيه النهي عن طاعتهم والامر بمجاهدهم
ومنابذتهم ان الله كان بما تعملون بالتاء فوق خبيرا انما جاء
بالجمع لانه عني بقوله واتبع انت واصحابك وقرئ بالياء
على ان الضمير للكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكايدهم
فيدفعها عنك وتوكل على الله اي اعتمد عليه وكل امرك الى
تدبيره وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه الامور كلها
وكرر الاسم الاعظم للدلالة على الثقة بحصول المقصود
وامته تبع له في ذلك كله ما جعل الله لرجل من قلبين في
جوفه اي ما جمع قلبين في التعدد قال مجاهد نزلت في رجل
من قريش كان يدعي ذا القلبين من دهائه يقول ان لي في
جوفي قلبين اعقل بكل منهما افضل من عقل محمد فلما
هزم المشركون يوم بدر راه ابو سفيان في العير وهو
معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال
ابو سفيان ما بال احدى نعليك في يدك والاخرى في
رجلك فقال ما شعرت الا انهما في رجلي فعرفوا يومئذ
انه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده ابن عباس سبيها
ان

ان المنافقين قالوا ان محمدا له قلبان لانه ربما كان في شيء
فتزع في غيره ثم عاد الى شانه الاول فكذبهم الله وقيل
لا يجتمع الكفر والايمان في قلب كما لا يجتمع قلبان في جوف
والمعنى لا يجتمع اعتقادان متغايران في قلب وما جعل
ازواجكم اللائي تظهرون منهن كقول الرجل لامراته مثلا
انت علي كظهر امي امهاتكم اي كامهاتكم في التحريم المؤبد في
الجاهلية طلاقا وانما يجب به الكفارة بشرطه كما ياتي في
سورة المجادلة واللائي جمع التي والاصل اثبات الياء وتجوز
حذفها اجتزاءا بالكسرة وما جعل ادعياءكم ابناءكم حقيقة
اجمع اهل التفسير على ان هذا نزل في زيد بن حارثة روى
الائمة ان ابن عمر قال ما كنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن
محمد حتى نزلت ادعوهم لابائهم وكان زيد مسبيا من الشام
سبته خيل من تهامة فابتاعه حكيم بن حزام بن خويلد
فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد فوهبته خديجة
بنت خويلد للنبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه
فاقام عنده مدة ثم جاء ابوه وعمه يرغبان في فدائه
فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل البعث
خيراه فان اختاركما فهو لكما دون فدا فاختار الرق
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حريته وقومه وا
فقال صلى الله عليه وسلم عند ذلك يا معشر قريش اشهدوا
انه ابني يرثني وارثه وفقل زيد بمؤتة من ارض الشام

سنة ثمان من الهجرة والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف
لاد ايه التناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى
وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعي اللذين لا ولادة بينهما
وبين امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة واصل تظاهرون
تتظاهرون فادغمت التا الثانية في الظا وقرئ تظهرون ٥
واصله من الظهور والظهار ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ
وادعيا جمع دعي وهو من يدعى لغير ابيه ابنا ذلكم اشارة الى
كل ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم لا حقيقة له في الاعيان ٥
والله يقول الحق اى القول الحق وهو ما له حقيقة وهو يهدى
السبيل اى يبين طريق الحق لكن ادعوهم لابائهم اى انسبوهم
اليهم وهو افراد للمقصود من اقوال الحق وقوله هو اقسط
عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا اقسط افعل
تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ٥
ومعناه البالغ في الصدق فان لم تعلموا اباءهم فتنسبوهم
اليهم فاخوانكم في الدين اى فهم اخوانكم في دين الاسلام ٥
ومواليكم اى اولياؤكم فيه وبنو اعمكم فقولوا هذا اخي
ومولاي بهذا التاويل وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به
اى ولا اثم عليكم فيما فعلتموه مخطئين قبل النهي او بعده على
وجه النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم
اى ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن فيما تعمدت الجناح وكان
الله غفورا رحيما العفو عن المخطي واعلم ان التبني لا عبرة له

عند

عند الشافعي وعند ابي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت
النسب المجهول له الذي يمكن الحاقه به وقد رفع حكم التبني
وكان معمولا به في الجاهلية ومنع من اطلاق اللفظ به النبي
اولى بالمومنين من انفسهم في الامور كلها فانه لا يامرهم ولا
ينهى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فانها
تدعوهم الى الهلاك فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب
اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه
الزم من شفقتهم عليها روى انه عليه الصلاة والسلام
اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن
اباءنا وامهاتنا فنزلت وازواجه امهاتهم اى منزلات
منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك كالاجنبيات
في الخلوة والنظر والمسافرة والنفقة والميراث ولذلك
قالت عايشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء واولوا
الارحام اى ذووا القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث
وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة
والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزل من
المومنين والمهاجرين بيان للاولى الارحام او صلة للاولى
اى اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المومنين بحق
الدين والمهاجرين بحق الهجرة القريبي من المومنين متعلق ٥
باولى لا بقوله واولوا الارحام بالاجماع لان ذلك يوجب
تخصيصا ببعض المومنين ولا خلاف في عمومها الا ان تفعلوا

الى اوليآئكم معروفا استثنآء من اعم ما يقدر الاولوية فيه
من النفع وقيل منقطع بمعنى لكن والمراد بفعل المعروف
الاحسان فى الحياة والوصية عند الموت اى ان ذلك جايز
وقيل نزلت فى اجازة الوصية لليهودى والنصرانى قاله
ابو حنيفة كان ذلك فى الكتاب مسطورا اى كان ماذكر فى
الاثنين ثابتا فى اللوح او القران وقيل فى التوراه وقال قتادة
كان مكتوبا عند الله عزوجل ان لا يرث كافر مسلما واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم الموكدة
بتبليغ الرسالة والدعآء الى الدين القيم وان يبشر بعضهم
ببعض ويصدق بعضهم بعضا وقيل الميثاق حين اخرجوا
من ظهر ادم كالذر جمع ذره وهى اصغر النمل ومنك يا محمد
ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم خصهم بالذكر
لانهم مشاهير ارباب شرايع وقيل لانهم اولوا العزم من
الرسل وايمة الامم وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم
تعظيما له ولانه اولهم خلقا واخرهم بعثا فهو اشرفهم
وانما قدم نوحا فى اية شرع لكم من الدين لانها سيقت
لوصف مابعث به نوح من العهد القديم ومابعث به
نبينا من العهد الجديد فكان تقديم نوح ثم اشد مناسبه
للمقصود واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشان او موكد
باليمين وقيل الميثاق الاول هو الاقرار بالله والثانى فى امر
النبوة ليسال الصادقين عن صدقهم اى فعلنا ذلك ليسال

الله يوم القيمة الانبيا عن تبليغهم الرسالة الى قومهم او عن
الوفا بالميثاق الذى اخذه عليهم وقيل ليسال عن الانبياء
عما اجابهم به قومهم وفايدة سوالهم توبيخ الكفار وفى
هذا تنبيه اى اذا كان الانبيا يسالون فكيف من سواهم
وقيل ليسال الافواه الصادقه عن القلوب المخلصة
واعد للكافرين منهم عذابا اليما اى مولما والجملة معطوفة على
اخذنا من جهة ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة
المومنين او على ما دل عليه ليسال كانه قال فاثاب المومنين
واعد للكافرين يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم
اذ جآءتكم جنود يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود
قريظة والنضير وكانوا زهآء اثنا عشر الفا فارسلنا عليهم
ريحا مجاهد هى ريح الصبا ارسلت على الاحزاب يوم الخندق
وفى الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا
لم تروها الملايكة ولم تقاتل يوميذ روى انه لما سمع باقبالهم
ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم فى ثلاثة الاف
والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر
لا حرب بينهم الا الرمى بالنبل والحجارة قال المفسرون وبعث
الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت
التراب فى وجوههم واطفات نيرانهم واكفات قدورهم
وجالت الخيل بعضها فى بعض وكثر تكبير الملايكه من جوانب
العسكر وارسل الله عليهم الرعب حتى كان سيد كل حيا

يقول يا بنى فلان هلم الى فاذا اجتمعوا اليه قال النجا النجا
وقال طلحة بن خويلد الا ترون الى محمد قد رماكم بالسحر فانهزموا
من غير قتال وكان الله بما تعملون بالتاء من حفر الخندق وقرئ
بالياء اى بما يعمل المشركون من التخريب والمحاربة بصيرا لا يخفى
عليه شئ اذ جاءوكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادى
من قبل المشرق بنو غطفان عوف بن مالك فى بنى نصر وعيينة
ابن حصن فى اهل نجد وطلحة بن خويلد فى بنى اسد ومن
اسفل منكم من اسفل الوادى من قبل المغرب قريش وابو الاعور
السلمى ومعه حيى بن اخطب فى يهود بنى قريظة مع عامر بن
الطفيل من وجه الخندق واذ زاغت الابصار مالت عن
مستوى نظرها حيرة وشخوصا فلم تلتفت الا الى عدوها
دهشا من فرط الهول وبلغت القلوب الحناجر اى زالت عن
اماكنها رعبا حتى بلغت الحناجر وهى الحلاقيم فلولا الحلوق
ضاقت عنها لخرجت وذلك ان الرية تنتفخ من شدة الخوف
فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم
عند مدخل الطعام وغيره وقيل هو على معنى المبالغة
وتظنون بالله الظنونا المختلفة بالنصر واليأس الحسن
ظن المنافقون ان المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون
انهم ينصرون وقيل هو خطاب للمنافقين اى قلتم هلك
محمد واصحابه والظنونا بالالف فى المصاحف ووجهه
انه رأس اية فشبه بالواو الاخر الايات المطلقة لتتناخى رؤس

الآى

الآى ومثله الرسولا والسبيلا على ما ذكر فى القرآت
ويقرأ بغير الف على الاصل هنالك اشارة الى البعيد
من المكان ويشار به الى الوقت او عند ذلك ابتلى اى اختبر
المؤمنون ليتبين المخلص من المنافق وكان هذا الابتلاء بالخوف
والقتال والجوع والحصر والتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا
اى حركوا بالخوف تحريكا الضحاك هوازاحتهم عن اماكنهم
حتى لم يكن لهم الا موضع الخندق وقيل اضطرابهم عما كانوا عليه
فمنهم من اضطرب فى نفسه ومنهم من اضطرب فى دينه والعا
فى هنالك ابتلى فلا يوقف عليه ويجوز ان يكون العامل
وتظنون فيوقف على هنالك واذكر اذ يقول المنافقون
والذين فى قلوبهم مرض اى ضعف اعتقاد وشك ما وعدنا
الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا اى وعدا
باطلا وذلك ان طعمة بن ابيرق ومعتب بن قشير وجماعة
نحو من سبعين رجلا قالوا يوم الخندق كيف يعدنا
ملك فارس والروم ولا يستطيع احدنا ان يتبرز فرقا
ما هذا الا غرورا واذ قالت طائفة منهم الطائفة تقع
على الواحد فما فوقه وعنى به هنا اوس بن قيظى واتباعه
يا اهل يثرب اى اهل المدينة وسماها رسول الله صلى الله عليه
وسلم طيبة وطابة وسميت يثرب لان الذى نزلها من
العمالقة واسمه يثرب بن عاميل وقيل انه اسم ارض فى
ناحيتها وقد صح النهى عن تسميتها به لانه صلى الله عليه وسلم

كان يكره الاسم المخبيث وهو يثرب بالثرب وهو الفساد ٥
والتثريب التوبيخ ويثرب لاينصرف للتعريف ووزن الفعل
وفيه التانيث **لا مقام لكم** اى لا موضع فيها لكم وقرى بالضم
على انه مكان او مصدر من اقام **فارجعوا** الى منازلكم هاربين
الى المدينه وكانوا خرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم الى سلع
وهو جبل خارج المدينه للقتال وقيل المعنى لا مقام لكم على
دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه ابن عباس قالت اليهود
لعبد الله بن ابى واصحابه من المنافقين ما الذى يحملكم على
قتل انفسكم بيد ابى سفيان واصحابه فارجعوا الى المدينه
فانا مع القوم فانتم امنون **ويستاذن فريق منهم النبى** فى
الرجوع الى منازلهم بالمدينة وهم بنو حارثة فى قول ابن عباس
وقيل اوس بن قيظى **يقولون ان بيوتنا عورة** اى ذات
ضايعه ليست بحصينه وهى مما يلى العدو واصلها الخلل
وقيل المعنى ذات عورة وكل مكان ليس بممنوع ولا مستور فهو
عورة قال تعالى **وما هى بعورة** بل هى حصينه **ان يريدون** اى
ما يريدون بذلك **الا فرارا** من القتال وقيل من الدين ٥
ولو دخلت عليهم اى المدينة او بيوتهم **من اقطارها** اى جوانبها
ونواحيها الواحدة قطر وحذف الفاعل للايماء بان دخوك
هولا المتحزبين عليهم ودخول غيرهم سيان فى اقتضاء الحكم
المرتب عليه **ثم سيلوا** اى سالهم الداخلون **الفتنة** اى الردة
ومقاتلة المسلمين **لاتوها** بالمد اى لاعطوها وقرى بالقصر

اى

اى لجاوها او فعلوها والمعنى لو سيلوا القتال فى العصبية
لاسرعوا اليه او سيلوا الشرك لاجابوا اليه مسرعين **وما**
تلبثوا بها اى لبثوا بالمدينة بعد الارتداد وقيل بالفتنة
اى باعطايها **الا يسيرا** اى الا لبثا او زمنا يسيرا وذلك لضعف
نياتهم ولفرط نفاقهم **ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل**
لا يولون الادبار يعنى بنى حارثة عاهدوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل غزوة الخندق يوم احد حين فشلوا
ثم تابوا ان لا يعودوا والمثله فذكر الله لهم الذى اعطوه من انفسهم
وكان عهد الله مسيولا اى مسيولا عن الوفاء به فيجازى
عليه **قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل**
الذى كتب عليكم فانه لابد لكل شخص من حتف انفه او قتل
فى وقت معين سبق به القضا وجرى عليه القلم فمن حضر اجله
مات او قتل قلا ينفع الفرار **واذا لا تمتعون الا قليلا** اى
وان نفعكم الفرار مثلا فتمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتع
الا تمتيعا او زمانا قليلا وكلما هو آت قريب **قل من ذا**
الذى يعصمكم يجيركم **من الله ان اراد بكم سوءا** هلاكا
او اراد بكم رحمة خيرا وعافية ونصرا والمعنى او يصيبكم بسو
ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما فى قوله متقلدا سيفا ورمحا
او حمل الثانى على الاول لما فى العصمة من معنى المنع **ولا يجدون لهم**
من دون الله غيره **وليا** ينفعهم **ولا نصيرا** يدفع الضر عنهم
قد يعلم الله المعوقين اى المثبطين **منكم** عن رسول الله صلى الله

عليه السلام وهم المنافقون والقآيلين لاخوانهم من ساكني المدينة
هلم الينا اى قربوا انفسكم وهم طآئفتان اى منكم من يحوق
ومنكم من يقول هلم قال مقاتل هم عبد الله بن ابى واصحابه
والقآيلون لاخوانهم هلم هم المنافقون قالوا للمسلمين ما محمد
واصحابه الا اكلة راس وهو هالك ومن معه فهلم الينا
وقيل اليهود من بنى قريظة قالوا لاخوانهم من المنافقين
تعالوا الينا وفارقوا محمدا فانه هالك وان اباسفيان ان
ظفر لم يبق منكم احدا وقيل غير ذلك وهلم اسم فعل لا يتصرف
عند اهل الحجاز وذكر فى الانعام الا ان ذلك متعد وهذا
لازم ولا ياتون الباس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او باسا
قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم ويخرجون مع
المومنين ولكن لا يقاتلون الا قليلا تخوفا من الموت او رياء
وسمعة لقوله وما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة
كلامهم ومعناه ولا ياتى اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا
يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم اى بخلا عليكم بالمعاونة
او النفقة فى سبيل الله واشحة جمع شحيح وانتصابه على الحال
من فاعل ياتون او للمعوقين او على الذم فاذا جآء الخوف
رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم فى احداقهم كالذى يغشى
عليه اى كنظر المغشى عليه او كدوران عينه او مشبهين به
من الموت اى من معالجة سكرات الموت وصفهم بالجبن وكذا
سبيل الجبان ينظر يمينا وشمالا محدد ابصره وربما غشى عليه

والخوف

والخوف قيل من قتال العدو اذا اقبل وقيل من النبى صلى الله عليه
وسلم اذا غلب فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنيمة سلقوكم
بالسنة حداد قادة بسطوا السنتهم فيكم فى وقت قسمة
الغنيمة يقولون اعطنا اعطنا فانا قد شهدنا معكم فعند
الغنيمة اشح قوم وابسط لسانا وعند البأس اجبن قوم واخوفهم
وقيل المعنى اذكروكم بالكلام الشديد والسلق الاذى اشحة على
الخير اى على الغنيمة وقيل على المال ان ينفق فى سبيل الله وهو
نصب على الحال من الضمير فى سلقوكم او على الذم وليس بتكرير
لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك لم يومنوا يعنى بقلوبهم
فاحبط الله اعمالهم اى اظهر بطلانها اذ لم تثبت لهم اعمال
قنبطل او ابطل تصنعهم وتقاقهم وكان ذلك اى الاحباط
على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة وعدم ما يمنع عنه يحسبون
الاحزاب من الكفار لم يذهبوا اى هؤلاء يجبنهم يظنون الاحزاب
لم ينصرفوا الى مكة وقد انصرفوا ولكنهم لجبنهم لا يتاهبون للاحزاب
وان ياتى الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون فى الاعراب
كائنون فى البادية متمنون ان يكونوا مع الاعراب خارج المدينة
حذرا من القتل وتربصا للدوائر وبادون جمع باد يسالون
كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم اى يودون
لو انهم بادون يسالون عن اخباركم مع الكفار من غير مشاهدة
للقتال لفرط جبنهم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا
الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا من التعيير

لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اى خصله حسنة
من حقها ان يوتسى بها وهذا عتاب للمتخلفين عن القتال
اى كان لكم قدوة في النبى صلى الله عليه وسلم حيث بذل
نفسه لنصرة دين الله فى خروجه الى الخندق وقرئ اسوة
بالكسر والضم لغتان لمن بدل من لكم كان يرجوا الله واليوم
الاخر اى ثواب الله او لقاءه ويعم الاخرة او ايام الله واليوم
الاخر مخصوصا والرجا يحتمل الامل والخوف وكان صلة
وذكر الله كثيرا اى ذكرا كثيرا وقرن بالرجا كثرة الذكر
المودية الى ملازمة الطاعه فان المواسى بالرسول من كان
كذلك بخلاف من ليس كذلك ولما راى المومنون الاحزاب
من الكفار قالوا هذا الذى رايتياه ما وعدنا الله ورسوله
بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم الايه وقوله عليه الصلاة والسلام
سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم
عليهم وقوله عليه الصلاة والسلام انهم سيابرون اليكم
بعد تسع او عشر وصدق الله ورسوله اى وظهر صدق خبر
الله ورسوله او صدقا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلا
واظهار الاسم الاعظم للتعظيم وقيل انما اظهر الاسمين مع
تقدم ذكرهما ليلا يكون الضمير الواحد لله عز اسمه وغيره
وما زادهم النظر الى الاحزاب وقيل الرويه لان تانيث
الروية غير حقيقى الا ايمانا اى ايمانا بالله ومواعيده و

لاوامره ومقاديره من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا
عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من
صدق فلان اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده
فقد صدق فيه قالت عايشة منهم طلحة بن عبيد الله ثبت
مع النبى صلى الله عليه وسلم حتى اصيبت يده وقال
صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة الجنة فمنهم من قضى نحبه
اى نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير
وانس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر
لازم فى رقبة كل حيوان والنحب ايضا الوقت والمده يقال
فلان قضى نحبه اذا مات قال لبيد
الا تسالان المرء ماذا يحاول انحب فيقضى ام ضلال وباطل
ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا
عهدهم ونذرهم تبديلا شيا من التبديل وفيه تعريض
لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل ليجزى الله الصادقين
بصدقهم اى امر الله بالجهاد ليجزى الصادقين فى الاخرة
بصدقهم ويعذب المنافقين فى الاخرة ان يشا اى ان شاء ان
يعذبهم لم يوفقهم للتوبة او يتوب عليهم قبل الموت بان
يوفقهم لها ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد الله الذين
كفروا يعنى الاحزاب بغيظهم اى متغيظين لم ينالوا خيرا اى
غير ظافرين بمرادهم من المومنين وهما حالان يتداخل او
تعاقب وقالت عايشة الذين كفروا ابو سفيان وعيينة بن

حصن وكفى الله المومنين القتال بالريح والملايكة ورجعوا
ورجعت بنو اقريظة الى صياصيهم وكفى الله امرهم بالرعب
وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء
وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب يعني الذين ظاهروا
الاحزاب وهم بنو اقريظة من صياصيهم اى حصونهم ومعاقلهم
التي يلجاون اليها واحدتها صيصه ويقال لقرن الثور
والظبي وقذف في قلوبهم الرعب بسكون العين اى الخوف
وقرى بالضم فريقا تقتلون وهم المقاتله وتاسرون فريقا
الذراري روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف
من الاحزاب هو واصحابه الى المدينة تزعوا اسلحتهم فاتاه
سلاحهم فاتاه جبريل فقال اترع لامتك والملايكة لم
يضعوا السلاح ان الله يامرك بالسير الى بني قريظة وانا
عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا في بني قريظة
فنادى في المدينة من كان سميعا مطيعا لا يصلين العصر
الا في بني قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
برايته عليا واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده
وحاصرهم لاحدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى جهدهم
الحصار فقال تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن
معاذ فرضوا به وكان جريحا فقال سعد لحكم فيهم ان تقتل
الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنسا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله

وقف

ومضى ذلك فيهم فقتل منهم ستمايه او اكثر واسر سبعمايه
واورثكم ارضهم وديارهم من زارعهم وحصونهم واموالهم
نقودهم ومواشيهم واثاثهم وروى انه عليه الصلاة
والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار
فقال انكم في مساكنكم وقال عمر لما تخمس كما خمست يوم بدر
قال الى انما جعلت هذه لطعمة وارضا لم تطوها قبل ذلك
كفارس والروم وقيل خيبر وقد اخذت بعد قريظة وقيل
كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل شيء قديرا
فيقدر على كل ذلك يا ايها النبي قل لازواجك المقول لهن
تسع نسوة خمس من قريش عايشة وهي افضلهن وحفصة
وام حبيبه وام سلمه وسودة وغير القرشيات زينب بنت
جحش وميمونة وصفية وجويريه ان كنتن تردن الحياة
الدنيا اى السعة والتنعم فيها وزينتها اى زخارفها فتعالين
امتعكن اى اعطيكن المتعة متعة الطلاق واسرحكن سراحا
اطلقكن طلاقا جميلا لا ضرر فيه ولا منع واجب روى انهن
سالنه ثياب الزينه وزيادة النفقه وقيل آذنته بغيرة
بعضهن من بعض وقيل ان امراة من ازواجه سالته ان
يصوغ لها حلقة من ذهب فصاغ لها حلقة من فضة
وطلاها بالذهب فابت الا من ذهب فنزلت اية التخيير
فخيرهن فقلن اخترنا الله ورسوله فشكر الله لهن ذلك
وانزل لا تحل لك النسا من بعد وتعليق التسريح بارادتهن

الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة
اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك
واحدى الروايتين عن علي ويويده قول عايشه خيرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعد طلاقا
وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق
وقيل لان الفرقة كانت باراداتهن كاختيار المخيرة نفسها
فانه طلقة رجعيه عند الشافعي وبائنة عند ابي حنيفة
واختلف في وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه
فائدة في بيان ازواجه صلى الله عليه وسلم على الجملة
اولهن خديجه بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن
كلاب وكانت قبله عند ابي هالة زرارة بن ابي النباش الاسدي
وكانت قبله عند عتيق بن عايذ ومنهن سودة بنت زمعة
ابن قيس بن عبد شمس العامريه ومنهن عايشة بنت ابي بكر
الصديق ومنهن حفصة بنت عمر بن الخطاب وام سلمة
واسمها هند بنت امية المخزوميه وام حبيبه رمله بنت
ابي سفيان وزينب بنت جحش بن رياب الاسديه وزينب
بنت خزيمة بن الحارث ابن عبد مناف الهلاليه مكثت عنده
ثمانية اشهر وتوفيت في حياته وجويريه بنت الحارث بن
ابي ضرار الخزاعيه وصفيه بنت حيي بن اخطب الهارونيه
وريحانة بنت زيد بن عمرو بن خناثة من بني النضير
وماتت مرجعه من حجة الوداع وقال الواقدي ماتت

سنة ست عشرة وميمونة بنت الحارث الهلاليه واما
من تزوجها ولم يدخل بها فمنهن الكلابيه واختلف في اسمها
فقيل فاطمة وقيل عمرة واستعاذت منه فطلقها وكانت
تقول انا الشقيه واسمها بنت النعمان بن ابي الجون الكنديه
قال قتادة لما دخل عليها دعاها فقالت نعال انت فطلقها
وقيله بنت قيس اخت الاشعث بن قيس وام شريك الازديه
بنت جابر بن حكيم وليلى بنت الخطيم اخت قيس والغفاريه
وهي التي راى بها بياضا فقال الحقي باهلك وقيل راه
بالكلابيه واما من خطبها ولم يتم نكاحه معها فمنهن
امهاني بنت ابي طالب واسمها فاخته وخولة بنت حكيم
وحمرة بنت الحارث وسودة القرشية وغير ذلك وان كنتن
تردن الله ورسوله والدار الاخرة اي الجنه فان الله اعد
للمحسنات منكن اجرا عظيما تستحقرونه الدنيا وزينتها
فاخترن الاخرة ومن للتبيين فانهن كلهن محسنات يا نساء النبي
من يات منكن بفاحشة اي معصية كنشوز وسوء خلق ونحو
ذلك وليس المراد غير ذلك لان نساء الانبيا عصم الله فوجهن
من الخطا تعظيما لحقوق الانبيا مبينة بالفتح اي ظاهرة
وقرئ بالكسر اي بينت او هي مبينه ولمرتات واحدة منهن
بذلك يضعف وقرئ يضعف بالتشديد وقرئ بالنون
معه ونصب العذاب لها العذاب ضعفين اي ضعفي عذاب
غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح لزيادة قبحه تتبع

زيادة فضل المذنب ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد
وعوتب الانبيا بما لا يعاتب به غيرهم وكان ذلك على الله يسيرا
هينا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نسا النبي وكيف وهو
نبيه ومن يقنت منكن اى ومن يدم على الطاعة لله ورسوله
وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة
على طلبهن رضا النبي صلى الله عليه وسلم بالقناعة
وحسن المعاشرة وقرئ يقنت بالتا حملا على لفظ من وبالتا
على معناها ومثله تعمل وقرئ يؤتها بالتا على ان فيه ضمير
اسم الله تعالى واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على اجرها
يا نسا النبي لستن كاحد من النسا اصل احد وحد بمعنى
الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمونث
والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات
النسا في الفضل والشرف فانكن اعظم وقيل في التزول
لا في العلو ان اتقيتن مخالفة حكم الله ورسوله فلا تخضعن
بالقول اى فلا تخبرن بقول لكن خاضعات ليننا مثل قول
المريبات امرهن ان يكون قولهن جزلا وكلامهن فصلا
ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه
من اللين كما كانت الحال عليه في نسا العرب من مكالمة الرجال
بترخيم الصوت ولينه فيطمع الذي في قلبه مرض اى
فجور وقيل شك ونفاق وقلن قولا معروفا حسنا صوابا
بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن بكسر القاف وفتحها من

القرار

القرار واصله اقررن بكسر الرا وفتحها وهو امر بلزوم البيوت
ولا تبرجن اى لا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى اى
تبرجا مثل تبرج النسا في ايام الجاهلية القديمة قيل هي
ما بين ادم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابرهيم
كانت المراة تلبس درعا من اللولو فتمشي وسط الطريق تعرض
نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد
صلى الله عليهما وسلم وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر
قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام
وحقيقة التبرج اظهار ما ستره احسن واقمن الصلاة واتين
الزكاة واطعن الله ورسوله في سايو ما امركن به ونهاكن عنه
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اى الذنب المدنس لعرضكم
اهل البيت نصب على النداا والمدح ويطهركم من المعاصي
تطهيرا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير
للتنفير عنها واهل البيت قيل نسا النبي خاصة لان رجل معهن
قاله ابن عباس وغيره وقيل هم علي وفاطمه والحسن والحسين
والذي يظهر من الاية انها عامة في جميع اهل البيت من
الازواج وغيرهم واذكرن ما يتلى في بيوتكن من اياات الله
القران والحكمة السنة ولفظ الذكر يحتمل ثلاث معان
احدها اذكرن موضع النعمة اذ صيركن الله في بيوت يتلى فيها
اياات الله والحكمة والثاني اذكرن اياات الله واقدرن قدرها
وفكرن فيها حتى يكن متاكن على بال والثالث احفظن واقرأن

والزمنه بالالسنة فكانه يقول واحفظن اوامر الله ونواهيه
ان الله كان لطيفا باوليايه خبيرا يعلم ويدبر
مايصلح فى الدين او يعلم من يصلح لبنوته ومن يصلح ان يكون
اهل نبيه ان المسلمين والمسلمات الداخلين فى السلم المنقادين
لحكم الله والمومنين والمومنات المصدقين بما يجب ان
يصدق والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة
والصادقين والصادقات فى القول والعمل والصابرين والصابرات
على الطاعات وعن المعاصى والخاشعين والخاشعات المتواضعين
لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما
وجب فى اموالهم والصايمين والصايمات الصوم المفروض
والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة
لما اقترفوا من الصغاير لانهن مكفرات واجرا عظيما على
طاعتهم وقيل انما بدا بذكر الاسلام لانه الذى يعم
الايمان وعمل الجوارح ثم ذكر الايمان تخصيصا له وتنبيها
على انه اعظم الاسلام ودعامته والقانت العابد المطيع
والصادق فيما عوهد عليه ان يفى به والصابر عن الشهوات
وعلى الطاعات فى الكره والنشط والمتصدق بالفرض والنفل
والصايم كذلك والحافظين فروجهم عما لا يحل من الزنا
والنظر وغيرهما وفى الحافظات حذف تقديره والحافظاتها
وفى الذاكرات مثله واغنى المفعول الاول عن الاعاده والذاكر
قيل

قيل فى ادبار الصلوات وغدوا وعشيا وفى المضاجع وعند
الانتباه من النوم قال مجاهد لا يكون ذاكرا لله كثيرا حتى
يذكره قايما وقاعدا ومضطجعا والاية وعد لازواج النبى
صلى الله عليه وسلم ولامثالهن وروى انهن قلن يا رسول
الله ذكر الله الرجال فى القران بخير فما فينا خير نذكر به
فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل
فينا شى فنزلت وما كان لمومن ولا مومنة اى وما صح له اذا
قضى الله ورسوله اى قضا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بانه قضا الله امرا ان
تكون باليا والتا لهم الخيرة من امرهم اى ان يختاروا من
امرهم شيا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا
لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول
لعموم مومن ومومنة من حيث انهما فى سياق النفى وجمع
الثانى للتعظيم وسبب الاية ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم خطب زينب بنت جحش وكانت بنت عمته لزيد
ابن حارثة فظنت ان الخطبة لنفسه فلما بين انه يريدها
لزيد كرهت وابت فنزلت الاية فاذعنت زينب حينيذ
وفى رواية فامتنعت واختنع اخوها عبد الله لنسبها
من قريش وان زيدا لا مس كان عبدا الى ان نزلت فقال
اخوها مرنى بما شيت فزوجها من زيد وقيل نزلت
فى ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط وكانت وهبت نفسها

للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد فكرهت ذلك
هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فاجابا الى تزويج زيد **ومن يعص الله ورسوله**
فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب **واذ تقول**
للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه
واختصاصه **وانعمت عليه** بما وفقك الله فيه او بالعتق
وهو زيد بن حارثة **امسك عليك زوجك** زينب وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصرها بعد ما انكحها
زيدا فوقع في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب
وسمعت زينب تسبيحه فذكرت لزيد ففطن لذلك ووقع
في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال مالك ارابك منها شيء
قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تشرف فتعظم علي
فقال له امسك عليك زوجك **واتق الله** في امرها ولا تطلقها
تعللا بتكبرها **وتخفي في نفسك ما الله مبديه** وهو نكاحها
ان طلقها او ارادة طلاقها **وتخشى الناس** اي تخشى تعييرهم
اياك به او تسييبهم ان تقول طلقها ويقولوا امر رجلا
بطلاق امراته ثم نكحها **والله احق ان تخشاه** ان كان فيه
ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده
فانه حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار
ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او
يفوض

يفوض الامر الى ربه **فلما قضى زيد منها وطرا** اي حاجة بحيث
ملها ولم يبق له فيها حاجة طلقها وانقضت **زوجناكها** ۝
وقيل الوطر كناية عن الطلاق والمعنى ان امر تزويجها من الله
او المعنى جعلناها هاز وجة ذلك بلا واسطة عقد وبويده
انها كانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتقول ان
الله تعالى تولى انكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وكان السفير
جبريل وذلك ابتلاء عظيم وشاهد لزيد على قوة ايمانه
ونزلت الاية بعد انقضاء عدتها فدخل صلى الله عليه وسلم بغير
اذن اكتفاء بذلك الشرف العظيم واشبع المسلمين خبزا ولحما
لكيلا اي فعلنا ذلك لكيلا **يكون على المومنين حرج** اي اثم
في ازواج ادعيائهم اي الذين يتبنوهم **اذا قضوا منهن وطرا**
حاجة بالدخول وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد
الا ما خصه الدليل **وكان امر الله** الذي يريده ويقضيه **مفعولا**
مكونا لا محالة **ما كان على النبي** صلى الله عليه وسلم **من حرج**
فيما فرض الله له اي قسم واحل له **سنة الله** اي سن ذلك سنة
وقيل منصوب بنزع الخافض اي كسنة الله **في الذين خلوا من**
قبل من الانبياء وهو نفي الحرج فيما اباح لهم في التوسعة عليهم
في النكاح فقد كان لداود مائة امراة ولسليمان ثلثمائة
منكوحة وسبعمائة سريه **وكان امر الله** فعله **قدرا**
مقدورا اي قضاء مقضيا ومعناه كائنا ماضيا والقضاء
عبارة عن وجود جميع المخلوقات في الكتاب المبين واللوح

المحفوظ مجتمعة مجملة والقدر عبارة عن وجودها منزله بعد
حصول شرايطها مفصلة واحدا بعد واحد على سنن القضا
الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح
لهم منصوب ومرفوع ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله
لانه المحقق بذلك اذ لا فاعل غيره فلا يخشون مقالة النا
فيما احل لهم وكفى بالله حسيبا اى حافظا للاعمال خلقه ومحا
لهم ما كان محمد ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت
بينه وبينهم فانتين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها
ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم وابرهيم لانهم
لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا من رجاله لا من رجالهم وتزلت
لما قال الناس تزوج امراة ابنه اى ليس هو بابنه حتى تحرم عليه
حليلته ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته لا مطلق قابل من
حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم
وزيد منهم لبين بينه وبينه ولادة وقرى رسول بالنصب
الاخفش والفرا المعنى ولكن كان رسول الله وقرى بالرفع على انه
خبر مبتدا محذوف وقرى بتشديد لكن على حذف الخبر
اى ولكن رسول الله من عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر وخاتم
النبيين اخرهم الذى ختمهم او ختموا به على قراة الفتح كالة
الختم ولو كان له ابن بالغ لا فاق منصبه ان يكون نبيا كما قال
عليه الصلاة والسلام فى ابرهيم حين توفى لو عاش لكان
نبيا ولا يقدح نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه

وشريعته مع ان المراد انه آخر من نبئ وكان الله بكل شئ عليما
فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغى شانه يا ايها
الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم
انواع ما هو اهله من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد
ابن عباس لم يعذر احدا فى ترك ذكر الله الا من غلب على عقله
وقيل الذكر الكثير ما جرى على الاخلاص من القلب والقليل
ما يقع على حكم النفاق من اللسان وسبحوه بكرة واصيلا
اول النهار واخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على
فضلهما على سايرالاوقات هو الذى يصلى عليكم بالرحمة
وملايكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد
بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور
شرفكم مستعار من الصلو وقيل الترحم والانعطاف المعنوى
ماخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصورى الذى هو
الركوع والسجود واستغفار الملايكة ودعاوهم للمومنين ترحم
عليهم سيما وهو سبب الرحمة من حيث انهم مجابوا الدعوة
ليخرجكم من الظلمات الى النور اى من ظلمات الكفر والمعصية
الى نور الايمان والطاعة او من الضلالة الى الهدى ومعنى هذا
التشبيث على الهداية لانهم كانوا وقت الخطاب على الهداية
وكان بالمومنين رحيما حيث صلى عليهم تفضلا منه واستعمل
فى ذلك ملايكته المقربين والصلاة على المومنين تبعا للانبيا
جايزة وعلى انفرادهم لم يوثر الا عنه صلى الله عليه وسلم

وقالوا هو حقه يتصرف فيه كيف يشاء واجاز ذلك احمد
مطلقا تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اى تحيون يوم
يلقونه اى يوم لقايه عند الموت او الخروج من القبر او دخول
الجنة سلام يسلام الملايكة او هو اخبار بالسلامة من كل
مكروه واقة واعد لهم اجرا كريما هى الجنة يا ايها النبى انا
ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم
وعلى ساير الامم بتبليغ انبيايهم وهو حال مقدره ومبشرا
للمومنين برحمة الله والجنة ونذيرا للعصاة والمكذبين من النار
وعذاب الخلد وداعيا الى الله اى الى الاقرار به وبتوحيده
وما يجب الايمان به من صفاته باذنه اى بامره اياك وتقديره
ذلك فى وقته وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى
الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا منيرا استعارة للنور
الذى يتضمنه شرعه وقيل سراجا هاديا من ظلم الضلالة
وشبهه بالسراج دون الشمس لانه يترع منه بهدايته جميع
العلما كما يترع من السراج سرج لا تحصى بخلاف الشمس وقيل
السراج هنا الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وبشر
المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا على ساير الامم او
على جزا اعمالهم وقد بين الله الفضل الكبير فى قوله والذين
امنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاءون
عندربهم ذلك هو الفضل الكبير ولعله معطوف على محذوف
مثل فراقب حال امتك وبشر ولا تطع الكافرين من اهل مكة

والمنا

والمنافقين من اهل المدينة فيما يشيرون عليك من المداهنة
فى الدين وهو تهييج له على ما هو عليه من مخالقتهم ودع اترك
اذاهم اى ايذاهم اياك ولا تحتفل به او ايذاك اياهم مجازاة او
مواخذة على كفرهم الى ان تومر فيهم بامر ولذلك قيل انه منسوخ
وتوكل على الله فانه يكفيكهم وانسه بقوله وكفى بالله وكيلا
موكلا اليه الامر فى الاحوال كلها يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم
المومنات اى عقدتم عليهن والتقييد بالمومنات جرى على
الغالب والا فالكتابيات كذلك ثم طلقتموهن دل على ان
الطلاق لا يكون الا بعد النكاح اذ رتبه عليه فتعليقه قبله
لغو وبه قال اكثر اهل العلم من قبل ان تمسوهن وقرى تماسوهن
اى تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة اى ايام يتربص فيهن بانفسهن
تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدتها
او تعدونها تحصونها بالاقرا وغيره والاسناد للرجال للدلالة
على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وقرى تعتدونها
مخففا على انه من الاعتداد بمعنى تعتدون فيها فظاهره يقتضى
عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المومنات والحكم
عام للتنبيه على ان من شان المومن ان لا ينكح الا مومنة تخيرا
لنطفته فمتعوهن اى اعطوهن ما يستمتع به ان لم يسم لهن
صداق والا فلهن نصف المسمى كذا قاله الشافعى وفاقا لابن عباس
وقال سعيد هى منسوخة باية البقرة وهى وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لا يه فلم يذكر المتعة ويجوز

ان يوول التمتيع بما يسمى والامر المشترك بين الواجب والندب
فان المتعة سنة للمفروض لها **وسرحوهن** اى خلوا سبيلهن اذ ليس
لكم عليهن عدة **سراحا جميلا** من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز
تفسيره بالطلاق السنى لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير
المدخول بهن **يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى**
اتيت اجورهن اى مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد
الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار
الفضل كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله **وما**
ملكت يمينك مما افآ الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدو
امرها وما جرى عليها وتقييد القرايب بكونها مهاجرات
معه بقوله **وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك**
وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك يحمل تقييد الحل
بذلك فى حقه خاصة ويعضده قول ام هانى بنت ابى طالب
خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه
فاعذرنى ثم انزل الله تعالى هذه الاية فلم احل له لانى لم
اهاجر معه كنت من الطلقاء وقيل المراد احللنا لك ازواجك
الكاينات عندك لانهن قد اخترنك وبنى الامر على هذا
التاويل ضيفا على النبى صلى الله عليه وسلم ويويد هذا
التاويل ما قاله ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتزوج فى اى الناس شاء وكان يشق ذلك على نسايه فلما
نزلت هذه الاية وحرم عليه بها النسآء الا من سمى شق بذلك

نساوه وقوله مما افآ الله عليك اى رده عليك من الكفار
والغنيمة بالسبى كصفيه وجويره او ملك اليمين بالهدية مثلا
كمارية فالفئ مستعمل فى معناه اللغوى وقوله وبنات عمك الى
اخره اراد نساء قريش القرطبى وانما خص هولآ بالذكر تشريفا لهن
كقوله فيهما فاكهة ونخل ورمان وقوله اللاتى هاجرن معك
اى اسلمن لقوله صلى الله عليه وسلم والمهاجر من هجر ما نهى الله
عنه وقيل المعية فى الهجرة الاشتراك فى نفس الهجرة لا فى الصحبة
فيها والعم والخال فى الاطلاق اسم جنس كالشاعر وليس كذلك
العمة والخالة وهذا عرف لغوى وهذا هو الحكمة فى افراد العم
والخال وجمع العمات والخالات **وامراة مومنة ان وهبت**
نفسها للنبى نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق
ولا يدفعه التقييد باداة التى للاستقبال فان المعنى بالاحلال
الاعلام بالحل اى اعلمنا لك حل امراة مومنة تهب لك نفسها
ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف فى اتفاق ذلك
والقايل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت
خزيمة الانصاريه وام شريك بنت جابر وخولة بنت
حكيم وقال وهبت نفسها للنبى ولم يقل لك لانه قصد
للخصوص فهو تصريح بانه خاص به **ان اراد النبى ان يستنكحها**
اى ان ينكحها ويجوز ان يكون بمعنى طلب النكاح او طلب الوطئ
وهو شرط للشرط الاول والمعنى اذا وهبت المراة نفسها
وقبلها النبى صلى الله عليه وسلم حلت له وان لم يقبلها لم

يلزم ذلك فان هبتها نفسها منه لا يوجب له حلها الا بارادته
نكاحها خالصة لك من دون المومنين اى هبة النساء نفسهن
خالصة ومزية فلا يجوز ان تهب المراة نفسها الرجل ووجه
الخاصية انها لو طلبت فرض المهر قبل الدخول لم يكن لها
ذلك فاما فيما بيننا فللمفوضة طلب المهر قبل الدخول
ومهر المثل بعد الدخول واحتج به اصحاب الشافعى على ان
النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد
خص صلى الله عليه وسلم بالمعنى فيختص باللفظ وخالصة
مصدر موكد اى خلص احلالها او احلال ما احللنا لك على
القيود المذكوره خلوصا لك او حال من الضمير فى وهبت
او صفة لمصدر محذوف اى هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا
عليهم اى المومنين فى ازواجهم من شرايط العقد ووجوب
القسم والمهر بالوطى حيث لم يسم وقيل ما اوجبنا عليهم
وهو ان لا يتزوجوا اكثر من اربع نسوة بمهر وولى وبينة
وفى ما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فى الاماء بشرا وغيره
او بان تكون الامة ممن تحل لمالكها كالكتابية بخلاف
المجوسية والوثنيه وان تستبرا قبل الوطى والجملة اعتراض
بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة
للدلالة على ان الفرق بينه وبين المومنين فى تجوز ذلك
لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضى التوسيع عليه
والتضييق عليهم تارة والعكس اخرى وقيل المعنى بينا هذا

البيان

البيان لكيلا يكون عليك ضيق فى امر انت فيه محتاج الى
السعة وكان الله غفورا لما يجب التحرز منه رحيما بالتوسعة
فى مظان الحرج ترجى بالهمزة والياء بدلها من تشاء منهن اى
تومخرها وتترك مضاجعتها وتووى اليك من تشاء
اى وتضم اليك من تشاء وتضاجعها ففى هذه الاية توسعة
عليه صلى الله عليه وسلم فى ترك القسم وكان لا يجب عليه
القسم بين زوجاته لكنه كان يقسم من قبل نفسه دون
فرض ذلك عليه او المعنى تطلق من تشاء وتمسك من تشاء ومن
ابتغيت اى طلبت ممن عزلت اى طلقت بالرجعة فلا
جناح عليك فى شى من ذلك وقيل المعنى ان اردت ان تووى
اليك امراة ممن عزلتهن من القسمة وتضمها اليك فلا باس
عليك فى ذلك وكذلك حكم الارجاء ذلك ادنى ان تقر اعينهن
ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن اى ذلك التخيير الذى
خيرناك فى صحبتهن اقرب الى رضاهن اذا كان من عندنا لانهن
اذا علمن ان العدل من الله قرت اعينهن بذلك ورضين لان
المرء اذا علم انه لا حق له فى شى كان راضيا بما اوتى منه وان
قل وكلهن بالرفع تاكيد للفاعل فى يرضين والله يعلم ما فى
قلوبكم من ميل بعضكم الى بعض من النساء دون بعض وانما
خيرناك فيهن تيسيرا عليك فى كل ما اردت وهو العالم بكل
شى اذ لا يستطيع العبد ان يصرف قلبه عن ذلك الميل والى ذلك
يعود قوله وكان الله عليما حليما وقيل المعنى يعلم ما فى قلوبكم

فاجتهدوا فى احسانه فانه عليم بذات الصدور حليم
لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا تحل لك النساء
قرى بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقى وقرى بالتاء من بعد
اى من بعد التسع اللاتى اخترتك وهو فى حقه كالاربع
فى حقنا او المعنى من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم
يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج فتطلق
واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق
ولو اعجبك حسنهن اى حسن الازواج المستبدلة وهو حال
من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله فى
التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف فى ان الاية
محكمة او منسوخة بقوله ترجى ومن تشا الاية على المعنى
الثانى فانه وان تقدمتها قراءة فهى مسبوقة بها نزولا
وقيل بحديث عايشة ما مات رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى احل الله له النساء وقيل المعنى لا تحل لك النساء
من بعد الاصناف التى سميت ولا ان تبدل بهن من ازواج
قال ابن زيد هذا شى كانت العرب تفعله يقول احدهم
خذ زوجتى واعطنى زوجتك وروى الدارقطنى عن ابى هريرة
قال كان البدل فى الجاهلية ان يقول الرجل للرجل تنزل
لى عن امراتك وانزل لك عن امراتى وازيدك فانزل الله ولا ان
تبدل بهن من ازواج الا ما ملكت يمينك من الاماء فتحل لك
وقد ملك بعدهن مارية وولدت له ابرهيم ومات فى حياتها

والاستثنا

والاستثنا من النسآء لانه يتناول الازواج والاماء
وقيل منقطع وكان الله على كل شى رقيبا حفيظا فتحفظوا
امركم ولا تخطوا ما حد لكم يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت
النبى الا ان يوذن لكم اى الا وقت ان يوذن لكم او الا ماذونا
لكم فى الدخول بالدعا الى طعام فهو متعلق بيوذن لانه
متضمن تدعوا اللاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من
غير دعوة وان اذن فى الدخول كما اشعر به قوله غير ناظرين
اناه اى غير منتظرين وقته او ادراكه او نضجه وهو حال من
فاعل لا تدخلوا او المجرور فى لكم قال حماد بن زيد هذه الاية
نزلت فى الثقلا وسببها ان النبى صلى الله عليه وسلم لما
تزوج زينب بنت جحش أولم عليها فدعا الناس فلما طعموا
جلس طايفة منهم يتحدثون فى بيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وزوجته مولية ظهرها الى الحايط فثقلوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انس فما ادرى انا اخبرت النبى
صلى الله عليه وسلم ان القوم قد خرجوا او اخبرنى قال
فانطلق حتى دخل البيت فذهبت ادخل معه فالقى الستر
بينى وبينه ونزل الحجاب قال ووعظ القوم بما وعظوا به
وانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبى الى قوله
ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال ابن عباس نزلت فى ناس
من المومنين كانوا يتحينون طعام النبى صلى الله عليه وسلم
فيدخلون قبل ان يدرك الطعام فيقعدون الى ان يدرك

الطعام ثم يأكلون ولا يخرجون وقيل غير ذلك ولكن اذا
دعيتم واذن لكم في الدخول فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا
اى تفرقوا والمراد الزام الخروج من المنزل عند انقضاء المقصود
ولا مستانسين لحديث اى لحديث بعضكم بعضا او لحديث
اهل البيت بالتسميع له وهو عطف على ناظرين او مقدر
بفعل اى ولا تدخلوا او ولا تمكثوا مستانسين ان ذلكم
اللبث كان يوذى النبى لتضييق المنزل عليه وعلى اهله
فيستحيى منكم اى من ان يامركم بالخروج والله لا يستحيى من الحق
يعنى ان اخراجكم حق فينبغى ان لا يترك حياء والمعنى لا يمتنع
من بيانه واظهاره وقرئ يستحى بيا واحدة واذا سالتموهن
اى ازواج النبى صلى الله عليه وسلم متاعا اى شيا ينتفع
به من العوارى وقيل قنوى فاسالوهن المتاع من وراء حجاب
اى ستر روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال يا رسول الله
ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن
فنزلت وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يطعم
ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عايشة فكره
النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت واذن الله فى
مسالتهن من وراء حجاب فى حاجة تعرض او مسيلة
يشتقتين فيها ويدخل فى ذلك جميع النساء بالمعنى ذلكم
اطهر لقلوبكم وقلوبهن يريد من الخواطر التى تعرض للرجال
فى امر النساء وللنساء فى امر الرجال اى ذلك انقى للريبة وابعد

للتهمة

٢٤٦

وما كان لكم اى وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله
اى ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا اى من بعد وفاته او فراقه وخص التى لم يدخل بها
لما روى ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة فى ايام عمر فهم
برجمها فاخبر بانه عليه الصلاة والسلام فارقها قبل ان
يمسها فترك من غير نكير وروى ان رجلا قال لو قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم تزوجت عايشة فانزل الله وما كان
لكم ان تؤذوا رسول الله الاية قيل والقايل طلحة بن
عبيد الله وكان رضى الله عنه يظن ذلك جايزا فحرم على كل
احد ان ذلكم يعنى ايذاوه ونكاح ازواجه كان عند الله
عظيما اى ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب
حرمته حيا وميتا ولذلك بالغ فى الوعيد فقال ان تبدوا
شيا كنكاحهن على المستنكر او تخفوه فى صدوركم فان
الله كان بكل شى عليما فيجازيكم به وفى هذا التعميم مع
البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة فى الوعيد
لا جناح عليهن فى آبايهن ولا ابنايهن ولا اخوانهن
ولا ابنا اخوانهن ولا ابنا اخواتهن استيناف لمن
لا يجب الاحتجاب عنهم روى انه لما نزلت اية الحجاب قال
الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله اونكلمهن ايضا من
وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة
الوالدين ولذلك سمى العم ابا فى قوله واله اباءك ابرهيم

واسمعيل واسحق ولانه يكره ترك الاحتجاب عنهما ان يصفا
لابنائهما ولانسائهن يعني النسآء المومنات ولا ما ملكت
ايمانهن من العبيد والاماء ان يروهن ويكلموهن من غير تحجب
وقدمر في سورة النور واتقين الله فيما امرتن به وخص
النسآء بالذكر لقلة تحفظهن وكثرة استرسالهن ان الله كان
على كل شي شهيدا لا يخفى عليه شي ان الله وملائكته يصلون
على النبي اي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه وقد شرف
الله بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم في حياته وموته
ودنو منزلته منه والصلاة من الله تعالى رحمة مقرونة
بتعظيم ورضوان ومن الملائكة الدعاء والاستغفار واختلف
في الضمير في قوله يصلون فقيل الضمير فيه لله والملائكة
وهذا تشريف من الله شرف الله به ملائكته فلا يصحبه
الاعتراض الذي جآء في قول الخطيب من يطع الله والرسول
فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيس الخطيب انت قل ومن يعص الله ورسوله
اخرجه الصحيح قالوا لانه ليس لاحد ان يجمع ذكر الله مع غيره
في ضمير ولله ان يفعل في ذلك ما يشا وقيل في الكلام حذف
تقديره ان الله يصلي وملائكته يصلون وليس في الاية
اجتماع في ضمير او ذلك جايز للبشر فعله ولم يقل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيس الخطيب لهذا المعنى وانما قاله لان
الخطيب وقف على ومن يعصهما وسكت سكتة يا ايها الذين

امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اي اعتنوا انتم ايضا فانكم
اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد وقولوا السلام عليك
ايها النبي وانقاد والاوامره والاية تدل على وجوب الصلاة
وقد امر الله تعالى عباده بالصلاة عليه دون انبيايه
تشريفا ولا خلاف في ان الصلاة فرض في العمر مره وفي كل
من الواجبات وجوب السنن الموكده التي لا يسع تركهما ولا يغفلها
الا من لا خير فيه ومنهم من اوجبها كل ما ذكر وهو قوي لقوله
صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي
وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله
ومنهم من قال في كل مجلس ومنهم من قال في اول كل دعا واخره
واوجبها الشافعي رحمه الله في كل تشهد اخير ومعنى صلاتنا
عليه صلى الله عليه وسلم طلب تلك الرحمة العظيمة له من الله
تعالى ويجوز الصلاة على غيره تبعا وتكره استقلالا لانه
في العرف صار شعار الرسل واما صلاته صلى الله عليه وسلم
على الناس او في فقيل من خصايصه وقيل لبيان الجواز ان
الذين يوذون الله ورسوله اي يرتكبون ما يكرهانه
من الكفر والمعاصي او يوذون رسول الله بكسر رباعيته
وشج وجهه والقآ السلا على ظهره وهو ساجد وقولهم
شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم او هو من جواز
اطلاق اللفظ الواحد على معنيين وقال الجمهور اذاية الله
بالكفر ونسبة الصاحبة والولد والشريك اليه ووصفه

بما لا يليق وقيل بالتصوير والتعرض لفعل ما لا يفعله
الا الله فانه تعالى منزه عن وصول الاذى اليه لكن لما
كان فعلهم ذلك اذى عندهم في العاده سمي بذلك هذا
وقيل على حذف مضاف تقديره يوذون اولياء الله
وقال ابن عباس نزلت الاية في الذين طعنوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين اتخذ صفية بنت حيي قال
العلما والطعن على تامير اسامة بن زيد اذاية له صلى الله
عليه وسلم لعنهم الله اى ابعدهم في الدنيا والاخرة
واعد لهم عذابا مهينا اى ذا اهانة وهو النار والذين
يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا اى بغير
جناية استحقوا بها والمعنى يرمونهم بغير ما عملوا بالاقوال
والافعال كالبهتان والتكذيب المختلق قيل ومن الاذاية
تعيير الشخص بحسب مذموم او حرفة دنية او شي يثقل عليه
اذا سمعه فقد احتملوا بهتانا اى كذبا واثما مبينا ظاهرا
وقيل نزلت الاية في منافقين يوذون عليا رضى الله عنه
وقيل في اهل الافك وقيل غير ذلك يا ايها النبي قل
لازواجك وبناتك بناته صلى الله عليه وسلم فاطمة الزهرا
وزينب ورقيه وام كلثوم ونسا المومنين يدنين عليهن
من جلابيبهن يعني يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا
برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المراة ترخي بعض جلبابها
وتتلفع ببعض والجلابيب جمع جلباب وهو ثوب اكبر من

الخمار

الخمار يستر جميع البدن وهو الملاءه واختلف في صورة ارخايه
فقيل تلويه المراة حتى لا يظهر منها الا عين واحدة تبصر بها
الطريق وقيل تلويه فوق الجبين وتشده وتعطفه على
الانف وان ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه
ذلك ادنى ان يعرفن اى اقرب الى معرفة انهن حراير فيتميزن
من الاما والقينات فلا يوذين اى فلا يوذيهن اهل الريبه
بالتعرض لهن وتنقطع الاطماع عنهن بخلاف الاما فلا يغطين
وجوههن وليس المراد ان تعرف المراة حتى تعلم مزهي وكان
عمر رضى الله عنه اذا راى امة قد تقنعت ضربها بالدرة
محافظة على زي الحرايز فتمشي الامة مكشوفة الوجه ولا
يلزم من كشفها له حل نظر الناس اليها فعلى الناظر غض بصره
وكان الله غفورا لما سلف منهن من ترك الستر رحيما
بعباده حيث يراعي مصالحهم فضلا منه حتى الجزيئات منها
لئن لام يقسم لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم
مرض اى ضعف ايمان وقلة ثبات عليه والمرجفون في
المدينة يرجفون باخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها
قيل الاوصاف الثلاثة لشي واحد وقيل كان قوم يرجفون
وقوم يتبعون النسا للريبه وقوم يشككون المسلمين وقال
عكرمه الذين في قلوبهم مرض الزناة • قال الاعشى
• حافظ للفرج راض بالتقا • ليس ممن قلبه فيه مرض
ابن عباس الارجاف التماس الفتنه والارجاف اشاعة الكذب

والباطل للاغتمام به والرجفان الاضطراب الشديد
فالارجاف حرام لان فيه اذايه لنغرينك بهم اى لنسلطنك
عليهم فنستاصلهم بالقتل والاجلاء ابن عباس ولم ينتهوا
عن اذى المسلمين وان الله قد اغراه بهم وقد قال تعالى
ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره وامره
بلعنهم محمد بن زيد قد اغراه بهم فى الاية التى بعدها اينما
ثقفوا اخذوا الاية ثم لا يجاورونك اى يساكنونك فيها
اى فى المدينه الا قليلا اى زمانا او جوارا قليلا ثم
يخرجون ومفارقة جوار الرسول صلى الله عليه وسلم اعظم
ما يصيبهم ملعونين منصوب على الشتم او الحال او الاستثناء
متناول له ايضا اى لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز ان
ينصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها اى الحكم فيهم هذا
على جهة الامر ومعنى ملعونين مطرودين مبعدين وقيل
المعنى ان اصروا على النفاق لم يكن لهم مقام بالمدينه الا وهم
مطرودين ملعونين وقد فعل بهم هذا فانه لما نزلت
سورة برآءة جمعوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا فلان
قم فاخرج فانك منافق ويا فلان قم فقم فاخرج من
المسلمين وتولوا اخراجهم من المسجد سنت الله نصب على
المصدر اى سن الله عز وجل وقيل المعنى كسنة الله فى
الذين خلوا من قبل اى المنافقين من الامم الماضيه

الفاعلين مثل فعل هؤلآء وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبيآء
وسعوا فى وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد
لسنت الله تبديلا اى تحويلا وتغييرا لانه لا يترك ولا يقدر
احد ان يتركها يسالك الناس اهل مكة عن الساعه اى
عن وقت قيامها استهزآء او تعنتا او امتحانا وقيل هم
الموذون رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توعدوا بالعذاب
سالوا عن الساعة استبعادا او تكذيبا قل انما علمها عند الله
لم يطلع عليها ملكا ولا نبيا وليس فى اخفآء وقتها عنى ما يبطل
نبوتى وليس من شرط النبى ان يعلم الغيب بغير تعليم
من الله وما يدريك اى وما يعلمك بما اى انت لا تعلمها لعل
الساعة تكون قريبا اى فى زمان قريب والمعنى شيا
قريبا ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة فى معنى اليوم
كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين ولم يقل قريبه
ذهابا بالرحمة الى العفو وفيه تهديد للمستعجلين واسكات
للمتعنتين ان الله لعن ابعد الكافرين واعد لهم سعيرا
اى نارا شديدة الايقاد يدخلونها خالدين مقدرين خلودهم
فيها ابدا انث السعير لانها بمعنى النار لا يجدون وليا
يحفظهم عنها ولا نصيرا يدفع عنهم العذاب يوم تقلب
بضم التا وجوههم فى النار اى تصرف من جهة الى جهة كما
كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال فتسود ناره وتخضر
اخرى وقرى تقلب بمعنى تتقلب واذا بدلت جلودهم بجلود

اخر فحينئذ يتمنون انهم ما كفروا يقولون يا ليتنا اطعنا الله
يا للتنبيه او المنادى محذوف اى يا قوم ليتنا اطعنا الله ﷺ
واطعنا الرسول اى لم نكفر وقالوا اى الاتباع من الكفار فى الاخرة
ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرآنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم
الكفر وقرى سادتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة اى اطعناهم
فى معصيتك وما دعونا اليه فاضلونا السبيلا اى عن السبيل
وهو التوحيد بما زينوا لنا ربنا اتهم ضعفين من العذاب اى
مثلى ما اتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كثيرا
اى كثير العدد وقرى بالباء اى لعنا هو اشد اللعن واعظمه
يا ايها الذين امنوا لا تكونوا مع نبيكم كالذين اذوا موسى ﷺ
فبراه الله مما قالوا اى فاظهر براءته من مقولهم قيل ان
قارون حرض امراة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر
فى القصص او اتهمه ناس بقتل هارون لما خرج معه الى الطور
فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى راوه غير
مقتول وقيل ايجاه الله فاخبرهم ببراءته وروى ابو هريرة
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان بنو اسرايل يغتسلون
عراة وكان موسى عليه السلام يستتر كثيرا ويخفى بدنه
فقال قوم هو ادرا كبير الخصيتين او ابرص او به آفة
فانطلق ذات يوم يغتسل فى عين بارض الشام وجعل
ثيابه على صخرة ففر الحجر بثيابه واتبعه موسى يقول ثوبى
حجر ثوبى حجر حتى انتهى الى ملا من بنى اسرايل فنظروا اليه

فاذا

فاذا هو من احسنهم خلقا واعدلهم صورة وليس به الذى
قالوا فبراه الله مما قالوا واما اذاية محمد صلى الله عليه وسلم
فمهو قولهم زيد بن محمد وقيل اذايته انه صلى الله عليه وسلم
قسم قسما فقال رجل من الانصار ان هذه القسمة ما اريد بها
وجه الله فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
يرحم الله اخى موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر رواه البخارى
قال ابن عباس وجماعه اذاية موسى هو ما تضمنه حديث
ابى هريره وكان عند الله وجيها اى ذا قرابة ووجاهة
والوجيه عند العرب العظيم القدر الرفيع المنزله وروى
انه كان اذا سال الله شيا اعطاه اياه يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وقولوا قولا سديدا اى قصدا وحقا ابن عباس
صوابا وقيل هو لا اله الا الله وقيل هو الذى يوافق
باطنه ظاهره وقيل ما اريد به وجه الله وقيل هو
الاصلاح بين المتشاجرين يصلح لكم اعمالكم اى يوفقكم
للاعمال الصالحه او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر
لكم ذنوبكم اى يجعلها مكفرة باستقامتكم فى القول والعمل
ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما يعيش فى الدنيا
حميدا وفى الاخرة سعيدا وقيل فاز بالنجاة من النار
ودخول الجنة ورويه الله تعالى انا عرضنا الامانة على
السموات والارض والجبال ابان خلق فيها فهما وتطقا فابين
ان يحملنها واشفقن خفق منها وحملها الانسان الامانة

تعم جميع وظايف الدين على الصحيح وقول الجمهور وقد اختلف
في تفاصيل بعضها فقال ابن مسعود هي امانات الاموال
كالودايع وغيرها وقال ابي بن كعب من الامانه ان ائتمنت
المراة على فرجها وقال ابو الدرداء غسل الجنابة امانة وان الله
لم يأمن ابن ادم على شيء من دينه غيرها وفي حديث مرفوع
الامانة الصلوة ان شيبت قلت قد صليت وان شيبت قلت
لم اصل وكذلك الصيام وغسل الجنابه عمرو بن العاص
اول ما خلق الله من الانسان فرجه وقال هذه امانه اشود
فان حفظتها حفظتك فالفرج امانه والاذن امانه
والعين امانه واللسان امانه والبطن امانه واليد امانه
والرجل امانه ولا ايمان لمن لا امانة له قال الحسن ان الامانه
عرضت على السموات والارض والجبال قالت وما فيها قيل
لها ان احسنت جوزيت وان اسأت عوقبت فقالت لا
قال مجاهد فلما خلق الله تعالى ادم عرضها عليه قال
وما هي قال ان احسنت اجرتك وان اسأت عذبتك فقال
قد حملتها يا رب قال مجاهد فما كان بين ان حملها الى ان اخرج
من الجنة الا قدر ما بين الظهر والعصر وقيل هذه الامانه
هي ما اودعها الله في السموات والارض والجبال والخلق من
الدلايل على ربوبيته ان يظهروها فاظهروها الا الانسان
فانه كتمها وجحدها ومعنى عرضها اظهارها كما تقول
عرضت الجارية على البيع وقيل المعنى انها لعظم شانها

بحيث

بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات
شعور وادراك لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته انه كان ظلوما
حيث لم يلزمها ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا
وصف للجنس باعتبار الاغلب وقال الحسن المراد الكافر
والمنافق وهذا العرض في الاية عرض تخيير لا عرض الزام
والعرض على الانسان الزام وقيل غير ذلك ليعذب الله
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات المضيعين
للامانه ويتوب الله على المومنين والمومنات المودين
للامانه اي حملها ليعذب العاصي ويثيب المطيع فهي لام
التعليل لان العذاب نتيجة حمل الامانه كالتاديب للضرب
في ضربته تاديبا وكان الله غفورا للمومنين رحيما بهم حيث
تاب عن فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعتهم سورة سبا
مكية الا قوله ويرى الذين اوتوا العلم الاية
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في
السموات وما في الارض خلقا وملكا ونعمة فله الحمد في الدنيا
لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد في الاخرة ايضا كذلك
وقيل هو قوله وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل
قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وخص ذكر الاخرة
لانه لا نزاع له في ثبوت الحمد فيها بخلاف الدنيا فان عدم
حمد بعضهم فيها لا يلتفت اليه لان الكل ملكه وفي قبضته

وهو غني عنهم وهو الحكيم في فعله الخبير بامر خلقه يعلم ما يلج
في الارض اى ما يدخل فيها من قطر وغيره كما قال فسلكه ينابيع
في الارض ومن الكنوز والدفاين والاموات وما يخرج منها كالحيوان
والنبات وما العيون وما يعرج فيها ينزل من السما كالملايكة
والكتب والمقادير والارزاق والبرد والثلوج والصواعق وما
يعرج فيها اى يصعد من الملايكة واعمال العباد والابخرة والادخنة
وهو الرحيم باوليايه الغفور للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها
او في الاخرة مع ماله من سوابق هذه النعم الفائيته للحصر
وقال الذين كفروا الاتاتينا الساعة انكار المجيئها او استبطا
استهزا بالوعد بها مقاتل قال ابو سفيان لكفار مكة
واللات والعزى لاتاتينا الساعة ولانبعث قل بلى رد
لكلامهم واثبات لما نفوه وربي لتاتينكم عالم الغيب بالجر
صفة تكرير لايجابه موكدا بالقسم مقررا بالوصف المفسر به
بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده وقرى علام الغيب
على المبالغه وقرى عالم بالرفع على انه خبر محذوف لا يعزب
عنه اى لا يغيب عنه مثقال ذرة اى قدر نمله صغيرة في
السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا
في كتاب مبين بيّن وهو اللوح المحفوظ جملة موكدة لنفي
العزوب ورفعهما بالابتدا ويويده القراة بالفتح على نفس
الجنس ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات فيها اى
لتاتينكم ليجزي الذين امنوا بالثواب والكافرين بالعقاب

وهو

وهو بيان لما يقتضي اتيانها اولئك اى المومنون لهم مغفرة
لذنوبهم ورزق كريم اى حسن في الجنه والذين سعوا في اياتنا
القران بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين
كي يفوتونا وقرى معجزين اى مثبطين عن الايمان من اراده
اولئك لهم عذاب من رجز اليم اى سيى العذاب واشده اليم
مولم قرى بالرفع نعتا العذاب وبالخفض لرجز ويرى الذين
اوتوا العلم اى ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن تابعهم
من الامه اى من مسلمي اهل الكتاب كعبد الله بن سلام الذى
انزل اليك من ربك اى القران هو الحق بالنصب مفعول ثان
وهو ضمير الفصل والذى مفعول اول اى وليعلم اولوا العلم
عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الان برهانا ومن
رفع الحق جعل هو ضميرا مبتدا والحق خبره والجمله ثاني مفعولي
يرى ويهدى اى القران الى صراط العزيز الحميد الذى هو
التوحيد والتدرع بلباس التقوى ودل بقوله العزيز
على انه لا يغالب وبالحميد على انه لا يليق به صفة العجز
وقال الذين كفروا اى قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل
يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ينبيئكم اى يحدثكم
باعجب الاعاجيب اذا مزقتم كل ممزق بمعنى تمزيقا انكم
لفي خلق جديد اى انكم تنشاون خلقا اخر بعد ان تمزق
اجسادكم وتفرق بحيث تصير ترابا وتقدير الظرف الدلالة
على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده

وتقديره بانكم تبعثون اذا مزقتم ولا يعمل فيه ما قبله وهو
بينكم لانه لم يقارنه في ذلك الوقت وما بعده مضاف اليه
او محجوب بينه وبينه بان الزمخشري فان قلت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا علما في قريش وكان انباوه
بالبعث شايعا عندهم فما معنى قولهم هل ندلكم على رجل قبحوه
لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول
قلت كانوا يقصدون بذلك الهزوة والسخرية فاخرجوه
مخرج التحكي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي
متجاهلين به وبامره افترى بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها
عن همزة الوصل على الله كذبا ام به جنة هذا مردود على ما تقدم
من قول المشركين والمعنى قال المشركون افترى على الله كذبا ام
اختلقه ام به جنة اي جنون يخيل له وقوع البعث بعد الموت
فهو يتكلم بما لا يدري واستدل بجعله اياه قسيم الافتراء غير
معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة
وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان
الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في
العذاب والضلال البعيد رد من الله عليهم ترديدهم
واثبات لهم ما هو اقطع من القسمين وهو الضلال البعيد
عن الصواب بحيث لا ريب في الخلاص منه وما هو مؤداه
من العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ
مع تاخره عن الضلال تعجيلا لمساءتهم وزيادة في روعهم

وللمبالغة

وللمبالغة في استحقاقهم له والبعد في الاصل صفة الضلال
وصف به الضلال على الاسناد المجازي والمعنى ليس الامر
كما قالوا بل هو اصدق الصادقين ومن ينكر البعث فهو غدا
في العذاب واليوم في الضلال اذ صاروا الى تعجيز الاله ونسبة
الافتراء الى من ايده الله بالمعجزات افلم يروا ينظروا الى ما بين
ايديهم وما خلفهم من السما والارض ما بين يدي الانسان
كل ما يقع نظره عليه من غير ان يحول وجهه اليه وما خلفه هو
كل ما لا يقع نظره عليه حتى يحول وجهه اليه فيعم الجهات كلها
ان نشا نخسف بهم الارض التي يتحتم كما فعل بقارون او نسقط
عليهم كسفا بسكون السين وفتحها من السما اي قطعة كما فعل
باصحاب الايكة وهذا تذكير بما يعاينونه بما يدل على كمال قدرة
الله تعالى والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السما
والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هما وانا ان نشا نخسف
بهم او نسقط عليهم لتكذيبهم الايات بعد ظهور البينات
وقرئ باليا في الافعال الثلاثة وبالنون فيها ان في ذلك النظر
والفكر فيهما وما يدلان عليه لاية لدلالة لكل عبد منيب راجع
الى ربه فانه يكون كثير التامل في امره وخص المنيب بالذكر
لانه المنتفع ولقد اتينا داود منا فضلا قيل هو النبوة وقيل
الزبور وقيل العلم والقوة وقيل تسخير الجبال وقيل
الة الحديد وقيل حسن الصوت وقلنا يا جبال اوبي معه
اي رجعي معه التسبيح اما تخلق صوت مثل صوته فيها او تحملها

اياه على التسبيح اذا تامل ما فيها او المعنى سيري معه حيث
سار من التاويب الذى هو سير النهار اجمع وروى انه كان
اذا قرا الزبور صوتت الجبال معه واصغت اليه الطير
فكانها فعلت ما فعل وقيل المعنى يوحى معه فكانه اذا
نادى بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه
من فوقه وكان قد اعطى من الصوت ما تتراجم الوحوش
من الجبال على صوته وكان الماء الجارى ينقطع عن الجرى وقوفا
لصوته **والطير** بالنصب عطفا على موضع الجبال ويويده
القراة بالرفع عطفا على لفظها او على فضلا او مفعول معه
لاوبى وكان اصل النظم ولقد اتينا داود منا فضلا
تاويب الجبال والطير فبدل به هذا النظم لما فيه من
الفخامة والدلالة على عظم شانه وكبريا سلطانه حيث
جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره فى نفاذ
مشيته فيها **والنا له الحديد** ابن عباس صار عنده كالشمع
للحسن كالعجين فكان يعمله من غير نار ولا ضرب مطرقة
وكان يفرغ من الدرع فى بعض يوم ثمنها الف درهم وقيل
اعطى قوة يثنى بها الحديد **ان اعمل** اى امرناه ان اعمل وان
مفسرة او مصدرية **سابغات** اى دروعا واسعات
كوامل يجرها لابسها على الارض وهو اول من عملها وكان
لا ياكل الا من عمل يده **وقدر فى السرد** اى قدر فى نسجها بحيث
يتناسب حلقها او قدر مساميرها فلا تجعلها رقاقا

تثقلوا

فتثقلوا وغلطا فتقسر الحلق وعورض بان دروعه لم
تكن مسمرة قتادة كانت الدروع قبله صفائح فكانت ثقالا
فلذلك امر بالتقدير فيما يجمع بين الخفة والحصانة اى قدر
ما تاخذ من هذا المعنيين بقسطه فلا تقصد الحصانة
فتثقل ولا الخفة فتزيل المنعة **واعملوا صالحا** اى عملا
صالحا وهو خطاب لداود واهله كما قال اعملوا ال داود
شكرا **انى بما تعملون بصير** فاجازيكم به **ولسليمان الريح**
بالنصب على معنى وسخرنا له الريح **غدوها شهر ورواحها شهر**
اى سيرها من الغدوة بمعنى الصباح الى الزوال شهر وسيرها
من الزوال الى المغرب شهر اى مسيرة شهر للحسن كان يغدو
من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما شهر للسرع **واسلنا له**
عين القطر هو النحاس ابن عباس اسيلت له مسيرة ثلاثة
ايام وقيل ثلاثة اشهر كما يسيل الماء وكانت بارض اليمن ولم
يذب النحاس فيما روى لاحد قبله وانما ينتفع الناس اليوم
بما اخرج الله لسليمان **ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه**
اى بامره **ومن يزغ** اى يعدل **منهم عن امرنا** الذى امرناه به
من طاعة سليمان **نذقه من عذاب السعير** اى عذاب النار فى الاخرة
وقيل فى الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا فيما روى
عن السدى بيده سوط من نار فمن زاغ عن امر سليمان ضربه
بذلك السوط من حيث لا يراه فاحرقه **يعملون له ما يشاء**
من محاريب هى فى اللغة كل موضع مرتفع وقيل مساجد

لال داود وان يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم ٥
ابن عطيه وعلى كل وجه ففيه تنبيه وتحريض **فلما قضينا**
عليه الموت اى فلما حكمنا على سليمان بالموت حتى صار
كالامر المفروغ منه ووقع به الموت **ما دلهم** اى الجن
على موته الا دابة الارض هى الارضه والارض هنا مصدر
ارضت الخشبة بالبنا للمفعول اذا اكلتها الارضه **تاكل**
منسأته بالهمز وتركه يا لف اى عصاه بلسان الحبشه فى قول
السدى وقيل بلغة اليمن ذكره القشيرى لانها تنسا اى تطرد
ويزجر بها وذلك انه كان متكيا عليها فمات كذلك وبقى
خافى الحال الى ان سقط ميتا لانكسار العصا لاكل الارضة
اياها فعلم موته بذلك فكانت الارضة دالة على موته
اى سببا لظهور موته وكان سال الله ان لا يعلموا بموته
حتى يمضى عليه سنة واختلف فى سبب سواله ذلك فقال
قتادة كانت الجن تدعى علم الغيب فلما مات سليمان وخفى
موته عليهم تبينت الجن انهم لا يعلمون الغيب وقيل ان
داود اسس بنا بيت المقدس فلما حضره الموت وصى سليمان
باتمام بنايه فامر سليمان الجن به فلما دنت وفاته قال لاهله
لا تخبروا احدا بموتى حتى يتم الجن بنا المسجد وكان بقى لاتمامه
سنة **فلما خر** اى سقط **تبينت الجن** اى تبينت الانس **أن**
الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين اى
تبين امر الجن وان لو يدل فى موضع رفع من امر المقدر والمعنى

بجاهد المحاريب دون القصور ابو عبيدة المحراب اشرف
بيوت الدار وقيل هو ما يرقى اليه بدرج كالغرفه **وتماثيل**
جمع تمثال وهو كل شى مثلته بشى قيل كانت صورا من زجاج
ونحاس ورخام وذكر انها صور الانبيا والعلما كانت تصور
فى المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا وقيل
طلسمات كان يعملها وتحرم على كل مضر ان يتجاوزها فيعمل
تمثالا للذباب والبعوضة مثلا فلا يتجاوزه شى من ذلك
مادام ذلك التمثال قايما وكان ذلك مباحا فى شريعته **وجفان**
اى قصاع **كالجواب** واحدها جابيه وهى القدر العظيمه والحوض
العظيم الذى يجبى فيه الما اى يجمع وكان يجلس على الواحدة الف
رجل للاكل منها **وقدور راسيات** قال سعيد بن جبير هى
قدور النحاس تكون بفارس وقال الضحاك هى قدور تعمل
من الجبال ومعنى راسيات ثوابت لا تحمل ولا تحرك لعظمها يصعد
اليها بالسلالم قلنا **اعملوا آل داود شكرا** على ما اتاكم
وفى الحديث ثلاث من اوتيهن فقد اوتى مثل ما اوتى ال داود
العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنا والفقر ٥
وخشية الله فى السر والعلانيه وحقيقة الشكر الاعتراف
بالنعمة للمنعم واستعمالها فى طاعته والكفران استعمالها فى
المعصية وقليل من يفعل ذلك لان الخير اقل من الشر والطاعه
اقل من المعصيه بحسب سابق التقدير **وقليل من عبادى**
الشكور اى العامل بطاعتى شكرا لنعمتى وهو يحتمل ان يكون خطابا

تبينت الانس جمل الجن ويجوز ان يكون فى موضع نصب اى
تبينت الجن جهلها وروى انه لما سقط لم يعلم متذمات
فوضعت الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة ثم حسبوا
على ذلك فوجدوه قدمات منذ سنة فشكرت الجن الارضه
فصاروا يحملون لها الماء والطين فى جوف الخشب لقد كان
لسبا فى مساكنهم بالبمن قرئ بالصرف والتنوين على انه اسم
حى وهو فى الاصل اسم رجل جدّ لهم من العرب وقرئ بغير صرف
اسما للقبيلة اية اى علامة دالة على قدرة الله تعالى وعلى ان
لهم خالقا خلقهم جنتان يجوز ان يكون بدلا من اية وان يكون
خبر المبتدا محذوف ووحد الاية مع ان الجنتين اثنان لتماثلهما
فى الدلالة او لاتحاد جملتهما كقوله وجعلنا ابن مريم وامه اية
قال ابن زيد الاية التى كانت لاهل سبا فى مساكنهم انهم لم يروا
فيها بعوضة قط ولا ذبابا ولا برغوثا ولا قملة ولا عقربا ولا غيرها
من الهوام واذا جاءهم الركب فى ثيابهم القمل مات لطيب هوائهم
وقيل الاية هى الجنتان كانت المراة تمشى فيهما وعلى راسها
مكتل فيمتلى من انواع الفواكه من غير ان تمسها بيدها عن
يمين وشمال عن يمين واديهم وشماله قال القشيرى لم يرد
جنتين اثنتين بل اراد من الجهتين يمنة ويسرة كلوا اى قيل
لهم كلوا ولم يكن ثم امر ولكنهم تمكنوا من تلك النعم او قالت لهم
الرسل قد اباح الله لكم هذه النعم فكلوا من رزق ربكم اى من
ثمار الجنتين واشكروا له يعنى على ما رزقكم بلدة اى هذه

بلدة

بلدة طيبة اى كثيرة الثمار طيبة الهواء ليس بها سباخ ولا هوام
هى صنعاء ورب غفور اى والمنعم بها عليكم رب غفور يستر
ذنوبكم فجمع لهم بين طيب بلدهم ومغفرة ذنوبهم فاعرضوا
عن امره بالشكر واتباع رسله بعد ان كانوا مسلمين ولم يشكروا
فارسلنا عليهم سيل العرم ابن عباس هو السد والتقدير
سيل السد العرم والعرم جمع عرمه وهو ما يمسك الماء من
بناء وغيره الى وقت حاجته اى سيل واديهم الممسوك بما
ذكر اغرق جنتيهم واموالهم وقيل العرم اسم لوادى سبا كان
يجتمع فيه من مسايل الاودية وقيل اسم الجرذ الذى نقب السد
عليهم وهو الذى يقال له الخلد فنسب السيل اليه لانه سببه
ابن الاعرابى العرم من اسماء الفار مجاهد هو ما احمر ارسله الله
تعالى فى السد فشقه وهدمه وعن ابن عباس ايضا العرم
المطر الشديد قال الضحاك وكانوا فى الفترة بين عيسى ومحمد
صلى الله عليهما وسلم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل
خمط قال الخليل الخمط الاراك وقال الجوهرى الخمط ضرب من
الاراك له حمل يوكل وقيل هو كل شجر ذى شوك فيه مرارة
واثل القراهو شى يشبه الطرفا الا انه اعظم طولا منه وقيل
هو السمر وشى من سدر قليل الازهرى السدر سدران برى
لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للغسول وله ثمر لا يوكل وهو الذى
يسمى الضال والثانى سدر ينبت على الماء وثمره النبق وورقه
الغسول القشيرى واشجار الوادى لا تشتهى جنة وبستانا

ولكن لما وقعت الثانية في مقابلة الاولى اطلق عليها لفظ الجنة
ويحتمل ان يرجع قليل الى جملة ما ذكر من الخمط والاثل
والسدر وقرئ اكل بلا تنوين وبتنوين فالاول اضاف الاكل
الى الخمط اى ماكول خمط وعطف الاثل والسدر على الاكل الاعلى
الخمط لان الاثل لا اكل له ومن نون ولم يضف قال الاصل
ذواتي اكل اكل فحذف المضاف وهو اكل الاول واقام المضاف
اليه وهو اكل الثاني مقامه وخمط على هذا بدل من اكل او
عطف بيان على جعله كانه اياه لمجاورته والاضافة بمعنى
من ذلك جزيناهم بما كفروا اى هذا التبديل جزيناهم بكفرهم
وهل يجازى الا الكفور بالياء والنون وكسر الزاى ونصب
الكفور ان قيل لم خص المجازاة بالكفور ولم يذكر اصحاب المعاصي
قيل ليس يجازى بهذا الجزاء الذى هو الاصطلام والاهلاك
وتعجيل العقاب في الدنيا الا من كفر وقال مجاهد يجازى
يعاقب وذلك ان المؤمن يكفر الله عنه سيئاته والكافر
يجازى بكل سوء عمله فالمؤمن يجزى ولا يجازى وقال
طاوس هو المناقشة في الحساب واما المؤمن فلا يناقش
وجعلنا بينهم اى بين سبا وبين القرى التي باركنا فيها
وهي التي يسيرون اليها للتجارة قال الحسن هي الشام قيل
كانت اربعة آلاف قرية وسبعماية قرية يورك بالشجر والثمر
والماء قرى ظاهرة قتادة متصلة على الطريق من اليمن الى الشام
يغدون فيقيلون في قرية ويروحون فيبيتون في قرية اخرى

عند

عند سفرهم اليها ولا يحتاجون الى حمل زاد ولا ماء وقيل
كان على راس كل ميل قريه بسوق وقيل ظاهرة مرتفعة
وقدرنا فيها السير اى جعلنا السير بين قراهم وبين القرى
التي باركنا فيها سيرا مقدرا من منزل الى منزل ومن قرية
الى قريه على مقدار نصف يوم يوصل الى قرية فيها الماء والاكل
والاستجار سيروا اى وقلنا لهم سيروا فيها اى في هذه
المسافه وهو امر تمكين بمعنى الخبر اى مكناهم من السير ليالي
وايام اما ظرفان وذكرهما للتنبيه على قصر اسفارهم اى كانوا
لا يحتاجون الى طول السفر لوجود ما يحتاجون اليه آمنين
قال قتادة كانوا يسيرون غير خائفين ولا جياع ولا ظمأ
فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا الى الشام اجعلها
مفاوز نتطاول فيها على الفقر بركوب الرواحل وحمل الماء والزاد
فبطروا وطغوا وسيموا الراحة ولم يصبروا على العافيه وتمنوا
طول الاسفار والكدح في المعيشه كما سال بنو اسرائيل البصل
مكان المن والسلوى وظلموا انفسهم بالكفر فجعلناهم احاديث
اى يتحدث باخبارهم من بعدهم وتقديره ذوي احاديث
ومزقناهم كل ممزق اى فلما لحقهم ما لحقهم تفرقوا وتبددوا
في البلاد وجعل بينهم وبين الشام فلوات ومفاوز يركبون
فيها الرواحل ويتزودون الازواد قال الشعبي وتفرقت سبا
فلحقت الانصار بيثرب والذى قدم منها اليها عمرو بن عامر
ابو الاوس والخزرج وغسان بالشام والازد بعمان وخزاعة

بتهامة وكانت العرب تضرب بهم المثل فتقول تفرقوا مذاهب
سبا وطرقها وروى ان الله بعث الى سبا ثلاثة عشر نبيا فلم
يومنوا ان في ذلك المذكور لايات اى عبر ودلالات لكل
صبار مبالغ في الصبر وهو الذى يصبر عن معاصى الله شكور
على النعمة ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قرى صدق بالتخفيف
ابليس بالرفع ظنه بالنصب اى صدق في ظنه وقرى صدق
بالتشديد ظنه بالنصب بوقوع الفعل عليه اى حقق ابليس
ظنه قال مجاهد ظن ظنا فكان كما ظن وقرى صدق بالتخفيف
ابليس بالنصب ظنه بالرفع بجعل الظن فاعل صدق وابليس
مفعوله والمعنى ان ابليس سول له ظنه فيهم فكانه قال ولقد
صدق عليهم ظن ابليس وقرى صدق بالتخفيف ابليس ظنه
بالرفع فيهما على ان يكون ظنه بدلا من ابليس بدل اشتمال او
ثم قيل هذا في اهل سبا حين راى انهماكهم في الشهوات فكفروا
وبدلوا بعد ان كانوا مسلمين الا قوما امنوا برسلهم وقيل
عام في الناس كلهم الا من اطاع الله قاله مجاهد وقال الحسن
لما اهبط ادم وحوا من الجنة قال ابليس اما اذا اصبت من
الابوين ما اصبت فالذرية اضعف فكان ذلك ظنا من
ابليس ابن عباس قال خلقت من نار وخلق ادم من طين والنار
تحرق كل شي لاحتنكن ذريته الا قليلا فصدق ظنه عليهم
وقيل لما راى ما ركب في بني ادم من الشهوة والغضب او
سمع من الملايكة لتجعل فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم

لاغوينهم

فاتبعوه الا فريقا من المومنين اى الا فريقا هم
المومنون لم يتبعوه في التبيين وتقليلهم بالاضافة الى
الكفار او المعنى الا فريقا من فرق المومنين لم يتبعوه في
العصيان وهم المخلصون فلان كثيرا من المومنين من يذنب
ويقاد لابليس في بعض المعاصى اى ما سلم من المومنين ايضا
الا فريقا من للتبعيض وما كان له عليهم من سلطان
اى تسلط منا واستيلاء اى لم يقهرهم ابليس على الكفر وانما
كان منه الدعاء والتزيين الا لنعلم من يومن بالاخرة
يريد علم شهادة الذى يقع به الثواب والعقاب اما
الغيب فقد علمه عز وجل ممن هو منها في شك ومن هذه
الفرايكون المعنى الا لنعلم ذلك عندهم كما قال اين شركائى
اى عندكم وعلى زعمكم وقيل المعنى الا لتعلموا انتم اولياءنا
اولياءونا والملايكة وقيل الا لنميز المومن من الشاك
اوليوجد من من قد رايمانه ويثبات من قد رضلاله فيجازى
كلا منهما وربك على كل شي حفيظ اى رقيب قل يا محمد
للمشركين كفار مكة ادعوا الذين زعمتم اى زعمتموهم الهة
وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثانى
لقيامه صفته مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثانى
لانه لا يلتئم معه الضمير كلاما ولا يملكون لانهم لا يزعمونه
من دون الله اى غيره لتشفعكم او لتدفع عنكم ما قضاه الله عليكم
لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا

بتعيين الجواب او انه لا يقبل الكابره فقال لا يملكون
مثقال ذرة اى وزنها من خير او شر في السموات ولا في
الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان الهتهم
بعضها سماويه كالملايكه والكواكب وبعضها ارضيه
كالاصنام والجملة استيناف ببيان حالهم وما لهم
فيهما من شرك اى من شركة لا خلقا ولا ملكا وما له اى لله تعالى
منهم اى الالهة من ظهير اى معين على خلق شئ او تدبيره
ولا تنفع الشفاعة عنده تعالى اى ولا تنفعهم شفاعة
ايضا كما يزعمون من ان الهتهم تشفع لهم اذ لا تنفع الشفاعة
عند الله الا لمن اذن له بفتح الهمزه اى اذن الله له ان
يشفع وقرئ بضم الهمزه اى اذن له ان يشفع له حتى اذا
فزع بالبنا للفاعل والمفعول عن قلوبهم قال ابن عباس رضى الله
عنهما اى كشف الفزع وطرد خرج ما فيها من الخوف مجاهد
كشف عن قلوبهم الغطا يوم القيمة والمعنى ان الشفاعة
لا تكون من احد من هولا المعبودين من دون الله من الملايكه
والانبيا والاصنام الا ان ياذن الله للملايكه والانبيا
في الشفاعه وهم على غاية الفزع من الله كما قال وهم من
خشيته مشفقون اى انه اذا اذن لهم في الشفاعه وورد
عليهم كلام الله فزعوا مما يقترن بتلك الحال من الامر الهايل
والخوف من تنفيذ ما اذن لهم فيه فاذا سرى عنهم قالوا
للملايكة فوقهم وهم الذين يوردون عليهم الوحي بالاذن

او

او قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم اى ماذا امر به في
الشفاعة قالوا اى فيقولون لهم قال الحق اى القول الحق
وهو ان اذن لكم في الشفاعة للمومنين وهو العلي
الكبير اى ذو العلو والكبريا ليس لنبي ولا ملك ان يتكلم
ذلك اليوم الا باذنه وفي الكلام اضمار اى ولا تنفع
الشفاعة عنده الا من اذن له ففزع لما ورد عليه من
الاذن تهيبا لكلام الله عز وجل حتى اذا ذهب الفزع
عن قلوبهم اجاب بالانقياد وقيل هذا الفزع يكون
اليوم للملايكة في كل امر يامر به الرب جل وعز اى لا تنفع
الشفاعة الا من الملايكة الذين هم فزعون اليوم مطيعون
لله تعالى دون الجمادات والشياطين البكرى
وانما ذكر ذلك لانهم عبدوا الملايكة ظانين شفاعتهم
لهم فاخبر الله تعالى انهم لا يشفعون الا باذنه لهم في
ذلك اذنا مقترنا بما مر اى وهو لا ياذن لاحد في
الشفاعة في كافر كما ذكر في غير هذه الاية تصريحا انتهى
وفي صحيح الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذا قضى الله في السما امرا ضربت الملايكة
باجنحتها خضعانا لقوله كانها سلسلة على صفوان فاذا
فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي
الكبير وقيل غير ذلك قل من يرزقكم من السموات اى من
يخلق لكم هذه الارزاق الكايتة من السموات اى عن المطر

والشمس والقمر والنجوم وما فيها من المنافع والارض اى
الخارجة منها عن الماء والنبات وهو تقرير لقوله لا يملكون
قل الله اذ لا جواب لهم سواه وفيه اشعار بانهم سكتوا او
تلعثموا فى الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به يقلونهم
وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين اى وان احد الفريقين
من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة
والمشركين به النازل فى ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين
من الهدى والضلال المبين وهو ما يقوم بعد التقرير
البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال له ابلغ
من التصريح لانه فى صورة الانصاف فى الجدال المسكت للخصم
المشاغب ونظيره قول حسان

• اتهجوه ولست له بكفؤ • فشركما لخيركما الفداء •

فهو اوصل الى الغرض واستعمل على فى جانب الهدى وفى جانب
الضلال لان الهادى كمن صعد مستعليا ينظر الاشياء
ويتطلع عليها فهو يصرف نظره كيف يشاء وراكب جواد
يركضه حيث يشاء وصاحب الضلال متخفض ومتغمس فى
ظلام لا يدرى اين يتوجه او محبوس فى مطمورة لا يستطيع
ان يتخلص منها والمعنى ما نحن وانتم على امر واحد بل على
امرين متضادين واحد الفريقين مهتد وهو نحن والآخر
ضال وهو انتم فكذبوا باحسن من تصريح التكذيب واو
عند البصريين على بابها وليست للشك لكنها على ما تستعمله

العرب

العرب فى مثل هذا كقولهم احدى الكاذبين منى ومنك اذا لم
يرد المخبران يبين وهو عالم بالمعنى وقيل انه على اللف وفيه
نظر قل لا تسئلون عما اجرمنا اذ نبتنا ولا نسئل عما تعملون
هذا ادخل فى الانصاف وابلغ فى الاخبار حيث اسند الاجرام
الى انفسهم والعمل الى المخاطبين ومعنى الآية انما اقصد بما
ادعوكم اليه الخير لكم لا انه ينبا التى ضر كفركم فهى آية مهادنة
قيل وهى منسوخة بآية السيف قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة
ثم يفتح بيننا بالحق اى يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة
والمبطلين النار وهو الفتاح اى القاضى بالحق العليم باحوال
خلقه قل ارونى الذين الحقتم به شركاء اى باى
صفة الحقتموهم بالله فى استحقاق العبادة وهو استفسار
عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة فى تبكيتهم كلا
ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة اذ ليس الامر كما
زعمتم وقيل ان كلا رد لجوابهم المحذوف كانه لما قال
ارونى الذين الحقتم به شركاء قالوا هى الاصنام فقال كلا بل هو
الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة
والحكمة فلا يكون له شريك فى ملكه وما ارسلناك الا
كافة للناس اى الا رسالة عامة لهم من الكف فانها اذا
عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او المعنى الا جامعا
لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز
جعلها من الناس على المختار عند الاكثرين لان صاحب الحا

ل

مجرور قال الجلال المحلى الا كافة للناس حال من الناس قدم للاهتمام
والناس قيل يشمل الجن لان المراد بالناس من يونس به وقيل
لا فالارسال لهم ثبت من سورة الجن وغيرها **بشيرا** بالجنة
لمن اطاع **ونذيرا** من النار لمن عصى **ولكن اكثر الناس** ومنهم اهل مكة
لا يعلمون عموم رسالتك فيحملهم حبهم على مخالفتك **ويقولون**
متى فرط جهلهم **متى هذا الوعد** يعنون المبشر به والمنذر عنه
او الموعود بقوله تجمع بيننا **ان كنتم صادقين** يخاطبون به
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين **قل لكم ميعاد يوم**
اى وعد يوم او زمان وعد واضيف الميعاد اليوم اتساعا
اذ ليس هو الواعد لكن لما كان الوقوع فيه صح ذلك **لا تستاخرون**
عنه ساعة ولا تستقدمون اذا ما جاءكم فلا يغرنكم
تاخره وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسوالهم
من التعنت والانكار وقيل الميعاد وقت حضور الموت
اى لكم قبل يوم القيمة وقت معين تموتون فيه فتعلمون
حقيقة قولى وقيل هو يوم بدر لانه ميعاد عذابهم
فى الدنيا **وقال الذين كفروا** يعنى كفار قريش **لن نؤمن بهذا**
القران ولا بالذى بين يديه اى ولا بما تقدمه من الكتب
الدالة على البعث وقيل الذى بين يديه يوم القيمة وقيل
ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب عن النبى صلى الله عليه
وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا
وقالوا ذلك قال تعالى **ولو ترى** يا محمد **اذ الظالمون**

مو

موقوفون عند ربهم اى محبوسون فى موقف الحساب **يرجع**
بعضهم الى بعض القول اى يتراجعون الكلام فيما بينهم
باللوم والعتاب بعد ان كانوا فى الدنيا اخلاء متناصرين
وجواب لو محذوف اى لرايت امرا هائلا فظيعا ثم ذكر اى
شىء يرجع من القول بينهم فقال **يقول الذين استضعفوا**
فى الدنيا من الكافرين وهم الاتباع **للذين استكبروا** وهم
القادة والروساء **لولا انتم** اى لولا اضلالكم وصدكم ايانا
عن الايمان **لكنا مومنين** باتباع الرسل **قال الذين استكبروا**
للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى هو استفهام
بمعنى الانكار اى ما رددناكم عن الهدى واكرهناكم **بعد اذ**
جاءكم بل كنتم مجرمين اى مشركين مصرين على الكفر فانكروا
كونهم صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا
انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى واثروا التقليد **وقال**
الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل
والنهار اضراب عن اضرابهم اى لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم
لنا دائما ليلا ونهارا واصل المكر الاحتيال والخديعة
اضيف المكر اليهما مجازا على حذف مضاف اى بل مكركم
بنا بالليل والنهار اى مسارتكم الينا ودعاوكم
لنا الى الكفر هو الذى حملنا على هذا واضيف المكر الى الليل
والنهار لوقوعه فيهما **اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل**
له اندادا اى اشباها وامثالا وتظنوا **واسروا الندامة**
اى اضمر الفريقان الندامة على الضلالة والاضلال واخفاها

كل عن صاحبه مخافة التغيير او المعنى اظهروها فانه من الاضداد
اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته وقيل
المعنى تبينت الندامة في اسارير وجوههم لان الندامة
لا تظهر وانما تكون في القلب وانما يظهر ما يتولد عنها ۝
وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا في النار الضعفا
والقادة جميعا والاغلال جمع غل هل يجزون الا ما كانوا
يعملون اى لا يفعل بهم الا جزاء اعمالهم في الدنيا من الكفر والمعاصي
وتعدية يجزى لما لتضمين معنى يقضى او لنزع الخافض وما
ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها اى اغنياؤها
ورؤساؤها وجبابرتها وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم بما يجيء به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب
لان الداعي الى العظم والمفاخرة بزخارف الدنيا الانهماك
في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا
التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به
كافرون مقابلة الجمع بالجمع وقالوا اى المترفون نحن اكثر
اموالا واولادا اى فضلنا عليكم بالاموال والاولاد ولو
لم يكن ربكم راضيا بما نحن عليه من الدين والفضل لم يخولنا
ذلك فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن بمعذبين اما
لان العذاب لا يكون اولانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا
بالعذاب قله رد الحسابهم ان ربي يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر اى يوسعه ويقتره وهو الذي يقتضيه بين

عباده

عباده في الارزاق فسعة الرزق في الدنيا لا تدل على سعادة
الاخرة ولكن اكثر الناس اى كفار مكة لا يعلمون فيظنون
ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما تكون
للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم
عندنا زلفى اى قربة وقال الاخفش ازلفا وهو اسم المصدر
قال الفراء التي تكون للاموال والاولاد جميعا وله قول اخر
وهو مذهب الزجاج ان المعنى وما اموالكم بالتي تقربكم
ثم حذف خبر الاول لدلالة الثاني عليه اى لا تزيدكم
الاموال عندنا رفعة ودرجة ولا تقربكم تقريبا الا من آمن
اى لكن من آمن وعمل صالحا فان يضره ماله وولده في الدنيا
وشرط مع الايمان العمل الصالح لكمال الثواب فاولئك لهم
جزاء الضعف اى يجازون التضعيف الى عشرة فما فوقها
وهم في الغرفات من الجنة امنون من الموت وجميع المكاره
ابن عباس هي غرف من ياقوت وزبرجد ودر وقرى الغرفة
بمعنى الجمع والذين يسعون في اياتنا اى في ابطال ادلتنا
وتعجيزنا بالرد والطعن فيها او في القرآن بالابطال معاجزين
وقرى معجزين اى مسابقين لنا يتنا او ظانين انهم يفوتوننا
فاولئك في العذاب محضرون في جهنم تحضرهم الزبانية فيها
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له
يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا شخص واحد باعتبار
الوقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما انفقتم من شيء

في الخير فهو يخلفه عوضا اما عاجلا واما اجلا وهو خير الرازقين
فان غيره وسط في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويقال
ان كل انسان يرزق عايلته اى من رزقا الله وفي البيهقي وغيره
ان كل نفقة تخلف الا ما كان في بنيان او معصية واذكر يوم
نحشرهم جميعا اى المشركين المستضعفين والمستكبرين ثم
نقول للملائكة اهؤلاء اياكم تحقيق الهمزتين وابدال الثانية
ياء واسقاطها كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم
واقناطا لهم عما يتوقعونه من شفاعتهم وتخصيص الملائكة
لانهم من اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم قالوا
سبحانك تنزيها عن الشريك انت ولينا من دونهم اى انت
الذي نوالية من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كما لهم يبنوا
بذلك برآتهم عن الرضى بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا
انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن
اى الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل
كانوا يتمثلون لهم ويخيلون انهم الملائكة فيعبدونهم وقيل
انهم عبدوا الجن حقيقة فهو على بابه اكثرهم بهم مؤمنون
مصدقون فيما يقولون لهم والضمير الاول للانس او للمشركين
والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن قال تعالى فاليوم لا يملك
بعضكم لبعض اى بعض المعبودين لبعض العابدين نفعا شفاعة
ولا ضرا تعذيبا اذ الامر فيه بيد الله لان الدار دار جزاء
وهو المجازي وحده ونقول للذين ظلموا كفروا ذوقوا

عذاب

عذاب النار التي كنتم بها تكذبون عطف على الجملة
مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم اياتنا اى القران
على لسان محمد صلى الله عليه وسلم بينات واضحات قالوا
ما هذا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم
عما كان يعبد آباؤكم اى اسلافكم من الالهة وقالوا ما هذا
يعنون القران الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى
باضافته الى الله وقال الذين كفروا اللحق لما جاءهم اى لامر
النبوة او للاسلام او للقران والاول باعتبار معناه وهذا
باعتبار لفظه او اعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته
وقيل قالوا تارة سحر وتارة افك ويحتمل ان يكون القائلون
طايفتين قال تعالى وما اتيناهم من كتب يدرسونها وفيها
دليل على صحة الاشتراك او المعنى لم يقروا في كتاب ما وتوه بطلان
ما جيت به وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه
وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع
لهم هذه الشبهة وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لراييهم
ثم هددهم فقال وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا
معشار ما اتيناهم اى كذب قبلهم اقوام كانوا اشد منهم لا
بطشا واكثر اموالا واولادا واوسع عيشا فاهلكناهم كعاد
وثمود وما بلغ اهل مكة معشار ما اتينا تلك الامم من العزة
وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما اتيناهم فلا
من البينات والعلم واللسان والحجة والبرهان فليس امة

اعلم من امتك ولا كتاب ايبن من كتابك والمعشار العشر
وقيل عشر العشر فكذبوا رسلي فكيف كان نكير اى فحين
كذبوا رسلي جاهر انكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم ٥
فليحذر هولاء من مثله ولا تكرير في كذب لان الاول مطلق
والثاني مقيد ولذلك عطف عليه بالفا قل انما اعظكم
بواحدة اى ارشدكم وانصح لكم واحذركم سوء عاقبة ما انتم
فيه بخصلة واحدة هي ما دل عليه ان تقوموا لله هذا القيام
معناه القيام الى طلب الحق وهو الانتصاب في الامر خاليا
لوجه الله معرضا عن المراد والتقليد مثنى وفرادى متفرقين
اثنين اثنين وواحدا واحدا وقيل المعنى تقوموا لله بكلمة
مشتملة على جميع الكلام تقتضي نفي الشرك واثبات الاله ٥
وقال مجاهد هي لا اله الا الله وهو قول ابن عباس وعن
مجاهد ايضا بطاعة الله وقيل بالقران ثم تتفكروا
في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته
ومحل ان تقوموا الى اخره الجر على البدل او البيان او الرفع
او النصب باضمار هو او اعني وثم تتفكروا معطوف على تقوموا
ما بصاحبكم من جنة فتعلموا اما به جنون والوقف عند
ابي حاتم وابن الانباري على ثم تتفكروا وقيل البين يوقف
لان المعنى ثم تتفكروا هل جربتم على صاحبكم كذبا او رابتم
منه جنة او في احواله من فساد او عرفتموه بالطمع في اموالكم
او تقدرون على معارضته في سورة واحدة فاذا عرفتم بهذا

الفكر

الفكر صدقه فما بال هذه المعانده وايضا فان ما عرفوا
من رجاحة عقله كاف في ترجح صدقه فانه لا يدعه
يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ٥
ووثوق ببرهان فيقتضح على رؤس الاشهاد ويلقى نفسه
الى المهالك فكيف وقد ناضمر الى معجزات كثيره وقيل
ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اى شيء به من اثار الجنون
ان ما هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد اى قدامه
لانه مبعوث قدام الساعة قل ما سالتكم على الانذار
والتبليغ من اجر اى اى شيء سالتكم من اجر على الرسالة فهو
لكم والمراد نفي السوال فهو على طريق المبالغة في نفي سواله
كما تقول لغيرك ان كان لي فقد وهبته لك مبالغة في نفيه
وقيل ما موصولة مراد بها ما سالهم بقوله ما اسيلكم
عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا لا اسيلكم
عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل شفعهم
وقرباه قربا هم ان اجري الا على الله اى ما ثوابي الا عليه
وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي
قل ان ربي يقذف بالحق قتاده بالحق بالوحي اى يلقيه ويتراله
على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به
الى اقطار الافاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه
وقيل المعنى يبين الحجة ويظهرها علام الغيوب صفة
محمولة على ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف وخبر ثان

او خبر محذوف وقرى بالنصب صفة لربى او مقدرا
باعنى والغيوب جمع الغيب وهو الامر الذى غاب وخفى
جدا قل جآء الحق اى الاسلام وقيل القران المخاس
التقدير جآء صاحب الحق اى الكتاب الذى فيه البراهين
وما يبدئ الباطل وما يعيد اى وزهق الباطل اى الشرك
بحيث لم يبق له ابدا ماخوذ من هلاك الحى فانه اذا اهلك
لم يبق له ابدا ولا اعادة وقيل الباطل ابليس او الصنم
والمعنى لا يبتدئ خلقا ولا يعيده فما نفى وقيل استفهامية
منتصبة بما بعدها قل ان ضللت عن الحق فانما اضل
على نفسى اى فان وبال الضلال على فانه يسببها فمنى الجاهلة
بالذات والامارة بالسوء وان اهتديت للحق فبما
يوحى الى ربى من الحكمة والبيان فان الاهتدا بهدايته
وتوفيقه وذلك ان الكفار قالوا تركت دين ابآيك
فضللت فقيل له قل يا محمد ان ضللت كما تزعموا الى اخره
انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان
اخفاه ولو ترى يا محمد اذ فزعوا عند الموت او البعث اذا
خرجوا من قبورهم او يوم بدر حين نصرنا عنا قهم بسيوف
الملايكه وجواب لو محذوف اى لرايت امرا فظيعا فلا فوت
لهم اى فلا يفوتون الله بهرب ولا تحصن واخذوا من مكان
قريب اى من ظهر الارض الى بطنها او من القبور او من الموقف
الى النار ابن عباس نزلت فى ثمانين الفا يغزون فى اخر الزمان
الكعبة

اللكعبة ليخربوها فكما يدخلون البيد اى يخسف بهم فهو الاخذ
من مكان قريب وقيل المعنى قبضت ارواحهم فى اماكنها
فلم يمكنهم الفرار من الموت وقالوا امنا به اى بمحمد صلى الله
عليه وسلم وقد مر ذكره فى قوله ما يصاحبكم وقيل القران
مجاهد يعنون الله عز وجل الحسن بالبعث وانى لهم
التناوش بالواو والهمزة تبدلها اى الرجعة وقيل التوبة
وقيل التناول اى ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا
سهلا من مكان بعيد اى محله وقد بعد عنهم لانهم فى الاخرة
ومحله فى الدنيا وهو تمثيل لحالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد
ما فات عنهم وبعد حال من يريد ان يتناول الشى من
علوه تناوله من ذراع فى الاستحالة وقد كفروا به اى بمحمد
عليه الصلاة والسلام وقيل بالله تعالى وقيل بالعذاب
من قبل اى من قبل ذلك فى دار الدنيا زمن التكليف ويقذفون
بالغيب اى ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى
الرسول صلى الله عليه وسلم من المطاعن وقيل يرمون
بالظن فيقولون لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار وقيل
يرمون بالقران فيقولون سحر شعر اساطير الاولين والعرب
تقول لكل من تكلم بما لا يحققه هو يقذف بالغيب من مكان
بعيد اى من جانب بعيد ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال
من يرمى شيا لا يراه من مكان بعيد لامجال للظن فى لحوقه
وقيل اراد البعد عن القلب اى من مكان يبعد عن قلوبهم

وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة به
من النار وقيل بينهم وبين ما يشتهون في الدنيا من اموالهم
واهليهم قتادة المعنى انهم كانوا يشتهون لما راوا العذاب
ان يقبل منهم ان يطيعوا الله ورسوله وينتهوا الى ما يامرهم
به الله فحيل بينهم وبين ذلك اى حيل الحول كما فعل باشياعهم
من قبل اى باشباههم من كفرة الامم الدارجه والاشياع جمع
شيع جمع شيعه انهم كانوا في شك من امر الرسول والبعث
والجنه والنار وقيل في الدين مريب موقع في الريبه
لهم فيما منوا به الآن ولم يعتد وابد لايله في الدنيا يقال
اراب الرجل صار ذا ريبه فهو مريب منقول من المشكك
نعت به للمبالغه ومن قال هو من الريب الذى هو الشك
والتهمه فيقال شك مريب كما يقال شعر عجيب
وشعر شاعر

سورة فاطر مكيه

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات
والارض اى مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم
باخراجهما منه والمراد بالسموات والارض العالم كله والاضافة
محضه لانه بمعنى الماضى جاعل الملائكة رسلا اى وسايط
بين الله وبين انبيايه والصالحين من عباده ويبلغون رسالته
اليهم بالوحى والالهام او الرويا الصادقه وقيل بينه
وبين خلقه فيوصلون اليهم اثار صنعه من رحمة او نقمة
والرسل منهم جبريل واسرافيل وميكايل وملك الموت

اولى

اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع اى ذوى اجنحة متعددة
متفاوته اى اثنين اثنين وثلاثه ثلاثه واربعه اربعه
يتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون ويسيرون
بها نحو ما وكلهم به الله وفي صحيح مسلم ان النبى صلى الله عليه
وسلم راى جبريل له ستمايه جناح يزيد في الخلق ما يشآء
اى في خلق الملايكه في قول اكثر المفسرين والاية تتناول
الزيادة على ذلك من الصور والمعانى كملاحة الوجه
وحسن الصوت وحصانة العقل وسماحة النفس وجزالة
الراى وجراة القلب ودلاقة في اللسان وابانة في التكلم
وساير العلوم والصنايع ان الله على كل شئ قدير ومن تخصيص
بعض الاشيا بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة
ما يفتح الله للناس اى ما يطلق ويرسل من رحمة كنعمة
وامن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما
يمسك من ذلك فلا مرسل له يطلقه من بعده اى من
بعد امساكه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر
بالرحمة والثانى مطلق يتناولها والغضب وفي ذلك اشعار
بان رحمته سبقت غضبه وقيل معنى الاية ان الرسل
بعثوا رحمة للناس فلا يقدر على ارسالهم غير الله وقيل
ما يايتهم من مطر ورزق وقيل الرحمة الدعا والتوبه
والتوفيق والهدايه القرطبى ولفظ الرحمه يجمع ذلك اذ
هى مذكره للاشاعة والابهام وهو العزيز الغالب على

ما يشآ ليس لاحد ان ينازعه فيه الحكيم الذى لا يفعل شيا
الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والمملوكات
والمتصرف فيها على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال
يا ايها الناس اذكروا نعمت الله عليكم اى احفظوها بمعرفة
حقها والاعتراف بها وطاعة موليها وقيل المعنى يا اهل مكة
اذكروا نعمة الله عليكم باسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم
ثم انكر ان يكون لغيره فى ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به
فقال هل من خالق غير الله يرزقكم من السما والارض بالمطر
والنبات لا اله الا هو فانى تؤفكون من الافك بالفتح
وهو الصرف اى فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك
غيره به وهو الخالق الرازق وقرى برفع غير للحمل على محل من خالق
فانه وصف ويدل فان الاستفهام بمعنى النفى ومن مزيده
وقرى نجره حملا على لفظه وان يكذبوك يا محمد فيما جيت به
من التوحيد والبعث والحساب والعقاب والمراد كفار مكة
فقد كذبت رسل من قبلك اى فتاس بهم فى الصبر على تكذيبهم
فوضع فقد كذبت موضعه استغنا بالسبب عن المسبب
وتنكير الرسل للتعظيم او التكثير المقتضى كل منهما زيادة
التسليم والحث على المصابره وانى الله ترجع الامور فى الاخره
فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب يا ايها الناس ان
وعد الله حق بالبعث والجزا وغيرهما لا خلف فيه فلا تغرنكم
الحيوة الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الاخره والسعى لها

ولا يغرنكم بالله فى حلمه وامهاله الغرور اى الشيطان
بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت
لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع
الطبيعة وقرى بالضم مصدر وهو الباطل او جمع كقعود
ان الشيطان لكم عدو عداوة بينة قديمة فاتخذوه عدوا
فى عقايدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه فى مجامع احوالكم
فانه قد اخرج ابويكم من الجنة وضمن اضلالكم انما يدعوا
حزبه اى اتباعه فى الكفر وهو تقرير لعداوته وبيان لغرضه
فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا ليكونوا
من اصحاب السعير النار الشديدة الذين كفروا لهم عذاب
شديد بالخلود فى النار والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم
مغفرة واجر كبير هو الجنة وهو وعيد لمن اجاب دعاه ووعد
لمن خالفه وعصاه فهو بيان لموافقى الشيطان ومخالفيه
افمن زين له سوء عمله فراه حسنا بان غلب وهمه وهواه على
عقله حتى انتكس وانعكس فراى الباطل حقا والقبيح حسنا ومن
فى موضع رفع بالابتدا وخبره محذوف قال الكسائى ويدل
عليه قوله فلا تذهب نفسك الايه والمعنى افمن زين له
سوء عمله فراه حسنا ذهبت نفسك عليهم حسرات
قال وهو كلام عربى ظريف لا يعرفه الا قليل وقيل الجواب
محذوف والمعنى افمن زين له سوء عمله كمن هدى والتقدير
لا وقيل الجواب كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن

الاعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف لدلالة **فان الله**
يضل من يشا ويهدى من يشا وفى من زين له سوء عمله اقوال
قيل هم اليهود والنصارى والمجوس ويكون سوء عملهم
معاندة الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل الخوارج
فيكون سوء عملهم تحريف التاويل وقيل ابو جهل وغيره
من قريش بالشرك وقيل الشيطان بالاغواء **فلا تذهب**
نفسك عليهم حسرات اى على المزينين لهم **حسرات** اى
لا تهلكها عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب
وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم
او كثرة مساوى افعالهم المقتضية للتاسف وعليهم ليس
صلة لها لان صلة المصدر لا تتقدم عليه بل صلة تذهب
او بيان للمتحسر عليه والحسرة شدة الحزن على ما فات من
الامر **ان الله عليم بما يصنعون** فيجازيهم عليه **والله**
الذى ارسل الرياح وقرئ الريح **فتثير سحابا** على حكاية
الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة
على كمال الحكمة ولان المراد بيان اجرايها بهذه الخاصة
ولذلك اسنده اليها **فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به**
الارض اى بالمطر النازل منه وذكر لذكر السحاب وياتى
لانه سبب لسبب والصاير مطرا **بعد موتها** يبسها اى
انبتنا به الزرع والكلا **كذلك النشور** اى مثل احيا الموات
نشور الاموات فى صحة المقدور به وقيل فى كيفية الاحيا

فانه

فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش ينبت منه اجساد
الخلق **من كان يريد العزة** اى الشرف **فلله العزة جميعا**
اى فيطلبها من عنده فان كلها له الفرا التقدير من كان
يريد علم العزة التى لا ذلة معها وقدر الزجاج من كان
يريد بعبادته الله عز وجل فالعز والعزة له سبحانه
فان الله يعزه فى الاخرة والدنيا وقوله جميعا ظاهرها
ايا س السامعين من عزته ويحتمل ان يريد سبحانه ان ينبه
ذوى الاقدار والهمم من اين تنال العزة ومن اين تستحق
فتكون الالف واللام للاستغراق فمن طلب العزة من الله
وصدقه فى طلبها بافتقار وذل وجدها عنده ان شا الله
غير ممنوعة ولا محجوبة قال صلى الله عليه وسلم
مفسرا لهذه الاية من اراد عز الدارين فليطع العزيز
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
بيان لما تطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح
وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما لان الصعود
هو الحركة الى فوق ولا يتصور ذلك فى الكلام لانه عرض
لكنه ضرب مثلا للقبول او المراد صعود الكتبة
بصحيفتهما وقال الزجاج يقال ارتفع الامر الى القاضى
اى علمه فهو بمعنى العلم والمستكن فى يرفعه للكلم فان
العمل لا يقبل الا بالتوحيد او للعمل فانه يحقق الايمان
ويقويه او الله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من

الكلفة والمصعد هو الله او الملك وقيل الكلم الطيب
يتناول الذكر والدعا وقراة القران وعنه عليه الصلاة
والسلام هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السما فحيا بها وجه الرحمن
فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل **والذين يمكرون السيات**
اى المكرات السيات يعنى مكرات قريش للنبى صلى الله عليه وسلم
فى دار الندوه ونذارهم الراى فى احدى ثلاث حبسه
وقتله واجلايه وقيل اصحاب الربا وقيل غير ذلك
لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور اى يفسد ولا
ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير به يقال بار يبور اذا
هلك وبطل **والله خلقكم من تراب** بخلق ادم منه
ثم من نطفة بخلق ذريته منها **ثم جعلكم ازواجا** ذكرانا
واناثا فزوج بعضكم بعضا ليتم البقا فى الدنيا الى انقضا
مدتها **وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه** حال اى الا
معلومة له **وما يعمر من معمر** اى وما يمد فى عمر من مصيره
الى الكبر فسماه معمرا بما هو صاير اليه والمعنى ما يزاد
فى عمر طويل العمر **ولا ينقص من عمره** اى ذلك المعمر
وقيل المعنى وما يعمر من معمر الا كتب عمره هو كم سنه
كم هو شهر كم هو يوم ثم يكتب فى كتاب اخر نقص من عمره
يوم نقص شهر نقص سنه حتى يستوفى اجله فما مضى من اجله
فهو النقصان وما يستقبل فهو الذى يعمره فالها على

هذا

هذا المعمر قتادة المعمر من بلغ ستين سنه والمنقوص من عمره
من يموت قبل ستين سنه ومذهب الفرا ان المعنى وما يعمر
من معمر اى ما يكون من عمره ولا ينقص من عمره بمعنى معمر اخر
اى لم ينقص اخر فالكناية ترجع الى اخر غير الاول وكنى عنه
بالها كانه الاول كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه
الا بحق وقيل غير ذلك **الا فى كتاب** وهو علم الله
او اللوح المحفوظ او الزيادة والنقص **ان ذلك** اى كتابة
الاعمار والاجال او الحفظ او الزيادة والنقص **على الله يسير**
هين **وما يستوى البحران** العذب والمالح **هذا عذب**
فرات اى طيب وشديد العذوبه **سايغ شرابه** اى هين
سهل شربه فى الحلق **وهذا ملح اجاج** اى شديد الملوحة
او المرارة او هما وقيل الفرات الذى يكسر العطش والاجا
الذى يحرق بملوحته وقيل هما ضرب مثل للمومن والكافر
ومن كل اى من الملح والعذب **تاكلون لحما طريا** هو السمك
وتستخرجون حلية تلبسونها اى اللولو والمرجان وهو
استطراد فى صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام
التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا فى بعض الفوايد لا يتساويا
من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات
من الما فلا يتساوى المومن والكافر وان اتفقا اشتراكهما
فى بعض الصفات كالشجاعة والسخاوه لاختلافهما فيما
هو الخاصية العظمى ومذهب الزجاج ان الحليه انما تستخرج

ج

من الملح وقال منهما لانهما مختلطان وقال غيره انما تستخرج
الاصداف التي فيها الحلية من الدر وغيره من المواضع التي
التي فيها العذب والملح نحو العيون وقيل مطر السما
وترى تبصر الفلك السفن فيه اى في كل منهما مواخر
تمخر الماء اى تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة
لتبتغوا اى تطلبوا من فضله من فضل الله قال مجاهد
هي التجارة في الفلك الى البلد الى البعيد ه في مده قريبه
وقيل ما يستخرج من حليته ويصاد من حيتانه واللام
متعلقة بمواخر ويجوز ان تتعلق بما دل عليه الافعال
المذكوره ولعلكم تشكرون الله على ذلك وحرف الترجي
باعتبار ما بعضه ظاهر الحال يولج الله الليل في النهار
ويولج النهار في الليل اى يدخل ما نقص من احدهما في
الاخر فيزيد وسخر الشمس والقمر كل منهما يجري في فلكه
لاجل مسمى يوم القيمه ذلكم الله ربكم له الملك
الاشارة الى الفاعل لهذه الاشيا اى هذا الذي من صنعه
ما تقدم هو الخالق المدبر له الملك لا لغيره والذين
تدعون من دونه اى تعبدون من غيره يعني الاصنام
ما يملكون من قطمير هي القشرة الرقيقة البيضا بين
النمرة والنواة قاله اكثر المفسرين ابن عباس هو شق
النواة وقيل القمع الذي على راس النواة ان تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد وقيل ان تستغيثوا بهم

في النوايب لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا على سبيل الفرض
ما استجابوا لكم اى ما اجابوا لعدم قدرتهم قتاده المعنى
ولو اسمعوا لم ينفعوكم وقيل المعنى لو جعلنا لهم عقولا
وحياة فسمعوا دعاءكم لكانوا اطوع لله منكم ويوم من
القيمة يكفرون بشرككم اى باشراكهم لهم يقرون ببطلا
او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل
خبير اى ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به وهو الله
سبحانه فانه الخبير به على الحقيقه دون سايرالمخبرين
وقيل المعنى ولا يخبرك باحوال الدارين وما لكل
ما فيها مثل عالم وهو الله تعالى والمراد تحقيق ما اخبر
به عن الهتهم ونفي ما يدعون لهم يا ايها الناس انتم
الفقرا الى الله اى المحتاجون اليه في انفسكم وما يعن
لكم وتعريف الفقرا للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم
وكثرة احتياجهم هم الفقرا والله هو الغني عن خلقه
الحميد اى المحمود في افعاله ان يشا يذهبكم ويات
بخلق جديد بدلكم اى بقوم اخرين اطوع منكم او بعالم
اخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز اى بمتعذر
او متعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى اى ولا تحمل نفس
اثمة نفس اخرى واما قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم تحملون اثقال
اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها

شئ من اوزار غيرهم **وان تدع مثقلة** الفراى نفس مثقلة
بذنوبها وهذا يقع للمذكر والمونث **الى حملها** احدا ليحمل
بعضه والحمل بالكسر ما كان على الظهر وبالفتح حمل المراة
والنخله قاله الكساى **لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى**
التقدير على قول الاخفش ولو كان المدعو ذا قربى اى
صاحب قرابة كالاب والابن فاضمر المدعو لدلالة ان
تدع عليه وقال الفضيل المراة تلقى ولدها فتقول يا بنى
الم تكن بطنى لك وعاء الم يكن حجرى لك وطاء الم يكن ثديى
لك سقاء فيقول بلى يا اماه فتقول يا بنى قد اثقلتنى ذنوبى
فاحمل عنى ذنبا واحدا فيقول اليك عنى يا اماه فانى بذنبى
عنك مشغول وعدم الحمل فى الشقين حكم من الله **انما**
تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب اى غايبين عن عذابه
اوعن الناس فى خلواتهم وقيل المعنى يخافونه بسحانه
وما راوه وخصهم بالانذار لانهم المنتفعون به فالمعنى
ما يقبل انذارك الا من يخشى عقاب الله **واقاموا الصلاة**
اداموها **ومن تزكى** اى تطهر من الشرك **فانما يتزكى لنفسه**
اذ نفعه لها وهو اعتراض موكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة
لانهما من جملة التزكى **والى الله المصير** اى جمع الخلق فى
الاخرة فيجازيهم على تزكيتهم **وما يستوى الاعمى**
والبصير اى الكافر والمومن وقيل الجاهل والعالم
ولا الظلمات ولا النور اى الباطل والحق **ولا الظل**

ولا الحرور قيل الثواب والعقاب وقيل الجنة والنار
وقيل البرد والحر ولا لتاكيد نفى الاستواء وتكريرها على
الشقين لمزيد التاكيد والحرور فعول من الحر غلب على
السموم وقيل السموم ما تهب نهارا والحرور ما تهب
ليلا **وما يستوى الاحياء ولا الاموات** تمثيل اخر
للمومنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل
وقيل للعلماء والجهلاء **ان الله يسمع من يشاء** هدايته
فيوفقه لفهم ايانه والاتعاظ بعظاته وتحييه بالايمان
وما انت بمسمع من فى القبور ترشيح لتمثيل المصرين على
الكفر بالاموات ومبالغة فى اقناطه عنهم **ان انت الا نذير**
اى منذر فما عليك الا الانذار واما الاسماع فلا اليك
ولا حيلة لك اليه فى المطبوع على قلوبهم **انا ارسلناك**
بالحق اى محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق **بشيرا**
بالجنة اهل الطاعة **ونذيرا** بالنار اهل المعصية **وان**
من امة اى وما من اهل عصر **الا خلا** اى مضى فيها نذير
من نبى او عالم ينوب عنه قال ابن جريج الا العرب والا كتفا
بذلك للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما وقد
قرن به من قبل ولان الانذار هو الاهم المقصود من البعثة
وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم
بالبينات اى المعجزات الشاهدة على نبوتهم **وبالزبر** اى
الكتب المكتوبة كصحف ابرهيم **وبالكتاب المنير** اى الواضح

كالتوراة والانجيل على التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما
واحد والعطف لتغاير الوصفين وهذا تسلية له صلى الله
عليه وسلم اى فاصبر كما صبروا ثم اخذت الذين كفروا
بتكذيبهم فكيف كان نكير اى انكارى بالعقوبة والاهلاك
اى هو واقع موقعه الم تر ان الله انزل من السماء ماء
فاخرجنا به النفات من الغيبة الى التكلم ثمرات
مختلفا الوانها اى اجناسها او اصنافها على ان كلا منها
لها اصناف مختلفة او هيأتها من الصفرة والخضرة
ونحوهما وهذه الرؤية رؤية القلب والعلم ومن الجبال
جدد اى ذو جدد اى خطط وطرايق جمع جدة وهى الطريق
المختلفة الالوان فى الجبل وغيره الشاعره
قد غادر النسع فى صفحاتها جددا كانها طرق لاحت على علم
الاخفش ولو كان جمع جديد لقال جُدُد بضم الجيم والدال
نحو سرير وسرر وقيل الجدد القطع من جدد الشئ
اذا قطعته بيض وحمر مختلفا الوانها اى طرايق تخالف
لون الجبل وقيل فى الشدة والضعف وغرابيب سود
عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو
جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون
والغربيب الشديد السواد وفى الكلام تقديم وتاخير
اى ومن الجبال سود غرابيب وقيل هو توكيد مضمر
يفسره وحق التاكيد ان يتبع المؤكد وفى مثله مزيد
تاكيد

تاكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار
والتقديم غرابيب سود غرابيب ومن الناس والدواب
والانعام مختلفا الوانه كذلك اى كاختلاف الثمار
والجبال ففيهم الاحمر والابيض والاسود وكل ذلك دليل
على صانع مختار انما يخشى الله من عباده العلما بخلاف
الجهال الكفار ملكة اذ شرط الخشية معرفة المخشى والعلم
بصفاته وافعاله فمن كان اعلم بالله كان اخشى منه
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انا اخشاكم لله
واتقاكم له قال الربيع بن انس من لم تخشه الله فليس بعالم
ابن مسعود وكفى بخشية الله علما وبالاغترار جهلا
والخشية حالة تعترى القلب والجوارح ترفع عن كل وصف
دنى وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعل به ولو
اخر انعكس الامر ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب
الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه
غفور للتايب من عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله
اى يديمون قراته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة
لهم وعنوانا وهذه اية القرا العاملين العاملين والمراد
بكتاب الله القران او جنس كتب الله فيكون ثناء على
المصدقين من الامم بعد اختصاص حال المكذبين واقاموا
الصلاة اى ادامو ها وانفقوا مما رزقناهم سرا
وعلانية فرضا ونفلا كيف انفق من غير قصد اليهما

وقيل السر فى المندوبه والعلانيه فى المفروضه وقدم
السر لانه افضل يرجون تجارة فيما وعدهم الله من الثواب
وهو خبران لن تبور لن تكسد ولن تتملك بالخسران وهو
صفة لتجارة ليوفيهم اجورهم اى ثواب اعمالهم ويزيدهم
من فضله مالا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر وقيل الزيادة الشفاعة فى الاخرة انه
غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اى مجازيهم وهو علة
للتوفية والزيادة وقيل شكور يقبل القليل من العمل
الخالص ويثيب عليه الجزيل والذى اوحينا اليك
من الكتاب يعنى القران ومن للتبيين لا للتبعيض
هو الحق مصدقا لما بين يديه لما تقدمه من الكتب
السماويه حال مؤكده لان حقيقته تستلزم موافقته
اياه فى العقايد واصول الاحكام ان الله بعباده
لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان فى
احوالك ما ينافى النبوه لم يوح اليك مثل هذا الكتاب
المعجز الذى هو عيار على ساير الكتب ثم اورثنا الكتاب
اى حكمنا بتوريثه او نورثه فعبر عنه بالماضى لتحققه
او ورثناه من الامم السالفه والعطف على ان الذين
يتلون والذى اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية
التوريث الذين اصطفينا من عبادنا يعنى علما الامه
من الصحابة ومن بعدهم او الامه باسرهم فان الله تعالى

اصطفاهم

اصطفاهم على ساير الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير
فى العمل به ومنهم مقتصد يعمل به فى اغلب الاوقات
ومنهم سابق بالخيرات يضم الى العمل به التعليم والارشاد
الى العمل باذن الله باراءته وقيل الظالم الجاهل
والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم
الذاكر الله بلسانه والمقتصد الذاكر بقلبه والسابق
الذى لا يشاه وقيل الظالم صاحب الاقوال
والمقتصد صاحب الافعال والسابق صاحب الاحوال
وقيل الظالم الذى يحب الله من اجل الدنيا والمقتصد
الذى يحبه من اجل العقبى والسابق الذى اسقط مراده
بمراد الحق وقيل الظالم الذى يعبد الله خوفا من النار
والمقتصد الذى يعبده طمعا فى الجنه والسابق الذى
يعبده لوجهه لا لسبب وقدم الظالم فى الذكر
لكثرة الفاسقين والمقتصدين قليل بالنسبة اليهم
والسابقين اقل من القليل وقيل قدم الظالم لتاكيد
الرجا وليلا ييأس واخر السابق ليلا يعجب وقال
جعفر بن محمد قدم الظالم ليخبر انه لا يتقرب اليه تعالى
الا بصرف رحمته وكرمه فان الظلم لا يوثر فى الاصطفا
وثنى بالمقتصد ليكون بين الخوف والرجا وثلث بالسابق
ليلا يامن احد مكر الله وقيل الظالم الكافر قاله
ابن عباس ويكون الضمير للعباد والتقدير فمن عبادنا

ظالم لنفسه اى كافر ويكون الضمير فى يدخلونها عايدا على
المقتصد والسابق لا على الظالم وقال عكرمة وقتادة
والضحاك المقتصد المومن العاصى والسابق المتقى على الاطلاق
قالوا وبعد ان يكون ممن يصطفى ظالم وقيل الضمير فى
يدخلونها عايد على الثلاثة على ان لا يكون الظالم ها هنا
كافرا وقد روى اسامة بن زيد ان النبى صلى الله عليه
وسلم قرا هذه الايه وقال كلهم فى الجنه وقرا عمر رضى الله عنه
هذه الايه وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فعلى
هذا القول يقدر مفعول الاصطفا من قوله اورثنا الكتاب
الذين اصطفينا مضافا فحذف اى اصطفينا دينهم فبقى
اصطفيناهم ثم حذف العايد فالمصطفا اذن موجه الى
دينهم كما قال ان الله اصطفى لكم الدين ومعنى اورثنا
اعطينا والميراث عطا حقيقة او مجازا فانه يقال فيما
صار للانسان بعد موت اخر والكتاب ها هنا يريد
به معانيه واحكامه وعقايده ذلك هو الفضل
الكبير اشارة الى ان التوريث والاصطفا والسبق بحنات
عدن اقامه يدخلونها مبتدا وخبر والضمير للثلاثة
كما تقدم ولانه ميراث والبار والعاق فيه سواء اذا
كانوا معترفين فيه بالنسب او للذين او للمقتصد والسابق
على ما تقدم يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة من اساور

من ذهب ولولوا عطف على ذهبا اى من ذهب مرصع
باللولوء او من ذهب فى صفا اللولوء وقرى ولولوا بالنصب
عطف على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا
تنا على الله وشكرا له الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن
اى همهم من خوف العاقبة وقيل همهم من اجل المعاش
وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها وعن ابى الدرداء
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى هذه
الايه يجى السابق فيدخل الجنه بغير حساب واما
المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه
فيحبس فى المقام ويوبخ ثم يدخل الجنة فهم الذين قالوا
الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور
للمذنبين شكور للطايعين الذى احلنا دار المقامه
اى دار الاقامة من فضله اى من انعامه وتفضله اذ لا واجب
عليه لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب
اذ لا تكليف فيها ولا كد والنصب والتعب واللغوب
شدة الاعيا والتصريح به للمبالغه فى نفيه والا فالتعب
اذا انتفى انتفى اللغوب وقيل الفرق بينهما ان النصب
تعب الابدان واللغوب تعب النفس والذين كفروا لهم
نار جهنم لا يقضى عليهم اى لا يحكم عليهم بموت ثان
فيموتوا ويستريحوا ولا يخفف عنهم من عذابها
طرفة عين بل كلما خبت زيد استعارها كذلك اى مثل

ذلك الجزاء يجزى كل كفور مبالغ فى الكفر وهم يصطرخون
فيها اى يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح
بشدة وعويل استعمل فى الاستغاثة لتجهد المستغيث صوته
ربنا اخرجنا منها نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل باضمار
القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على
ما عملوه من غير الصالح قيل وهذا يوهم انهم كانوا عملوا
صالحا غير الذى طلبوه وهو بحسب زعمهم الفاسد كما
قال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فالمعنى غير الذى
كنا نعمله بحسبه عملا صالحا والآن تحققنا خلافه وقيل
المعنى نقل لا اله الا الله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من
تذكر هذا جواب دعائهم اى فيقال لهم توبيخا وما يتذكر
فيه متناول لكل عمر يمكن المكلف فيه التفكر والتذكر
وقيل هو ما بين العشرين الى الستين وفى البخارى
اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة قال
الخطابى اعذر اليه اى بلغ به اقصى العذر والمعنى ان من
عمره الله ستين سنة لم يبق له عذر وعن ابن عباس انه
اربعون سنة وقيل البلوغ وجاءكم النذير قيل
القرآن وقيل الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل
الشيب وقيل الحمى وقيل موت الاهل والاقارب
وقيل كمال العقل فذوقوا عذاب جهنم لانكم ما اعتبرتم
وما اتعظتم فما للظالمين الكافرين من نصير يدفع العذاب

عنهم

عنهم ان الله عالم غيب السموات والارض لا تخفى عليه
خافية فلا يخفى عليه احوالكم انه عليم بذات الصدور
تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهى اخفى ما يكون
كان اعلم لغيره هو الذى جعلكم خلائف فى الارض يلقى
اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلف بعد خلف جمع
خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر منكم فعليه كفره
اى جزاء كفره وهو العقاب والعذاب ولا يزيد الكافرين
كفرهم عند ربهم الا مقتا اى بغضا وغيظا ولا يزيد
الكافرين كفرهم الا خسارا اى هلاكا وضلالا وهو بيان
لما قبله والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد
من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه
والمقت اشد البغض قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون
تعبدون من دون الله غيره بعنى الهتهم والاضافة اليهم
لانهم جعلوهم شركاء لله اولا نقسمهم فيما يملكونه ارونى
ماذا خلقوا من الارض بدل من ارايتم بدل الاشتمال لانه
بمعنى اخبرونى عن هؤلاء الشركاء اى جزء من الارض استبدوا
بخلقه ام لهم شرك فى السموات اى ام لهم شركة مع الله فى
خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة فى الالهية ام اتيناهم
كتابا ينطق على انا اتخذنا شركاء قهم على بينة منه اى على حجة
من ذلك بان لهم شركة ويجوز ان يكون هم للمشركين كقوله
ام انزلنا عليهم سلطانا وقرئ بينات فيكون ايما الى ان

الشرك خطير لا يدفعه تعاضد الدلايل والاستفهام في
البتداوتة انكاري اى لا شئ من ذلك بل ان يعد الظالمون
اى ما يعد الكافرون بعضهم بعضا الا غرورا الما تقى انواع
الحجج فى ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه من تقليد
الاسلاف الاخلاف والروسا الاتباع بانهم شفعا عند الله
يشفعون لهم والغرور الباطل الذى يغر ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا اى كراهة ان تزولا عن مكانهما
فان الممكن حال بقايه لابد له من حافظ ولين لام قسم
زالتا ان امسكهما اى ما امسكهما من احد من بعده اى من
بعد الله اى سواه او من بعد الزوال والجملة سادة مسد
الجوابين ومن الاولى زايده والثانيه للابتدا انه كان
حليما بتاخيره العقوبة عن الكفار غفورا للمومنين
واقسموا بالله جهد ايمانهم اى غاية اجتهادهم فيها لين
جاءهم نذير رسول ليكونن اهدى من احدى الامم وذلك
ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا
لعمر الله اليهود والنصارى وغيرهم ممن كذب نبيه
واقسموا بالله جل اسمه لين جاءهم نذير ليكونن اهدى من
احدى الامم يعني ممن كذب الرسل من اهل الكتاب وكانت
العرب تتمنى ان يكون منهم رسول كما كان الرسل فى بنى اسراييل
فلما جاءهم نذير من انفسهم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم
ما زادهم اى النذير او مجيئه على السبب الا نفورا تباعدا

ع

عن الحق وقوله من احدى الامم يعنى ممن كذب الرسل من اهل الكتاب
اى من الامة التى يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها
فى الهدى والاستقامة استكبارا فى الارض بدل من نفورا
او مفعول له ومكر السيئ اى مكر العمل السيئ وهو الكفر
وخدع الضعفا وصدهم عن الايمان ليكثر اتباعهم ولا يحيق
المكر السيئ الا باهله وهم الماكرون والمعنى لا تنزل عاقبة
الشرك الا بمن اشرك وقد حاق بهم يوم بدر وقيل معنى
يحيق يحيط فهل ينظرون اى ما ينتظرون الا سنة الاولين
اى سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله
تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعل غير
التعذيب تعذيبا ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى
غيرهم والسنة الطريقة والعادة واضافتها الى الله هنا
وقال فى موضع اخر سنت من قد ارسلنا قبلك فاضافتها
اليهم لتعلقها بالمجانيين والتبديل نقل الشئ عما كان عليه
مع بقا ماديته والتحويل نقله من مكان الى اخر وسنت الله
لا تبدل ولا تحول اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليهم بما يشاهدونه
فى مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من اثار الماضين كعاد
وثمود ومدين وامثالهم لما كذبوا الرسل فيتدبروا ذلك
بنظرهم الى مساكنهم وبما سمعوا على التواتر مما حل بهم
وكانوا اشد منهم قوة فاهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم

وما كان الله ليعجزه من شيء اى ليسبقه ويفوته في السموات
ولا في الارض اى اذا اراد انزال عذاب بقوم لم يعجزه شيء انه
كان عليما بكل شيء قديرا على كل ممكن ولو يواخذ الله الناس
بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها اى ظهر الارض من
دابة ابن مسعود يريد جميع الحيوان مما دب ودرج قتادة
وقد فعل ذلك زمن نوح ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى مقاتل
هو ما وعدهم في اللوح المحفوظ وقيل هو يوم القيمة
وقيل الموت فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا
فيجازيهم على اعمالهم باثابة المومنين وعقاب الكافرين
والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
واهل طاعته وسلم تسليما كثيرا دايما الى يوم الدين
وكان الفراغ من هذا الجزء المبارك من تفسير
القران العظيم وهو الثالث من تجزية اربعة
على افقر العباد واضعفها واعجزها
محمد بن الخراط حفه الله بلطفه
وبعنايته احاط
ابن